شرح الفوائد

تسع عشرة فائدة في حكمة أهل البيت

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

المجلد الثاني

إعداد وتحقيق

الشيخ راضي ناصر السلمان

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا



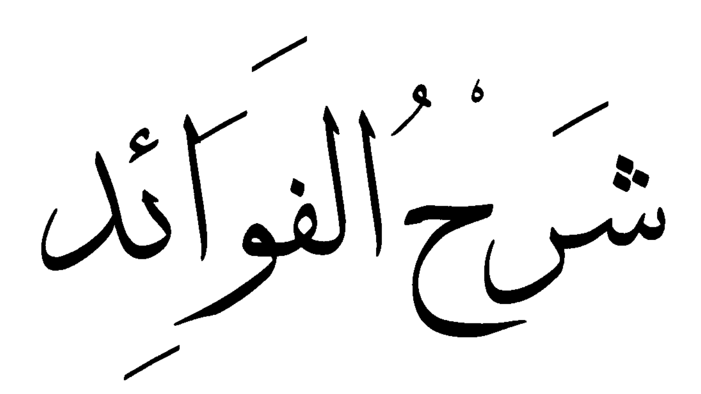
شرح الفوائد

في حكمة أهل البيت عليهم السلام



﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ
ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا
يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾

- سورة البقرة : ٢٦٩ -



شرح الفوائد

في حكمة أهل البيت عليهم السلام

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

(المجلّد الثاني)

إعداد وتحقيق

الشيخ راضي ناصر السلمان الأحسائي

شارك في مراجعة الكتاب:

الشيخ سعيد القريشي - الشيخ مجتبى السماعيل - الشيخ صالح الدباب

الطبعة الأولى -١٤٢٦هـ /٢٠٠٦م



هوية الكتاب

- اسم الكتاب: شرح الفوائد في حكمة أهل البيت عليهم السلام.
- اسم المؤلف: الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.
- إعداد وتحقيق: الشيخ راضي ناصر السلمان الأحسائي.
- طباعة ونشر: مؤسسة فكر الأوحد قدس سره.
- مكان الطباعة: بيروت - لبنان.

الموزع الرئيسي لإصدارات مؤسسة فكر الأوحد قدس سره

مكتبة الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره - سوريا - السيدة زينب عليها السلام

هاتف نقال: (٠٠٩٦٣٩٣٣٠٦٧٦٦) - ص.ب: (٢١٣).

الأحساء: (٠٠٩٦٦٥٠٠٨٥٨٥١٣) - ص.ب: (٣١٩٨٢).

الموقع الإلكتروني: *www.FikrALawhad.net*

البريد الإلكتروني: *Radi@FikrALawhad.net*

شرح

الفائدة الخامسة

فِي تَتِمَّةِ المُلْحَقَاتِ: [تَعَدُّد العَوَالِم وَالآدَمِيِّيْن]

قلتُ:

(الفَائدَةُ الخَامسَةُ
في تَتــمَّة المُلْحَقَــات
[تَعَدُّد العَوَالِم وَالآدَمِيِّيْن]

اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي الأَحَادِيْث عَــنْهُمْ عليهم السلام تَعَــدُّد العَــوَالِم وَالآدَمِيِّيْنَ، وَأَكْثَرُ مَا ذُكِرَ أَنَّهَا: «أَلْف أَلْف عَالَم، وَأَلْف أَلْــف آدَم، أَنْتَ فِي آخرِ تِلْكَ العَوَالِمِ، وَأُوْلَئِكَ الآدَمِيِّيْن»[1].

(١) عن جابر بن يزيد قال؛ سألت أبا جعفر عليه السلام عن قولــه عزّ وجلّ: ﴿أَ فَعَيِيْنَــا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيد﴾[سورة ق، الآية:١٥]؟.
قال: «يَا جَابِرُ! تَأْوِيْلُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ عزّ وجلّ إِذَا أَفْنَى هَذَا الخَلْقَ وَهَذَا العَالَمْ، وَسَكَنَ أَهْلُ الجَنَّة الجَنَّة، وَأَهْلُ النَّارِ النَّار؛ جَدَّدَ اللهُ عَالَماً غَيْرَ هَذَا العَالَم، وَجَدَّدَ خَلْقــاً مِنْ غَيْرِ فُحُوْلَةٍ وَلَا إِنَاث، يَعْبُدُوْنَهُ وَيُوَحِّدُوْنَهُ، وَخَلَقَ لَهُمْ أَرْضاً غَيْرَ هَذه الأَرْض تَحْمِلُهُم، وَسَمَاءً غَيْرَ هَذه السَّمَاء تُظِلُّهُم.
لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ اللهَ إِنَّمَا خَلَقَ هَذَا العَالَمَ الوَاحِد، وَتَرَى أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُق بَــشَراً غَيْرَكُمْ، بَلَى –وَاللهِ– لَقَدْ خَلَقَ اللهُ أَلْفَ أَلْفَ عَالَمْ، وَأَلْفَ أَلْفَ آدَمْ، أَنْتَ فِــي آخرِ تِلْكَ العَوَالِم، وَأُوْلَئِكَ الآدَمِيِّيْن».[التوحيد، ص: ٢٧٧. الخــصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤].

←....

۞[العوالم بين المعنى والعدد]:

أقول: رواه الصَّدوق رحمه الله في آخر الخصال عن الباقر عليه السلام، والمستفاد من الأخبار أنّ المراد بها مراتب التنزُّلات والتطورات، كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «**لَقَد دُوِّرْتُم دورَات، ثُمَّ كُوِّرْتُم كَورَات**»، وقوله: «**إنَّ لله فِي كُلِّ يَومٍ ثَلَاثَة عَسَاكِر، عَسْكَرٌ يَنْزِلُونَ مِنْ الأَصْلَابِ إِلَى الأَرْحَامِ، وَعَسْكَرٌ يَخْرُجُوْنَ مِنَ الأَرْحَامِ إِلَى الدُّنْيَا، وَعَسْكَرٌ يَرْتَحِلُوْنَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ**»[1]، وتصدق هذه العوالم على أجناس الموجودات وأنواعها وأصنافها، من الذوات والصِّفات.

فعلى هذا يكون المراد بالعدد المذكور وغيره من الأعداد التي سنذكر بعضها على سبيل التنبيه مطلق الكثرة، لا خصوص العدد مطلقاً، أو خصوص العدد باعتبار خصوص مبادئها، كما إذا قلنا: (اثني عشر

←...

وعن أبي حمزة الثمالي قال؛ سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَالطَّيِّبِيْنَ مِنْ نُوْرِ عَظَمَته، وَأَقَامَهُم أَشْبَاحاً قَبْلَ المَخْلُوْقَات. ثُمَّ قَالَ: أَ تَظُنّ أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقاً سِوَاكُم، بَلَى وَاللهِ، لَقَد خَلَقَ اللهُ أَلْفَ أَلْفَ آدَم، وَأَلْفَ أَلْفَ عَالَم، وَأَنْتَ وَاللهِ فِي آخرِ تِلْكَ العَوَالِم**».[بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢٥. وَج: ٥٤، ص: ٣٣٦].

(١) روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٤٩. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٨٩. بحار الأنوار، ج: ٨٧، ص: ٢٤٣. شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٣١٨.

عَالَماً)، فإنَّ ذلك باعتبار أسباب تكوّنها وتكوينها، أعني: البروج الاثـــني عشر.

ومع هذا.. وإن جاز الحصر باعتبار حصر أسبابها ومبادئها، إلا أنّه إنما هو الكليات، وأمّا الجزئيات فلا يمكن لنا حصرها؛ لـــدوام الإمـــداد والاستمداد، ودوام الفيض، فتمتنع الإحاطة بها، إلا للّذي خلقها: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2].

[العالَمُ، والعالَمان]:

قلتُ: (وَمَرَاتِبُ العَوَالِمِ إِنَّمَا اخْتَلَفَتْ فِي الرِّوَايَاتِ لِاخْتِلَافِ المَقَامَاتِ، كَعَالَمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ).

أقول: إنما لم نذكر الواحد لأنه معروف باسمه، كمـــا إذا قلـــت: (العالَم) فإنك تريد به ما سوى الله تعالى، وإذا أُطلق الإثنان أُريد به مـــا ينحصر في الإثنين؛ كعالم الغيب، وعالم الـــشَّهادة، إذ لا ثالـــث هنـــا، وكالوجوب والإمكان، والظاهر والباطن..وما أشبه ذلك.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩. وسورة الأنعام، الآية: ١٠١. وســـورة الحديـــد، الآية: ٣.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

❁ [ثلاثة عوالم]:

قلتُ: (وَالعَوَالِمُ الثَّلَاثَةُ.

عَالَمُ الوُجُوْبِ: وَهُوَ الأَزَلِي تَعَالَى.

وَعَالَمُ الرُّجْحَان: وَهُوَ عَالَمُ المَشِيْئَةِ وَالإِرَادَةِ وَالإِبْدَاعِ.

وَعَالَمُ الجَـوَازِ: وَهُوَ الوُجُوْدُ المُقَيَّد، المُعَبَّرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ وُجُوْدٌ بِشَرْطِ لَا، وَبِشَرْطِ شَيْء، أَوَّلُهُ الدُّرَّة، وَآخِرُهُ الذَّرَّة).

أقول: يعني إذا قيل ثلاثة عوالم من الأمور الصَّادقة عليهـا؛ عـالم الأزل، وعالم الرجحان، وعالم الجواز.

فالأزل: هو الله تعالى ﷻ، ولا يتوهَّم مُتوهِّم أنَّ الأزل ظـرفٌ والواجب تعالى حالٌّ فيه، فيلزم تعدُّد القدماء، بل الأزل هـو ذات الحق ﷻ.

وعالم الرُّجحان: هو الفعل بجميع أصنافه؛ لأنه راجـح الوجـود، حتى قال تعالى في شأن أثره اللّازم لَه: **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَـوْ لَـمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾**[١]، أي: يكاد أن يتحقّق بنفسه قبل الإيجاد.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

وهذا العالم هو عالم الأمر؛ لأنَّ الوجودات[1] -كما تقدَّم- بهـذا اللِّحاظ ثلاثة:

[**الوجود الأوَّل**]: وجود حق؛ وهو الأزل عزّ وجلّ.

و[**الوجود الثَّاني**]: وجود مطلق، أي؛ من غير شرطِ شيءٍ يتوقـف وجوده عليه؛ غير نفسه، فلذا سمَّيناه بالمطلق في مقابلة المقيَّد.

و[**الوجود الثَّالث**]: وجود مقيَّد؛ وهو المفعول من الدُّرة إلى الذَّرة.

وتمثيلي بـ: (المشيئة، والإرادة، والإبداع) لا غيرها من أسمائه، ولا بأقل منها، ولا بأكثر؛ إنما هو تبع لكلام الرضا عليه السلام[2]، وقـد تقـدَّم ذكر بعض أسمائه وبعض أوصافه وأحواله، وهذا هو الثـاني في الـذِّكر والتَّسمية.

وعالم الجواز: وهو الوجود المقيَّد، وهو الثالث في الذكر والتسمية، وهو جميع المفعولات التي أحدثها الله سبحانه بفعله، ويُسمَّى هذا الوجود بالوجود المقيد؛ لتوقف قبوله للإيجاد على شيء آخر وجودي أو عدمي، أو هما معاً.

وأول هذا الوجود: العقل الكلي، المُعبَّر عنه بالدُّرة، ولذا قيـل:

---

(١) في بعض النُّسخ: (لأنَّ الموجودات).

(٢) لعله إشارة إلى قوله عليه السلام: «..**اعْلَم أَنَّ الإِبْدَاعَ وَالمَشِيْئَةَ وَالإِرَادَةَ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ، وَأَسْمَاؤهَا ثَلَاثَة**..».[التوحيد، ص: ٤٣٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١].

«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ» كما رُوي[١]، وآخره الذَّرة، أي: الثرى، ويُعبر عن جميع المصنوعات بهذا، بأن يُقال: (الوجود المقيد؛ أوَّله العقل الكلِّي، وآخره الثرى).

وأما قولي: (بأنه وجود بشرط لا، وبشرط شيء)؛ فهو على ما اصطلحت عليه، فإنَّ قولك: (بشرط شيء، وبشرط لا شيء)؛ بمعنى واحد، إذ مآل العبارتين إفادة القيد المنافي للإطلاق، فالعبارتان في مقابلة لا بشرط في إرادة الوجود الراجح.

۞ [أربعةُ عوالم]:

قلتُ: (وَأَرْبَعَة عَوَالِم، وَهِيَ: عَالَمُ الخَلْقِ، وَعَالَمُ الرِّزْقِ، وَعَالَمُ المَوْتِ، وَعَالَمُ الحَيَاةِ).

أقول: أيضاً إذا قيل أربعة عوالم فمنها هذه العوالم، وذلك أنَّا لَمَّا تتبعنا أصول الخلق وفروعه مما أحاطت به عقولنا ووسعته أوهامنا، فوجدناه كله يدور على هذه الأربعة، وقد ذكرها سُبحانه في معرض الامتنان وإظهار القدرة، فقال تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ**

---

(١) عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩. بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٩٧. شرح نهج البلاغة، ج: ١٨، ص: ١٢٨.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١]، ولو كان شيء من الأصـول الـتي يرجع إليها أمر من أمورها سوى الله سبحانه لذكره ﷻ.

وعلى خصوص هذا العدد تفرَّعت الأركان، كتربيع الكلمات التي بُني عليها الإسلام: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وكتربيع أركان العرش، الذي هو مظهر فوارة القدر والقـضاء، وعلـل الأسباب، وأسباب العلل، وكتربيع الطبائع والعناصر، التي هي منها جميع المواد العلوية والسفلية..وما أشبه ذلك.

ولأجل مقتضى جميع التقومات الكونية من الأسـباب والمـسببات قامت الزوايا في المربع ولم تقم فيما زاد عليه، ولا ما نقص عنه، إشارة إلى تمام نظام الكون بذلك العدد لا بما سواه.

ومن أجل ما أشرنا إليه كان العرش -الذي هو محل جميع مبـادئ الأكوان، في الغيب والشهادة من الأعيان والمعاني، مما دخل في الإمكان- مربعاً، فركنه الأحمر يستمد منه جبرائيل عليه السلام بمقتضى الحرارة واليبوسة للخلق في الجبروت والملكوت والملك، وركنه الأبيض يستمد منه ميكائيل عليه السلام بمقتضى الرُّطوبة والبرودة للرِّزق في الجبروت والملكوت والملـك، وركنه الأخضر يستمد منه عزرائيل عليه السلام بمقتضى الـبرودة واليبوسـة للموت في الجبروت والملكوت والملك، وركنه الأصفر يستمد منه إسرافيل

(١) سورة الروم، الآية: ٤٠.

عليه السلام بمقتضى الحرارة والرطوبة للحياة في الجبروت والملكوت والملك، وتتفرع الأشياء المربعة في الوجود على ذلك التربيع.

۞ [خمسة عوالم]:

قلتُ: (وَخَمْسَةُ عَوَالِم: عَالَمُ الأَزَلِ تَعَالَى، وَعَالَمُ السَّرْمَدِ، وَهُوَ عَالَمُ الرُّجْحَانِ، وَعَالَمُ الجَبَرُوْتِ؛ وَهُوَ عَالَمُ المَعَانِي المُجَرَّدَة عَنِ المَادَّةِ وَالصُّوْرَةِ وَالمُدَّة، وَعَالَمُ المَلَكُوْتِ؛ وَهُوَ عَالَمُ الصُّوَرِ المُجَرَّدَةِ عَنِ المَادَّةِ وَالمُدَّة، وَعَالَمُ المُلْكِ؛ أَوَّلُهُ مُحَدَّدُ الجِهَاتِ، وَآخِرُهُ الأَرْض).

أقول: أنَّ **الأزل** جل جلاله؛ لا يدخل في العدد لذاته بوجه من الوجوه.

وأمَّا ذكره هنا فالمراد به ما يُشار به إلى العنوان الذي يعرف به الأزل تعالى، لا من حيث أنه عنوان ودليل؛ فإنه من هذه الحيثية لا يجوز دخوله في مطلق العدد بوجه من الوجوه، وإنما تكون العبارة عنه معدودة من حيث هو هو، فإنَّه من هذه الحيثية خلق محدث كسائر المخلوقات لا يعرف به الله، إلا أنه يحصل به التميز في الجملة؛ لأن المراد به هنا ما هو غير المذكورات، فإنَّ الأزل تعالى غير سائر العوالم، وإن كانت المغايرة في الحقيقة حداً لغيره.

وأمَّا **عالم السَّرمد**: فهو عالم الأمر والمشيئة، وهو عالم الرُّجحان، وسُمِّي عالم الرجحان في مقابلة تسمية الأزل بالواجب، وتسمية الحادث بالجائز؛ لأن الأمر ليس بواجب الوجود، ولا بممكن الوجود بالإمكان

الخاص الملحوظ فيه تساوي الطرفين، بل طرف وجوده راجح على عدمه، وإن لم يكن واجباً.

والثالث: عالم الجبروت؛ وهو عالم العقول، وهو عالم المعاني.

والمراد بالمعاني: المعاني الاصطلاحية الخاصة، وهي المجرَّدة عن المــادة العنصرية والصُّورة المثالية، أعني: المرتبطة بالمادة العنصرية والمدة الزمانية، لا التَّجرد المطلق، كما يتوهمه الأكثر من عبارات الحكماء المتقدمين، فإنهم أرادوا ما ذكرنا.

۞[هل يُوجد مجرَّد غير الله؟]:

وما فهم المتأخرون من الحكماء والعلماء غلــطٌ؛ فــإنهم يريــدون بالمجردات: العقول والنفوس والأرواح، ويريدون بتجردها: التجرد مطلقاً، يعني: أنه لا مادَّة لها أصلاً، ولا مُدَّة أصلاً، وهذا هو التجرد الواجــب، حتى أن بعض العلماء مثل الملا محمد باقر المجلسي رحمه الله في أول البحــار؛ حكم بكفر من قال بإثبات مجرد غير الله[1]، وكذلك غيره، لفهمهــم أنَّ المراد بالتَّجرُّد؛ التَّجرُّد المطلق.

---

(١) قال المجلسي رحمه الله في بحاره عند الحديث عن فهم أخبار أبواب العقل واختلاف الآراء والمصطلحات فيه، وذكر من ضمن اصطلاحاته:

(السادس: ما ذهب إليه الفلاسفة، وأثبتوه بزعمهم من جوهر مجرد قديم، لا تعلق له بالمادة ذاتاً ولا فعلاً، والقول به كما ذكروه مستلزم لإنكار كثير من ضــروريات الدين، من حدوث العالم وغيره، ممَّا لا يسع المقام ذكره، وبعض المنــتحلين منــهم

←....

وكذلك كثير من المتأخرين فهموا ذلك، حتى أنَّ الملا صـــدرا في المشاعر قال: (أن العقل وما فوقه كل الأشياء)، بناء علـــى مذهبـــه أن بسيط الحقيقة كل الأشياء، والعقل عنده بسيط الحقيقة، وما فوقه هـــو الله تعالى(١).

ونحن قد بيَّنا فساد ذلك كله في شرح المشاعر من وجهين:

الأوَّل: إذ لا بسيط إلا الله سُبحانه، وكل ما سواه فهو مركَّب من مادة وصورة، لا فرق في ذلك بين العقل والحجر؛ إلا أن مادة العقل من النُّور الذَّائب، أعني: المادة المعنوية، والحجر مادته من النور الجامد، أعني: المادة العنصرية المحسوسة؛ لأن العقل مخلوق كالحجر، وكل مخلوق فلـــه اعتباران:

اعتبار من ربه؛ وهو حقيقة من ربه، والمراد به الوجود، فإنه أثر فعله تعالى، اخترعه لا من شيء، وهو مادته.

...←

للإسلام أثبتوا عقولاً حادثة، وهي أيضاً على ما أثبتوها مستلزمة لإنكار كثير مـــن الأصول المقرَّرة الإسلامية، مع أنه لا يظهر من الأخبار وجود مجـــرد ســـوى الله تعالى). [بحار الأنوار، ج: ١، ص: ١٠١].

وقال أيضاً في بيانه لبعض الأحاديث: (يحتمل أن يكون المعنى أن من جعل لبقائـــه غاية فقد جعل لذاته أيضاً غايات وحدوداً جسمانية، بناء على عدم ثبوت مجـــرد سوى الله تعالى). [بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٣٥].

(١) أشار الشيخ المصنِّف إلى هذا المطلب في عدة مواضع من شرحه على المشاعر، راجع: شرح المشاعر، ص: ٥٦٩ - ٥٩٦ - ٧٤٢.

واعتبار من نفسه؛ وهو ماهيته التي هي صورته، وهي هويته وإنِّيته، ولا يمكن أن يُوجد ممكن إلا بهذين الاعتبارين.

نعم..هما في كلِّ شيء بنسبة.

والثاني: أن قول الملا صدرا (أن بسيط الحقيقة كل الأشياء)؛ غلطٌ فاحش، وشركٌ ظاهر، فإن قوله: (كل الأشياء) لا يصحُّ إلا إذا كانت معه في رتبة ذاته، ولا تكون معه في رتبة ذاته إلا إذا كانت قديمة، والقِدَم منافٍ للكل؛ لاستلزامها التَّعددُّ والتَّركيب، والأشياء: جمعٌ متعدِّد الأفراد.

وحجته باطلة منقوضة بصحة مقدماته -كما قررنا هناك- فإنَّ قولَه: (هو موجود بسيط) فلو صح هو موجود سلب عنه غيره؛ لكان مركباً من ذات ومن نفي الغير، فيلزم -بحكم عكس النقيض- أنه موجود لا يسلب عنه شيء، وهو قولنا: (بسيط الحقيقة كل الأشياء).

وقولُه هذا إذا صحَّ بطل؛ لأنه إذا صح أنه إذا قلتَ: (هو موجود سلب عنه شيء) لزم منه التركيب، فيحكم عكس النقيض: (هو موجود لا يسلب عنه شيء)، يلزم التركيب منه أيضاً؛ لأنه لم يقل: (هو موجود بغير قيد)، بل قال: (موجود لا يسلب عنه شيء)، وهو مثل قوله: (موجود سلب عنه شيء).

فإن قلتَ: إنما أراد أنه موجود مطلق من غير أن يصفه بسلب، فلا يلزمه التقييد.

قلتُ: يلزمه بإرادته من قوله: (كل الأشياء)، فإنه إذا اعتُبر لكل معنى يفيد الشمول لَزمه إمَّا التقييد بسلب ذلك الغير، أو التقييد بعدم سلبه، ولا ينفك من التركيب إلا إذا لم يُثبت هناك شيئاً غيره في رتبة ذاته أصلاً، وحينئذٍ يبطل قوله: (كل الأشياء)، ويصحُّ التوحيد، وإلا يلزمه التركيب والكثرة بحكم (كل) على أي اعتبار كان، فأين يذهب عن الحق؟!.

والحاصل: أنَّ المجرَّد إذا استُعمل في الحادث فالمراد به أنه مجرَّد عن المادة العنصرية والمدَّة الزمانية لا مُطلقاً، وهذا هو مراد المتقدِّمين من المجرَّدات في الحادث، لا كما توهَّمه المتأخرون.

فكلام صاحب البحار واردٌ على هؤلاء لا غير.

ونحن إذا أطلقنا المجرد في الحادث نريد به هذا المعنى، ولا يرد علينا كلام صاحب البحار، على أن استدلاله ليس بصحيح، وإن كان حكمه صحيحاً؛ لأنه استدل على كفر من قال بذلك بـ(عدم وروده في الأخبار)[1]، وقد غفل عنه في الأخبار، فإنه وارد فيها، مثل ما رواه في الغرر والدُّرر عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد سُئل عن العالم العلوي فقال

---

(١) راجع ما نقلناه سابقاً من كلماته رحمه الله، وقال أيضاً في بيانه لرواية ورد فيها عن الرُّوح قول الإمام الصَّادق عليه السلام: «وَهُوَ مِنَ الْمَلَكُوتِ»[تفسير نور الثقلين، ج: ٣، ص: ٢١٥]، قال: (أي: من السَّماويات، وقيل: أي؛ من المجرَّدات، ولم يثبت هذا الاصطلاح في الأخبار، ولم يثبت وجود مجرَّد سوى الله تعالى).[بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٦٩].

عليه السلام: «صُوَرٌ خَالِيَةٌ عَنِ المَوَادِّ، عَارِيَةٌ عَنِ القُوَّةِ وَالاسْتِعْدَادِ...»[١]، ومثل قوله عليه السلام في حديث كميل للأعرابي السائل عن النفس[٢].

---

(١) نقلنا نصَّ الرِّواية في هوامش الفائدة الرابعة في المجلد الأول، ولمصادره راجع: غرر الحكم، ص: ٢٣١. المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥.

(٢) لعله إشارة إلى ما روي عن كميل بن زياد أنه قال: سألت مولانا أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين! أريد أن تعرفني نفسي.

قال: «يَا كُمَيْلُ! وَأَيُّ الأَنْفُسِ تُرِيْدُ أَنْ أُعَرِّفَكَ؟.

قلتُ: يا مولاي! هل هي إلا نفس واحدة؟.

قال: يَا كُمَيْلُ! إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةٌ؛ النَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّة، وَالحِسِّيَّة الحَيْوَانِيَّة، وَالنَّاطِقَة القُدْسِيَّة، وَالكُلِّيَّة الإِلَهِيَّة، وَلِكُلٍّ وَاحِدَة مِنْ هَذه خَمْسُ قُوَى وَخَاصِّيَّتَان.

فَالنَّامِيَة النَّبَاتِيَّة: لَهَا خَمْسُ قُوَى؛ مَاسِكَة وَجَاذِبَة، وَهَاضِمَة وَدَافِعَة وَمُرَبِّيَة، وَلَهَا خَاصِّيَّتَان؛ الزِّيَادَة وَالنُّقْصَان، وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الكَبِد.

وَالحِسِّيَّة الحَيْوَانِيَّة: لَهَا خَمْسُ قوى؛ سَمْعٌ وَبَصَرٌ، وَشَمٌّ وَذَوْقٌ وَلَمْسٌ، وَلَهَا خَاصِّيَّتَان؛ الرِّضَا وَالغَضَب، وَانْبِعَاثُهَا مِنَ القَلْب.

وَالنَّاطِقَةُ القُدْسِيَّة: لَهَا خَمْسُ قوى؛ فِكْرٌ وَذِكْرٌ، وَعِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنَبَاهَةٌ، وَلَيْسَ لَهَا انْبِعَاث، وَهِيَ أَشْبَهُ الأَشْيَاء بِالنُّفُوْسِ الفَلَكِيَّة، وَلَهَا خَاصِّيَّتَان؛ النَّزَاهَة وَالحِكْمَة.

وَالكُلِّيَّة الإِلَهِيَّة: لَهَا خَمْسُ قوى؛ بَهَاء فِي فَنَاء، وَنَعِيْم فِي شَقَاء، وَعِزّ فِي ذُلّ، وَفَقْر فِي غِنَاء، وَصَبْر فِي بَلَاء، وَلَهَا خَاصِّيَّتَان؛ الرِّضَا وَالتَّسْلِيْم، وَهَذه الَّتي مَبْدَؤُهَا مِنَ اللهِ وَإِلَيْه تَعُوْد، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَفَخْتُ فيه منْ رُوحي﴾[سورة الحجر، الآية:٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّك

←...

واعلم أنّي أطلت الكلام هنا لعموم الحاجة إليه، وإنْ كنتُ مستلزماً على نفسي عدم البسط في هذا الشَّرح؛ لأنّ المطلوب منه بيان العبارة خاصة.

والرَّابع: عالم الملكوت؛ والمراد به عالم النُّفوس، أعني: الصُّور الجوهرية، وعالم الأرواح متردِّد بين العالمين، وبرزخ بين الاثنين: الجبروت، والملكوت، يستعمل مع كل منهما باعتبارين.

وهذا العالم أهله جواهر مقداريَّة، أي: ذوات مجرَّدة إلا عن الصورة، وصورها نفوس الصور المثالية المحسوسة.

والخامس: عالم الملك؛ أعني عالم الأجسام، وأعلاه محدَّد الجهات، ومحدَّبه مساوق في الوجود للزمان والمكان، لا يسبق شيء من هذه الثلاثة الآخرين في كل مرتبة من مراتب الأكوان، في الغيب والشهادة.

وهذا العدد إذا أُطلق على شيء من العوالم يُراد به هذه ونظائرها، مثل: المواليد الثلاثة في الجسم والرُّوح، أو في المادَّة والصُّورة، أو في الغيب والشهادة.

←...

راضِيَةً﴾[سورة الفجر، الآيتان:٢٧-٢٨]، **وَالعَقْلُ فِي وَسَطِ الكُلِّ**».[بحار الأنوار، ج: ٥٨، ص: ٨٥].

۞[ستّة عوالم]:

قلتُ: (وَستَّةُ عَوَالم؛ عَالَمُ العُقُوْلِ، وَعَـــالَمُ النُّفُــوْسِ، وَعَـــالَمُ الطَّبَائِعِ، وَعَالَمُ الهَبَاءِ، وَعَالَمُ المِثَالِ، وَعَالَمُ الأَجْسَامِ).

أقول: إذا ذكر ستة عوالم في الأخبار، أو في كلام أهل الأســـرار؛ فيُراد بها:

[الأوّل]: عالم العُقُول، أعني: عالم المعاني الجوهريَّة، والذّوات المجرَّدة عن العنصريَّة، والصُّورة النفسيَّة والمثاليَّة، والمدة الزَّمانية، وهي الأكـــوان الجوهرية، وقد أشرنا إليها قبل هذا.

والثّاني: عالم النُّفوس، أعني: الهياكل الجوهريَّة، وهي كلمات اللّوح المحفوظ، والكتاب المسطور.

والثالث: عالم الطَّبائع؛ وهو مقام الحلّ والكـــسر، بعـــد العقـــد والصَّوغ، والإجمال بعد التفصيل الأوَّلي، وقبل التفصيل الثانوي، ومعناه: أنَّ الأشياء بعد تمام تمايزها الأول كُسِرَت وأُذيْبَت حتى تساوى عاليهـــا بسافلها، وظاهرها بباطنها، وقويِّها بضعيفها، ورطبها بيابسها، وحارِّهـــا بباردها، إلى أن كانت الأجزاء المتخالفة جزءً واحداً، أو القوى المتعـــدِّدة قوةً واحدةً.

وهذا الواحد البسيط حقيقة للواحد المركَّب، بحيث إذا فصل هـــذا الواحد إلى الأجزاء المتعدِّدة المختلفة عند التركيب، وركب الشيء منها؛ كان مع أجزائه المتخالفة المتباينة في قويِّها وطبائعهـــا الجزئيـــة وصـــفاتها

كذلك، طبيعةً واحدةً كما هي قبل التَّفصيل، وإن اختلفت ظواهرهـــا، بحيث لو انفصل كل شيء من ذلك الشيء المركب، وظهر بحياته الخاصة به من فعل الله سُبحانه؛ لم تفرق بين ذلك الجزء وبين الكلِّ، الذي هـــو الشيء، إلا أن الكلَّ يسند عن نفسه، والجزء يسند عن الكلِّ؛ لأنها كلّها بطبيعة واحدة، لأنها طبيعة واحدة، جمدت فتكثَّرت، وذابت فاتَّحـــدت، فلمَّا جمدت ثانياً تكثَّرت، فظهرت الكثرة، وبطنت الوحدة.

فصحَّ أنْ يُقال: زيد مثلاً طبيعة واحدة، مع اختلاف أجزائه ظاهراً ذات أوصفة، فمعنى كونه طبيعةً واحدة: لحاظ جملته في هيكل التوحيـــد بعين الوحدة، وعالم الطبائع دوحة كبيرة، تنبت بأوراق، كل ورقة طبيعة شيء.

والرَّابع: عالم جواهر الهباء، والمراد بالهباء: هو الذَّر الذي في الهواء، الذي كان من جبل طور سيناء، كما روي عن علي عليه السلام؛ حين جعله تعالى دكاً[1]، وهي الحصص الوجوديَّة الجزئيَّة، كلُّ ذرَّة مادة مخلوقة مـــن

---

(١) عن عمر بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أنَّه سُئل: مِمَّا خلق الله الذَّر الذي يدخل في كوة البيت؟.

فقال عليه السلام: «**إِنَّ مُوْسَى عليه السلام لَمَّا قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾**[سورة الأعراف، الآية: ١٤٣]، **قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنْ اسْتَقَرَّ الجَبَلُ لِنُوْرِي فَإِنَّكَ سَتَقْوَى عَلَى أَنْ تَنْظُرَ إِلَيَّ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَقِرّ فَلَا تُطِيْقُ إِبْصَارِي لِضَعْفِكَ.**

فَلَمَّا تَجَلَّى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَبَلِ تَقَطَّعَ ثَلَاثَ قِطَع، فَقِطْعَةٌ ارْتَفَعَتْ فِي السَّمَاء، وَقِطْعَة غَاصَتْ تَحْتَ الأَرْض، وَقِطْعَة تَفَتَّتَتْ؛ فَهَذَا الذَّرُ مِنْ ذَلِكَ

....←

خلق الله ﷻ، فهي في جعل الله سُبحانه، وبالنسبة إلى سعة ذلك الفضاء، كالذّرة في الصِّغر؛ ولذلك قيل لها: (هباء وذرّ).

والخامس: **عالم المثال**؛ وهو الصُّور القائمة في هواء البرزخ، المختلفة من المواد، وهي مثال وصفة للصُّور النَّفسية الجوهرية، أبدان لا أرواح لها، وهي برزخ بين الملكوت والملك، ووجهها إلى الـدهر[1]، وخلفهـا إلى الزَّمان، تتقوَّم في الأجسام بالمواد، وهي أمهات المولّدات، وآباؤها المواد.

والسَّادس: **عالم الأجسام**، المركَّب من المواد العنصريَّة، والـصُّور المثالية.

وهذه السِّتة هي الأيام السِّتة، الـتي خلـق الله فيهـا الـسَّماوات والأرض؛ لأنها في العالم الكبير كالنطفة، والعلقة، والمـضغة، والعظـام، ويُكسى لحماً، ثم يُنشئ خلقاً آخر، ونظائرها من العوالم المحصورة بهـذا العدد، كما رواه القمي رحمه الله في تفسيره للأيام السِّتة التي خلق الله فيهـا السَّماوات والأرض -ما معناه- قـال: (الفـصول الأربعـة، والمـادَّة والصُّورة).

...←

الغُبَارُ، غُبَارُ الجَبَلِ».[علل الشرائع، ج: ٢، ص: ٤٩٧. بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٢٠].

(١) في بعض النُّسخ: (والملك وجهها إلى الدهر).

ومنها: أنَّ الإنسان مثلاً ستة أشياء، أربع طبائع -حرارة، رطوبة، وبرودة، ويبوسة- ونفس، وجسد، وهذه ستة أيام هنا أيضاً، وتحتها عوالم، وكل عالم تحته أفراد لا يُحصي عددها إلا الله.

۞[سبعة عوالم]:

قلتُ: (**وَسَبْعَةُ عَوَالِمِ، عَالَمُ النَّارِ، وَعَالَمُ الهَوَاءِ، وَعَالَمُ المَاءِ، وَعَالَمُ التُّرَابِ، وَعَالَمُ الجِسْمِ، وَعَالَمُ النَّفْسِ، وَعَالَمُ الرُّوْحِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِم: كُلُّ شَيءٍ مِنَ الحَوَادِثِ مُثَلَّثُ الكِيَانِ، مُرَبَّعُ الكَيْفِيَّةِ**).

أقول: وسبعة عوالم.

عالم النَّار: وهو الاسطقس الأعلى، أعني: الكُرة الأثيرة.

وعالم الهواء: المعروف، والذي هو وسط العالم كلّه، ومسكن بني آدم الذين هم أشرف الخلق[١].

وعالم الماء: الذي هو فوق الأرض، محيطاً بجميع أعلاها، وإنما كشف الله ﷻ محل الحيوانات البرية عناية منه تعالى.

وعالم التُّراب: وهو الأرضون السَّبع على اختلاف طبقاتها، وما انعقد منها من الحجر وبعض المعادن.

---

(١) في بعض النُّسخ: (الذي هو أشرف الخلق).

وعالم الجسم: وهو المركّب من الحصص[1] من هذه العـــوالم الــــتي قبله، أعني: عوالم العناصر الأربعة، وعالم النفس وعالم الـــرُّوح، وهمـــا العالمان المشار إليهما سابقاً.

وقولي: (هذا معنى قولهم: مثلّث الكيان).

والكيان -لغة-: في الكون، أي: مثلّث الكون مربّع الكيفية، تعني: أنَّ كل شيء في الجملة إنما يتم تركيبه إذا كان مشتملاً علـــى الأكـــوان الثلاثة، أعني: الجسم والنفس والرُّوح، وعلى الكيفيات الأربعة، أعـــني: الحرارة والرُّطوبة، والبرودة واليبوسة، وكل شيء تام لم يخل مـــن هـــذه الأصول الأربعة والأكوان الثلاثة، وكل واحد من هذه السَّبعة تحته أفراد كثيرة، ولهذا قد يُقال: (العوالم سبعة).

۞ [ثمانية عوالم]:

قلتُ: (وَثَمَانِيَةُ عَوَالِم، إِذَا أُطْلِقَتْ يُرَادُ بِهَا أَحَدُ وُجُوْه كَثِيْـــرَة، نَذْكُرُ مِنْهَا وَاحِداً عَلَى سَبِيْلِ التَّمْثِيْلِ؛ عَالَمُ الخَلْقِ فِي الدُّنْيَا، وَعَـــالَمُ الخَلْقِ فِي الآخِرَة، وَعَالَمُ الرِّزْق فِي الدُّنْيَا، وَعَالَمُ الرِّزْق فِي الآخِـــرَة، وَعَالَمُ المَوْتِ فِي الدُّنْيَا، وَعَالَمُ المَوْتِ فِي الآخِرَة، وَهُوَ الهَلَاكُ الأَكْبَـــرُ، نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، وَعَالَمُ الحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا، وَعَالَمُ الحَيَـــاةِ فِـــي

(١) في بعض النُّسخ: (وهو المركب من حصص).

الآخِرَة، وَإِلَيْه الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي التَّأْوِيْلِ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ..﴾[١]).

أقول: إذا أُطلق لفظ ثمانية عوالم؛ احتمل إرادة أشياء كثيرة، ونحن نذكر منها شيئاً على نحو التمثيل، ليتميَّز به السَّبيل[٢] إلى معرفة البيان والدليل، وذلك مثل ما ذكرنا سابقاً في بيان العوالم الأربعة، فإنَّا ذكرنا هناك الخلق والرِّزق، والموت والحياة.

وهذه الأربعة التي دار عليها الوجود إذا اعتُبرت في الدُّنيا والآخرة كانت ثمانية، كما أشار إليه في تأويل قوله تعالى: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾**[٣]، يعني: في الآخرة؛ لاجتماع حكم الدنيا والآخرة يوم القيامة، باجتماع حملة العرش الأربعة في الدنيا، وحملته في الآخرة.

وأمَّا حكم الخلق في الدنيا؛ فظاهر.

وأمَّا حكمه في الآخرة؛ فبما يتجدَّد[٤] فيها لأهل الجنة، من أنواع النَّعيم الذي لا ينفد، ولأهل النار من أنواع التعذيب والتأليم السَّرمد.

وأمَّا حكم الرِّزق في الدنيا والآخرة؛ فكما قيل في حكم الخلق.

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٢) في بعض النُّسخ: (ليُميِّز به السَّبيل).

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٤) في بعض النُّسخ: (فيما يتجدَّد).

وأمَّا الموت في الدنيا؛ فهو ظاهر، فلأجل كونه ظـــاهراً معروفـــاً لم أذكره متبوعاً ببيان، بخلاف موت الآخرة، فإنه لَمَّا لم يكن معلوماً -بـــل المعلوم عدمه، إذ الآخرة لا موت فيها لأهل الجنة ولأهل النار- فلأجـــل ذلك عقَّبته ببيان، فقلتُ: (وهو الهلاك الأكبر).

لأنَّ الموت في الدنيا هو الانقطاع عن الأحباب، والمفارقة للأصدقاء والأصحاب، ومفارقة النعيم، وأهل النار أشدُّ ما يعذَّبون به فيها بـــذلك، نعوذ بالله من النار.

والمفارقة في النار لا يُرجى بعدها تلاقٍ، بخلاف مفارقة الدنيا، فلذا قيل: (أنَّ الموت في الآخرة أعظم من الموت في الدنيا بأربعة آلاف رتبـــة وتسعمائة رتبة)، نستجير بالله من النار، ومن غضب الجبار.

والحياة في الدنيا معروفة، وأمَّا الحياة في الآخرة؛ فهي الحياة الكبرى العظمى، التي لا نهاية لها في البقاء، ولا في العِظَم، ولا في العُموم.

وأمَّا من جهة البقاء: فلا انقطاع لها، بل هي مستمرة أبداً لا آخر لها في الإمكان.

وأمَّا في العِظَم: فلأنها تستمر في البقاء، متصاعدة في القوة والمضاعفة لا إلى نهاية، فهي كل آن أقوى منها فيما قبله، وهكذا حكمها أبداً.

وأمَّا في العموم: فلأنَّ جميع ما في الجنة من جميع الحيوانات والنباتات والجمادات حيَّة بالحياة الحيوانية المقرونة بالشعور والإحساس، المقـــرونين

بالتمييز والعقل، لا يوجد فيها شيء يصدق عليه اسم الشيئية إلا على ما وصفنا، قال الله سُبحانه: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[1].

ولقد رأيتُ في المنام: كأني أتيت إلى بستان من بساتين الجنة، وفيه أشجار وزرع، ورأيت جميع أوراق تلك الأشجار والزرع تنظر كل واحدة إليّ بعينين نظر المتعقّل، وهي ورقة، وهي حيوان.

وهذا مجمل الإشارة إلى حياة الآخرة، والأمر أعظم وأعظم.

والحاصل: أنَّ الثمانية العوالم بنحو هذا، مما يتعلق بإفراد كل واحد وأصنافه، وأنواعه وأجناسه.

۞[تسعة عوالم]:

قلتُ: (وَتِسْعَةُ عَوَالِمُ، وَهِيَ: عَالَمُ مُحَدّد الجِهَات، وَعَالَمُ فَلَكِ الثَّوَابِتِ، وَعَوَالِمُ الأَفْلَاكِ السَّبْعَة[2]، وَهِيَ: عَالَمُ القُلُوْبِ، وَعَالَمُ النُّفُوْسِ، وَعَالَمُ العُقُوْلِ، وَعَالَمُ العُلُوْمِ، وَعَالَمُ الأَوْهَامِ، وَعَالَمُ الوُجُوْدَاتِ الثَّانِيَة، وَعَالَمُ الخَيَالَات، وَعَالَمُ الأَفْكَارِ، وَعَالَمُ الحَيَاة).

أقول: أيضاً إذا قيل: (العوالم التِّسعة)، فقد يُراد بها: آثار الأفلاك التِّسعة، مثل القلوب الجزئية، فإنها ذريَّة القلب الكلي، الذي هو محدّد الجهات، فإنَّ جسمه أبٌ للقلوب الجزئية، التي هي الموجود في الصُّدور،

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٢) في نُسخة متن الفوائد: (وعالم الأفلاك السبعة).

وهو اللُّحوم الصَّنوبرية[1]، وغيب المحدّد أبٌ لغيبها من القلـوب المجـرَّدة النورانية، وهي ذريته، ظاهرها من ظاهره[2]، وباطنها من باطنه.

والثاني: عالم النُّفوس الجزئية؛ فإنها من فلك الثوابت، الـذي هـو أرض أهل الجنة، فباطنها من باطنه، وباطنه كتاب الأبـرار: ﴿**كَـلاَّ إنَّ كِتابَ الأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ ۞ كِتابٌ مَرْقُـومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبونَ**﴾[3]، وظاهرها من ظاهره، على نحو مـا قلنـا في القلوب.

والثالث: عالم العقول الجزئية؛ وهي من فلك زحل، ظاهرها مـن ظاهره، وباطنها من باطنه، والمعنى كما مَرَّ، والمراد بها هنا: التعلقـات[4] المدركة للمعاني الجزئية، فإنّ العقل في نفسه هو القلب، وهو الـذي في الصَّدر، إلا أن وجهه في دماغ الإنسان، وهو التعقُّل.

والمراد بظاهره الذي هو من ظاهر فلك زحل: هو الدِّماغ الذي هو محلّه.

---

(١) في بعض النُّسخ: (للقلوب الجزئية الموجـودة في الـصدور، وهـي اللحـوم الصنوبرية).

(٢) في بعض النُّسخ: (ظاهرها من ظاهر ظاهره).

(٣) سورة المطففين، الآيات من: ١٨، إلى: ٢١.

(٤) في بعض النُّسخ: (التَّعقلات).

والرَّابع: عالم العلوم؛ وهي صور المعلومات على ما هي عليه، يعني: أنَّ ما كان من المعلومات ذا صورة، فالعلم به صورته المنتزعة من خارجه، وما لم يكن ذا صورة فالعلم به صورة جارحة بما تشخص به عند العالم.

وهذا معنى قولنا: (أن العلم صورة المعلوم على ما هي عليه)، أي: في كونه، ومثاله: الصُّورة التي تنتزعها المرآة، فإنها إذا قابلت الشيء انتزعت صورته على ماهي عليه من التخطيط مثلاً، وانتزعت بصورة الهواء، والمسافة التي بينهما كما هو، يعني: بغير تخطيط، بل بهيئته.

فصورة الشَّيء الذهنية على ما هو عليه في الخارج هو العلم به، وهذا خزانة الخيال، وهو من فلك المشتري، ظاهره من ظاهره، وباطنه من باطنه كما مَرَّ.

والخامس: عالم الأوهام؛ وهي مبادئ الإنشاءات النفسانية، وهي من فلك المريخ، ظاهرها من ظاهره، وباطنها من ظاهره ومن باطنه.

وقولي: (من ظاهر ظاهره)؛ أنَّ المريخ ظاهره المرئي مثلاً حار يابس نحس، وباطن ظاهره بارد رطب سعد، فمرادي بالظاهر الذي مع الباطن: هو صافي الجسم، ومحض مادته وصورته الذاتيتين، وظاهر هذا الظاهر هو ما لحق هذا الجسم من العوارض الخارجية الغير الذَّاتيَّة، كما قلنا: أنَّه حارٌّ يابس نحس، وذلك ما أشار إليه سُبحانه بقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

وبقوله: ﴿وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[1]، وذلك الظّاهر -الّذي هو الأصلي- هو ما قلنا أنّه بارد رطب سعد، وذلك ما أشار إليه سُبحانه بقوله: ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾[2]، وبقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، فالظّاهر وظاهر الظّاهر ها هنا في الجسم المادّي، والباطن المجرّد عن المادّة والمدّة.

وأمّا قولي: (وباطنها من باطنه) فكما مرّ، وهنا تفصيل يطول به الكلام.

والسّادس: عالم الوجودات الثّانية؛ وهي من فلك الشّمس، ظاهرها من ظاهره، وباطنها من باطنه كذلك.

والمراد من الوجودات الثانية: الوجودات الجسمانيّة، المركّبة من المادّة والصّورة؛ لأنّ الشّمس هي منشأ مبادئ الأجسام، وذكر الثانية في مقابلة الوجودات الأولى، أعني: وجود العقول والأرواح والنّفوس، ونسبة الوجودات الثّانية إلى الشمس؛ لأنّها المفيضة على الأسباب العلويّة، إذ هي تستمدّ من نفس العقل الكلّي فتفيض على زحل، ومن صفته فتفيض على القمر، وتستمدّ من نفس الرّوح والنّفس فتفيض على

(١) سورة الحديد، الآية: ١٣.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

المشتري، ومن صفته فتفيض على عطارد، وتستمد من نفس الطّبيعة فتفيض على المرِّيخ، ومن صفتها فتفيض على الزُّهرة.

ثمَّ إذا عملت الأسباب في مسبِّباتها؛ عمل كلٌّ واحد من السَّبعة الأفلاك في مسبِّباته بنفسه وبواسطة الشَّمس، فلذا نسبت الوجودات الجسمانيَّة إلى الشَّمس.

والسَّابع: عالم الخيالات؛ وهي من فلك الزُّهرة، ظاهرها من ظاهره، وباطنها من باطنه، كما أشرنا إليه سابقاً.

والخيالات مبادئ الصُّور العلميَّة، وأوائل المنتزعات، ونقشها في الألواح النفسانيَّة، وحكم هذا كما مرّ في الذي قبله.

والثَّامن: عالم الأفكار؛ وهي من فلك عطارد الكاتب، ظاهرها من ظاهره، وباطنها من باطنه، على نحو ما مرَّ في عالم القلوب، وتأثير فلكه منه، وتأثيره بالملائكة الثلاثة: (سيمون، وشمعون، وزيتون).

والتَّاسع: عالم الحياة الحيوانيَّة الحسِّيَّة؛ وهي من فلك القمر، ولا بأس بالإشارة إلى بيان الحياة الحيوانيَّة الحسِّيَّة، الَّتي يشترك فيها سائر الحيوانات، على نحو الاختصار والاقتصار.

فاعلم أنَّ الجسم الحيوانِي متقوِّم بالدَّم، والدَّم متقوم بالعلقة، أعني: الدَّم المنعقد في تجاويف الفؤاد الصنوبريّ، في الجانب الأيسر أكثر من الجانب الأيمن، والعلقة متقوِّمة بدم أصفر فيها، هو محلُّ الحرارة الغريزيَّة، والدَّم الأصفر محلُّ الطَّبائع الأربع، بما تقوَّمت به من الأجزاء البخاريَّة.

فإنها -أي: الأجزاء البخاريَّة الحاصلة[١] للطّبائع الأربع- على أربعة أقسام: جزء ناريّ حار يابس، وجزء هوآئي حارّ رطب، وجزآن مائيَّان باردان رطبان، وجزء ترابيّ بارد يابس، فبحركة فلك القمر -بطبيعته، وبما لحقه من طبائع الكواكب- تلطّفت تلك الأجزاء تكليساً[٢] صالحاً، حتَّى تساوت في اللّطافة سماء الدُّنيا، فلمَّا ساوته تعلّقت بها الرُّوح الحيوانيَّة الحسِّيَّة من مجاورتها له ومشابهتها لَه في نوع التَّركيب، ومساواتها لَه في النُّضج الاعتداليّ، المقتضي لتعلُّق الحياة الحسِّيَّة.

والحاصل: أنَّ كل واحد من هذه الأفلاك التِّسعة فله ذُرِّيَّة لا تكاد تُحصى، وإنَّما يطلقون عليها عدد الألف ليس بخصوص العدد[٣]، بل إنَّما هو كناية عن الكثرة، كما أشرنا إليه سابقاً.

۞ [عشرة عوالم]:

قلتُ: (**وَعَشْرَةُ عَوَالِم، وَهِي هَذهِ التِّسْعَة، وَعَالَمُ الأَجْسَادِ**).

أقول: والكلام فيه كغيره، وظاهره ظاهر.

---

(١) في بعض النُّسخ: (البخارية الحاملة).

(٢) في بعض النُّسخ: (الأجزاء وتكلّست).

(٣) في بعض النُّسخ: (ليس لحصورٍ من العدد).

[أحد عشر عالماً: ميادين التَّوحيد]:

قلتُ: (وَأَحَدَ عَشَرَ عَالَماً، وَهِيَ مَيَادِيْنُ التَّوْحِيْد، ستَّةٌ منْهَا كَثيْرَة الحَيَّات وَالعَقَارب مُظْلمَة، ذَاتُ أَهْوَال مُنْكَرَة، هَلَكَ فيْهَا خَلْقٌ كَثيْرٌ، وَإِلَيْه الإِشَارَة بتَأْوِيْلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثيراً منَ الْجنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصرُونَ بها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئكَ هُمُ الْغافلُونَ﴾[1].

فَأَدْنَى مَرَاتبِ السِّتَّة وَأَخَسّهَا الأَجْسَامُ، فَمنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ جسْماً، وَالثَّانِي المِثَال، وَمنْهُم مَنْ يَعْبُدُ شَبَحاً، وَمنْهُم مَنْ يَعْتَقد أَنَّهُ مَادَّة، وَمنْهُم مَنْ يَعْتَقد أَنَّ مَعْبُوْدَهُ طَبيْعَة، وَمنْهُم مَنْ يَعْتَقد أَنَّهُ نَقْشٌ وَصُوْرَةٌ مُجَرَّدَةٌ، وَهَذه الخَمْسَةُ دَرَكَاتُ الهَالكيْن).

أقول: وقولي: (وهي ميادين التَّوحيد)، يعني: أنَّ ميادين التَّوحيد ممَّا يُراد من ذلك في بعض الأحوال، وإنَّما خصَّصتها بالذكر؛ لمَا في التَّنبيه على ذلك من الفوائد.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

۞ [خمسة منها مراتب التّوحيد الحق]:

فمنها خمسة -كما يأتي- هي مراتب التّوحيد الحقّ، أعلاها لأعلاه، وأسفلها لأسفله، والسِّتة الباقية خمسة منها هي مراتب التّوحيد الباطل، وهي طرق النيران، ولكلٍّ منها أهل وسُكّان، وواحد متردِّد بين الخمسة الأولى الحقّ، وبين الخمسة الأخرى الباطل.

فأمَّا هذه الخمسة الباطلة:

فالأوّل: منها من يعتقد أنَّ معبوده جسم كالأجسام، وذلك كالكرَّاميِّة، وبعض الحنابلة.

ومنهم من يعتقد أنَّه جسم لا كالأجسام، والظاهر أنَّه كالأوَّل إذا أُريد به التَّجسيم اللَّفظيُّ، وإلاّ فلا إشكال في كونه من الأوَّل.

والثّاني: من يعتقد أنه تعالى صورة ومثال، فإنَّ وحدته تشخص المتشخصات[1] الجنسِيَّة والنَّوعية، والصِّنفية والشَّخصيَّة، وهو باطل كالأوَّل.

والثّالث: من يعتقد أنَّه تعالى مادَّة الأشياء، كما ذهبت إليه كثير من الصُّوفية، ومثَّلوا له بالمداد بالنِّسبة إلى الكتابة.

والرَّابع: من يعتقد أنَّه عجل طبيعة، وحقائق الأشياء وطبائعها منه تعالى، بالسنخ أو بالظِّلّي، ومن قال: (بأنَّها في ذاته بنحو أشرف)، وكذا

(١) في بعض النُّسخ: (تشخّص المشخصات).

من قال: (أنَّ معطي الشَّيء ليس فاقده في ذاته)؛ يلزمهم القول بهذا، نعوذ بالله من الضَّلالة بعد الهدى.

والخامس: من يعتقد أنَّه تعالى نفس، ومن قال: (بأنه نفس الكلّ، والعالم جسمه)، فهو منهم.

وهذه الخمسة المراتب عوالم الضَّلالة، وسُلَّاكُ طُرق النار، **﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾**[١].

وقولي: (كثيرة الحيات والعقارب)، أشير به: إلى أن هذه الاعتقادات أسباب المسخ، الَّتي من صورها الحيَّات والعقارب، وسائر الحشرات والحيوانات المنكوسة؛ **﴿نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾**[٢]، والأهوال المنكرة آثار اعتقاداتهم، من الأقوال والأعمال والأحوال، الَّتي ينكرها كلُّ من وقف عليها من المؤمنين العارفين بالله ﷻ، قد هلكوا بها وأهلكوا من اتَّبعهم، وأصغى إليهم.

وقولي: (وإليه الإشارة بتأويل قوله تعالى)، أي: وإلى كون اعتقاداتهم ذات أهوال منكرة، قد هلك فيها خلقٌ كثير منهم ومن أتباعهم؛ الإشارة بقوله[٣] تعالى: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ...﴾**[٤].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٤.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٢.

(٣) في بعض النُّسخ: (الإشارة بتأويل قوله).

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

ووجه الإشارة: أنّه ﷻ ذرأهم، وعيَّن طبائعهم، وقدَّرهم بمقتضى إجابتهم المقرونة بإنكار دعوته، فإنَّه تعالى خلقهم في الخلق الثاني، أعني: التَّقدير بمقتضى إجابتهم، المقرونة بإنكار دعوته، فحكم عليهم بما اتَّصفوا به من الإنكار بعد البيان، وهداية النَّجدين[١]، وذلك على نحو قوله تعالى: **﴿بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾**[٢]، وإذا خلقهم بقابلياتهم من الإجابات العملية[٣] والقوليَّة؛ كان ذلك الصُّنع والتَّركيب مؤدِّياً إلى جهنَّم بسلوكهم في أعمالهم طريق ما خُلقوا عليه، والَّذي خُلقوا عليه هو ما أجابوا إليه مختارين، فحقَّ عليهم حكم الله ﷻ في كتابه هذه الآية وأمثالها، فافهم.

فكانت تلك الإجابة القبيحة[٤] موجبة لخلقهم كذلك، فكانت **﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها﴾**؛ الاعتقادات الحقَّة لهم، **﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها﴾**؛ الموعظة، **﴿أُولئِكَ كَالأَنْعامِ﴾**؛ لِمَا رُوي: «**أَنَّهُم مُسَاوُوْنَ لَهُم؛ لِاشْتِرَاكِهِم فِيْهَا فِي الأَرْوَاحِ الثَّلَاثَة: رُوْحُ المُدرَج، وَرُوْحُ القُوَّة، وَرُوْحُ الشَّهْوَة**»[٥]، فلا

---

(١) كما في قوله تعالى: **﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾**، سورة البلد، الآية: ١٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٣) في بعض النُّسخ: (الإجابات العلميَّة).

(٤) في بعض النُّسخ: (تلك الإجابات القبيحة).

(٥) عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ -في حديثٍ طويل- قَالَ؛ قال أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: «..**فَأَمَّا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ فَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ**

....←

فرق بينهم وبينها إلا روح الإيمان، وليست فيهم، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾؛ لأنهم أعطوا الفهم والعقل والتَّمييز، ولم يعملوا بما أعطوا، فسُلبت عنهم التأييدات الإلهيَّة، ﴿أولئكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾[1] عمَّا يُراد عنهم[2].

[السَّادس منها وأقسامه]:

وأمَّا السَّادس: وهو طريق من يعتقد أنَّ الله سُبحانه معنى، فهم في ذلك على قسمين:

الْكتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ﴾[سورة البقرة، الآية:١٤٦]، يَعْرِفُونَ مُحَمَّداً وَالْوَلَايَةَ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أَنَّكَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ، ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[سورة البقرة، الآيتان:١٤٦-١٤٧]، فَلَمَّا جَحَدُوا مَا عَرَفُوا؛ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، فَسَلَبَهُمْ رُوحَ الْإِيمَانِ، وَأَسْكَنَ أَبْدَانَهُمْ ثَلَاثَةَ أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْقُوَّةِ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ، وَرُوحَ الْبَدَنِ.

ثُمَّ أَضَافَهُمْ إِلَى الْأَنْعَامِ فَقَالَ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ﴾[سورة الفرقان، الآية:٤٤]؛ لِأَنَّ الدَّابَّةَ إِنَّمَا تَحْمِلُ بِرُوحِ الْقُوَّةِ، وَتَعْتَلِفُ بِرُوحِ الشَّهْوَةِ، وَتَسِيرُ بِرُوحِ الْبَدَنِ..». [الكافي، ج: ٢، ص: ٢٨٣. بصائر الدرجات، ص: ٤٤٨. تحف العقول، ص: ١٩٠-١٩١].

(١) هذه الفقرة وما قبلها من الآيات من سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) في بعض النُّسخ: (عمَّا يُراد منهم).

أحدهما: من يعتقد أنّه ﷻ معنى كسائر المعاني[١]، وهذا باطل؛ لأنّ المعنى مُميَّز عن غيره بمشخصات معنوية، كما يتميَّز معنى البيت -أعني: ما يُسكن فيه- عن معنى الخاتم -أعني: ما يكون آلة الزينة-، فإنّ العقل يُفرِّق بينهما ويُميِّز أحدهما من الآخر بمميزات معنويَّة، فهو محصور في العقل في جهة معنويَّة من جهات العقل، يؤمئ إليها بإشارة عقلية، وهذا وأمثالها صفات الخلق المحدث، فلو عُرف سُبحانه بشيء من ذلك ونحوه؛ لكان ذلك المعروف حادثاً.

وثانيهما: من يعتقد أنّه ﷻ معنى، أي: شيء لا كالأشياء، فإذا نزَّه ذلك الذي عناه عن الجهات المعنوية، والإشارات العقلية[٢] ولو كان التّنْزيه حين يرجع إليه عقله كما هو حال سائر الغافلين؛ دخل في زمرة الموحِّدين.

إلا أنّ هذه المعرفة أسفل مراتب التَّوحيد، إذ لا يدخل في أهل الشُّهود الذّين عناهم سَيِّد الشُّهداء عليه السلام في بيان حال طريقهم بقوله عليه السلام: «**أَ يَكُوْنُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُوْرِ مَا لَيسَ لَكَ؛ حَتَّى يَكُوْنَ هُوَ المُظْهِر لَك، مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيْلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ؟!، وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُوْنَ الآثَارُ**[٣] **هِيَ الَّتِي تُوْصِلُ إِلَيْكَ؟!، عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا**

(١) في بعض النُّسخ: (كسائر المعنى).

(٢) في بعض النُّسخ: (والإشارة العقلية).

(٣) في بعض النُّسخ: (تكون الإشارة).

تَرَاكَ، وَلَا تَزَالُ عَلَيْهَا رَقِيْباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَل لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيْباً»[١]، وهذا ما ذكرته فيما يأتي.

وهو ما قلتُ: (**أَمَّا السَّادِسُ: وَهُوَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْبُوْدَهُ مَعْنىً؛ كَمَا هُوَ مُعْتَقَدُ كَثِيْرٍ مِنْ أَهْلِ العُقُوْلِ، فَإِنْ عَنَى مَا يُشِيْرُ إِلَيْهِ عَقْلُهُ، فَقَدْ أَبْطَلَ؛ لِأَنَّ الإِشَارَةَ العَقْلِيَّة لَا تَقَعُ إِلَّا عَلَى مَحْصُوْرٍ دَهْرِيٍّ، وَذَلِكَ حَادِثٌ**).

أقول: وأمَّا الشِّقُّ الثَّاني الذي ذهب إليه بعض أصحاب العقول هذا من السَّادس، أعني: الاعتقاد بأنه تعالى معنى فهو ما أشرت إليه.

قلتُ: (**وَإِنْ اعْتَقَدَهُ بِدُوْنِ تَخْصِيْصِ إِشَارَةٍ عَقْلِيَّة؛ فَذَلِكَ مُوَحِّدٌ، إِلَّا أَنَّ تَوْحِيْدَهُ أَسْفَلَ مَرَاتِبِ التَّوْحِيْد**).

أقول: وهذا ما ذكرته قبل هذا فراجعه.

۞ [الخمسة الأخر: مراتب المعرفة]:

قلتُ: (**وَالخَمْسَةُ الأُخَرُ؛ هِيَ مَرَاتِبُ الفِعْلِ الأَرْبَعِ الأُوَل، وَالدَّوَاةِ الأُوْلَى خَامِسَة، الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ، الَّتِي هِيَ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ**.

---

(١) ورد باختلافات يسيرة في: إقبال الأعمال، ص: ٣٤٩. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٢٢.

فَأَعْلَاهَا فِي التَّوْحِيْدِ أَنْ يَظْهَرَ لِعَبْدِهِ فِي الرَّحْمَةِ، ثُمَّ فِي الرِّيَاحِ، ثُمَّ فِي السَّحَابِ الْمُزْجَى، ثُمَّ فِي السَّحَابِ الْمُتَرَاكِمِ، ثُمَّ فِي المِـدَادِ الأَوَّلِ الْمُسَمَّى بِالدَّوَاةِ الأُوْلَى).

أقول: المراد بهذه الخمسة المراتب مراتب المعرفة بالنِّسبة إلى العارفين؛ لأن حقيقة معرفة العبد: هي ما ظهر به الرَّبُّ لَه من وجـوده، فحقيقـة المعرفة حقيقة العارف من ربِّه، يعني: ظهوره تعالى لعبده بـه، وذلـك الظُّهور هو أثر الفعل الظَّاهر، والأثر مشابه لصفة المؤثِّر، الَّتي هي مبـدؤه ومَنشؤه، وقد قال الرِّضا عليه السلام: «**قَـدْ عَلِـمَ أُوْلُـوْا الأَلْبَـابِ؛ أَنَّ [الاسْتِدْلَالَ عَلَى]**[1] **مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَا هُنَا**»[2].

فإذا اعتبرنا الأثر؛ وجدناه في نفسه وظهوره لَه خمس مراتب، أربع تُنسب إليه، وواحدة إلى أثره؛ لأنَّه قبل الظُّهور يُعتبر فيه البطون، وهـي الأُولى، ومن حيث البطون هي الثَّانية، والظَّاهر هي المرتبة الثَّالثة، ومـن حيث الظُّهور هي الرَّابعة.

وهذه الأربع مراتب للشيء قبل الظُّهور تُنسب إليه بنفسه، وإن كان اعتبارها إنَّما هو من جهة اتصافه بالظُّهور، والخامسة هي الظُّهور الَّـذي هو هيئة الفعل، وهيئة الفعل منها ما هو متَّصل به، وهو الَّذي تلبَّس الفعل

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ، وهو ما ورد في المصدر.

(٢) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

به، لا ينفَكُّ عنه، ومنها ما هو منفصل عن الفعل، وهو المعَبَّر عنه بالأثر وبالمعلول، ونظر المعلول إلى علّته -أعني: الوجه المتَّصل بالفعل الّذي لا ينفّك عنه- أعلى من نظره إلى نفسه، من حيث كونه أثراً ومعلولاً.

وهذه الأربعة -أعني: الباطن، ومن حيث الباطن، والظّاهر، ومن حيث الظّاهر- الّتي هي أسماء الفاعل مركّبة ومتقومة من الأثر، الّذي به الظُّهور، ومن المؤثّر الّذي هو فعل الظّاهر، فيكون هذا المركّب اسماً للظّاهر يُعرف به، ويتميَّز به عند العارف به.

وقد تقدَّم: أنَّ هذا الفعل الّذي قلنا أنّه المؤثّر لَه أربع مراتب: (النُّقطة، والألف، والحروف، والكلمة).

والمركّب من الأثر والفعل، الّذي قلنا أنّه المؤثّر له أربع مراتب:

فالنُّقطة مع البطون هو الأول[1]، وهو أعلى الأسماء.

والألف مع حيثيَّة البطون هو الثّاني.

والحروف مع الظُّهور هو الثّالث.

والكلمة مع حيثيَّة الظُّهور هو الرَّابع.

وهذه الأسماء الأربعة هي المقامات والعلامات الّتي بها يُعرف الله تعالى، وهي ما ذكره الحُجَّة عليه السلام في دعاء كلِّ يومٍ من شهر رجب في قوله: «**وَمَقَامَاتِكَ الّتِي لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا**

---

(١) في بعض النُّسخ: (مع البطون وهو الأولي).

بِيَدِكَ، بَدْؤُهَا مِنكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ، أَعْضَادٌ وَأَشْهَادٌ، وَمَنَاةٌ وَأَذْوَادٌ، وَحَفَظَةٌ وَرُوَّادٌ، فَبِهِمْ مَلَأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ، حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ..»[١].

فالعارف بالأوّل أعلى من العارف بالثّاني، وهذا الثّاني أعلى من العارف بالثّالث، والعارف بالثّالث أعلى من العارف بالرّابع، فإذا اعتبرت هذا في الصِّفات العُليا الكلّية الكبرى العامّة المطلقة؛ تعيَّن العارفون بها، فلا يصل إلى الأوَّل إلا محمد ﷺ، ولا إلى الثّاني إلا علي بن أبي طالب عليه السلام.. وهكذا.

وإن اعتبرت فيما دون ذلك من الصِّفات، كصفات الصِّفات -سواءً كانت كُلِّيَّة إضافيَّة أو جُزئيَّة- تفاوتت فيها مراتب العارفين، كالأنبياء والأوصياء، والأولياء والعلماء؛ و«**قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ**»[٢].

وقولي: (ونظر المعلول إلى علته)، أُريد بالعلَّة: الاسم المركَّب من الأثر والمؤثر، لا خصوص المؤثِّر، الَّذي هو الفعل، إذ لا يُوجد هناك عارف غير الفعل نفسه بنفسه، فافهم.

---

(١) إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٩٣.

(٢) نص رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، راجع: نهج البلاغة، ص: ٤٨٢. غرر الحكم، ص: ٣٨٣. خصائص الأئمة عليهم السلام، ص: ٩٥. الإرشاد، ج: ١، ص: ٣٠.

وأُريد بالمداد الأوَّل، المُسمَّى بالدَّواة الأولى: الأثر نفسه، المعبَّر عنه بالوجود الممكن، الراجح الثُّبوت، العارف به، ناظر إليه نفسه، بمعنى: أنَّه أثر وصفة[١] وظلّ الفعل، وما أشبه ذلك.

وهذا طريق عالٍ من طُرق المعارف، إلا أنَّ الأربعة الأُوَل أعلى؛ لأنَّ العارف هنا ناظر إلى نفسه، من حيث أنَّه أثر وصنع، وهو المراد من قوله عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه»[٢]، وفي الأربعة الأُول ناظر إلى عِلّته، ونظره إلى علَّته أعلى من نظره إلى نفسه.

وأُريد بالنَّظر إلى نفسه من حيث هو أثر هنا: للاحتراز عن النَّظر إلى نفسه من حيث هو هو، فإنَّه حَينئذٍ جاهل لا يجد شيئاً؛ لأنَّه سراب، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[٣].

واعلم أنَّك لو أردت بالمداد الأوَّل، والدَّواة الأُوْلى: أرض الجرز والقابليات؛ جاز ذلك، وصدق عليه الاسم، إلا أنَّ إرادة كونه الوجود الرّاجح الممكن أولى.

واعلم أنَّ هذا الوجود نور الأنوار، وقد يُذكر في الأخبار بالنُّور الَّذي تنوَّرت منه الأنوار، والحقيقة المحمَّديَّة[٤].

---

(١) في بعض النُّسخ: (أنه أثر وصفية).

(٢) مصباح الشريعة، ص: ١٣. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٤) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ إِذْ لَا كَانَ، فَخَلَقَ الْكَانَ

←...

وقولي: (فأعلاها في التَّوحيد؛ أن يظهر لعبده في الرَّحمة..إلى آخره).

أُريد به: أنَّه سُبحانه يظهر لعبده بفعله، أو بمفعوله الذّي هو عبده، ونسبة مراتب المعرفة بعضها إلى بعض في القُرب والشَّرف نسبة الظُّهور إلى مراتبه، فالظُّهور في الرَّحمة أعلى من الظُّهور بالألف، والظُّهور به أعلى من الظُّهور بالحروف، والظُّهور بها أعلى من الظُّهور بالكلمة، والظُّهورُ بها أعلى من الظُّهور بالوجود، والظُّهور به أعلى من الظُّهور بأرض الجرز.

فالأربعة الأُوَل والخامس -الذي هو الوجود- أعلى المعارف، وهي المشار إليها بالهاء، قال عليه السلام في تفسير الهاء من (هو) في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]: «تَثْبِيتُ الثَّابِتِ»[2].

←...

وَالْمَكَانَ، وَخَلَقَ نُورَ الْأَنْوَارِ، الَّذِي نُوِّرَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ، وَأَجْرَى فِيهِ مِنْ نُورِهِ الَّذِي نُوِّرَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ، وَهُوَ النُّورُ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً، فَلَمْ يَزَالَا نُورَيْنِ أَوَّلَيْنِ، إِذْ لَا شَيْءَ كُوِّنَ قَبْلَهُمَا.

فَلَمْ يَزَالَا يَجْرِيَانِ طَاهِرَيْنِ مُطَهَّرَيْنِ فِي الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ، حَتَّى افْتَرَقَا فِي أَطْهَرِ طَاهِرَيْنِ، فِي عَبدِ اللَّهِ وَأَبِي طَالِبٍ عليهما السلام».[الكافي، ج: ١، ص: ٤٤٢. بحار الأنوار، ج: ١٥، ص: ٢٤].

(١) سورة التوحيد، الآية: ١.

(٢) عن الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، قال: «﴿قُلْ﴾، أَيْ: أَظْهِر مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَنَبَّأْنَاكَ بِهِ، بِتَأْلِيفِ الحُرُوفِ

...→

قلتُ: (فَالأُوْلَى: مَعْرِفَةُ البَاطِنِ بِالنُّقْطَة. وَالثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ البَاطِنِ مِنْ حَيْثِ هُوَ بَاطِن بِالنَّفسِ الرَّحْمَانِي. وَالثَّالِثَةُ: مَعْرِفَةُ الظَّاهِرِ بِالسَّحَابِ المُزجَى. وَالرَّابعَةُ: مَعْرِفَةُ الظَّاهِرِ مِنْ حَيْث هُوَ ظَاهِرٌ، بِالسَّحَابِ المُتَرَاكِمِ. وَالخَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ الظُّهُوْرِ بِالمَاءِ. وَهِيَ المَقَامَاتُ المُشَارُ إِلَيْهَا سَابقاً).

أقول: هذا هو ما أشرت إليه في الشَّرح قبله.

وأُريد بالماء ما ذكرته، أعني: الوجود، وإنْ أردت به أرض الجُرز؛ كان المراد بالماء، الماء الأجاج.

→...

الَّتي قَرَأنَاهَا لَكَ؛ لِيَهْتَدي بِهَا مَنْ ألقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيْدٌ، وَهُوَ اسْمٌ مُكَنَّى مُشَارٌ إِلَى غَائب، فَـ(الهَاءُ): تَنْبِيْهٌ عَلَى مَعْنَى ثَابتٌ، وَ(الوَاوُ): إِشَارَةٌ إِلَى الغَائِبِ عَنِ الحَوَاسِّ، كَمَا أَنَّ قَوْلَكَ: هَذَا، إِشَارَةٌ إِلَى الشَّاهد عِنْدَ الحَوَاسِّ.

وَذَلكَ أَنَّ الكُفَّارَ نَبَّهُوْا عَنْ آلِهَتِهِم بحَرْف إِشَارَة الشَّاهد المُدْرَك، فَقَالُوْا: هَذه آلِهَتُنَا المَحْسُوْسَة المُدْرَكَة بالأَبْصَار، فَأَشِرْ أَنْتَ يَا مُحَمَّد إِلَى إِلَهِكَ الَّذي تَدْعُو إِلَيْه؛ حَتَّى نَرَاهُ وَنُدرِكَهُ، وَلَا نأله فيْه.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَـ(الهَاءُ): تَثْبِيْتُ لِلثَّابت، وَ(الوَاوُ): إِشَارَةٌ إِلَى الغَائِب عَنْ دَرْك الأَبْصَارِ، وَلَمْسِ الحَوَاسِّ، وَأَنَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلكَ، بَلْ هُوَ مُدْرِكُ الأَبْصَار، وَمُبْدِعِ الحَوَاسِّ». [التوحيد، ص: ٨٨-٨٩. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٢٢١-٢٢٢].

﴿ [خمسةُ نور، وخمسةُ ظلمة، وواحدٌ فيه ظلماتٌ]:

قلتُ: (فَهَذه أَحَدَ عَشَرَةَ عَالَماً، خَمْسَةٌ نُوْرٌ وَنَجَـاةٌ، وَخَمْـسَةٌ ظُلْمَةٌ وَهَلَاكٌ، وَوَاحدٌ فيْه ظُلُمَات وَرَعْـدٌ وَبَـرْقٌ، يَكَـادُ يَخْطـفُ أَبْصَارَهُم، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَشَوْا فِيْه، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوْا[1].

يَا نُوْرَ النُّوْرِ، اهْدنَا مِنْ عِنْدكَ، وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ، وَانْـشر عَلَيْنَا مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ[2]).

أقول: فهذه -أعني: جميع طرق ما يُقال عليها اسم المعرفة من حقٍّ وباطل- أحدَ عشرَ عالَماً من خلق الله، خلق سُبحانه حقَّها بفضله علـى مقتضى عنايته، وباطلها بمقتضى دواعي المبطلين في ألواح الثَّرى، وهـي كتاب الفُجَّار المكتوب في السِّجِّين.

وأمَّا الواحد، أعني: طريق من يُرى أنَّه ﷻ معنى، ففيه ظلمات مـن العادات، و[غواشي][3] الدَّواعي الشَّهوانِيَّة، ورعد من زواجر المـواعظ،

---

(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَـرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ ۞ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَـيْهِمْ قَامُواْ..﴾.[سورة البقرة، الآيتان: ١٩-٢٠].

(٢) مقتبس من أدعية تعقيبات صلاة الصبح، راجع: مصباح المتهجِّد، ص: ٢١٦.

بحار الأنوار، ج: ٨٣، ص: ١٥٥.

(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

والآيات في الأرض والسَّماوات، وبرق من داعي الفطرة[١]، الَّتي فطر المخلوق عليها، الَّتي هي صورة الإجابة لدعوة الله.

۞ [اثني عشر عالماً]:

قلتُ: (**وَاثْنَي عَشَرَ عَالَماً مِنْ نَارٍ وَتُرَابٍ، وَهَوَاءٍ وَمَاءٍ فِي الجَبَرُوْتِ، وَنَارٍ وَتُرَابٍ، وَمَاءٍ وَهَوَاءٍ فِي المَلَكُوْتِ، وَنَارٍ وَهَوَاءٍ، وَمَاءٍ وَتُرَابٍ فِي المُلْكِ**).

أقول: إذا سمعت قولنا: (اثني عشر عالَماً)، أو (اثني عشر ألف عالم)، فمن المراد به العوالم النَّارية والهوائيَّة، والمائيَّة والتُّرابيَّة، التّي هي إمَّا بسيطة أو مركَّبة[٢]، وغلبت عليها واحد من واحد الطَّبائع[٣]، فإن تلحظها الأفراد قيل: اثني عشر عالماً، إذا أُريد منها النَّوع أو الجنس أو الصِّنف، وإن لحظت الأفراد قيل: اثني عشر ألف عالم.

وتقديمي التُّراب على الهواء في الجبروت والملكوت، وتأخيره في الملك؛ إشارة إلى ترتيب البروج في عالم الغيب، وترتيب العناصر في عالم الشَّهادة، كما هو رأي بعض علماء الجفر، حيث جعلوا ترتيب الحروف على ترتيب طبائع البروج فيما يتعلَّق بالنُّفوس، وعلى ترتيب طبائع العناصر فيما يتعلَّق بالأجسام.

---

(١) في بعض النُّسخ: (من دواعي الفطرة).

(٢) في بعض النُّسخ: (الَّتي هي بسيط أو مركَّبة).

(٣) في بعض النُّسخ: (من أحد الطَّبائع).

۞[تلك نماذج، وغيرها تُصرف إلى نوعها]:

قلتُ: (وَهَكَذَا كُلُّ عِبَارَةٍ فِي الرِّوَايَاتِ، وَكَلَام العُلَمَاءِ، مِنْ ذِكْرِ العَوَالِمِ، فَتُصْرَفُ إِلَى اعْتِبَارٍ).

أقول: يعنى أنّ كُلّ عبارةٍ دلّت في ذكر العـــوالم علـــى عـــدد في الأحاديث، وكذا في عبارات أهل المعرفة؛ إنّما يُراد بها شيء من نوع ما أشرنا إليه، فافهم.

۞[أوّل آدم وُجد هو المشيئة]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَم؛ أَنَّ آدَمَ عليه السلام أَبُوْ العَالَمِ فِي كُلِّ عَالَمٍ، إِلَى أَلْفِ أَلْفِ عَالَمٍ، وَأَوَّلُ آدَمٍ[1] وُجِدَ هُوَ المَشِيْئَة، وَهُوَ آدَمُ الأَكْبَــرُ، وَفَلَـــكُ الوِلَايَةِ المُطْلَقَةِ، وَالحَقِيْقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَمَقَامُ أَوْ أَدْنَى، وَعَالَمُ أَحْبَبْـــتُ أَنْ أُعْرَفَ).

أقول: هذا إشارة إلى ما ذكره الصَّدوق رحمه الله في آخر الخـــصال، في روايته عن الباقر عليه السلام، فإنّه عليه السلام ذكر في قوله تعالى: **﴿بَلْ هُمْ فِـــي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**[2]؛ **«أنَّ اللهَ قَدْ خَلَقَ أَلْفَ أَلْفَ عَالَم، وَأَلْـــفَ**

---

(١) في متن الفوائد: (وأوّل عالم).

(٢) سورة ق، الآية: ١٥.

أَلْفَ آدَمَ، أَنْتَ فِي آخِرِ العَوَالِمِ، وَالآدَمِيِّيْن»[١]، ويُراد منها: تنـزُّلات مراتب الإمكان والأكوان الوجودية.

وأوَّل موجود في الإمكان هو الفعل، أعني: المشيئة، خلق الله بنفسه، وهو آدم الأوَّل الأكبر، وقد تقدَّم بعض الكلام عليه، وأولاده المشيئات، الَّتي بها كوَّنت جزئيات الأشياء، وكُلّيَّاتها من المكوِّنات المقيَّدة، فإنَّ كلَّ شيء كوَّنه الله سُبحانه بمشيئة خاصة به، لا تكون لغيره[٢] إلا ببعض المشخِّصات، وكلُّها أولاد المشيئة الكُلّيَّة الأوَّلية، الَّتي هي آدم الأوَّل.

وأوَّل مكوّن بآدم الأوَّل الوجود، أعني: الماء الكون، الَّذي هو أصل كلِّ مكوَّن محدث، من الغيب والشَّهادة، وقد ذكرنا أنَّه لا يمكن فيه من ذاته أكثر من أربعة عشر شخصاً، إلا أنْ يشاء الله أن يُغيِّر ما أجرى في حكمته، فإنَّه **﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٣].

وهذا آدم الثَّاني، وأولاده تنزُّلاته، وظهوراته بأشعَّته ومظاهره، وهي مئة وأربعة وعشرون ألفاً.

وثاني مكوَّن من المكوَّن الأوَّل: العقل الكلِّـي، وأولاده: العقول الجزئيَّة، وهي كُلّيَّة إضافيَّة، وهي مئة وأربعة وعشرون ألفاً، وهذا آدم الثَّالث..وهكذا، الرُّوح والأرواح، والنَّفس والنُّفوس، والطَّبيعة

---

(١) الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. التوحيد، ص: ٢٧٧. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٥.

(٢) في بعض النُّسخ: (لا تكون كغيره).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

والطبائع..وهلم جرا، إلى عالم الأجسام، تترامى العوالم نازلة إلى التُّراب، ثُمَّ ترجع صاعدة، وكلُّها على نحو ما قلنا.

وأمَّا قولنا: (وهو آدم الأكبر، أعني: المشيئة، وفلك الولاية المطلقة، والحقيقة المحمَّديَّة)، ففيه تسامح في العبارة؛ لأنَّ العبارة جارية على نمط اصطلاح القوم، وهم يجعلون الوجود الرَّاجح -الَّذي هو المشيئة- وما تعلَّقت به، وهو الوجود المطلق، الَّذي هو أمر الله، أعني: الماء الَّذي به حياة كلِّ شيء، وهو أوَّل صادر عن المشيئة لا من شيء، ولازمه الَّذي هو أرض القابليات، وأرض الجرز في رتبة واحدة، وهي رتبة الإمكان الرَّاجح، والوجود المطلق، وبعد هذه الرُّتبة الإمكان الجائز، والوجود المقيَّد، الَّذي أوَّله العقل الكلِّي.

ونحن نجعل أوَّل صادر عن الفعل ولازمه برزخاً بين المطلق والمقيَّد، فإنْ شئنا قلنا: الوجود المطلق الرَّاجح: هو المشيئة، والمقيَّد: هو العقل، وما بعده إلى ما تحت الثَّرى، وما بين المطلق والمقيَّد: برزخ أعلاه مع المطلق، وأسفله مع المقيَّد.

وإن شئنا قلنا: ما بينهما مع المطلق.

وإن شئنا قلنا: ما بينهما مع المقيَّد.

فعلى قولنا؛ يكون فلك الولاية محتمل الوجهين، فإن أُريد به المشيئة؛ فلا إشكال، وإن أُريد به نور الولي عليه السلام؛ كان هو والحقيقة المحمَّديَّة -الَّذي هو نور النَّبي صلى الله عليه وآله- مادَّة للأشياء كلِّها، ووجودها الَّذي

هو أمر الله، الَّذي به قام كلُّ شيء قياماً ركنيّاً؛ لأنَّ الله سبحانه جعله عضداً لخَلقه.

وليس المراد بذلك: أنَّ الأشياء أجزاء منه، إذ ليس ينْزل شيء عن مقامه، وإنَّما الأشياء كوَّنَت موادَّها من أشعته وتنَزلاته وآثاره، ومقام أو أدنى، وعالم فأحببت أن أُعرف؛ مثل فلك الولاية في الاحتمالين.

واعلم أنَّ تقوُّم المشيئة بالحقيقة المحمدية ﷺ؛ كتقوُّم حرارة النَّار بالحديدة حال كونها محميَّة، وكتقوُّم الفعل بالقيام في قولك: (قائم)، ففعل القيام كالمشيئة، والقيام كالحقيقة المحمَّديَّة ﷺ، والقائم كالوجه الَّذي هو مقاماته تعالى، الَّتي لا فرق بينها وبينه إلا أنَّها عباده وخلقه، كما أنَّه لا فرق بين قائم وبين زيد الظَّاهر بالقيام في هذه الجهة، إلا أنَّ قائماً صفة زيد وصنعه؛ لأنَّه سُمِّي زيد في حال ظهوره بالقيام بقائم.

فنحن نطلق الوجود المطلق على المشيئة، وعلى أوَّل صادر عنها لا من شيء، وهو الحقيقة المحمَّديَّة ﷺ.

۞[أبوه المادّة، وأمّه الصّورة]:

قلتُ: (وَكُلُّ آدَم فَهُوَ لَمْ يُخْلَق مِـنْ أَب وَأُمٍّ، إِلَّـا الأَب وَالأُمّ المَعْنَوِيَّيْن، الَّذِيْنَ ذَاتُهُ تَرْكِيْبٌ مِنْهُمَا عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ، وَهُمَا الوُجُـوْدُ وَالمَاهِيَّة، أَيْ: المَادَّةُ وَالصُّوْرَةُ، فَالأَبُ: المَادَّةُ، وَالأُمُّ: هِيَ الصُّوْرَةُ).

أقول: اعلم أنَّ كلَّ آدم من الآدميِّين الألف ألف آدم لم يكن مخلوق من أب وأمٍّ كما هو في سائر أولاده، وذلك كمـا تـرى في أبينـا آدم عليه السلام، وقد أشار الرِّضا عليه السلام إلى نوع مطلق الدَّليل بقوله عليه السلام: **«قَدْ عَلِمَ أُوْلُوْا الأَلْبَابِ؛ أَنَّ الاسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَـا هَـا هُنَا»**[1].

وهذا الدَّليل وأمثاله مثل قول الصَّادق عليه السلام: **«العُبُوْدِيَّةُ جَـوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوْبِيَّة..إلخ»**[2]، وغيره يفيد استدلالاً على نفي الأب والأم لكل آدم، كما في أبينا عليه السلام، واستدلالاً على ثبوت التَّركيب لكلِّ مخلوق من مادَّة وصورة، وأنَّ المادَّة: هي الأب، والصُّورة: هي الأمّ، وهـذا معـنى قولي: (إلا الأب والأمُّ المعنويَّين..إلخ).

---

(١) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

(٢) مصباح الشريعة، ص: ٧.

وقولي: (وهما الوجود والماهيَّة)، أريد بهما: المادَّة والصُّورة، ولـــذا فسَّرهما بهما، فالوجود هو المادَّة، والصُّورة هي الماهيَّة[١]، ســـواءً كـــان ذلك في عالم الأنوار كالعقول، فإنَّ وجودها هو مادَّتها، وماهيَّتـــها هـــي صورتها، وهما في العقول مجرَّدان عن العناصر، والصُّورة والزَّمان، إذ كلُّ شيء بحسبه، فمادَّته وصورته من نوع رتبته في الكون الدَّهريِّ الجبروتي، أم في المثال.

كالصُّورة في المرآة مثلاً، فإنَّ مادَّتها ظهور المقابل لها، وصورتها هيئة المرآة، ولونها وصقالتها، وهذا من نوع رتبتها في الكون البرزخِيِّ الظِّلِّي، أم في الأجسام، فإنَّها مركَّبة من مادَّة عنصريَّة، وصورة مثاليَّة، وذلك من نوع رتبتها في الكون الزَّماني الجسماني.

أمَّا المادَّة فتتشخَّص في الحُسن بالصُّورة المثاليَّة ومقوماتهـــا، وأمَّـــا الصُّورة وإن كانت من المثال، فإنَّها إنَّما تظهر في الحس حال ارتباطهـــا بالموادِّ العُنصريَّة، وسواء كان ذلك في الذَّوات؛ كما مثَّلنا في الأجسام، أم في الصِّفات؛ كما مثَّلنا في الصُّورة في المرآة، وسواءً كان في الغيب؛ كما مثَّلنا بالعقول، أم بالشَّهادة؛ كما ذكرنا في الأجسام، وســـواءً كـــان في الخارج؛ كما مثَّلنا، أم في الأذهان؛ كالأمور المنتزعة من المعاني والأعيـــان والهيئات..وغير ذلك.

---

(١) في بعض النُّسخ: (والماهيَّة هي الصُّورة).

فالوجود على الحقِّ الحقيق: بأن تطلب معرفته فيما سوى الله سُبحانه هو المادَّة، وهو قول بعضهم، وهو الصَّحيح خلافاً للأكثرين، وهو الرُّكن الأعظم من كلّ شيء محدث صدر كونه بمشيئة الله؛ لأنَّ الوجود هو الَّذي صدر عن فعل الله.

ومعلومٌ أنَّ الشيء إنَّما هو في الحقيقة عبارة عن المادَّة والصُّورة، فإنَّ حدَّ الإنسان الحقيقي التَّام: هو الحيوان النَّاطق[1] مثلاً، والحصَّة الحيوانيَّة هي المادَّة، والحصَّة النَّاطقيَّة هي الصُّورة، ولم يكن لَه أصل غيرهما، وإلا لَمَا كان الحدُّ بهما تامّاً حقيقيّاً، ولو كان الوجود غير المادَّة لَمَا كان الحدُّ بدونه تامّاً، ولَمَا كان الوجود أظهر الأشياء، لكنه هو المادَّة، إذ هي أظهر الأشياء في كلّ شيء، ولكنَّه لشدَّة ظهوره خفي على الأكثر، حتَّى توهَّموه شيئاً موهوماً، أو مفهوماً، أو ذهنيّاً، أو معنىً مصدريّاً، أو هو الوجود الحقّ، أو فعله.. وما أشبه ذلك.

وكلُّ هذه الاحتمالات باطلة، والحقُّ أنَّ الوجود المحدث هو المادَّة في كلّ شيء بحسبه، والوجود الحقُّ لا يعلمه إلا هو؛ لأنَّه هو ذات الله عَزَّ وَجَلَّ.

ودعوى السَّنخية والظِّلية باطلة، ودعوى الاشتراك المعنويُّ واللَّفظيُّ أيضاً باطلة؛ إذ لم تدخل الذَّات المقدَّسة مع غيره تحت حقيقة واحدة، فلا

(١) في بعض النُّسخ: (هو الحيوان والنَّاطق).

يصحُّ المعنوي، ولا يكون بين ذاته ﷻ وبين غيره من كلِّ شيء مناسبة من جميع النِّسب الأربع، فلا يصح اللَّفظي، فافهم.

قلتُ: (وَهَذَا هُوَ المُسْتَفَادُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ العِصْمَةِ عليهم السلام).

أقول: يعني أنَّ كلامهم عليهم السلام صريح لمن يفهم فيما ذكرته وأذكره، بأنَّ المادَّة هي الأب، والصُّورة هي الأم، كما يأتي بعد هذا.

۞ [القول بأنَّ الأب هو الصُّورة، والأم هي المادَّة؛ ضعيفٌ]:

قلتُ: (وَأَمَّا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ المُتَقَدِّمُوْن وَالحُكَمَاء: مِنْ أَنَّ الأَبَ هُوَ الصُّوْرَةُ، وَالأُمَّ هِيَ المَادَّةُ، وَأَنَّ الصُّوْرَةَ إِذَا نَكَحَتْ المَادَّةَ تَوَلَّدَ عَنْهُمَا الشَّيء، تَوَهُّمٌ مِنْهُمْ أَنَّ النُّشُوْء وَالتَّخَلُّق فِي بَطْنِ المَادَّةِ فَهِيَ الأُمُّ؛ فَبَعِيْدٌ مِنْ جِهَةِ المُنَاسَبَةِ).

أقول: المراد بما استفيد من كلام أهل العصمة عليهم السلام من كون المادَّة هي الأب والصُّورة هي الأمُّ ما يأتي عن الصَّادق عليه السلام من قوله: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ المُؤْمِنِيْنَ مِنْ نُوْرِهِ، وَصَبَغَهُم مِنْ رَحْمَتِه، [وَأَخَذَ مِيْثَاقَهُم لَنَا بِالوَلَايَةِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ يَوْمَ عَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ]، فَالمُؤْمِنُ أَخُ المُؤْمِنِ لِأَبِيْهِ وَأُمِّهِ، أَبُوْهُ النُّوْرُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَة**»(١)، ويأتي بيان وجه الاستدلال به على المطلوب.

---

(١) بصائر الدرجات، ص: ٨٠. المحاسن، ج: ١، ص: ١٣١. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧٣، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

ومثله قوله عليه السلام: «**السَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالشَّقِيُّ مَــنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**»[١]، ويأتي بيانه أيضاً.

وأمَّا ما اصطلح عليه المتقدِّمون فدليلهم اعتبار ضعيف؛ لأنَّــك إذا وزنت الأشياء بالميزان الحقِّ؛ وجدت ذلك كما قلنا، وذلك نحو قولــك: أنَّ المادَّة هي تدخل عليها لفظ (مِنْ)، إذا أردت التَّعبير عنــها فتقــول: (صُغت الخاتم من فضَّة)، فالفضَّة هي مادَّة الخاتم لا صورته، وتحقُّق الخاتم إنَّما يكون في الصُّورة لا في المادَّة، وإلا لكان كلُّ فضَّة خاتماً كما يكون في الصُّورة، فإنَّ كلَّ ما هو بهذه الصُّورة فهو خاتم، سواءً كان من فضَّة، أم من ذهب، أم حديد، أم نحاس، أم خشب.

فإذا عرفت هذا فاعلم أنَّ الأمَّ خُلقت من الأب، كما قال تعــالى: ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِــدَةٍ**﴾، يعــني: آدم عليه السلام، ﴿**وَخَلَــقَ مِنْهَــا زَوْجَهَا**﴾[٢]، يعني: حواء[٣]، وهذا معلوم أنَّ حــواء خُلقــت مــن آدم عليه السلام[٤]، وكذلك الصُّورة خُلقت من المادَّة لا العكس، وهــذا يُطــابق

---

(١) تفسيرالقمي، ج: ١، ص: ٢٢٧. عوالي الــلآلي، ج: ١، ص: ٣٥. الزهــد، ص: ١٤. التوحيد، ص: ٣٥٦. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٥.

(٢) مقتبس من سورة النساء، الآية: ١.

(٣) في تفسير القمِّي، قال عليه السلام: «﴿**اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُــمْ مِــنْ نَفْــسٍ واحِدَةٍ**﴾، **يَعْنِي: آدَمَ** عليه السلام، ﴿**وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها**﴾، **يَعْنِي: حَــوَّاء**». [تفــسير القمي، ج: ١، ص: ١٣٠. بحار الأنوار، ج: ١١، ص: ١٠٠].

(٤) الظاهر أن المراد: خلقت من فاضل طينة آدم عليه السلام.

تأويل قوله عليه السلام: «السَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي بَطْنِ أُمِّــهِ..إلخ»[1]، أي: أنَّ السَّعادة والشَّقاوة في بطن الصُّورة.

ألا ترى أنَّ الخشب الذي هو مادَّة السَّرير والباب والصَّنم؛ ليس فيه حُسنٌ ولا قبح، فإذا عُمل باباً فيه حسن، وإذا عُمل صنماً كان فيه قبح، فكان الحُسن والقُبح في الصُّورة لا في المادَّة؛ فتفهَّم ما أشرنا إليه، لتعرف الدَّليل والاستدلال، ويظهر لك أنَّ قولهم -وإن كان اصطلاحاً- بعيدٌ من جهة المناسبة، خالياً من الفائدة.

❁[لا مُشاحَّة في الاصطلاح، ولكن!]:

قلتُ: (وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ مُجَرَّدِ الاصْطِلَاحِ التَّسْمِيَةِ، مَعَ قَطْعِ النَّظَـرِ عَنِ المُنَاسَبَةِ فَلَا مَحْذُوْرَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَنْفَتِحُ بِهِ كُلُّ بَابٍ، إِلَّا إِذَا أُرِيْدَ بِــهِ هَذَا الاصْطِلَاحِ الصَّوَابَ.

بَلْ رُبَّمَا يُقَالُ: أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِاصْطِلَاحٍ، وَإِنَّمَـا الوَاضِـعُ لِلُّغَـةِ العَرَبِيَّةِ -وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَضَعَ ذَلِكَ كَذَلِكَ).

أقول: أنَّ العادة جَرت من أهل كلِّ عــرف علــى أنَّــه إذا أرادوا الاصطلاح على شيء نقلوه من اللُّغة؛ لتكون المناسبة بينهما مقرِّبة لفهــم ذلك الاصطلاح.

(١) تفسيرالقمي، ج: ١، ص: ٢٢٧. عوالي الــلآلي، ج: ١، ص: ٣٥. الزهــد، ص: ١٤. التوحيد، ص: ٣٥٦. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٥.

وقولهم: (أنَّ الصُّورة هي الأب، والمادَّة هي الأمّ)؛ بعيد من المناسبة، بدليل ما أشرنا إليه فيما ذكرنا من الرِّوايتين والاعتبارين.

نعم.. لو قصدوا مُجرَّد الاصطلاح غير ملاحظين للمناسبة جـاز، ولكن لا تتعدَّى فائدته، فلا تُستفاد منه فائدة، ولا يُستنبط منه دليل.

وأمَّا ما ذكرنا بعد قيام الدليل الخاصِّ عليه، فإنَّـه مـشتمل علـى المناسبة التَّامَّة، وعظيم الفائدة، وإفادته الدليل على كثير من المعارف لـو قيل أنَّه اصطلاح، وأمَّا على احتمال أنَّه حقيقة، وضعه الواضع على هذا المعنى، كما يُستفاد من بواطن الأخبار؛ فلا إشكال فيه.

۞[اصطلاح المصنِّف أولى]:

قلتُ: (فَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مَا قَرَّرْنَا سَابِقاً وَنُقَرِّرُ لَا حِقاً؛ ظَهَرَ الحَالُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى اسْتِدْلَال، وَلَوْ سَلَّمْنَا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ أَصْـلِ وَضْـعِ اللُّغَةِ، قُلْنَا: أَنَّ الاصْطِلَاحَ المُنَاسِب لِلأَمْرِ الوَاقِعِ أَوْلَى بِالمَصِيْرِ إِلَيْه).

أقول: أُريد بهذا الكلام أنَّ ما أشرنا إليه غير خفي على كلِّ من نظر في كلامنا، إذا لم يلاحظ ما قالوا، وأمَّا إذا لاحظه في فهمه لذلك؛ بـأن يجعل قولهم مُسلَّماً عنده، وإنما الإشكال في كلامي، هل يمكن التَّوفيق بينه وبين كلامهم؟، فلا ريب أنَّه يخفى عليه؛ لأنَّه على عكس ما قالوا، فكيف يوافقه؟.

وأيضاً قولي: بينه وبين المعنى اللُّغوي على فرض أن كلامي حقيقـة مناسبة تامَّة، وذو المناسبة أولى من غير ذي المناسبة بالمـصير إليـه؛ لأنَّ

المناسبة إذا حصلت ظهر للمنقول كثير من أحكام المنقول منه، وتنفتح للعالم بتلك المناسبة أبواب من العلم كثيرة، ومن تتبَّع رسائلنا وقف على كثير منها، والله سُبحانه هو المُوفِّق.

۞[بيان واستدلال وأمثلة]:

قلتُ: (**وَبَيَانُ الإِشَارَةِ إِلَى المُنَاسَبَةِ: أَنَّ الأَصْلَ فِي المَوْلُودِ هُوَ الأَبُ، وَالتَّخَلُّقُ وَالتَّقْدِيْرُ ظَاهِراً وَبَاطِناً إِنَّمَا هُوَ فِي بَطْنِ الأُمِّ، وَإِنْ كَانَ المَوْلُوْدُ مُرَكَّباً مِنْهُمَا، كَمَا رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام -مَا مَعْنَاهُ-: «أَنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَيْئاً، أَرْبَعَة مِنْ أَبِيْهِ، وَأَرْبَعَة مِنْ أُمِّهِ، وَسِتَّة مِنَ اللهِ.**

فَالَّتِي مِنَ الأَبِ: العَظْمُ، وَالمُخُّ، وَالعَصَبُ، وَالعُرُوْقُ.

وَالَّتِي مِنَ الأُمِّ: الدَّمُّ، وَاللَّحْمُ، وَالجِلْدُ، وَالشَّعْرُ.

والَّتِي مِنَ اللهِ: الحَوَاسُّ الخَمْسِ، وَالنَّفْسُ»[1].

---

(١) لم نُوفَّق للعثور على نصٍّ لهذه الرِّواية، وإنما ورد عن أبي محمد العسكري عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال؛ سأل ابن صوريا النبي صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني يا محمد! الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**أَمَّا العِظَامُ وَالعَصَبُ وَالعُرُوْقُ فَمِنَ الرَّجُلِ، وَأَمَّا اللَّحْمُ وَالدَّمُ وَالشَّعْرُ فَمِنَ المَرْأَةِ..**».[الاحتجاج، ج: ١، ص: ٤٣. تفسير الإمام العسكري، ص: ٤٥٣. بحار الأنوار، ج: ٩، ص: ٢٨٦-٢٨٧].

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَا مِنَ الأَبِ؛ رَأَيْتَهُ هُوَ أَصْلُ الإِنْسَانِ؛ لأَنَّهُ هُوَ القِسْمُ الأَقْوَى، وَلِهَذَا كَانَ جَانِبُ الأَبِ أَقْوَى وَأَدْخَلُ فِي المِيْرَاثِ، وَفِي الوِلَايَةِ.. وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَالمَادَّةِ؛ لأَنَّهَا هِيَ الجَانِبُ الأَقْوَى فِي الشَّيْءِ، وَالصُّوْرَةُ هِيَ الجَانِبُ الأَضْعَفُ فِي الشَّيْءِ كَالأُمِّ، فَإِنَّ مَا مِنْهَا ظَاهِرُ المَوْلُوْدِ وَقِشْرُهُ، كَاللَّحْمِ وَالدَّمِ، وَالجِلْدِ وَالشَّعْرِ؛ يَتَعَلَّقُ بِمَا مِنَ الأَبِ، كَالصُّوْرَةِ تَتَعَلَّقُ بِمَا مِنَ المَادَّةِ بِحُلُوْلِهَا فِيْهَا).

أقول: هذا الكلام كلُّه ظاهر؛ لأنَّه أُتي به بياناً، فلا يحتاج إلى بيان، مع ما يأتي من بعده فيه بيانٌ أيضاً.

قلتُ: **(لَكِنْ لَمَّا كَانَ التَّخَلُّقُ الَّذِي هُوَ التَّصوِيْرُ إِنَّمَا يَكُوْنُ فِي بَطْنِ الأُمِّ، وَالأَحْكَامُ لَا تَعَلُّقَ لَهَا بِنَفْسِ المَادَّةِ، وَإِلَّا لَتَسَاوَت وَجَمِيْعِ أَشْخَاصِ النَّوْعِ فِي الأَحْكَامِ، وَإِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالصُّوْرَةِ لِتَخُصَّ كُلَّ صُوْرَةٍ بِمَا يُنَاسِبُ لَهَا مِنَ الحُكْمِ؛ كَانَتْ الأَحْكَامُ مَنُوْطَةً بِالصُّوْرَةِ، كَمَا أَنَّ حُكْمَ المَوْلُوْدِ مَنُوْطٌ بِصُوْرَتِهِ، وَلَا تَكُوْنُ إِلَّا فِي بَطْنِ أُمِّهِ.**

وَمِنْ هُنَا قَالَ عليه السلام: «السَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[1]، لأَنَّ بَطْنَ الأُمِّ هُوَ مَحَلُّ التَّخَلُّقِ وَالتَّصَوُّرِ، وَذَلِكَ هُوَ مَنَاطُ الأَحْكَامِ).

---

(١) تفسيرالقمي، ج: ١، ص: ٢٢٧. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٣٥. الزهد، ص: ١٤. التوحيد، ص: ٣٥٦. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٥.

أقول: الدَّليل على أنَّ الصُّورة هي الأمّ؛ أنَّ المادَّة لا تلحقها الأحكام، وإنما تلحق الصُّورة، فإذا جعلنا المادَّة هي الأب والصُّورة هي الأمّ صحَّ لنا ما ذكرناه سابقاً.

وذلك مثل الخشب الصَّالح للسَّرير وللصَّنم، لا يلحقه من حيث هو حسن ولا قبح، فلا تقول هذا الخشب حَسَنٌ، وهذا الخشب قبيح، وإنْ كان صالحاً لعمل الحَسَنِ وعمل القبيح، فإذا صُوِّر سريراً كان ذلك بتلك الصُّورة حسناً، وإذا صُوِّر صنماً كان بهذه الصُّورة قبيحاً.

فإذا أردت مطابقة الظَّاهر والباطن والتَّأويل، ونظرت إلى قوله عليه السلام: **«السَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّه»**[1]، وإلى ما قاله بعض المفسِّرين -تبعاً للحكماء فيما قرَّروا في الطبيعي-: أنَّ السَّامري حين أخذ الذَّهب لَمَّا صنعه عجلاً خار، ولو صنعه كلباً نبح، ولو صنعه إنساناً تكلَّم، مع أنَّ المادَّة واحدة، وهي الذَّهب.

وإلى ما قاله الفقهاء: من أنَّه لو نزا كلب على شاة فأولدها ولداً، فإنْ كان بصورة الكلب؛ فهو كلبٌ نجس وحرام، وإن كان بصورة الشَّاة؛ فهو شاةٌ طاهر وحلال[2].

---

(١) سبق تخريج مصادره، في الهامش السابق.

(٢) قال المحقق الحلي تدّس: (لو نزا كلب على حيوان فأولده؛ روعي في إلحاقه بأحكامه إطلاق الاسم)، راجع: شرائع الإسلام، ج: ١، ص: ٤٢، وغيره من كتب الفقه الأخرى.

ومثله ما رُوي عن عليٍّ عليه السلام؛ وجدتَ[1] ذلك على ما قلنا مطابقاً، وعلى ما قالوا أولئك مخالفاً، وهو من جهة أنَّ الصُّورة هي الأمّ، الَّتي يتشخَّص فيها المولود بالصُّورة، الَّتي تلحقها الأحكام، وتُبنى عليها، وهذا ظاهر.

قلتُ: (فَإِذَا ثَبتَ أَنَّ الصُّوْرَةَ مَنَاطُ الأَحْكَامِ؛ ثَبتَ أَنَّهَا هِيَ الأُمُّ لَا المَادَّة، وَإِلَّا لَتَسَاوَتْ وَأَفْرَاد النَّوْعِ فِي الحُكْمِ؛ لِتَسَاوِيْهِمَا فِي المَادَّة كَمَا مَرَّ.

وَنَظِيْرُ ذَلِكَ الخَشَبُ، فَإِنَّهُ مَادَّةُ السَّرِيْرِ وَالصَّنَم، فَإِنْ عُمِلَ صَنَماً؛ كَانَ فِعْلُهُ حَرَاماً، وَيَجِبُ كَسْرُهُ، وَإِنْ عُمِلَ سَرِيْراً؛ كَانَ جَائِزاً، وَالحُكْمُ عَلَيْهِ بِالحُرْمَة وَالجَوَازِ إِنَّمَا هُوَ فِي الصُّوْرَة، فَصَارَت السَّعَادَةُ مَثَلاً كَالسَّرِيْرِ، وَالشَّقَاوَة كَالصَّنَمِ، إِنَّمَا هُوَ فِي بَطْنِ الصُّوْرَةِ، لَا فِي بَطْنِ المَادَّة.

وَذَكَرَ الأَصْحَابُ فِي الكَلْبِ: إِذَا نَزَا عَلَى شَاة فَأَتَتْ بِوَلَد، فَإِنْ كَانَ كَلْباً؛ فَهُوَ حَرَامٌ وَنَجِسُ العَيْنِ، وَإِنْ كَانَ شَاةً؛ كَانَ حَلَالاً وَطَاهِرَ العَيْنِ، وَالمَادَّةُ وَاحِدَةٌ، وَإِنَّمَا الحِلُّ وَالحُرْمَةُ فِي بَطْنِ الصُّوْرَةِ، وَهِيَ الأُمُّ.

وَهَذَا ظَاهِرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيْدٌ).

---

(١) مرتبط بما ذكره المصنِّف سابقاً بقوله: (فإذا أردت مطابقة الظَّاهر والباطن والتَّأويل، ونظرت إلى...وجدتَ).

أقول: هذا الكلام ظاهر، وقد ذكرته قبل هذا مكرَّراً، وهو في نفسه لا يحتاج إلى البيان.

[الصَّادق عليه السلام يُصرِّح بالمُدَّعى]:

قلتُ: (**وَإِلَى مَا ذَكَرْنَا وَرَدَ التَّصْرِيْحُ بِهِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ نُوْرِهِ، وَصَبَغَهُم مِنْ رَحْمَتِه، [وَأَخَذَ مِيْثَاقَهُم لَنَا بِالوِلَايَةِ عَلَى مَعْرِفَتِه يَوْمَ عَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ]، فَالْمُؤْمِنُ أَخُ الْمُؤْمِنِ لِأَبِيْه وَأُمِّهِ، أَبُوْهُ النُّوْرُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ»**[1]**، فَانْظُر إِلَى صَرَاحَةِ هَذَا الحَدِيْثِ فِي الْمُدَّعَى**).

أقول: قد ذكرنا قبل؛ أنَّ المادة في التَّعبير عنها لا بُدَّ وأن يدخل عليها لفظ (مِنْ)، فتقول: (صنعت[2] الخاتم من فضة)؛ لأنَّ دخولها في نحو هذا التَّركيب علامة على أن مدخولها هو المادَّة، إذ لا يُقال: (صنعت[3] الخاتم من الصُّورة).

فقولُه: «**أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ نُوْرِهِ**»، صريحٌ في أنَّ النُّور هو المادَّة، أي: الوجود، وقد صرَّح عليه السلام بأنها هي الأب، فقال: «**أَبُوْهُ**

---

(١) بصائر الدرجات، ص: ٨٠. المحاسن، ج: ١، ص: ١٣١. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧٣، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

(٢) في بعض النُّسخ: (صُغت).

(٣) في بعض النُّسخ: (صُغت).

النُّوْرُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ»، يعني: الصُّورة الإنسانية المستقيمة، المنقوشة على هيئات الطّاعات وصورها.

والدَّليل على أنّ هذا النُّور هو المادَّة: ما ذكره عليه السلام في تفسير كلام جدِّه عليه السلام حين قال: **«اتَّقُوْا فَرَاسَةَ المُؤْمِن، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ»**، قال عليه السلام: **«يَعْنِي: بِالنُّوْرِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ»**[1]، والَّذي خلق منه هو المادَّة، وهو النُّور، أي: الوجود، وهذا ظاهر لا غبار عليه.

والمراد بالرَّحمة: الحصَّة النَّاطقيَّة، وبالنُّور: الحصَّة الحيوانيَّة في قولهم (الإنسان حيوانٌ ناطق)، فإنَّ حيوان: هو المادَّة، وناطق: هو الصُّورة.

والمراد بالمادَّة: هو الوجود الَّذي هو أول صادر عن فعل الله تعالى، إذ لم يصدر عن فعل الله سُبحانه إلا شيء، والشَّيء لا يتقوم إلا بمادَّة وصورة، والمادَّة هي الصَّادر عن فعل الله، والصُّورة هيئة ذلك الصَّادر وانفعاله بفعل الله، فاشرب صافياً، ودع عنك الأوهام.

---

(١) عن معاوية بن عمار قال؛ قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، هذا الحديث الذي سمعته منك ما تفسيره؟. قال: **وَمَا هُوَ؟**.

قال: **«إِنَّ المُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ»**.

فقال: **«يَا مُعَاوِيَة! إِنَّ اللهَ خَلَقَ المُؤْمِنِيْنَ مِنْ نُوْرِه، وَصَبَغَهُم فِي رَحْمَته، وَأَخَذَ مِيْثَاقَهُم لَنَا بِالوِلَايَة عَلَى مَعْرِفَته يَوْمَ عَرَّفَهُم نَفْسَهُ، فَالمُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِن لِأَبِيْه وَأُمِّه، أَبُوْهُ النُّوْرُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَة، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ بِذَلِكَ النُّوْرِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ»**.[بصائر الدرجات، ص: ٨٠. فضائل الشيعة، ص: ٢٧. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧].

[أبوه النُّور، المراد به المادة والوجود]:

قلتُ: (لِأَنَّ النُّوْرَ هُوَ المَادَّة، وَالمُرَادُ به الوُجُوْدُ؛ لِقَوْلِ الصَّادِقِ عليه السلام فِي تَفْسِيْرِ قَوْلِه عليه السلام: « اتَّقُوْا فَرَاسَةَ المُؤْمن، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ»، قال عليه السلام: «يَعْنِي بِنُوْرِهِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ»[1]).

أقول: هذا هو ما ذكرنا قبل، والمُراد في هذا الحديث: «بِنُوْرِ اللهِ»، هو الوجود، ويُعبَّر عنه تارة بالفؤاد، وإنما سمَّاه نور الله؛ لأنَّه غير ناظر إلى نفسه أبداً، وإنما ينظر إلى الله، فمثاله في نظره إلى الله متوجِّهاً إليه سُبحانه من جهة فعله، أي: متوجِّهاً إليه بواسطة توجُّهه إلى فعله الَّذي منه بدأه.

مثاله: نور السِّراج في عدم نظره إلى نفسه أبداً، وإنما ينظر إلى السِّراج -أعني: النَّار- بواسطة نظره إلى الشُّعلة المرئيَّة من السِّراج منتهياً لها؛ لأنَّها هي الَّتي منها بدأ به النَّار، فافهم.

وإنما لم يقل عليه السلام: (لأنَّه ينظر بحقيقته أو بوجوده)؛ لأنَّه حينئذٍ بمدلول اللَّفظ ناظر إلى نفسه، فلا يكون حينئذٍ نوراً، بل هو ظلمة وعدم، فلا تكون لَه فراسة أصلاً.

---

(١) بصائر الدرجات، ص: ٨٠. فضائل الشيعة، ص: ٢٧. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧.

۞[أمّه الرحمة، المراد بها الصورة والماهية الثانية]:

قلتُ: (وَالرَّحْمَةُ: هِيَ الصُّوْرَةُ؛ لأَنَّ الصُّوْرَةَ صِبْغٌ للمَادَّة، فَالرَّحْمَةُ صِبْغُ الوُجُوْد، وَهِيَ المَاهيَّةُ الثَّانِيَة؛ لأَنَّ المَاهيَّة الأُوْلَى شَرْطٌ لتَحقُّقِ الوُجُوْدِ فِي الخَلْقِ الأَوَّلِ قَبْلَ التَّكْلِيْف.

وَأَمَّا فِي الخَلْقِ الثَّاني حيْنَ قَالَ لَهُم: ﴿أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]؟.

فَمَنْ أَجَابَ بِلِسَانِه وَقَلْبِه؛ خَلَقَهُ مِنْ صُوْرَةِ الإِجَابَة، وَهِيَ الصُّوْرَة الإِنْسَانِيَّة حَقِيْقَةً، وَهِيَ الصِّبْغُ فِي الرَّحْمَة، فَافْهَم.

وَمَنْ عَصَى بِقَلْبِه؛ خَلَقَهُ مِنْ الصُّوْرَةِ الشَّيْطَانِيَّة، وَهِيَ الصِّبْغُ فِي الغَضَب، فَالسَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي صِبْغِ الرَّحْمَة، كَمَا قَالَ عليه السلام، وَهِيَ الأُمُّ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي صِبْغِ الغَضَب).

أقول: المراد من الرَّحمة في الحديث الشَّريف المتقدِّم الصُّورة، بدليل قوله عليه السلام: «**خَلَقَهُمْ مِنْ نُوْرِه**»، فالنُّور هو المادَّة، وقولُه عليه السلام: «**وَصَبَغَهُم فِي رَحْمَتِه**»، فالرَّحمة هي الصُّورة؛ لأنَّه تعالى ركَّبهم في خلقهم من مادَّة وصورة، فالرَّحمة صبغ الوجود؛ لأنَّها صورة لَه في خلق المؤمنين، والغضب صبغه[2] في خلق الكافرين.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) في بعض النُّسخ: (والغضب صبغة).

وقولي: (وهي الماهيَّة الثّانية)؛ أشير به إلى أنَّ الخلق الأوَّل هو خلق المادَّة النَّوعيَّة، فتكون مركَّبة من مادَّة بسيطة، ومن ماهيَّة أولى، وهي انفعاله وقبولُه الإيجاد بفعل الله تعالى كالخشب، فإنَّه مركَّب من مادَّة بسيطة، وهي الحصَّة من العناصر، ومن صورة نوعيَّة، وهي الحصَّة الخشبيَّة.

وهذا هو الخلق الأوَّل للسَّرير وللصَّنم، اللّذين متساويان فيه في الصُّلوح، ولم يظهر فيه الحُسن والقُبح؛ لأنَّ هذه الماهيَّة شرط للتَّحقق في الخلق الأوَّل، فلا تكون منشأ لظهور الأفعال الاختيارية؛ لأنَّ هذه متساوقة في الظُّهور للوجود، الَّذي به تكون الشيئية، فتكون الماهيَّة الأولى قبل التَّكليف التفصيلي، وإن كانت في الحقيقة هي إجابة التَّكليف والقبول والتَّحمُّل الذَّي هو علّة الكون.

وأمَّا الماهيَّة الثَّانية: فهي صبغ الرَّحمة في خلق المؤمنين، كحصة صورة السَّرير في إيجاد السَّرير، وهو صبغ الغضب في خلق الكافرين، كحصة صورة الصَّنم في إيجاد الصَّنم، وصبغ الرَّحمة هو الصُّورة الإنسانية؛ لاشتمالها على حدود الطَّاعات، الَّتي هي جنود العقل، كما في حديث هشام في الكافي[1]، وصبغ الغضب هي الصُّورة الشيطانية[2]؛ لاشتمالها على حدود المعاصي، التي هي جنود الجهل.

---

(١) ورد في حديثٍ طويل عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، عن أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، راجع: الكافي، ج: ١، ص: ١٣.

(٢) في بعض النُّسخ: (وصبغ الغضب من الصُّورة الشيطانية).

ونُريد بحدود الطّاعات: العلم، والحلم، والإخلاص، والرّجاء، واليقين، والزُّهد، والورع.. وما أشبه ذلك، فإنّ كلّ واحد منها حدٌّ تتميّز به الطاعات.

وحدود المعاصي: الجهل، والخرق، والرِّياء، والقنوط، والشَّك، والطّمع، والخوف.. وما أشبه ذلك، فإنّ كلّ واحد منها حدٌّ تتميَّز المعاصي عن الطّاعات.

والهندسة والتّخطيط الّذي تميَّزت به الصُّورة إنّما هو هذه الحدود وأشباهها؛ لأنّ تلك الصُّور معنويَّة، والتّصوير الوارد عليها أيضاً معنويٌّ، فافهم.

۞[تنظيرٌ بمُصطلح (الإنسان حيوان ناطق) ونقده]:

قلتُ: (وَنَظِيْرُهُ: مِنَ المَعْرُوْفِ عِنْدَ النَّاسِ فِي الإِنْسَانِ أَنَّه: "حَيْوَانٌ نَاطِقٌ"، فَالحَيْوَانُ مَادَّةٌ تَصْلُحُ لِلإِنْسَانِ وَالكَلْبِ، وَالصُّوْرَة فَهِيَ النَّاطِقِيَّة، فَالنُّطْقُ: هُوَ الصُّوْرَة، وَهِيَ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الإِنْسَانُ مِنْ الكَلْبِ، فَهِيَ الأُمُّ الَّتِي يَشْقَى فِي بَطْنِهَا الشَّقِيُّ، وَيَسْعَدُ فِي بَطْنِهَا السَّعِيْدُ).

أقول: إنّما قُلتُ: (من المعروف عند النّاس)؛ لأنّهم في علومهم ومحاوراتهم ينظرون في معرفة الشَّيء إلى ما يفهمون منه، ولا يفهمون من معنى الحيوان إلا أنّه المتحرِّك بالإرادة، فيجعلون مفهوم هذا جنساً شاملاً لجميع الحيوانات، فيأخذون لكلِّ نوع حصَّة، ويُميِّزون بينها

بالصُّور النَّوعيَّة، أعني: الفصول، وينتقلون من ذلك المفهوم إلى الموجود المعلوم الخارجي، فينظرون في حصَّة كلِّ نوع خارجي بذلك المعيار، ثم حكموا بأنَّ تلك الحصص الخارجيَّة متساوية في الرُّتبة؛ لكونها من حقيقة واحدة.

وأخطاؤا؛ لأنَّهم إنَّما أدركوا الاتِّحاد من قبل المفهوم، وتمشَّوا منه إلى الخارجي المعلوم، وفي الحقيقة إنَّما اشتركت الحصص في جهة التَّسمية، وأوقاتها وأمكنتها متفاوتة تفاوتاً يلزم منه أنَّ الوضع على السَّابق قد تحقَّق، واستعمل في وقت ومكان لم يوجد المسمَّى المتأخِّر ليريده الواضع، فيضع اللَّفظ بإزائه، ولم يدخل في حقيقة الأوَّل؛ ليكون فرداً منها، فإذا وضع اللَّفظ بإزائها دخل في جملة أفرادها، وإنَّما هو من حقيقة مغايرة لحقيقة الأولى.

نعم.. لَمَّا كان بين الحقيقتين تقارب وتناسب، وهو تناسب السَّببيَّة والمُسبَّبيَّة، وتقارب الملزوميَّة واللَّازميَّة؛ حصلت المناسبة الذَّاتيَّة، الَّتي هي علَّة الوضع بين اللَّفظ الموضوع للأوَّل، وبين الثَّاني اللَّازم، فحسن الوضع عليه بعد وجوده، ولم يكن وقته ومكانه وقت المسمَّى الأوَّل ومكانه؛ ليكون مساوياً له، وليس الوضع عليهما وضعاً واحداً؛ لأنَّ الوضع الواحد إنَّما يكون بإزاء موجود، وحين الوضع على الأوَّل لم يكن الثَّاني موجوداً، وحين وجد الثَّاني ووضع عليه ما وضع على الأوَّل لم يكن مجتمعاً معه في رتبة واحدة، وإنَّما جمعهما مفهوم اللَّفظ، والمفهوم غير المعنى المسمَّى.

فإذا قلتَ: أنَّ الوضع على الثَّاني بالحقيقة.

قلتُ: يجوز ذلك، ولكن بمعنى أنّه حقيقة بعد حقيقة، كما هو شأن المشتركات اللّفظيَّة في كونها بأوضاع متعدِّدة.

نعم.. قد تتعدَّد حصص الحيوانيَّة، فيكـــون إذا كـــان في اللّـــازم والمسبِّب حصَّة واحدة تكون في السَّبب والملزوم حصَّتان؛ لأنَّه يُـــشارك الأسفل في الحصَّة السُّفلى، وينفرد بالحصَّة العليا، ويأتي بيان هـــذا عـــن قريب إن شاء الله، عند ذكره.

فيأتي أنَّ الحصَّة الحيوانيَّة المجامعة للنَّاطقيَّة من نوع لا يكون جنـــساً لها، وللمجامعة للنَّابحيَّة والصَّاهليَّة.

ولَمَّا ثبت أنَّ السَّعادة والشَّقاوة إنَّما هي في بطن الأمِّ، وأنَّ الصُّورة الشَّخصيَّة هي الّتي بها يتميَّز الشَّقي والسَّعيد، كما مثَّلنا لك في الخـــشب والسَّرير والصَّنم؛ ثبت أنَّ الصُّورة هي الأمُّ، وقد تقدَّم ذلك.

ولَمَّا أردت الكلام بالإشارة إلى بيان تلك الحصص **قلتُ**:

(ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الحِصَّةَ الَّتي فِي الإِنْسَانِ مِنَ الحَيْوَانِ الَّتِي هِيَ المَادَّةُ، وَالحِصَّةُ الَّتي فِي الكَلْبِ مِنَ الحَيْوَانِ الَّتِي هِيَ مَادِّيَّة؛ تَجْمَعُهَا حَقِيْقَـــةٌ وَاحِدَةٌ فِي الظَّاهِرِ، بِلِحَاظ أَنَّ الحَيْوَانَ هُوَ المُتحَرِّكُ بِالإِرَادَة المَعْرُوْفَـــة عِنْدَ العَوَامِّ، وَعَلَيْهِ جَرَتْ اصْطِلَاحَاتُ العُلَمَـــاءِ فِـــي أَكْثَـــرِ كُتُـــبِهِم وَمُحَاوَرَاتِهِم).

أقول: قد تقدَّم معنى هذا الكلام وبيانه، فلا فائدة في إعادته.

[الاحتمالات في الحصة الحيوانية، وتقييمها]:

قلتُ: (وَأَمَّا فِي الحَقِيْقَةِ، فَهَلْ هُمَا كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَا بِإِضَافَةِ الصُّوْرَةِ مِنْ جِهَةِ قَابِلِيَّةِ كُلٍّ مِنْهُمَا وَاسْتِعْدَادِهِمَا؟).

أقول: أنَّ هذا الكلام وما بعده في ذكر اختلاف الاحتمالات في الحصَّة الحيوانية الَّتي في الإنسان والفرس، على حسب ما تقتضيه ظواهر أدلة الحكمة:

[الاحتمال الأوَّل]:

أحدها: أنَّها يحتمل أن تكون الحصَّتان من حقيقة واحدة، تدخلان تحت جنس واحدٍ، إذ هو مقتضى اتِّحاد مفهوم المتحرِّك بالإرادة، الصَّادق عليهما وعلى هذا، فلِمَ اختلفا في القوَّة والضَّعف، حتَّى كانت في الحيوان أضعف منها في الإنسان، مع أنَّ مقتضى الاتحاد المذكور: أن يكون فيهما[1] من باب التواطئ؟.

فأُجيبُ: أنَّ الاختلاف بين الحصَّتين مع تساويهما في أصل الهيولى إنَّما حصل من جهة قابليَّة الحصة، الَّتي كانت أقوى واستعدادها.

ويَرد عليه: أنَّ القابليَّة والاستعداد المشار إليهما شرط التَّحقُّق، وقبل التَّحقق لا شيء، وبعد التَّحقُّق تكونان من التَّواطئ، إذ هما من ذات

---

(١) في بعض النُّسخ: (أن يكون بينهما).

واحدة، ولا تصحّ أن تكونا من المشكّك؛ لأنّ الأفراد المشكّكة إنّما تتحقّق من ذوات متعدِّدة، كالأبيض للإنسان والقرطاس والقمر، أو من صفة منبسطة اختلفت رتب أماكنها، كالبياض من الأبيض، وكالنُّور من السِّراج، بخلاف الحصَّة الذَّاتية من ذات واحدة، فإنَّها لا تصح إلا من المتواطئ، وإلا لاختلفت رُتب أماكنها، فلم تكن من ذات واحدة.

[الاحتمال الثَّاني]:

قلتُ: (**أَمْ لَا؟، بَلْ كُلُّ حِصَّةٍ مِنْ حَقِيْقَة؛ لِأَنَّ مَرَاتِبَ الوُجُوْد مُتَفَاوِتَةٌ، وَلَا يَنْحَصِرُ تَفَاوتُهَا فِي مَرَاتِبِ الْمُشَكَّك بِالقُوَّة وَالضَّعْف، لِيُقَالَ: أَنَّ مَا اخْتَلَفَ مِنَ الْمُشَكَّك تَجْمَعُهُ حَقِيْقَةٌ وَاحِدَةٌ، بَلْ مِنْهُ الْمُشَكَّكُ، وَمِنْهُ الأَعْرَاضُ، كَالأَضْوَاءِ وَالأَنْوَار، وَالصِّفَات وَالأَفْعَال وَالنِّسَب، وَذَلِكَ لَا تَجْمَعُهُ مَعَ مَعْرُوْضِه حَقِيْقَةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ قُلْنَا أَنَّ كُلَّ أَثَرٍ يُشَابِهُ صِفَةَ مُؤَثِّرِه؛ لِأَنَّ جِهَةَ الْمُشَابَهَةِ هِيَ الهَيْئَة فِي الصِّفَة وَالأَثَر**).

أقول: هذا ثاني الاحتمالات، وهو أنّ كلّ حصّة من حقيقة غير الحقيقة الّتي منها الحصَّة الأخرى، واختلافهما دليل على اختلاف أصلهما؛ لأنّ التَّفاوت الذَّاتي لا يتحقّق في الذّات الواحدة المتّحدة الرُّتبة والمكان، ولا ينحصر التَّفاوت في مراتب المشكّك بالقوَّة والضَّعف، على فرض دعوى أنّ المشكّك تجمع أفراده حقيقة واحدة؛ لأنّا نقول أولاً: أنّ التَّشكيك إنّما يكون من أنواع المفاهيم المحصَّلة من الألفاظ، أو من

الحقائق المختلفة المتعدِّدة بسبب وصف اجتمعت فيه، أو من الأعـراض المنبسطة؛ لاختلاف أماكن تلك الحصص ورتبها.

وهو معنى قولي: (بل منه المشكّك)، أي: من الوجـود، إذا أخـذ بالمفهوم المعبَّر عنه في الفارسية بـ(هستي)، فإنَّه يشمل بهذا المعنى كلّ ما هو شيء، فإنَّ المشكّك وإن اختلفت أفراده دخل في الوجود بهذا المعنى، وهو حقيقة واحدة، وإن اختلفت في القوَّة والضَّعف، وذلك كـالأبيض والبياض، مع اختلاف حقائق الأوَّل وهو الأبيض، والأضواء إذا أُريد منها المنيرات، واختلاف أماكن الثاني وهو البياض، والأنوار المنبسطة إذا لم ترد منها المنيرات.

ومثل الثَّاني: الصِّفات القارَّة الذَّاتية، والغير القارَّة الفعلية، والأفعال والنّسب، فإنَّ الأفعال تختلف باختلاف متعلقاتها، والنِّسب كذلك.

والثَّاني وما يلحق به لا تجمعه حقيقة واحدة مع معروضاتها، فـإنَّ الصِّفة ليست في رتبة الموصوف، والفعل ليس في رتبة الفاعل، والنـسبة ليست في رتبة المنسوب، ومع ذلك تجمع الكلُّ حقيقة الوجـود، بمعـنى (هستي) بالفارسيَّة، وإن كانت مختلفة الحقائق، فيكـون مـن الوجـود المشكَّك، ومنه غير المشكّك، وهو مختلف الأفراد كالمشكّك.

وقولي: (وإن قلنا: أنَّ كلَّ أثر يشابه صفة مؤثِّره)؛ أريـد بـه: أنَّ الأشياء مختلفة الحقائق، وإن قلنا أنَّ كلَّ واحدة منها أثر لعلتـه، والأثـر يُشابه صفة مؤثِّره، ويلزم من هذا اتِّحادها؛ لاتّحاد المـشابهة في جهـة

التَّشبيه، فلا يكون مختلفة الحقائق، بل نقول هي مختلفة الحقائق، والمشابهة إنَّما هي في الصِّفة والأثر، وذلك لا يقتضي الاتِّحاد في الذَّات.

وأُجيب: بأنَّ دليلكم يصّح بين حصص الأنواع في أنفسها، أمَّا على إطلاق كلامكم فلا، فإنَّه يتناول الحصص الشَّخصيَّة، فإنَّا نجد بين أفـــراد النَّوع الواحد تفاوتاً عظيماً، مع الاتِّفاق في الحقيقة على أنَّ أفـــراد هـــذا النَّوع من المتواطئ الَّذي مقتضاه التَّساوي، فإنْ خُصِّص الدَّليل بالحصص النَّوعيَّة صَحَّ، وإلَّا فلا.

[الاحتمال الثَّالث]:

قلتُ: (**أَمْ هُمَا مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَتَفَاوَتَت الحِصَصُ بِمَا تَكْتَـــسِبُ مِنَ الصُّوَرِ، لَا بِقَابِلِيَّتِهَا وَاسْتِعْدَادِهَا؟**)،

أقول: هذا ثالث الاحتمالات.

وتقريره: أنَّ الحصص الحيوانيَّة الموجـــودة في أنـــواع الحيوانـــات وأشخاصها كلَّها من شيء واحد، أي[1]: من حقيقة واحـــدة متَّحـــدة الرُّتبة والمكان والهيئة، واختلافها في الحيوان النَّاطق والحيـــوان الـــصَّاهِل والنَّاهق، وفي أفراد كلِّ نوع إنَّما هو بما تكتسب تلك الحصص من الصُّور

(١) في بعض النُّسخ: (واحد، أو).

اللَّاحقة لها، أعني: الحصص الفصولية[1]، وفي الأفراد بما تكتسب كلّ حصَّة من الصُّور الشَّخصيَّة، واختلافها لاختلاف ذلك الاكتساب.

والفرق بين هذا الاحتمال والاحتمال الأوَّل: أنَّ هذا نسب فيه الاختلاف وتفاوهما في القوَّة والضَّعف إلى ما يصل إليها من الصُّور، وهي في أنفسها متساوية تساوي تواطئ، والأوَّل نسب الاختلاف والتَّفاوت في القوَّة والضَّعف إلى نفس الحصص المادِّية، وإن كان ذلك إنما ظهر بانضمام الصُّور؛ لأنَّ التَّفاوت من أصل استعداد ذات المادَّة، فهو فيها بالقوَّة، ويكون بالفعل عند ارتباط الصُّور بها.

ويرد على هذا الاحتمال: أنَّ هذا التَّفاوت إذا كان في خصُوص أفراد نوع واحد؛ أمكن أن يُسند التَّفاوت بينهما إلى الاكتساب من الصُّور.

أمَّا إذا كان في الأنواع المختلفة، فإنْ كانت في رتبة واحدة من الوجود؛ أمكن أن يتم فيها هذا التَّوجيه، كما لو فرض بين الفرس والحمار، والبغل والإبل، والبقر والغنم والكلب.. وما أشبه ذلك.

ولكن إذا فرض بين أحد هذه المذكورات وبين الإنسان؛ فإنَّا وإن سلَّمنا أنَّ للصُّورة تأثيراً عظيماً، يحصل منه التَّفاوت العظيم، إلا أنَّ الصُّورة الَّتي يكون منها مثل هذا التَّفاوت العظيم لا يصلح في الحكمة أن ترتبط بما لا يناسبها من المواد، فإنَّ لون الياقوت مثلاً وصفاءه لا يصلح أن

---

(١) في بعض النُّسخ: (الحصص النَّوعيَّة).

يوضع في مادة كثيفة وسخة كالتُّراب الغير الصَّافي، فلو تعلّق بــه ذلــك اللّون وذلك الصَّفاء ضعف اللّون والصَّفاء، وكان لا يصلح واحد منهما أن يُنسب إلى الياقوت، وإنّما يرتبطان بمادَّة صافية لطيفة نقيَّة من الأوساخ والأعراض والكدورات.

فإذا فهمت التَّمثيل: ظهر لك أنَّ هذا التَّفاوت العظيم بــين نــوع الإنسان ونوع الحمار؛ لا يكون من خصوص ما يكتسب من الصُّور، إذ لا يبلغ ذلك بالمادَّة هذا المبلغ من التَّفاوت العظيم.

۞ [الاحتمال الرَّابع، وبيان كونه الحقُّ]:

قلتُ: (وَالحَقُّ فِي المَسْأَلَة: أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْهَــا كَالحِصَصِ المُتَّخَذَةِ مِنَ الذَّاتِ الوَاحِدَةِ أَوْ مِنَ العَرَضِ؛ فَهِيَ فِي الحَقِيْقَةِ وَاحِدَةٌ، وَاخْتِلَافُ الحِصَصِ إِذَا كَانَتْ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ إِنَّمَا هُوَ بِاخْتِلَافِ اكْتِسَابِهَا مِنَ الصُّوَرِ مِنَ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَــةِ، النَّاشِــئَةِ عَــنِ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الإِجَابَةِ فِي عَالَمِ الذَّرِّ.

وَاخْتِلَافُ الصُّوَرِ فِي القَابِلِيَّةِ وَالاسْتِعْدَادِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ انْفِعَالِهَا مِنَ الحِصَصِ بِسَبَبِ تَفَاوُتِ مَرَاتِبِهَــا وَمُشَخّــصَاتِهَا، فَتَتَفَاضَــلُ إِذَا اجْتَمَعَتْ فِي الدَّرَجَاتِ، لَكِنَّهَا لَا تَتَجَــاوَزُ الحَقِيْقَــةَ الجَامِعَــةَ لِتِلْــكَ الحِصَصِ).

أقول: هذا رابع الاحتمالات؛ وهو التَّفصيل، وهو الحقُّ الّذي تنصره الأدلّة العقليَّة والنَّقليَّة، وتقريره ما ذكرته في المتن: وهو أنَّــه إذا كانــت

الحصص من شيء واحد، كما لو أخذت من ذات واحدة أو من العرض الواحد.

فمثال الأوَّل: كما إذا أخذت من جرم الشَّمس مثلاً، فهي من حقيقة واحدة بسيطة متساوية الأجزاء، والحصص المأخوذة منها يجب أن تكون متساوية، وإلا لتفاوتت أجزاء تلك الحقيقة، فلا تكون في نفسها بسيطة متَّحدة، بل تكون مركَّبة متعدِّدة، وهو خلاف المفروض.

ومثال الثَّاني: كما إذا أخذت من شعاع الشَّمس، أو شعاع السِّراج، فإنَّها من حقيقة واحدة متساوية الأجزاء بالنسبة إلى المنير في كونها ظهوره، وإنَّما اختلفت في الشِّدَّة والضَّعف؛ لاختلاف مواقعها ومواضعها.

وإنَّما قوي ما كان أقرب إلى المنير في المكان، وضعف ما كان أبعد؛ لقوَّة قابليَّة الموضع بالقرب، ولو كان الموضع البعيد شديد القابليَّة، بأن يكون أشدُّ من القريب في ذاته انعكس الأمر، فكان مع بعده أشدُّ استنارةً، وذلك كما لو كان البعيد صقيلاً كالمرآة، فإنَّه يكون أشدُّ استنارةً من الأقرب إلى المنير، إذا كان كثيفاً.

فدلَّت هذه الآيات على أنَّ المنير متساوي النِّسبة إلى القوابل عنه، وإنَّما اختلفت نسبتها إليه من نحو ذواتها، فتكون متساوية في نفسها، كالَّتي من الذَّات، وإنَّما اختلفت بما تكتسب من الصُّور، والصُّورة تنشأ من الأعمال الظَّاهرة كالصَّلاة والزَّكاة، والباطنة كالمعارف الحقَّة.

واختلاف الاكتساب ناشٍ من اختلاف مراتب الإجابة في التَّكليف الأوَّل في عالم الذَّرِّ، فاختلفت الصُّور باختلاف الإجابة في السَّبق والتَّقدُّم، الَّذي هو لازم الصِّدق مع الله سُبحانه في جميع المواطن، في كـــلِّ شـــيء بنسبته، وهو الَّذي عبَّرنا عنه بالانفعال، المنسوب إلى الحصص، الَّتي هـــي الموادّ، فإنَّها تختلف في الاستعداد والقابليَّة؛ لأنَّه ﷻ أعطى كـــلَّ شـــيء خلقه، فانبسطت العطيَّة على مراتب أكوان الشَّيء.

فمنها ما يظهر بالوجود، ومنها ما يظهر مع الوجود، ومن ذلك ما هو بالفعل، ومنه ما هو بالقوَّة، وما بالقوَّة منه ما هـــو نـــاقص يـــتمُّ بانضمام الصُّورة إليه، أو بما تكتسبه المادَّة من الصُّورة، ومنها مـــا هـــو بالعين، ومنها مع العين؛ كما في الوجود، ومنها ما هو بالقدر، ومنها ما هو مع القدر؛ كما في الوجوُد، ومنها ما هو بالقضاء، ومنها ما هو مع القضاء.. كما مرَّ.

والحاصل: أنَّ التَّفاوت نشأ من اختلاف الاستمداد، والاســـتمداد مستمرٌّ مع الخلق، من أوَّل ما ذكر به في العلم إلى آخر ما ذكـــر بـــه في العلم[1].

واعلم أنَّ ما كان منها من شيء واحد، وحصل بينـــها التفاضـــل بسبب ما ذكرنا؛ لا يتجاوز تلك الحقيقة، سواءً كان من ذاتٍ أو صفةٍ،

---

(١) في بعض النُّسخ: (من أوَّل ما ذكرته في العلم إلى آخر ما ذكرته في العلم).

فَلا يكون للفاضل الَّذي من الشُّعاع مثلاً أن يتجاوز رتبة الشُّعاع فيلحق بالمنير، فيكون من نوع المنير، ولا الَّذي من المنير أن يلحق بعلَّته.

نعم.. يمكن في حقِّ الفاضل إذا بلغ في التكميل أن يُشابه علَّته، وهو نهاية سيره، قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«خُلِقَ الإِنْسَانُ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَةٍ، إِنْ زَكَّاهَا بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ؛ فَقَدْ شَابَهَتْ جَوَاهِرَ أَوَائِلِ عِلَلِهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَ مِزَاجُهَا، وَفَارَقَت الأَضْدَادَ؛ فَقَدْ شَارَكَ بِهَا السَّبْعَ الشِّدَادِ»**[1].

هذا كلُّه في أصناف الإنسان والجانّ والملائكة، وأمَّا فيما سوى ذلك من جميع الحيوانات فيما يتعلَّق بها من التَّكاليف الظَّاهرة والباطنة، الَّتي هي منشأ تكوينها وتفاضلها، فبنسبة حال كلِّ نوعٍ وكلِّ صنفٍ، وكلّ شخص منها يعرف ذلك بالقياس إلى الإنسان، كلٌّ في رتبته؛ **﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾**[2].

ومُرادي بقولي: (أنَّ ما كان من شيء واحد)؛ أنَّ الحصص المتعدِّدة في الأنواع المتعدِّدة، والأشخاص المتعدِّدة؛ إذا قيس بعضها إلى بعض، وكانت هذه الحصص من رتبة واحدة، كالفرس والكلب والطَّير، وكالطَّير والطَّير، والفرس والفرس، وكالإنسان والإنسان، وكالمعصوم والمعصوم، فافهم.

---

(١) المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. غرر الحكم، ص: ٢٣١. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥.

(٢) سورة الصَّافات، الآية: ١٦٤.

۞[الإنسان ذو نفس ناطقة قدسيّة]:

قلتُ: (وَمَا كَانَ مِنْ شَيْئَيْنِ مَعَ مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ اجْتَمَعَا فِي الرُّتْبَةِ الجَامِعَةِ، كَالإِنْسَانِ وَالفَرَسِ، يَجْتَمِعَانِ فِي الحِصَّةِ الحَيْوَانِيَّةِ الفَلَكِيَّةِ الحَسَّاسَةِ، وَيَتَفَارَقَانِ فِيْمَا فَوْقَهَا.

فَالإِنْسَانُ فِيْهِ مِنَ الحَيْوَانِيَّةِ حِصَّتَانِ: ذَاتِيَّةٌ، وَعَرَضِيَّةٌ، وَفِي الفَرَسِ حِصَّةٌ وَاحِدَةٌ، ذَاتِيَّةٌ لَهَا، وَهِيَ عَرَضِيَّةٌ لِلإِنْسَانِ، وَالحِصَّةُ الذَّاتِيَّةُ لِلإِنْسَانِ هِيَ حِصَّةٌ مِنَ النَّاطِقِيَّةِ القُدْسِيَّةِ).

أقول: وما كان من شيئين، يعني: إذا قيس شيئان أحدهما إلى الآخر، وكان أحدهما من حصَّة، والآخر من حصَّتين اجتمع الشَّيئان في حقيقة الحصَّة السُّفلى، كالفرس مع الإنسان، فإنَّ الفرس فيه حصَّة واحدة حيوانيَّة فلكيَّة حسَّاسة، والإنسان فيه حصَّتان: حصَّة حيوانيَّة فلكيَّة حسَّاسة، فيجتمع مع الفرس في حقيقتها، وحصَّة ناطقة قدسية، يُفارق الفرس فيها، وإنَّما يجتمع مع الفرس في السُّفلى.

ومرادي بالنَّاطقة القدسيَّة الحيوانية، الَّتي هي المادَّة، لا النَّاطقة القدسيَّة، الَّتي هي الصُّورة؛ لأنَّ الَّتي هي الصُّورة لا إشكال في كونها مغايرة لصورة النَّوع الآخر؛ لأنَّها هي الفصل، وإنَّما الإشكال في حصَّة الجنس، الَّتي هي المادَّة.

وكذلك إذا كان أحد المتناسبين من شيء، أو من شيئين، والآخر من ثلاث، فإنَّه يجتمع مع ذي الواحدة، ويفارقه فيما سواه، ويجتمع مع

ذي الحصَّتين في الأولى وفي الثانية ويفارقه في الثالثة حيث كان متفرداً بها، ولم تكن عند ذي الحصتين، ويأتي ذكره.

فما اجتمع فيه إن كان في المُساوي؛ كالفرس والطَّير، والفرس والفرس، فالحصَّتان ذاتيَّتان، وإن كان في التَّفاضل[1]؛ كالإنسان والفرس، فالحسَّاسة الفلكيَّة ذاتيَّة في الفرس، وعرضيَّة في الإنسان، بمعنى: أنَّ الإنسان ذاتيُّه الحقيقي هو الحصَّة الحيوانيَّة القدسيَّة، ولكنَّه إذا تنَزَّل إلى الأجسام ليتحصَّل منها ما يتكمَّل به من العلم والعمل؛ لا يمكنه إلا بالحصة الحيوانية الحسِّية الفلكية، فهي فيه لأجل تحصيل ما يتكمل به، فهي عرضيَّة بالنِّسبة إلى الأولى، بمعنى: أنَّ تركُّبه منها ليس لنفس ذاتها، بل لهذه الغاية.

وبمعنى ثانٍ: أنَّها شعاع الأولى، والشُّعاع عرض، فكونها عرضيَّة بهذين المعنيين، وليس المراد بالعرضيَّة أنَّها أجنبيَّة غريبة، لم تكن منه ولا له، بل هي منه وله، إلا أنَّها مركب الأولى وقشرها وظاهرها، وكذا حكم الإنسان بالنِّسبة إلى المعصوم، فإنَّه بحكم الحيوان بالنِّسبة إلى الإنسان.

(١) في بعض النُّسخ: (وإن كان في المتفاضل).

[الحصة الحيوانية لا تلبس الصُّورة الإنسانية]:

قلتُ: (فَالحَيْوَانِيَّة الفَلَكِيَّة الحَسَّاسَة لَا تَقْبَلُ الصُّوْرَةَ الإِنْسَانِيَّة، وَتَقْبَلُ صُوَرَ جَمِيْعِ الحَيْوَانَات، وَيَلْزَمُ حُكْمُ الصُّوْرَة تِلْكَ الحِصَّة، سَوَاءً قَرَّتْ؛ كَمَا فِي سَائِرِ الحَيْوَانَات إِلَّا نَادراً، أَمْ تَغَيَّرَتْ؛ كَمَا فِي الإِنْسَان، فَإِنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةً؛ تَكُونُ تِلْكَ الحِصَّة الحَيْوَانِيَّة الفَلَكِيَّة الحَسَّاسَة أَبَداً تَلْبَسُ صُوَرَ الحَيْوَانَات، فَتَلْبَسُ فِي الغَضَب صُوْرَةَ سَبُعٍ، وَفِي الشَّهْوَةِ صُوْرَةَ خِنْزِيْرٍ، وَفِي النَّمِيْمَة صُوْرَةَ عَقْرَبٍ.. وَهَكَذَا).

أقول: هذا تفريع على ما تقدَّم في بعض أحكامه، فإنَّ منها أنَّ الحيوانيَّة الفلكيَّة الحسَّاسة، وهي الحصَّة الحيوانيَّة، الَّتي هي المادَّة لا تقبل الصُّورة الإنسانيَّة، كما أنَّ الحجر الكثيف الكمد[1] حال كثافته وكمودته لا يقبل الشَّفافيَّة؛ لأنَّها تُناقض صفته هذه، وهي الكثافة والكمودة، وإنَّما يقبل الشَّفافية الحجر الصَّافي، الذي لا كثافة فيه ولا كمودة، كالزُّجاج والبلور والياقوت.

ولكن تلك الحصَّة تقبل صور جميع الحيوانات، فحصَّة الحيوانيَّة الحسَّاسة الفلكيَّة تقبل صُور السَّبع والشَّاة والطَّير والفرس..وهكذا؛ لأنَّها من رتبةٍ واحدةٍ ولا تنافيها، كما يقبل الحجر الكثيف الكمد لون الحُمرة

---

(١) الكُمد -بالضم-: تغيُّر لون الشَّيء وذهاب صفائه. (هامش إحدى المخطوطات).

والبياض والصُّفرة والخُضرة، ويلزم تلك الحصَّة الواحدة حكم كلِّ صورة قبلها، فإذا قبلت صورة الكلب؛ كانت نجسة، وطبيعتها الحرارة واليبوسة، وحالها الغضب، وإذا قبل صورة الشَّاة؛ كانت طاهرة، وطبيعتها الهُون والاطمئنان، وهكذا صور سائر الحيوانات.

وقولي: (سواء قرَّت..إلخ)؛ أُريد به أنَّ الحصَّة الحيوانيَّة تصلح لسائر صور الحيوانات، ولكن أيَّ صورة لبستها قرَّت فيها، ولا تتغيَّر بأن تنتقل عنها، ولو بعض الأحكام إلا نادراً، كما في كلب أهل الكهف، وناقة صالح، و عفير حمار النَّبي ﷺ.. وما أشبه ذلك، من الحيوانات الَّتي كان لها نوع من الإنسانيَّة، حتَّى كان يدرك الاعتقادات الحقَّة الَّتي عليها المهتدي من نوع الإنسان، لا مطلق الاعتقاد الحقّ، ولو بالنِّسبة إلى المعتقد، فإنَّ ذلك لا ينفكُّ عنه شيء من الحيوانات[1].

---

(١) ومن هنا قال الإمام الصَّادق عليه السلام: **«لَا يَكُوْنُ فِي الجَنَّة مِنَ البَهَائِمِ سِوَى حِمَارَة بَلْعَمِ بْنِ بَاعُوْر، وَنَاقَة صَالِحٍ، وَذِئْب يُوْسُف، وَكَلْب أَهْلِ الكَهْف»**. [تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٣٣. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ١٩٥، ج: ١٤، ص: ٤٢٣].

وعَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي عَبْد اللّه عليه السلام قَالَ: **«ذَكَرَ أَميرُ الْمُؤْمنينَ عليه السلام أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ مِنَ الدَّوَابِّ تُوُفِّيَ عُفَيْرٌ سَاعَةَ قُبِضَ رَسُولُ اللّه ﷺ، قَطَعَ خِطَامَهُ، ثُمَّ مَرَّ يَرْكُضُ حَتَّى أَتَى بِئْرَ بَني خَطْمَةَ بقُبَا، فَرَمَى بنَفْسه فيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهُ.**

وَرُوِيَ أَنَّ أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: إنَّ ذَلكَ الْحِمَارَ كَلَّمَ رَسُولَ اللّه ﷺ، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ كَانَ مَعَ ←...

كما في النَّملة، فإنَّها تعتقد أنَّ لله سُبحانه زبانيين، أي: قرنين؛ لأنَّ كمال نوعها في وجودهما، فهي عند الله موحِّدة، وإنْ كان حقّاً في حقِّها، ولكنَّه في حقِّنا باطل وكفر(١).

ومعرفة بعض الحيوانات لذلك لا يكون بنحو عقول الإنسان، ولكنَّه نادر الوقوع، فالحصَّة الحيوانيَّة يستقرُّ فيها حكم ما لبسته من الصُّورة الحيوانيَّة.

وقولي: (أم تغيَّرت)، أُريد: أنَّ الحصَّة الحيوانيَّة الفلكيَّة إذا جامعت الحصَّة الحيوانيَّة القدسيَّة تكون مقهورة تحتها، ليس لها اختيار، إلا أنَّ ذلك إذا كانت الحيوانيَّة القدسيَّة مؤيَّدة بالعلم والعمل.

←...

نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ، فَقَامَ إِلَيْهِ نُوحٌ فَمَسَحَ عَلَى كَفَلِه، ثُمَّ قَالَ: يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا الْحِمَارِ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُهُمْ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي ذَلِكَ الْحِمَارَ».[الكافي، ج: ١، ص: ٢٣٧. بحار الأنوار، ج: ١٧، ص: ٤٠٤-٤٠٥].

(١) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «**كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم فِي أَدَقِّ مَعَانِيْهِ؛ مَخْلُوْقٌ مَصْنُوْعٌ مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم، وَلَعَلَّ النَّمْلَ الصِّغَار تَتَوَهَّمُ أَنَّ لله تَعَالَى زَبَانِيَتَيْنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَمَالَهَا، وَيَتَوَهَّمُ أَنَّ عَدَمَهَا نُقْصَانٌ لِمَنْ لَا يَتَّصِفُ بِهِمَا، وَهَذَا حَالُ الْعُقَلَاءِ فِيْمَا يَصِفُوْنَ اللهَ تَعَالَى بِهِ**».[كلمات مكنونة، ص: ١٩. بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢-٢٩٣].

وأمَّا إذا لم تكن كذلك؛ لم تكن الحيوانيَّة الفلكيَّة مقهورة تحتها، بل تكون مهملة النَّاصية، فتلبس ما شاءت من الصُّور الحيوانيَّة وتخلع، وتلزمها أحكام ما لبست.

وأمَّا ما خلعت؛ فإن كانت عن توبةٍ محَى الله سُبحانه ذلك الحكم يوم القيمة، وإلا بقي لازماً لها، لزوم الظلِّ للشَّاخص؛ **﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حِكِيمٌ عَلِيمٌ﴾**[١]، **﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾**[٢]، فقد تلبس الصُّور المتعدِّدة على التَّعاقب، إلا أنَّها لا تظهر في الدُّنيا لحكم قوله تعالى: **﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾**[٣]، فتكون ما لبسته مستوراً عن أعين النَّاس، والمعصوم عليه السلام يُشاهده، وإنْ لم يتب عنه يُحشر يوم القيامة في تلك الصُّورة.

وهذه تكون في الحصَّة الحيوانيَّة الَّتي في الإنسان؛ لأنَّه لَمَّا كان جامعاً، كان ما لحقه بفاضل جامعيَّته جامعاً، فإذا غضب لبس صورة السَّبع، أو الكلب، وإذا سعى بين النَّاس بالنَّميمة لبس صورة العقرب، أو الحيَّة.. وهكذا، فإن تاب محى الله سُبحانه تلك الصُّورة، وإلا حشر فيها

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٣) سورة طه، الآية: ١٥.

﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً﴾[١]، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٢].

وأمَّا إذا كانت مقهورة تحت الحصَّة النَّاطقيَّة، بأن تكون نفسه مطمئنَّة بالعلم والعمل على اليقين، فإنَّها -أي: الفلكيَّة الحسَّاسة- لا تلبس شيئاً من صورها، إذ لا اختيار لها حينئذٍ، وهو معنى قولي: (إذ لم تكن نفسه مطمئنَّة).

[الناطقة القدسية لا تقبل غير صورة الإنسان]:

قلتُ: (وَالحِصَّةُ النَّاطِقِيَّةُ القُدْسِيَّة لَا تَقْبَلُ شَيْئاً مِنْ صُوَرِ الحَيْوَانَاتِ، وَإِنَّمَا تَقبَلُ صُوْرَةَ الإِنْسَانِيَّة فَقَطْ، وَلَا تَقْبَلُ صُوْرَةَ الجَامِعيَّةِ الكُلِّيَّة.

وَالمَعْصُوْمُ عليه السلام فِيْه ثَلَاثُ حِصَصٍ، عَرَضِيَّتَان؛ وَهُمَا مَا فِي الإِنْسَانِ، وَلَكِنَّهُمَا فِيْهِ قَرَّتَا وَاطْمَأَنَّتَا، فَلَا يَخْرُجَانِ عَنْ حُكْمِ الثَّالِثَةِ أَبَداً).

أقول: يعني: أنَّ الحصَّة الحيوانيَّة القدسيَّة لا تقبل صور الحيوانات؛ لعلوِّ رتبتها عن تلك الصُّور، ولأنَّ تلك الصُّور آثار صورها، والشَّيء لا

---

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦. وورد في هامش إحدى المخطوطات التعليق التالي: (الكدح: العمل والسَّعي، والكادح: السَّاعي بجهدٍ وتعبٍ).

(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٨.

يجري عليه لذاته ما هو أجراه، وإنما تقبل ما هو منها، أعني: صورها، وهي حصَّة من النَّاطقيَّة؛ لأنَّ الأولى نور، والنُّور يقبل الحدود الَّتي من نوعه، كالعلم والحلم، والتَّقوى والإيمان، والأعمال الصَّالحة.. وما أشبه ذلك، وهذه الحدود تكون الهندسة منها حصَّة ناطقيَّة، فتلائم الحيوانيَّة القدسيَّة.

وأيضاً هذه الحيوانيَّة القدسيَّة كما لا تقبل صور الحيوانات؛ لتعاليها عنها، كذلك لا تقبل الصُّورة الجامعيَّة الكلِّيَّة؛ لتعالي الصُّورة الجامعة الكلِّيَّة عنها، ولأنَّ الحيوانيَّة القدسيَّة آثار صورها، والشَّيء لا يجري عليه لذاته ما هو أجراه.

۞ [حصص المعصوم عليه السلام]:

والمعصوم -وهو صاحب الحيوانيَّة الجامعة الكُلِّيَّة، الَّتي تقبل الصُّورة الجامعيَّة الكُلِّيَّة- فيه ثلاث حصص: عرضيَّتان بالنِّسبة إلى نوريَّته، وهما اللَّتان في الإنسان.

أحدها: الحيوانيَّة الفلكيَّة الحسَّاسة، وهي نفس نفوس الأفلاك، وهذه تُؤخذ من شعاعها قبضة للإنسان والفرس، فإذا فارقت نفس الإنسان الحسَّاسة، ونفس الفرس؛ عادت إلى مما منه بدأت عود ممازجة، وهو ظاهر الحيوانيَّة الحسَّاسة، الَّتي في المعصوم عليه السلام.

وثانيها: الحيوانيَّة القدسيَّة، وهي الَّتي أخذ حصَّته من شعاعها للمؤمن، أعني: الذَّاتية للمؤمن، إلا أنَّ هذه وإن كانت أصلاً لذاتيَّة

المؤمن؛ لكنَّها عرضيَّة للمعصوم عليه السلام، صحبته في طريقه في هبوطـــه إلى عالم الأجسام.

وثالثها: الكلِّيَّة الجامعة، وهي ذاتيَّته[١].

والأوَّليتان العرضيتان في المعصوم عليه السلام قرَّتا، فلا تلبس إحـــديهما صورة غير ما هي عليه من أكمل الصُّور بها وأشرفها؛ لأنَّهما مقهورتـــان تحت قوَّة الجامعيَّة الكلِّيَّة الإلهيَّة، فاطمأنَّتا على ما راضتهما عليه[٢]، فلـــم تخرجا عن حكمها أبداً؛ ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِـــعٌ عَلِيمٌ**﴾[٣]، ﴿**يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[٤].

[الحصَّة الملكوتيَّة الإلهية]:

قلتُ: (**وَالحِصَّةُ المَلَكُوْتِيَّة الإِلَهِيَّة تَقبَلُ صُوْرَةَ التَّوْحِيْـــدِ، وَهِـــي العِصْمَةُ، وَمَرْتَبَةُ القُطْبِيَّة لِلوُجُوْدِ، وَالصُّوْرَةُ الجَامعَة الكُلِّيَّة**).

أقول: اعلم أنَّ الحصَّة الملكوتيَّة الإلهيَّة التي هي مادة حقيقته عليه السلام، أعني: بها في محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الحقيقة المحمَّديَّـــة، وهـــي أول فائض من مشيئة الله الكونية، وهي كل الفيض من المشيئة الكونية بـــلا

---

(١) في بعض النُّسخ: (وهي الذَّاتية).

(٢) في بعض النُّسخ: (راضيتهما عليه).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٤.

واسطة، إذ لم يفض من المشيئة بلا واسطة غيرها، وكل ما سواها إنَّما حدث بواسطتها.

وإنَّما تطلق عليها الحصة، مع أنها الكل؛ لأنَّها بالنسبة إلى فعل الله وقدرته على إحداث أمثالها حصة مما فاض من المشيئة الإمكانيَّة، ولأنَّ هذا الإطلاق هو المتعارف، ولأنَّا ذكرناها في بحث الحصص؛ ناسب التعبير عنها بما نعبِّر به عن الحصص، تقبل صورة التَّوحيد الأكمل.

وهذه الصُّورة: هي الجامعة التي تفرَّعت عنها هياكل التوحيد، يعني: أنَّ الحيوانية الملكوتيَّة الإلهية هي الذَّات، أي: المادة التي تقبل صورة التوحيد الأعلى، التي تنَزَّلت بهياكل التوحيد، وهذه الهياكل ظهرت آثارها على القواعد بالتوحيد[1] في قابلية القابل، وبالشِّرك في قابلية المشرك، وبالإيمان في قابلية المؤمن، وبالكفر في قابلية الكافر.

وتنظيره للتَّفهيم: أنَّ لفظ (لا إله إلا الله) وردت على سلمان بأنْ قُل: (لا إله إلا الله)، فقالها؛ فكان مؤمناً، وعلى أبي لهب، فأنكرها؛ فكان كافراً، وذلك تأويل قوله تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾**[2].

وصورة التَّوحيد العليا: هي العصمة، أعني: المنافية لوقوع الذنب مع التَّمكن منه، والقدرة عليه ولإرادته، مع التَّمكن منه؛ لأنَّ الصُّورة إذا

(١) في بعض النُّسخ: (على القوابل بل بالتوحيد).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

كانت في تمام الاستقامة، بحيث تكون في تخطيطها وهندستها على طبق مقتضى المشيئة والإرادة، فإنَّ ما هو هكذا لا يكون مخالفاً للمشيئة والإرادة، وإلا لَمَا كان مطابقاً لهما (هف)[1]، ولا تكون هكذا إلا إذا كانت في مرتبة القطبيَّة للوجود؛ بأن يكون جميع شؤون الوجود الحق تعالى تدور عليها، وأن تكون جميع الوجودات الإمكانية تدور عليها؛ لأنها هي باب تكوينها وكونها، وقيامها وبقائها، وتكون حينئذٍ محل نظر الله من العالم.

۞[لا تجمع هذه الثلاث حقيقة واحدة]:

قلتُ: (فَالحِصَّةُ الحَيْوَانِيَّةُ الفَلَكِيَّةُ مُرَكَّب للنَّاطقَة القُدْسِيَّة وَأَثَرُهَا خُلقَتْ مِنْ فَاضلِهَا، وَالنَّاطقَةُ القُدْسيَّةُ أَثَرٌ للْمَلَكُوْتِيَّة الإِلَهِيَّة، خُلقَتْ مِنْ فَاضلِهَا، فَلَا تَجْمَعُ هَذه الثَّلَاث حَقِيْقَةٌ وَاحدَةٌ.

نَعَمْ.. إِذَا نَظَرْنَا بنَظَرٍ آخَرَ: بِأَنَّ الكُلَّ مِنْ مَرَاتِب الوُجُوْد، وَأَنَّهُ حَيَاةٌ وَشُعُوْرٌ، وَإِنَّمَا يَخْتَلفُ بحَسَب مَظَاهِرِه؛ جَازَ عَلَى هَذَا إِطْلَاقُ الاتِّحَاد فِي الجُمْلَة، إِلَّا أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ مَا ذَكَرْنَا لَكَ مِنْ اخْتِلَاف الحَقَائِقِ؛ ظَهَرَ لَكَ التَّغَايُر).

---

(١) كلمة فارسية معناها: (عكس المطلوب) أو (هذا خلفٌ).

أقول: هذا حاصل ما تقدَّم، ومتفرِّعٌ عليه، ونريد به: أنَّ الحيوانيَّة الفلكية الحسَّاسة لَمَّا كانت آلة للقدسية الناطقية[١] عند نزولها على عالم الزَّمان لِاستخراج أسراره وعلومه، بحيث لا تتمكن بدونها؛ لأنَّها من نوع هذا العالم؛ نزلت إليه فيها، فكانت مركبّاً لها، يحملها إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس[٢]، فمنها ركوبهم ومنها يأكلون[٣]، فتوصَّل بها إلى ما فيه[٤] من العلوم، وتركبها إلى ما سواها لإدراك ما استتر فيه.

والحسَّاسة -أيضاً- أثر للقدسيَّة؛ لأنها صفتها وظهورها، بها خُلقت من فاضلها، أي: من شعاعها، فإذا نسبتها إليها كان نسبة النُّور إلى المنير، وكذلك النَّاطقة القدسيَّة بالنِّسبة إلى الملكوتيَّة الإلهية، فلا تكون هذه الثلاث من حقيقة واحدة، كما أنَّ الأثر لا يكون من حقيقة المؤثِّر.

وقولي: (نعم..إذا نظرنا بنظر آخر..إلخ)، أُريد به: أنَّا إذا لم ننظر إلى حقائقها، ونظرنا إلى ما يصدق عليها من معنى الوجود، المعبَّر عنه بالفارسية بـ(هستي)، وهو المعنى اللُّغوي، أو الكون في الأعيان، وأنَّ كلَّ ذلك من مراتب الوجود لا فرق فيه بين الذَّات والصِّفة، والمؤثِّر والأثر، والعين والمعنى، فإنَّ الوجود بالمعنى الذى ذكرنا صادق على الكلِّ،

(١) في بعض النُّسخ: (آية للقدسية الناطقية).

(٢) مقتبس من سورة النحل، الآية: ٥.

(٣) مقتبس من سورة يس، الآية: ٧٢.

(٤) في بعض النُّسخ: (فتتوصل بها إلى ما فيها).

والوجود حتَّى بالمعنى المذكور كله شعور وحياة، كما برهنّا عليه في بعض مسائلنا ومباحثاتنا.

إلا أنَّ ذلك في كلِّ شيء بحسبه؛ لأنَّه إنما اختلف حال شعور مراتبها وحياتها لِاختلاف مراتبها في القرب والبُعد من المبدأ صحَّ إطلاق الاتحــاد عليها، وإنها من حقيقة واحدة، وهي الحقيقة المرادة من مطلق (هستي)، أو الكون في الأعيان، إلا أنَّ القوم حين قالوا: (أنها من حقيقة واحدة)، مــا يريدون به إلا أنها كلها داخلة تحت جنس واحد، وقد بيَّنا لك بطــلان قولهم، كما سمعت.

فانظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى مَنْ قال[1].

---

(١) مقتبس من قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**خُذْ الحِكْمَةَ مِمَّنْ أَتَاكَ بِهَا، وَانْظُر إِلَى مَا قَالَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ**».[غرر الحكــم، ص: ٥٨. فــرج المهمــوم، ص: ٢٢٠].



شرح
الفائدة السَّادسة

فِي الإِشَارَةِ إِلَى القِسْمِ الثَّالِثِ



قلتُ:

(الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ
فِي الإِشَارَةِ إِلَى القِسْمِ الثَّالِثِ

وَ[القِسْمُ الثَّالِثُ]: هُوَ الوُجُوْدُ المُقَيَّدُ، أَوَّلُهُ الدُّرَّةُ، وَآخِرُهُ الذَّرَّةُ).

۞[تذكيرٌ بأقسام الوجود الثَّلاثة]:

أقول: هذا القسم الثَّالث من أقسام ما يُعبَّر عنه بلفظ الوجود، كما أشرنا سابقاً إلى أها ثلاثة:

الأوَّل: الوجود الحقُّ؛ ونريد به ما يُعرف به الوجود الواجب الحق ﷻ، وهو المسمَّى بالوجه، وبالمقامات الَّتي لا تعطيل لها في كلِّ مكان، وبالعنوان، وبالوصف الذي ليس كمثلة شيء.

والثَّاني: الوجود المطلق؛ ونريد به الوجود الممكن الراجح الوجود، وهو فعل الله ومشيئته، وإرادته وإبداعه، مع ما تقوَّم به من أثره ومتعلَّقه من الحقيقة المحمَّدية، وفلك الولاية المطلقة، والماء الذي به حياة كلِّ شيء.

والثَّالث: الوجُود المقيَّد، أي: المتوقِّف في وجوده على شيء، وأوَّله العقل الكلِّي، أعني: عقل الكلِّ، ومعنى هذا: أنَّ ما سوى الله ﷻ

شخصٌ واحد، لَه عقل واحد، وهو هذا العقل، وهذا معنى قولهم: (عقل الكلّ).

وليس المراد: أنَّ معنى الكلّ أنَّ كل واحد واحد مما سوى الله تعالى فرد من أفراده، وأنَّ هذا العقل عقل تلك الأفراد على سبيل الانبساط عليها، بحيث يكون كل منها لَه منه حصَّة، تساوت الحصص أم اختلفت، أو أنَّه على جهة البدليَّة، بل هي كلها شخص واحد، لَه عقل واحد.

۞ [الوُجود المقيَّد، أوله وآخره]:

وهذا العقل أوَّل مخلوق من المخلوقات المقيَّدة، أي: المتوقِّفة في وجودها على شيء، وهو الدُّرة المذكورة في المتن، بل في كثير من الأخبار، ولهذا رووا: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ**»[1]، ورووا عنه ﷺ أنه قال: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ عَقْلِي**»، وروينا: «**أَنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ العَقْلَ، وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرَّوْحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ..**»[2].

---

(١) عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩. بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٩٧. شرح نهج البلاغة، ج: ١٨، ص: ١٢٨.

(٢) عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ؛ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ، فَجَرَى ذِكْرُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ، فَقَالَ أَبو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «**اعْرِفُوا الْعَقْلَ وَجُنْدَهُ، وَالْجَهْلَ وَجُنْدَهُ تَهْتَدُوا**».
قَالَ؛ سَمَاعَةُ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لَا نَعْرِفُ إِلَّا مَا عَرَّفْتَنَا.

....←

وآخره -أي: آخر الوجود المقيَّد تقريباً- الذَّرة، وهي الواحدة من الهباء، ويُراد بها الثَّرى، أو ما تحت الثَّرى، يعني: أنَّ الوجود المقيد أوَّله في البدء والعلو العقل، وآخره في أسفل الثرى، وهو عبارة عن اللَّوح المكتوب فيه صور الباطل، أعني: الذي صدره سجِّين؛ **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾**[1].

وسجِّين: تحت الملك الحامل للأرضين السَّبع، وفوق الثَّور.

والثَّرى: تحت الطمطام، أعلى الظلمة[2] التي تحت جهنم، التي تحت الرِّيح العقيم، التي تحت البحر، الذي تحت الحوت، الذي تحت الثَّور.

والثَّرى في مقابلة اللوح المكتوب فيه صور الحق، أعني: الذي صدره علِّيون؛ **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾**[3]، وما تحت الثَّرى هو مبادئ تلك الصُّور الباطلة، وهي في مقابلة الرُّكن الأصفر الأسفل، عن يمين العرش، تحت العقل، والعقل: هو الركن الأعلى عن يمينه، وفي هذا

←...

فَقَالَ أَبو عَبْدِ اللّهِ عليه السلام: «**إِنَّ اللَّهَ عز وجل خَلَقَ الْعَقْلَ، وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: خَلَقْتُكَ خَلْقاً عَظِيماً، وَكَرَّمْتُكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي..**». [الكافي، ج: ١، ص: ٢١. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٠٩].

(١) سورة المطففين، الآية: ٧.

(٢) في بعض النُّسخ: (أعني: الظلمة).

(٣) سورة المطففين، الآية: ١٨.

الركن الأصفر مبادئ الصُّور الحقّة، فهي في مقابلة ما تحت الثرى.

فقولنا: (وآخره الذّرة)؛ جارٍ على الجاري على الألسن في مكالماتهم، وإلا ففي الحقيقة أنّه إذا كان أوّل الوجود المقيد العقل، يكون آخره ما يقابل العقل؛ وهو الجهل، وهو تحت ما تحت الثرى، لكن لَمَّا كان في كثير من المقامات لا يثبت للعقل مقابل، بل ربما أُطلق المقابل على ما تحت الثّرى، الذي هو مقابل للرُّوح، بلحاظ أنّ الرُّوح كثير ما يُطلق ويُراد بها العقل، كما في قوله ﷺ: **«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ رُوْحِي»**[١]؛ على أحد الاحتمالين:

أحدهما: أنّ المراد بالرُّوح العقل، وأنّه بمعنى قوله ﷺ: **«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ عَقْلِي»**.

وثانيهما: أنّ المراد بها هو معنى نفسها البرزخي، وأنّ أوَّلية الرُّوح إضافية.

ويُؤيِّد (أنّ الآخر هو ما تحت الثرى، مع القول بعدم المقابلة للعقل)؛ أن الذرة لم يُرَد بها النملة الصغيرة، كما في أخبار التكليف الأول: **«وَهُمْ كَالذَّرِّ يَدِبُّونَ»**[٢]، وإنّما يُراد بها واحدة الذّر الذي هو الغبار الظاهر في

---

(١) نور البراهين، ج: ١، ص: ١٧٩. شرح أصول الكافي للمازندراني، ج: ١٢، ص: ١١. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٠٧. ينابيع المودة، ج: ١، ص: ٤٥.

(٢) عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: **«لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ ابْتِدَاءُ الْخَلْقِ مَا اخْتَلَفَ اثْنَان، إِنَّ اللَّهَ عز وجل قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَالَ: كُنْ مَاءً عَذْباً أَخْلُقْ مِنْكَ جَنَّتِي وَأَهْلَ طَاعَتِي، وَكُنْ مِلْحاً أُجَاجاً أَخْلُقْ مِنْكَ نَارِي وَأَهْلَ مَعْصِيَتِي.**

←....

شعاع الشَّمس، المارُّ من الرواشن في البيوت(1).

وذلك ليس مثالاً للثَّرى، فإنَّه مقابل للنفس الكلية، وفيـه صـور الباطلة المُجتثَّة تامة الشكل، كالصُّور في المرآة، كما في النَّفس، إلا أنَّ ما في النَّفس أصلها ثابت؛ لأنها صور الحق، وما في الثَّرى أصلها مُجتثٌّ، فيكون مبادئها التي فيها تحت الثرى المقابلة للرُّوح مناسباً للآخريَّة، في مقابلة أوَّلية العقل، فافهم.

۞ [كيفية تكوين هذا القسم في مبدئه]:

قلتُ: (**وَكَيْفِيَّةُ بَدْئِه: وَهِيَ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ اللهُ تَعَالَى بِفِعْلِـه باسْـمِه القَابِضِ مِنْ رُطُوْبَةِ هَوَاءِ الجَوَازِ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ؛ قَدْ صَـعَدَتْ مِـنْ أَرْضِ الإِمْكَانِ أَرْضِ الجُرُزِ، وَمِنْ هَبَاءِ أَرْضِ الجَوَازِ جُزْء، فَقَدَّرَهُمَا فِي تَعْفِيْنِ هَاضِمَةِ اسْمِهِ البَدِيْعِ، فَانْحَلَّتِ اليُبُوْسَةُ فِي الرُّطُوْبَةِ، وَانْعَقَدَتِ الرُّطُوْبَةُ**

...←

ثُمَّ أَمَرَهُمَا فَامْتَزَجَا، فَمِنْ ذَلِكَ صَارَ يَلِدُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ، وَالْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ، ثُـمَّ أَخَذَ طِيناً مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَهُ عَرْكاً شَدِيداً، فَإِذَا هُمْ كَالذَّرِّ يَـدِبُّونَ، فَقَـالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ، وَقَالَ لِأَصْحَابِ الشِّمَالِ إِلَـى النَّـارِ وَلَـا أُبَالِي..».[الكافي، ج: ٢، ص: ٦. بصائر الدرجات، ص: ٧٠. المحاسن، ج: ١، ص: ٢٨٢. بحار الأنوار، ج: ٢٦، ص: ٢٧٩].

(١) **الرَّواشن**: جمع روشن، وهي أن تخرج أخشاباً إلى الدَّرب، وتـبني عليهـا، وتجعل لها قوائم من أسفل. [مَجْمع البحرين، ج: ٦، ص: ٢٥٤].

بِالْيُبُوْسَةِ فَاتَّحَدَا، وَذَلِكَ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُشَاكَلَةِ).

أقول: هذا إشارة إلى كيفيَّة تكوينه في بدئه، وهو دليل (إنِّي)، نبَّه الله سُبحانه بعض عباده عليه في كتابه فقال: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[1]، وبيَّن هذا الصَّادق عليه السلام بقوله: «**الْعُبُوْدِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوْبِيَّةُ، فَمَا خَفِيَ فِي الْعُبُوْدِيَّةِ وُجِدَ فِي الرُّبُوْبِيَّةِ، فَمَا فُقِدَ فِي الرُّبُوْبِيَّةِ أُصِيْبَ فِي الْعُبُوْدِيَّةِ..**»[2]، ولا ريب أنَّ هذا استدلال بالعبودية المعلولة على الرُّبوبية العلَّة.

وبيَّنه أيضاً الرِّضا عليه السلام بقوله: «**قَدْ عَلِمَ أُوْلُوْا الْأَلْبَابِ؛ أَنَّ [الاسْتِدْلَالَ عَلَى] مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَا هُنَا**»[3]، فتوصَّلنا بكيفية ما ها هنا على كيفية ما هنالك، وهو أنَّ الصَّانع إذا أراد صنع شيء؛ عمل مادته التي يصنعه منها، وهو الخلق الأوَّل كصنع المداد للكتابة، فإنَّه الخلق الأوَّل للكتابة، ثم يأخذ منه فيصنع الكتابة، وهو الخلق الثَّاني.

والإشارة إلى ذلك فيما نحن فيه: أنَّه قد أخذ سُبحانه بفعله، يعني: بمشيئته واختراعه باسمه القابض، وهو وجه المشيئة وركنها الأعلى؛ لأنَّ أركان مشيئته واختراعه أربعة: البديع، والرَّحمان، والباعث، والقابض.

---

(١) سورة فصِّلت، الآية: ٥٣.

(٢) مصباح الشريعة، ص: ٧.

(٣) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦. وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

فالبديع له استعمالان: قد يُستعمل في معنى البارد الرَّطب، وقد يُستعمل في معنى الحارِّ الرَّطب، فإذا استُعمل في الحار الرَّطب؛ كان بمعنى الرَّحمان، وهنا استعملته بمعنى الرَّحمان الحار الرطب.

فلذا قُلت: (في تعفين هاضمة اسمه البديع)؛ لأنَّ التعفين يعني: ما به الانحلال لا يكون إلا بالحرارة والرُّطوبة، إذ بهما يحصل الهضم.

وقولي: (باسمه القابض)، الذي هو علّة الطبيعة الكلية، أعني: الحار اليابس، الذي بهما يحصل القبض، قد أخذ سُبحانه من رطوبة هواء الجواز أربعة أجزاء هي المادة البسيطة في الخلق الأوَّل، ونسبة تلك الأجزاء إلى الهواء -الذي هو الرَّطب الحار- كناية عن الحياة، إذ الحياة مادَّة كما سمعت من حصة الحيوان أنها هي المادة، وحصة الناطق هي الصُّورة وهي اليبوسة.

فإن قلتَ: أنَّ الصورة عندك هي الأم، وهي الباردة الرَّطبة، فكيف قُلتَ هنا هي اليبوسة؟.

قلتُ: هذه لها اعتباران[1].

فباعتبار حياة الكون في الخلق الأوَّل؛ تكون المادة هي الرُّطوبة؛ لأنها هي الذكر، وإنما الصُّورة حدود وتخطيطات ليس لها تأصُّلٌ في حياة الكون.

وباعتبار حياة العين في الخلق الثاني؛ تكون الصُّورة هي الرُّطوبة.

---

(١) في بعض النُّسخ: (هذا له اعتباران).

وآية ذلك: إنما هي في عمل المكتوم، فإنَّه في التَّدبير الأول -الذي هو عمل كونه وصنع مادته- يكون الماء هو الذكر، وهو النار التي تكلّسه، فإذا فرغ من تدبير المادة، وأخذ في التَّزويج؛ انعكست التسمية، وكان الماء هو الأنثى الباردة الرَّطبة بالنسبة إلى الذكر، وكان الثقل الذي كان يُسمَّى بالأنثى، وهو البارد اليابس هو الذكر الحار اليابس، فكذلك هنا، فإنَّ المادة هي الكون، ولا حياة بدونه، فتنسب إليه الرُّطوبة والحرارة، والصُّورة هيئة، والهيئة إنما تتقوَّم بالمادة، فحياتها من المادة لا من نفسها، فتُنسب إليها اليبوسة والبرودة.

نعم.. هي في الخلق الثاني تكون منشأ لحياة جنينها الذي في بطنها، يعني: أنَّ أحكام السَّرير مثلاً إنَّما تلحقه في الصُّورة لا في الخشب، فحياة السَّرير بها لا بالمادة، يعني: باعتبار خصوص لُحوق الأحكام به، وإلا ففي الحقيقة حياة السَّرير وحَياة الصُّورة لا توجدان بدون المادة، فافهم.

وكون الأجزاء من رطوبة هواء الجواز أربعة -كما مرَّ- جارٍ على مطابقة الوجود في كونه مربعاً منقسماً على طبق أركان العرش، إذ لو زادت على ذلك بعدت عن نسبة المشاكلة؛ لعدم مشاكلة التُّراب، ولو نقص عنها غلظ، فخرج عن الإطلاق المُعبَّر[1] في جزئيَّة الغذاء قد صعدت من أرض الإمكان، إنَّما صعدت بحرارة الاسم القابض.

وأرض الجُرُز، اقتباس من قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى

(١) في بعض النُّسخ: (الإطلاق المعتبر).

﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾[1]، يعني بها: الأرض المتهيِّئـة للنبـات، يعـني: أرض القابليات.

ومن هباء أرض الجَواز، يعني به: اليبوسة جزء؛ لأنَّـه كـافٍ في الاستمساك وفي حصول المشاكلة، أمَّا الاستمساك فإنَّ المادة[2] لا تتقـوَّم إلا بصورة، ولو نوعية أو جنسية، وهذا الجزء الذي هو اليبوسة كافٍ في الاستمساك؛ لأنَّه صورة للمادة التي هي الأجـزاء الرطبـة، وكـافٍ في حصول مشاكلة الماء للتراب؛ لذوبانه في ذلك الماء.

(فقدَّرهما في تعفين هاضمة اسمه البديع)، أي: قدَّر الأربعة الأجـزاء من الرُّطوبة، أعني: مادة النَّوع والجزء الواحد، الذي من اليبوسة، أعـني: صورة النوع، والأربعة أثر بالمشيئة، والجزء الواحد أثر الإرادة، والتقـدير أوَّل الخلق الثاني، وهو مراعات نسبة الرُّطوبة واليبوسة -كما ذكرنـا- ومراعات مدة مكثها في الهاضمة، وقدر حرارتها في أي درجة من درجات الحرارة.

(فانحلَّت اليبوسة)، أي: الجزء اليابس في الرُّطوبـة، أي: الأجـزاء الأربعة؛ لغلبة الرطوبة على اليبوسة في الابتداء.

(وانعقدت الرُّطوبة)، يعني: الأجزاء الأربعة باليبوسة، أي: الجـزء اليابس بمعونة حرارة الهاضمة؛ لأنَّه قد تألَّف منهما حـرارة ويبوسـة في

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٧.

(٢) في بعض النُّسخ: (فلأنَّ المادَّة).

الجملة، فحصل بهما الانعقاد في الجملة، الذي هو هنا عبارة عن حصول غلظ ما فيه؛ بسبب ما انحلّ فيه الجزء اليابس، فاتحدا بسبب انحلال اليبوسة بالرُّطوبة.

(وانعقاد الرُّطوبة باليبوسة، حتى كانا شيئاً واحداً)، يعني: ماءً مشاكلاً، أي: لَه ملاءمة مع الأجزاء الأرضية، بسبب الجزء الأرضي المنحل فيه.

(وذلك لِمَا بينهما من المشاكلة)، يعني: أنَّ الرطوبة اتحدت باليبوسة المنحلّة فيها لِمَا بينهما من المشاكلة، تعليل للاتحاد والمشاكلة الجامعة لهما هي كون الماء بارداً، وكون التُّراب بارداً.

[إخراج الزُّروع والثَّمرات]:

قلتُ: (فَارْتَفَعَ مِنْ ذَلِكَ البَحْرِ سَحَاباً مُزْجَى، فَتَرَاكَمَ تَحْتَ المَشِيْئَةِ، فَانْحَلَّ مِنْ ذَلِكَ السَّحَابِ الْمُتَرَاكِمِ بِحَرَارَةِ الإِرَادَةِ مَاءً، فَدَفَعَهُ بِاسْمِهِ البَاعِثِ، فَوَقَعَ عَلَى البَلَدِ المَيِّتِ، وَالأَرْضِ الجُرُزِ، وَهِيَ أَرْضُ الجَوَازِ، وَالعُمْقِ الأَكْبَرِ.

فَانْحَلَّ مِنْهُ جُزْءَآنِ بِمَا شَاكَلَهُ مِنْ أَرْضِ ذَلِكَ العُمْقِ الأَكْبَرِ بِجُزْءٍ، فَأَخْرَجَ مِنْهُمَا تِلْكَ الزُّرُوْعَ وَالثَّمَرَاتِ).

أقول: فارتفع من ذلك البحر، أي: بحر البخار الذي صعد بحرارة الإرادة، وَجَذَبَته المشيئة بالاسم القابض، الذي هو روح الطبيعة الكلية.

سَحاباً مُزجى، أي: مرفوعاً إلى العلو بالاسم القابض.

فتراكم، يعني: صار بعضه فوق بعض، حتى كان سَحَاباً ثِقَالاً.

تحت المشيئة، يعني: في أوّل الجبروت، أو في البرزخ بين الجـبروت وبين الإمكان الرَّاجح، أعني: في عالم الأمر، الذي هو أوَّل فـائض مـن الفعل الإلهي.

فلمَّا تراكم تحت المشيئة؛ انعقدت ببرودة المشيئة سحاباً، فانحلَّ من ذلك السَّحاب المتراكم بحرارة الإرادة، أي: توجُّه الطلب بإرادة الـصنع والإيجاد ماءً، وهو المادة النَّوعيَّة.

فدفعه باسمه الباعث، أي: بالاسم الذي طبعه البرودة والرُّطوبـة، أعني: طبع الحياة؛ لأنَّ القوَّة الدافعة المركَّبة من البرودة والرُّطوبة، فوقع ذلك الماء المدفوع المُساق على البلد الميت، وهو الأرض التي لا نبـات فيها.

والأرض الجُرُز: المتهيِّئة للنبات، وتلك الأرض هي أرض القابليات، التي أشار إليها تعالى في تأويل آية: (بالبلد الميت)[1]، وفي تأويل الأُخرى: (بأرض الجرز)[2]، والمُراد بهما: أرض القابليات، وهي أرض الجواز، تحت

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**.[سورة فاطر، الآية: ٩].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾**،[سورة السجدة، الآية: ٢٧]. ونقل العلّامة المجلسي رحمه الله في تفسير هذه الآية قولـه: (الْأَرْضُ الْجُرُز، أي: التي جرز نباها، أي: قُطع وأُزيـل، لا الـتي لا تنبت).[بحار الأنوار، ج: ٦٢، ص: ١٣٣].

الإمكان الراجح.

والعمق الأكبر: الفضاء الذي لا نهاية لَه مقدرة، وهذا العمق وُصِفَ بالأكبر بالنسبة إلى الأعماق التي دونه لا مطلقاً، فإنَّ العمق الأكبر حقيقةً مطلقاً هو الفضاء للإمكان الرَّاجح، وإنما أكبريَّة هذا العمق إضافية.

وقد تقدَّم أنَّا نريد بالإمكان الرَّاجح الفعل، أعني: المشيئة والاختراع والإرادة والإبداع، وما تحتها من أفعاله ﷻ، مكانها الإمكان الرَّاجح المطلق، والعمق الأكبر المطلق، ووقتها السَّرمد، ويُعبَّر عنها بالوجود المطلق، أي: غير المقيَّد، بمعنى: أنه لم يتوقَّف في وجوده وإيجاده على شيء غير نفسه، لا كما يفهمه العوام من معنى (وُجوب الوجود)، الذي يصفون به المعبود، تعالى الله عما يُشركون، وسُبحانه وتقدَّس عمَّا يصفون، فإنَّ الذي يشيرون إليه إنما يصدق في أعلى مراتب ما يشيرون إليه على عنوان فعله.

وأمَّا الوجود المقيَّد -الذي نحن بصدد بيانه-: فهو الذي يتوقَّف في وجوده وإيجاده على شيء غير نفسه، يعني: يتوقَّف في وجوده على مادة هي أثر للسَّابق عليها وهو المشيئة.

والأثر -هنا-: هو أوَّل صادر عن المشيئة، المسمَّى بالماء الأوَّل، والنَّفس الرحماني، والحقيقة المحمَّدية ﷺ، ويتوقَّف في إيجاده على المادة والقابلية، التي هي الصُّورة، وعلى الفعل والوقت، والكم والكيف، والرُّتبة والجهة والمكان.

فانحل منه جزءآن بما يشاكله، يعني: أنَّ الماء الذي وقع على الأرض

الميِّتة والأرض الجرز كان مركباً من أربعة أجزاء رطوبة، ومن جزء يبوسة، فاتَّحدَا فكان ماء واحداً.

فلمَّا وقع ذلك الماء الذي كان مركبّاً من جزأين على الأرض؛ انحل منه، أي: من الماء الواقع الذي كان مركباً من الجزئين[١]، ولهـذا أتـى بالتثنية في بعض العبائر، يعني: انحل من المجموع جزءان بما يشاكله من التراب.

ومعنى المشاكلة:

أولاً: أنَّ ذلك التُّراب بينه وبين ذلك الماء مقاربة من جهة البرودة الجامعة لهما، ومن جهة أنَّ في الماء جزء ترابياً.

وثانياً: أنَّه حين كان الماء جزأين؛ يجب أن يكون التراب الذي ينحل فيه ليصير منهما المادة الغذائية جزء، إذ لو تساويا لَمَا كان المجموع منهما مائعاً رقيقاً يجري في العروق، ولو كان الماء ثلاثة أجزاء مثلاً؛ لرقَّ الغذاء لقلَّة الترابية، فيضعف المغتذي به، ويذوب لكثرة الماء، وقلَّة الخلْط[٢]، فيضعف تماسكه.

فمعنى المشاكلة في هذين الأمرين: التَّقارب في الطبيعة، والتَّقارب في الصِّفة.

فأخرج منهما تلك الزُّروع والثمرات، يعني: أنه تعالى أخرج من

---

(١) في بعض نسخ المخطوطة: (من الجزئين جزءان آه).

(٢) في بعض النُّسخ: (وقلَّة الخليط).

الجزأين -أعني: جزئي الماء، وجزء التراب- تلك الزُّروع والثَّمرات.

والزَّرع: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[١].

والثَّمرات: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾[٢].

۞[أنبتنا فيها من كلّ شيء موزون]:

قلتُ: (وَمَا فَضُلَ مِنْ رُطُوْبَتِه بَعْدَ تَقْدِيْرِهِ وَسَقْيِه فِي ظُلُمَات ثَلَاث يَأْخُذُهُ بالاسْمِ القَابِضِ، مَعَ قَدر رُبْعه مِنْ لَطِيْف هَبَاءِ أَرْضِ الإِمْكَان، وَيَعْمَلُ فِيْهِ كَمَا مَرَّ؛ ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٣]، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[٤]).

أقول: يعني وما فَضُل من رطوبة غذاء الزُّروع والثَّمرات المشار إليها بعدما يؤخذ منه تقدير الغذاء، وهو جزءان من الماء، ينحلان مع جزء

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٤) سورة الحجر، الآية: ١٩.

من التُّراب، وبعدما يُؤخذ منه لسقيه حتى يبلغ أوان تمامه.

في ظلمات ثلاث: متعلّق لسقيه.

والظُّلمات الثلاث: ظلمة البطن؛ وهي في النَّبات بطن الأرض، وظلمة الرَّحم؛ وهي في النَّبات بطن ساق الشجرة والنَّخلة وعُوْد السُّنبلة، وما أشبه ذلك، وظلمة المشيمة؛ وهي في النَّبات أكمام الطَّلع، وعصف السُّنبل.. وما أشبه ذلك.

وما فضل من تلك الرُّطوبة بعد هذه الأمور أخذه باسمه القابض، الذي هو روح أشعة الشَّمس، التي تصعد الأبخرة من الأرض؛ من الأنهار والبحار، والأرض الرَّطبة مع قدر ربعها من اليبوسة إلى طبقة الزمهريرية، فتعقدها سَحاباً، كما كان أوَّلاً، هذا في الشهادة.

وفي الغيب بهذا النحو، إلا أنها هناك كلها معادن[1] مجرَّدة عن المواد الجسمانية، والمدد الزَّمانية، سواء كانت ذواتاً أم صفاتاً، ذاتية أم أفعاليَّة؛ لأنَّ الأشياء كلها مشتركة في نوع الإيجاد والتكوين على وتيرة واحدة، ولكنها في كل شيء بحسبه.

فيأخذ ذلك الفاضل عن التقدير والسَّقي في الظلمات الثلاث بالاسم القابض، مع قدر ربعه من لطيف هباء أرض الإمكان؛ لأنَّ غير اللطيف لا ينحل في الرُّطوبة إلا بعد تلطيفه، ولكنه وإنْ أمكن تلطيفه، ولكنه لا يمكن إصعاده بأشعة الاسم القابض، مع بقاء مقتضى القوابل،

---

(١) في بعض النُّسخ: (كلها معانٍ).

كما لا يمكن إصعاد الصخرة الكبار والجبال بالأشعة الشمسية، وإنْ أمكن في القدرة، لكن مع تغيير مقتضى القوابل؛ بأن يجعل الجبل في مقدار خفّة الذّرة، وسهولة ذوبانها وانحلالها، وهو سهل في القدرة، ولكنه لم يكن الثقيل حينئذٍ ثقيلاً، والصَّلب صلباً، وقبض الشعاع قبضاً يسيراً، بل لا بد من تغيير الأشياء عمَّا هي عليه، وذلك مناف لمقتضى الحكمة لإجراء الإيجاد[1] على مقتضى الأسباب؛ ليصح الاستدلال لأولي الألباب.

والمراد بهذا الإمكان: الإمكان الجائز، الذي هو محل الكائنات، لا الإمكان الراجح، الذي هو محل لمشيئة الإمكانات، فإنَّ الإمكان الرَّاجح، وإن كان محلاً لمشيئة الأكوان، لكنه ليس محلاً لمتعلقاتها من الكائنات؛ لأنَّ محل متعلقاتها من الكائنات هو الإمكان الجائز.

وأمَّا الإمكان الراجح فهو محل لمشيئة الإمكانات، ولمتعلقاتها من الإمكانات، فإنها لا تخرج عن الإمكان الراجح، فإذا ألبستها ثوب الكون نزل اللَّابس إلى الإمكان الجائز، وبقي وَجْهُهُ وأصله على ما هو عليه في المحل الأعلى.

فإذا اجتمع الرَّطب مع اليابس؛ انحل اليابس في الرَّطب، وانعقد الرَّطب باليابس، وذلك في حالة الصُّعود، ثم يتراكم وينعقد سحاباً على نحو ما ذكرنا سابقاً، إلى آخر التقدير والسَّقي في الظلمات الثلاث..وهلمَّ

(١) في بعض النُّسخ: (لإجزاء الإيجاد).

جرًّا، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1].

وذكر الآية الشريفة؛ تنبيه على دليل ما ذكر من القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا﴾، أي: في الأرض ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[2]، أي: مقدَّر، والتَّقدير كما سمعت مما أشرنا إليه فيما سبق، وبراهين هـذا مـن دليل المجادلة بالتي هي أحسن مذكورة في علم الطبيعي المكتوم، مَنْ أراده طلبه من أهله، والله سبحانه ولي التوفيق.

۞[الوجود المقيَّد هو ماء الحياة]:

قلتُ: (وَهَذَا المَاءُ النَّازِلُ مِنَ السَّحَابِ المُتَرَاكِمِ؛ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[3]، وَهُـوَ الوُجُوْدُ المُقَيَّدُ، وَهُوَ مِنْ بَعْدِ المَشِيْئَةِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ المَشِيْئَةِ، وَهَذَا الوُجُوْدُ المُسَمَّى بِالمَاءِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ المَذْكُوْرِ يَكُوْنُ فِي كُـلِّ شَـيْء بِحَسَبِهِ).

أقول: هذا بيان للوجود المحدث، الذي منه خلق الأشياء، والمراد به: هو المادة الأولى لكل مخلوق؛ لأنَّ الذي فاض من فعل الله سُـبحانه هـو النور الذي خلق منه الأشياء، كما دلَّت عليه النقول عـن آل الرسـول

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ١٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

الفحول ﷺ، وأشارت إليه طامحات العقول.

وقد قدَّمنا سابقاً: أنَّ علامة المادة في صنع الشيء أن نُدخل عليها لفظة (مِنْ) عند التَّعبير عنها، فتقول: (صُغت الخاتم من فضة)، و(صنعت الباب من الخشب)، و(خلق الله ابن آدم من التُّراب)، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[1]، فالذي تدخل عليه (مِنْ) هو المادة، وهذا بديهي لا يحتاج إلى تأمُّل.

فظهر لمن نظر: أنَّ أوَّل فائض عن فعل الله هو المادة، وهو الوجود، والماهية هي الصُّورة، هي المعينة والمشخصة، وبها تكون الإنية، ألا ترى أنَّ الخشب الذي هو مادة للباب لا يكون باباً، ولا تلزمه أحكامه؛ لأنه كما يصلح للباب يصلح للسَّرير وللصَّنم، وما لا يختص بشيء لا يُخصَّص، وما لا يُخصَّص لا تكون عنه الإنِّيَّة.

كذلك الوجود، فإنَّه مادة تصلح لزيد ولعمرو، ولا يتعين لأحدهما إلا بالصُّورة المعيَّنة، وهذا الوجود هو الوجود الذي ذكره الله في كتابه على نحو الإشارة، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[2]، وذلك حين أطلق تعالى الميِّت على القابلية التي هي الصُّورة، فقال تعالى: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[3]، يعني به: الماء، وقال -أيضاً-: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ

(١) سورة الروم، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[١]، كان المسَاق الذي هو الماء، الذي هو المادة، التي هي الوجود؛ إذ الشيء لا يتكوَّن ولا يحيَى إلا بمادة.

وهو -أي: الوجود المقيَّد- أوَّله العقل الكلِّي، الذي هو أوَّل مخلوق، وهو الدُّرة من بعد المشيئة، يعني: ابتداء كونه وتحقُّقه، مع اختلاف مراتبه، وكون بعضها أثراً لبعض من بعد المشيئة.

وظاهر هذا: دخول الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم أرض القابليات في الوجود المقيَّد، وهو أحد الاحتمالين.

والاحتمال الآخر: أنَّ الحقيقة المحمَّدية صلى الله عليه وآله وسلم وأرض القابليات برزخ بين الفعل، الذي هو الوجود المطلق، وبين المفعول الذي هو الوجود المقيَّد، ووقته مركَّب من السَّرمد والدَّهر، أعلاه من السَّرمد.

فعلى الاحتمال الثاني -كما هو أولى-: أنَّ الحقيقة المحمَّدية وأرض القوابل لَاحِقَتان بالفعل؛ لتوقُّف ظهور الفعل عليهما، وأنَّ الوجود المقيَّد أوَّله العقل الكلي، وأنَّ البعدية المذكورة أول ثبوتها وجود العقل، وهو ما بعد المشيئة كما قلنا منبسطاً في مراتب تطوراته إلى ما لا نهاية لَه في رتبة[٢] من المشيئة؛ لأنه تنزَّل إلى أن وصل إلى التراب حين قال لَه: أدبر، فأدبر. فلمَّا قال لَه: أقبل، فأقبل. أخذ يصعد في مراتب الإقبال، فكان معدناً، ثم كان نباتاً، ثم كان حيواناً، ثم كان ملكاً، ثم كان جِنّاً، ثم كان

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٢) في بعض النُّسخ: (له في رتبته).

إنساناً، ثم كان جامعاً.. وهكذا، إلى المشيئة، أي: إلى ما كان لَه من المشيئة، لأنَّ العقل لا يصل إلى المشيئة بغير واسطة.

وهذا الوجود -أعني: المقيَّد المسمَّى بالماء كما تقدَّم- في كلِّ شيء بحسبه، ففي العقول نور مجرَّد عن المادَّة العنصريَّة، والمدَّة الزمانية، والصُّور الجوهرية والمثالية، وفي الأرواح نور مجرَّد عن المادة العنصرية، والمدَّة الزمانية والصور النفسية، وفي النفوس كذلك، لكنه ليس مجرداً عن الصورة الجوهرية، وفي الطبيعة نور أحمر بسيط ذائب مجرَّد عن متمِّمات قوابل الأجسام وعن المواد العنصرية، وفي جوهر الهباء، أي: المواد المجرَّدة عن الصور المثالية؛ نور منعقد، لم تلزمه الصورة المثالية، وفي المثال أبدان نورانية، لا أرواح لها، أي: ليس لها مواد جوهرية ولا جسمانية، وفي الأجسام والزَّمان والمكان أنوار منعقدة لزمتها صورها، ومدد مقدرة وفراغات محدودة، وفي العناصر طبائع متزاوجة، وفي المعادن أصول من لطائف العناصر متآلفة، وفي النباتات لطائف أغذية نامية، وفي الحيونات شعلات فلكية حسَّاسة، وفي الصفات هيئات ذاتية، وحركات فعلية، وصور ظلية.. وأمثال ذلك.

وكل هذه وما بينها من الوسائط والبرازخ والأسباب والأوضاع والنسب من الوجود المقيَّد؛ لأنها مقيَّدة في إيجادها وتحقُّقها بأشياء من بعضها لبعض، أقامها ﷻ بأمره في سبعة أمور: (مشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وأجل، وكتاب)، لو تخلَّف عنها شيء لم توجد، فلذا كانت من الوجود المقيَّد.

[مثال وبيان]:

قلتُ: (وَمِثَالُهُ؛ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُخبر مَنْ تُخَاطِبهُ بقِيَامِ زَيْد، أَخَذْتَ مِنَ الهَوَاءِ الَّذي هُوَ إِمْكَانُ اللَّفْظ هَوَاء، وَهُوَ يَشْتَملُ عَلَى أَرْبَعَة أَجْزَاءٍ مِنَ الرُّطُوْبَة الهَوَائِيَّة، وَعَلَى جُزْءٍ مِنَ اليُبُوْسَة الهَبَائِيَّة، بالقُوَّة القَابضَة إِلَى جَوْفكَ، الَّذي هُوَ نُقْطَةُ قَلْبك، أَيْ: وَجْهُهُ فِي الهَوَاء.

فَتُؤَلِّفُ منْهُمَا -بَعْدَ التَّقْديْرِ بالضَّغْط وَالقَلْعِ وَالقَـرْعِ- حُرُوْفـاً مُشْتَملَةً عَلَى الأَجْزَاء الخَمْسَة، مُتَّصفَةً بصفَات مَادَّة مَقْصُوْدك، فَتُؤَلِّفُ منْهَا لَفْظاً؛ هَيْئَتُهُ كَهَيْئَة مَقْصُوْدكَ، فَتَدْفَعُهُ إِلَى الهَوَاءِ الَّذي هُوَ مَكَـانُ إِمْكَانه، فَيَقَعُ جُزْءَآن منْ رُطُوْبَة لَفْظكَ، وَهيَ مَادَّتُهُ المُنَاسِـبَةُ لمَـادَّة مَقْصُوْدكَ، وَجُزْءُ يُبُوْسَته، وَهيَ هَيْئَتُهُ المُنَاسبَةُ لهَيْئَة مَقْصُوْدكَ، عَلَى مَا يُشَاكلُهُ منْ أَرْضِ هَذَا العُمْقِ وَالجُرُزِ وَهُوَ الهَوَاءُ؛ لأَنَّهُ هُوَ الَّذي يَحْفَظُ لَفْظَكَ، وَيُوْصلُهُ إِلَى أُذُنِ مُخَاطبكَ).

أقول: قولي (أخذت من الهواء الذي هو إمكان اللفظ)، يعني به: أنَّ الهواء المعروف بالنسبة إلى اللفظ المعروف كالإمكان بالنسبة إلى المـواد، فإنَّ أصول المواد الكونية منبثّة في فضاء الإمكان، كالهواء الذي هو أصل مواد الألفاظ الصَّوتية، فإنه أي: الهواء المنبثة في فضاء الإمكـان، وهـو يشتمل على أربعة أجزاء من الرُّطوبة الهوائية؛ كما مرَّ ذكره.

وهذه هي مادَّة وجود المادة النوعية للَّفظ، وصورها النوعية التي بها تقوُّم المادة النوعية هي هذا الجزء اليابس، فكانت المادة النَّوعية للأشخاص

التي تحتها من هذين الجزأين، الذين أحدهما الأربعة الأجزاء الرَّطبية، وثانيهما الجزء اليابس، كما تكون المادة النَّوعيَّة للكتابة من الزَّاج والعفص(١).

وأخذ ذلك بالقوَّة القابضة، أعني به: الجذب إلى جوفك، وإنما أوصلته إلى جوفك بالجذب؛ لتتمكَّن من إخراجه ودفعه إلى فضاء الهواء بالتَّدريج ممتدّاً، وتتمكَّن من تفصيله إلى ما تريد من الحروف، فتقطع منه الحروف التي تريد تأليفها للدَّلالة على مقصودك، لِمَا بينهما من المناسبة الذَّاتية، والمطابقة الوصفيَّة.

وبهذه الحروف التي هي مادة لفظك حياته، أي: قوامه وحصول الدلالة به، لِمَا بينهما -أي: بين المادتين، أعني: مادة لفظك، ومادة مقصودك- من المناسبة الذاتية، والمطابقة الوصفيَّة، وبصورة لفظك حياته بالمعنى المذكور؛ لِمَا بين صورة لفظك وصورة مقصودك من المناسبة الذاتية والمشابهة الصُّورية.

فتُؤلِّف منهما بعد التَّقدير، يعني: بعد تقدير الحروف، بأن تشتق من الهواء ما يُناسب المقصود من الشدَّة واللِّين، والجهر والهمس، والإخفاء والظهور، والقلقلة والتفشي.. وما أشبه ذلك، وتؤلِّفها على هيئة المقصود

---

(١) **الزَّاجُ**: يُقال لَه (الشَّبُّ اليماني)، وهو من الأَدوية، وهو من أَخلاط الحِبْرِ، فارسي معرَّب. [لسان العرب، ج: ٢، ص: ٢٩١].

والعَفَصُ: ثمرٌ معروف كالبندقة، يُدبغ به، ويُتَّخذ منه الحبر. وقال الجوهري: هو مُولَّد، وليس في كلام أهل البادية. [مجمع البحرين، ج: ٤، ص: ١٧٥].

في حركاتها وسكونها، وتقديم بعض، وتأخير بعض، كما قال أهل العربية: أنَّ مادة لفظ (ضَرَبَ) الفعل الماضي تدل على الحدث، وهيئته تدل على الزَّمان.

وتقديرها في اشتقاقها بالضَّغط، يعني: تضييق المخرج، كـ(الشِّين، والصَّاد)، والقلع كـ(الطَّاء، والقاف)، والقرع كـ(الميم، والنُّون)، فإذا ألَّفت حُروفاً مشتملة على الأجزاء الخمسة -أربعة المادة، وواحد الصُّورة- متصفة بصفات مقصودك كما ذكرنا، فتؤلِّف منها لفظاً هيئته كهيئة مقصودك، فتدفعه إلى الهواء الذي هو مكان إمكانه، ومحل تكوينه، فيقع -يعني: من ذلك المؤلَّف- جزءآن من رطوبة لفظك، رطوبة الأجزاء الرَّطبة، وجزء من يبوسة يبوسة الجزء اليابس، على ما يشاكله.. إلخ.

وفي بعض العبائر من الرَّسائل اقتصرنا على ذكر الجزأين من الرُّطوبة، قلنا: (فيقع جزءآن من رطوبة لفظك)، بدون قولنا: (وجزء من يبوسة)، يعني: فيقع من ذلك المؤلَّف، أي: من مجموعه المركَّب من الخمسة المذكورة من رطوبة لفظك، وإنما قلنا: (من رطوبة لفظك) مع أنَّ فيه جزء يابساً؛ لأنه انحل في الرطوبة، فكان ماءً مشاكلاً..كما مرَّ.

وهي أن المادة[1] الرَّطبة التي هي الجزءآن مادته المناسبة لمادة مقصودك، أعني: الإخبار بقيام زيد على ما يشاكله، يعني: يشاكل هذا الواقع من أرض هذا العمق والجرز، وهو الهواء كما مرَّ مكرَّراً؛

(١) في بعض النُّسخ: (أي: المادَّة).

لأنه -يعني: الهواء- هو الذي يحفظ لفظك، ويوصله بدفعك، وحماية العقل لَه عن التهافت والفناء عند البعد، أو شدة الهواء، أو الحجاب فيما لا يبلغ الإفراط الشَّديد، ويوصله أي: يوصله ذلك الهواء؛ لأنه محله الذي يقوم به، وينتقش فيه صورته، ويتموَّج به، إلى أن يُوصله بمعونة الدافع والحامي والحافظ إلى أُذن مخاطبك الذي تُريد إفهامه قيام زيد.. كما يأتي.

قلتُ: (لِيَرْتَسِمَ فِي الحِسِّ المُشْتَرَكِ مِنْهُ صُورَةَ مَادَّة لَفْظِكَ، وَصُوْرَةَ هَيْئَته، فَإِنَّهُ لِلَفْظِكَ كَالأُمِّ لِلْجَنِيْنِ، وَكَالأَرْضِ لِلْمَاءِ الَّذي يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ، فَيَنْبُتُ مِنْهُ النَّبَاتُ، فَوَقَعَ مِنْ لَفْظِكَ مَاءٌ عَلَى أَرْضِ ذَلِكَ المَعْنَى، وَهَذَا المَاءُ هُوَ الوُجُوْدُ لِذَلِكَ المَعْنَى، وَهُوَ دلَالَةُ لَفْظِكَ بِمَادَّتِه وَهَيْئَته الوَاقِعَة فِي الحِسِّ المُشْتَرَك، الَّذِي هُوَ الأُمّ، فَيَنْبُتُ المَعْنَى فِي بَطْنِ تِلْكَ الأُمِّ، وَهُوَ الخَيَالُ بِذَلِكَ المَاء، الَّذِي هُوَ الدِّلَالَة، وَيَحيى بِهَا.

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ المَعْنَى قَبْلَ تِلْكَ الدِّلَالَة شَيْئاً؛ لأَنَّ الشَّيْء إِنَّمَا سُمِّيَ شَيْئاً لأَنَّهُ مُشَاء، وَالمَشِيْئَةُ هِيَ أَصْلُ الإِرَادَة، فَافْهَم).

أقول: نريد أنَّ الهواء يحفظ اللَّفظ، ويوصله بواسطة العقل إلى أُذنك؛ ليرتسم من تلك الأصوات المصوَّرة بالهيئات المخصوصة، القارعة لطبل أذنك بأصوات حروف ذلك اللَّفظ في الحسِّ المشترك، الذي هو برزخ بين الشَّهادة والغيب؛ صورة مادة لفظك، وصورة هيئته.

وهي صورة برزخيَّة، مكانها من أرض الإقليم الثامن، وأسفلها على محدَّب محدِّد الجهات، وأعلاه في أسفل الدَّهر متصلاً بالجسم الذائب،

أعني: جوهر الهباء، والمواد الجسمانية قبل تعلّق الصُّور بها، فـإنَّ الحـس المشترك بالنسبة إلى ما يقع فيه من صورة مادة اللفظ وهيئته بمنْزلـة الأم للجنين، وبمنْزلة الأرض بالنسبة إلى الماء النازل من السَّحاب لإنبـات النبات، فوقع من لفظك ماء، وهو دلالته على المعنى، على أرض ذلـك المعنى، وهي النفس التي هي لوح الصور، صور المعلوم(١).

والمراد بالمعنى هنا: ليس هو المعنى الاصطلاحي، الـذي يكـون في العقل؛ وهو ذات نورانية مجرَّدة عن المادة العنصرية، والـصُّورة النفـسية والمثالية، والمدَّة الزَّمانية، وإنما المراد بهذا المعنى: ما ينتقش في النَّفس مـن دلالة اللَّفظ وقابلية النَّفس، وهو يحدث فيها بعد وقوع دلالة اللفظ عليـه في النَّفس.

وليس هذا المعنى قبل ذلك شيئاً أصلاً، كما قـال الرِّضـا عليه السلام للمأمون في بيان أنَّ الحروف ليس لها معان إلا أنفـسها، قـال عليه السلام: **«لِأَنَّهَا لَا يُؤَلَّفُ مِنْهَا ثَلَاثَةُ حُرُوْف أَوْ أَرْبَعَة أَوْ أَقَلّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَر إِلَّا لِمَعْنَى مُحْدَثٍ، لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ»**(٢).

---

(١) في بعض النُّسخ: (صور العلوم).

(٢) قال الإمام الرضا عليه السلام في احتجاجاته في مجلس المأمون: «..**وَالحُرُوْفُ لَـا تَدُلُّ عَلَى غَيْرِ أَنْفُسِهَا**. قال المأمون: وكيف لا تدل على غير أنفسها؟.

قال الرِّضا عليه السلام: **لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَجْمَع مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ مَعْنَى أَبَداً، فَإِذَا أَلَّفَ مِنْهَا أَحْرُفاً أَرْبَعَة أَوْ خَمْسَة أَوْ سِتَّة، أَوْ أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَقَلّ، لَمْ يُؤَلِّفهَـا لِغَيْرِ مَعْنَى، وَلَمْ يَكُ إِلَّا لِمَعْنَى مُحْدَثٍ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ شَـيْئاً**..».[التوحيـد،

....←

وذلك لأنَّ النفس متهيئة لِانْتِقَاش الصُّور عند إدراك أسباب إيجادها، فإذا أدركت اللفظ وهيئته، بأن وقع عليها دلالته؛ انتقش فيها صورة ما دلَّت عليه دلالة اللفظ المسموع من صورة مادته وصورته كما مرَّ.

فاللفظ كالسَّحاب، ودلالة مادته وصورته كالمطر النازل من السَّحاب، والنَّفس هي الأرض الميِّتة، فإذا نزل عليها الماء -الذي هو الدلالة- تنبت أرض النفس وقابليتها بثمرات الماء.

وهذا الماء هو الوجود الذي منه تكوَّن ذلك المعنى؛ لأنه هو دلالة اللفظ بمادته وهيئته على ذلك المعنى، وهذه الدلالة هي الواقعة في الحس المشترك، ثم منه إلى الخيال، ثم منه إلى النفس.

فالحس المشترك هو الأم، أي: أم ذلك المعنى المتولِّد في النفس من تلك الأم، والخيال هو بطن تلك الأم، الذي ينبت فيه المعنى بذلك الماء الذي هو تلك الدِّلالة، ويحيى بها؛ لأنه هو شأن الماء.

ولم يكن ذلك المعنى قبل تلك الدلالة شيئاً كما سمعت عن الرِّضا عليه السلام، وكيف يكون شيئاً قبل أن يكون مُشاء؟!؛ لأنَّ الشيء إنما سُمِّي شيئاً لأنه مشاء، وقد أشار إلى هذا المعنى أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير والجمعة، في الثناء على الله، قال عليه السلام: **«وَهُوَ مُنْشِئ الشَّيْء حِينَ لَا**

→....

ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١].

شَيْء، إِذْ كَانَ الشَّيْء مِنْ مَشيئته»[1]، فأشار عليه السلام إلى جهة اشـــتقاقه من المشيئة، وإنَّما قال: **«مِنْ مَشِيْئَتِهِ»**، و لم يقل: (مـــن إرادتـــه)؛ لأنَّ المشيئة هي أصل الإرادة.

---

(١) في هذه المقطوعة حصل دمج بين ألفاظ خطبتين:

الأولى: من خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم، قال: «..**لَا مِثْلَهُ شَيْء، وَهُوَ مُنْـشِئ الشَّيْء حِيْنَ لَا شَـيْء دَائِـمٌ قَـائِمٌ بِالقِـسْطِ، لَـا إِلَـهَ إِلَّـا هُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيم**».[الاحتجاج، ج: ١، ص: ٥٨. التحصين لابن طـاووس، ص: ٥٧٩. روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٩١. العدد القوية، ص: ١٧٠. اليقين، ص: ٣٤٧. بحار الأنوار، ج: ٣٧، ص: ٢٠].

والثَّانية: من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير، قال: «..**لَـهُ الأَسْـمَاء الحُسْنَى، لَيْس كَمِثْلِهِ شَيْء؛ إِذْ كَانَ الشَّيْء مِنْ مَـشِيْئَتِهِ، فَكَـانَ لَـا يُـشْبِهُهُ مُكَوّنه..**».[مصباح المتهجد، ص: ٧٥٣. إقبال الأعمـال، ص: ٤٦١، المـصباح للكفعمي، ص: ٦٩٦].

شرح
الفائدة السَّابعة
تَكْوِيـــنُ الخَلْقِ الثَّـــانِي

قلتُ:

(الفَائدَةُ السَّابعَةُ
[تَكْوِيـــنُ الخَلْقِ الثَّـــانِي]

اعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ المَاءُ الأَوَّلُ المُسَمَّى بِالوُجُوْدِ المُقَيَّدِ عَلَى الأَرْضِ الجُرُزِ؛ تَكَوَّنَ مِنْهُ الشَّيْء فِي سِتَّة أَيَّامٍ: الكَمّ، وَالكَيْــف، وَالوَقْــت، وَالمَكَان، وَالجِهَة، وَالرُّتْبَة، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي الظُّهُوْرِ قَبْلَ الآخَرِ، وَإِنَّمَا هَذِهِ مَعَ المَادَّة الَّتِي هِيَ حِصَّةُ الوُجُوْدِ، وَمَعَ الصُّوْرَة الَّتِي هِيَ حِــصَّةُ المَاهِيَّة هِيَ الشَّيْء ظَهَرَ الجَمِيْع دُفْعَة؛ لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِه الثَّمَانِيَــة شَرْطٌ لِكُلِّهَا فِي الظُّهُوْرِ، وَالشَّيْء المَوْجُوْد مُرَكَّبٌ مِنَ الوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّة، وَالسِّتَّةُ قُيُوْد مُقَوِّمَاتٌ لَهَا).

أقول: لَمَّا أشرنا إلى تكوين الخلق الأول المعبَّر عنه بالهيولى، وبالمادَّة النَّوعية؛ أشرنا في هذه الفائدة السَّابعة إلى تكوين الخلق الثَّاني، الذي تلبس فيه الأفراد والحصص الصُّور الشَّخصية، وهي رتبة القدر مـــن الأفعـــال الإلهية، وفيه التكليف الأوَّل، وعالم الذر، والسَّعادة والشقاوة، والإجابـــة وعدمها، فقلتُ:

۞[تكوُّن كل شيء في ستة أيَّام، والاستدلال عليه]:

أنَّ كل شيء إنَّما يتكوَّن في ستة أيام، وذلك من قوله تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**[١]، وقول الصَّادق عليه السلام: **«العُبُوْدِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوْبِيَّة، فَمَا خَفِي فِي العُبُوْدِيَّةِ وُجِدَ فِي الرُّبُوْبِيَّة، فَمَا فُقِدَ فِي الرُّبُوْبِيَّة أُصِيْبَ فِي العُبُوْدِيَّة»**[٢]، وقول الرِّضا عليه السلام: **«قَدْ عَلِمَ أُوْلُوْا الأَلْبَاب؛ أَنَّ [الاسْتِدْلَالَ عَلَى] مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَا هُنَا»**[٣].

فلمَّا نظرنا إلى الآفاق وإلى أنفسنا، وإلى العبوديَّة التي هي كناية عن الآثار والأعراض والأظلة، وإلى الرُّبوبية التي هي كناية عن المؤثرات والمعروضات وذوي الأظلة، وإلى ما ها هُنا؛ وجدنا قول الله سُبحانه خلق السَّماوات والأرض في ستة أيَّام[٤]، يعني: في ستِّ رُتَبٍ، (العقل، والنَّفس، والطَّبيعة، والمادَّة، والمثال، والجسم).

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) مصباح الشريعة، ص: ٧.

(٣) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦. وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

(٤) كما في قوله تعالى: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾**، سورة الأعراف، الآية: ٥٤، ووردت الإشارة إلى هذا في كثيرٍ من الآيات، ...←

وقيل: الفصول الأربعة، والمادَّة، والصُّورة.

ووجَدْنا الإنسان كذلك خُلق في ستَّة أيَّام، أي: في ستٍّ رُتَب؛ النُّطفة والعلقة، والمضغة والعظام، ويُكسَى لحماً، ويُنشئ خلقاً آخر، بأن تنفخ فيه روح الحياة، فعلمنا حيث كان الصَّانع عَجَّلَ واحداً، والصُّنع واحداً؛ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1]، وقال: ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[2]، والحكمة في الكلِّ واحدة، علمنا أنَّ ما هنالك كما ها هنا، كما ذكر الرِّضا عَلَيْهِ السَّلَامُ[3].

فلذا قلنا: فلمَّا وقع الماء -الذي نحن بصدد ذكره- على أرض الجُرُز، أي: أرض القابليات، تكوَّن منه الشيء -أي: من الماء ومن الأرض، إذ الصُّورة منها- في ستة أيام، يعني: في ستِّ رُتَب.

اليوم الأوَّل: يوم الكمِّ، وأريد به القدر الجوهري، أي: قدر المادَّة قلَّة وكثرة، لا الكم الاصطلاحي، فإنَّه من الأعراض، وإن كان هو جسم

...←

راجع منها: سورة يونس، الآية: ٣، سورة هود، الآية: ٧، سورة الفرقان، الآية: ٥٩، سورة السَّجدة، الآية: ٤، سورة ق، الآية: ٣٨، سورة الحديد، الآية: ٤.

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الملك، الآية: ٣.

(٣) ذكرناه مع مصادره سابقاً فراجع.

نوراني، لكن أهل البيت عليه السلام يسمونه: «**ظِلُّ النُّوْرِ**»، وأنّه عندهم: «**بَدَنٌ نَوْرَانِيٌّ لَا رُوْحَ لَهُ**»[(١)]، أي: لا مادَّة فيه.

واليوم الثَّاني: الكيف بجميع أنواعه.

واليوم الثَّالث: الوقت في كلّ شيء بحسبه، فالأجسام وقتها الزَّمن، ولطيفه للطيف الأجسام؛ كمحدد الجهات، ومتوسطه لمتوسطها؛ كالأفلاك السَّبعة، وكثيفه لكثيفها؛ كالأرض، والعقل، والرُّوح، والنَّفس، والطبيعة، وجوهر الهباء، أعني: المادَّة قبل تعلُّق الصُّورة بها، وقتها الدَّهر لطيفه للعقول، أعني: الجبروت، ومتوسطه للنَّفس، وكثيفه لجوهر الهباء، والمشيئة والإرادة، والقدر والقضاء.

وباقي الأفعال وقتها السَّرمد، لطيفه للطيفه؛ كالمشيئة، ومتوسطه لمتوسطه؛ كالقدر، وكثيفه لكثيفه؛ كالقضاء والإمضاء.

---

(١) عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ؛ قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «**يَا جَابِرُ! إِنَّ اللَّهَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ خَلَقَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَعِتْرَتَهُ الْهُدَاةَ الْمُهْتَدِينَ، فَكَانُوا أَشْبَاحَ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ. قُلْتُ: وَمَا الْأَشْبَاحُ؟.
قَالَ: ظِلُّ النُّورِ أَبْدَانٌ نُورَانِيَّةٌ بِلَا أَرْوَاحٍ، وَكَانَ مُؤَيَّداً بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ رُوحُ الْقُدُسِ، فَبِهِ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ وَعِتْرَتَهُ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ حُلَمَاءَ عُلَمَاءَ، بَرَرَةً أَصْفِيَاءَ، يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالسُّجُودِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَيُصَلُّونَ الصَّلَوَاتِ، وَيَحُجُّونَ وَيَصُومُونَ**».[الكافي، ج: ١، ص: ٤٤٢. بحار الأنوار، ج: ١٥، ص: ٢٥، وَج: ٥٨، ص: ١٤٢].

واليوم الرَّابع: المكان، وهو ظرف للحال فيه، ويكون من نوعه، فكان السَّرمديات سرمدي، والدَّهريات دهري، والزَّمانيات زماني.

واليوم الخامس: الجهة، وهي وجه الشيء إلى أصله، وإلى توجهه إليه، وهي جهة الاستمداد من مبدئه.

واليوم السَّادس: الرُّتبة، وهي مكان الأثر من مؤثِّره في القرب والبُعد.

وهذه السِّتة المسماة بالأيَّام هي أطوار المُحدث، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1]، وذلك جارٍ في كلِّ مخلوق، وهي متمِّمات للقابلية والصُّورة.

[لواحق وتوابع ومتمِّمات هذه السِّتة]:

ولهذه السِّتة لواحق وتوابع ومتمِّمات لها ومكملات، وهي كثيرة، وأصل اللَّواحق: الوضع بأنواعه الثلاثة، إلا أنَّ النوع الأول وهو الكون في محل يدخل في المكان، وأمَّا الآخران، وهما نظم أجزاء الشيء المصنوع وترتيبها بالنسبة إلى بعضها من بعض، والثاني نظمها وترتيبها كذلك بالنسبة إلى الأمور الخارجة عنه للمكان فيها والإذن، إذ لا يخرج المصنوع من كتم العدم الإمكاني إلى الوجود الكوني إلا بإذنٍ من الله، وإن تمَّت له

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٤.

جميع أسبابه بقي محبوساً على باب فوارة القضاء الإلهي، حتى يُؤذن لَـه بالخروج.

والأجل، بمعنى: أنه يبقى محبوساً على الوقت المؤجل لَه، وهو وقت الخروج من الإمكان إلى الكون، ومدة بقائه في الوجود الكوني، ووقت خروجه عن الكوني إلى الوجود الإمكاني.

والكتاب، بمعنى: أنَّه منذ نزل من الخزانة الأولى إلى أن وصل إلى عالم الكون والظهور، كل مقام مر عليه انتقشت فيه صورته من نوع ذلك المقام ورتبته، وهذه الكتب هي خزائنه التي أشار تعالى إليها بقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1]، ومنها النسب الخارجيَّة والإضافات، ووجودات المقارنات..وغير ذلك.

وهذه الأمور المتممات واللَّواحق مع المادَّة والصُّورة، كل واحد منها وجوده شرط لوجود كلها، فتلزمها المساوقة في الظهور، بحيث لا يتقدم شيء منها على الباقين ولا يتأخر.

والشَّيء -بقول مطلق- مركَّب من الوجود والماهيَّة، إلا أنَّ الماهيَّة التي هي القابلية صورة ذلك الشيء، وهذه الصُّورة مركَّبة من حدود هندسية، وتلك الحدود هي هذه الستة المذكورة، ولواحقها المشار إليها، وهذا ظاهرٌ؛ ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[2].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.

❁[غير هذه السّتة راجعة إليها]:

قلتُ: (وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا السِّتَةَ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ غَيْرَهَا كَالأَوْضَاعِ وَالإِذْنِ لِهَا فِي الظُّهُوْرِ وَأَجَلِ الفَنَاءِ، وَالكُتُبِ الحَافِظَةِ لِهَذِهِ المَذْكُوْرَاتِ مِنْ حَيْثُ هِيَ حَافِظَةٌ، وَمِنْ حَيْثُ هِيَ مَحْفُوْظَة، وَكَالإِمْضَاءِ الَّذِي هُوَ شَرْحُ العِلَلِ وَالأَسْبَابِ.. وَغَيْرُ ذَلِكَ، كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى السِّتَّةِ).

أقول: وإنما ذكرنا السِّتة خاصة؛ لأنَّ غيرها يرجع إليها، ولو باعتبار، ولأجل أنَّ بعضها لَمَّا كان قد لا يدخل ظاهراً فيها -أي: في المقومات- نبَّهنا على بعض الذِّكر ليتوجَّه الأفهام إلى دخولها، من غير أن نُطيل الكلام بذكر الدُّخول، إذ ربما استلزم التَّطويل، أو ذكر ما يتوقَّف في بيانه على التَّطويل.

ونريد من الأوضاع: ما هو أعمُّ من الوضع الاصطلاحي المعروف من النسب والإضافات والإذن لها في الظهور، كما أشرنا إليه سابقاً؛ لأنَّ الشيء إذ شاء الله كونه، وأراد عينه، وقدَّر حدوده، وقضى تركيبه؛ بقي على باب الوجود المقيَّد واقفاً، حتى يُؤذن لَه في الخروج من الإمكان إلى الكون، وكذا كل جزء من أطواره، فلا يخرج من كونه إلى عينه إلا بإذن، ومن عينه إلى قدره، ومن قدره إلى قضائه، ومن قضائه إلى إمضائه إلا بإذن.

وأمَّا الأجل فكما مرَّ، يعني: أنَّ الشَّيء لَه في كل طور من أطواره مدة من وقته، من سرمدٍ أو دهرٍ أو زمانٍ، إذا قطعها خرج منها إلى ما

دونها في إدباره، وإلى ما فوقها في إقباله؛ **﴿إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾**[1].

وقولي: (وأجل الفناء)؛ شامل لكل مرتبة، بمعنى: أنّه إذا فني أجل بقائه في طورٍ، أُذن لَه في الخروج منه إلى ما بعده صعوداً ونزولاً.

والكتب الحافظة للشَّيء في جميع أطواره: عبارة عن نقش ذلك الطَّور في إظهار لوح رتبته، وذلك النقش كتاب حافظ لِمَا بعده، محفوظ لِمَا قبله، ولذا قلنا: (من حيث هي حافظة، ومن حيث هي محفوظة).

والإمضاء: إظهار ما قضاه[2] مبيَّناً مشروح العلل والأسباب؛ ليستدل به على ربِّ الأرباب.. وغير ذلك، كالكتب المشار إليها سابقاً، وكالأوضاع، والنِّسب، وكلها راجعة إلى السِّتة المذكورة بنحو ما قلنا.

قلتُ: (فَلِذَا اقْتَصَرْنَا عَلَى ذِكْرِهَا فِي ذِكْرِ البَدْءِ؛ لأَنَّ الأَوْضَاعَ لَازِمَةٌ لِلْمَكَانِ وَالجِهَةِ وَالرُّتْبَةِ، وَالإِذْنِ وَالأَجَلِ لَازِمَانِ لِلْوَقْتِ، وَالكُتُبَ لَازِمَةٌ لِلسِّتَّةِ، وَالإِمْضَاءَ لَازِمَةٌ لِمَا سَبَقَ، وَمُتَفَرِّعٌ عَلَيْهِ؛ لأَنَّ حُصُوْلَ هَذِهِ السِّتَّةِ لِلمَاهِيَّةِ وَالوُجُوْدِ وَلَوَازِمِهَا المُشَارِ إِلَيْهَا يَلْزَمُ مِنْهُ الإِمْضَاءُ فِي الحِكْمَةِ، وَيَتَفَرَّعُ عَلَيْهَا.

وَالبَاقِي نَذْكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ فِيمَا بَعْدُ).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٤٩.

(٢) في بعض النُّسخ: (إظهار ما قضي).

أقول: الوضع لازم للمكان، كالوضع في الجوهر الفرد؛ لأنه بسيط، فلا يكون فيه ترتيب بين أجزائه، فالوضع فيه إنما هو المكان، ويدخل القسمان الأخيران، وهما التَّرتيب بين أجزاء الشَّيء بعضها إلى بعض، وبين أجزائه وغيرها من الخارجة عنه، كالقيام إنما يتحقَّق إذا استقامت فقرات ظهره، وكان رأسه مما يلي السَّماء، ورِجْلَاه مما يلي الأرض.

ولهذا لو استقامت فقرات ظهره وهو نائم؛ فإنه ليس بقائم، إذ رأسه ليس إلى السَّماء، ورجلاه ليس إلى الأرض في المكان والجهة، فكان الوضع مستلزماً للمكان والجهة، وكذلك الرُّتبة، ويلزم الإذن والأجل للوقت.

أمَّا الإذن؛ فإنَّه يقع في انتهاء الوقت الأوَّل، وابتداء الثَّاني.

وأمَّا الأجل؛ فقد أُشير إلى لزومه لَه في الجملة سابقاً.

والكُتُبُ لازمةٌ للسِّتة؛ لأنَّ كل شيء فهو كلمة مكتوبة في محلِّه ووقته، بما هو هو، وفي غيب محلِّه ووقته بمثاله، بما هو مثال، وكلها من حروف اللَّوح المحفوظ وكلماته.

فالسِّتة كُتب في نفسها، إذ الكتاب حقيقة هو النقش لا القرطاس، كما قال تعالى: **﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾**(١)، وقال تعالى: **﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾**(٢).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧.

(٢) سورة الطور، الآيتان: ٢-٣.

وأمَّا الإمضاء؛ فلازمٌ لِمَا سبق من الكون والعين، والقدر والقضاء، إذ ما لم يمض لم يكن، فلا يتحقّق شيء إلا بإمضاء، ولأنَّ كل شيء لا يخرج إلى الوجود الكوني إلا وهو علة لشيء، ومعلول لشيء، ودليل على شيء، ومدلولاً عليه لشيء، وظل لِمُؤثِّره، وذو الظل لأثره، فيكون في نفسه شارحاً ومشروحاً، فيصدق عليه تعريف الإمضاء في حديث الكاظم عليه السلام، وهذا معنى قولي: (ويلزم منه الإمضاء في الحكمة)؛ لأنَّ ما لم يمض لم يكن، فكونه دليل إمضائه.

وقولي: (يلزم منه الإمضاء في الحكمة)، إشارة إلى أنَّ ما وجب بفعله لم يكن واجباً عليه، إذ كل ممكن لا يكون عنده تعالى واجباً في حال، ولم يخرج عن إمكانه أبداً.

نعم.. قد يجب في الحكمة، كما إذا ترجَّح إيجاد الشيء في نفسه، أو لشيء من معيِّناته، فإنَّه تعالى أجرى حكمته أن يُوجده لطفاً لعبده، ورحمةً لَه؛ لأنَّه إذا ترجَّح إيجاده بنفسه، أو بشيء من معيِّناته، فقد سَأل الكريم الوهاب بصدق قابليته، فأتى الدُّعاء من بابه، فوجب في الحكمة بجريان اللُّطف والرَّحمة أن لا يردَّ سائله؛ لوعده في صادق كلامه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

فهذا معنى لزوم الإمضاء في الحكمة؛ لأنه فيما نحن فيه إذا قضى شيئاً فقد تمَّت قوابل أكوانه، أعني: الكون والعين، والقدر والقضاء، فحين تمَّت

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

الأكوان وقوابلها بإمضاء كلٍّ منها؛ استحقّت إظهارها مبيَّنة مشروحة العلل في الحكمة، فلزم فيها الإمضاء؛ لأنَّه في آخر مراتب الشَّيء، متفرِّع عليها.

والباقي من المتمِّمات والمعينات -إن شاء الله- نذكره فيما بعد؛ لأنِّي كنت عزمت على ذكر أشياء من الأسباب حين كتابة الفوائد، ثم عدلت عن ذلك؛ لأنَّ في بعضها ما تنحط عن نيله الأفهام.

۞[أقوالٌ في الوجود والماهيَّة، ونسبة الشيء لهما]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ اخْتَلَفَتْ الآرَاءُ فِي الشَّيْءِ اخْتِلَافاً كَثِيراً، وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ، وَلَاعِبْرَةَ بِذِكْرِ غَيْرِهَا:

الأَوَّلُ: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الوُجُوْدُ، وَالمَاهِيَّةُ عَرَضٌ حَالٌّ بِالوُجُوْدِ[1].

الثَّانِي: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ المَاهِيَّةُ، وَالوُجُوْدُ عَرَضٌ عَلَى المَاهِيَّةِ[2].

الثَّالِثُ: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الوُجُوْدُ، وَالمَاهِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بِتَبَعِيَّةِ الوُجُوْدِ[3].

الرَّابِعُ: أَنَّ الشَّيْءَ هُوَ الوُجُوْدُ وَالمَاهِيَّةُ، فَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا).

أقول: اعلم أنَّ الأقوال في أنَّ الوجود والماهيَّة ما هما؟، وإنَّ الشيء هل هو أحدهما؟، وأيُّ شيء هو؟، أم هما معاً؟ متكثِّرةٌ جدّاً، من أراد أن يعرف كلام أمير المؤمنين عليه السلام: **«العِلْمُ نُقْطَةٌ كَثَّرَهَا الجَاهِلُوْن»**،

---

(١) شرح المنظومة (للسبزواري)، ص: ٢٢٤.

(٢) المباحثات، ص: ٢٨٦. الشفاء (الإلهيات)، ص: ٢٧٦.

(٣) المطلع، ج: ١، ص: ٤٧. المفاتيح، ص: ٤١٥. الأسفار، ج: ٦، ص: ٢٨٢.

أو «الجُهَّالُ»، على اختلاف الرِّواية[(١)]؛ فلينظر إلى تلك الأقوال في كتبهم.

والنُّقطة التي في هذه المسألة؛ ما أُخذ عن العلماء الذين لا يجهلون، والذَّاكرين الذين لا ينسون، والمعصومين الذين لا يُخطؤون (صلى الله عليهم أجمعين).

والإشارة إلى ذلك على جهة الاختصار والاقتصار: أنَّ الوجود هو الفائض عن فعل الله سُبحانه لا من شيء، فيجب أن يكون جوهراً، إذ لو لم يكن جوهراً لكان عرضاً؛ للانحصار فيهما، ولو كان عرضاً؛ لاستلزم سبق معروضه، والوجود منه خلق جميع المخلوقات.

وقد قدَّمنا: أنَّ مدخول لفظة (مِنْ) في نحو هذه العبارات التي تبين بها المقاصد هو المادَّة، كما تقول: (صنعت الخاتم من الفضَّة، والباب من الخشب)، وقد صرَّح بذلك الصَّادق عليه السلام في الحديث الذي سبق، ولأنَّ السَّابق من أجزاء الشيء يجب أن يكون أقوى ذاتياته، ولا يصلح غير هذا.

فإذا تحقَّق أنَّ كُلَّ ممكن زوج تركيبِي؛ وجب أن يكون الممكن المخلوق مؤلَّفاً، والتَّأليف لا يكون بلا مادَّة يؤلف منها، فهي سابقة على التأليف، والتأليف هيئة تحدث للمؤلف، فثبت أنَّ كل ممكن مركَّب من

---

(١) ورد قوله عليه السلام: «الجَاهِلُوْنَ»، في: عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٢٩. ينابيع المودة، ج: ١، ص: ٢١٣. وورد: «الجُهَّالُ»، في سبل السلام، ج: ٤، ص: ١٧٨.

مادَّة وصورة يحدثها الصَّانع في المادَّة، والمادَّة هي أوَّل ما يُوجد بنفسها، فهي الوجود عند من لَه وجدان، أو الماهيَّة هيئة ذلك الوجود.

ثم الخلق قسمان:

خلق أوَّل: وهو خلق المادَّة، كعمل المداد للكتابة.

وخلقٌ ثانٍ: وهو عمل الكتابة، وهذا هو العلم بالوجود ومعرفته، وهو نقطة.

[تقرير وتقييم القول الأوَّل]:

وأمَّا أنَّ الممكن زوج تركيبي، فهو حقٌّ، ولكنَّ المطلوب معرفة ذلك، والعلماء والحكماء اختلفوا في الشَّيء الممكن ما هو؟، هل هو الوجود، والماهيَّة عرضٌ حالٌّ بالوجود؟.

وهذا قول أهل التَّصوُّف، وأكثرهم على أنَّ الوجود هو الله، وأنَّه تعالى يتطوَّر بالأطوار الخلقية، ويلبس الصُّور ويخلعها، من غير أن يتغيَّر في نفسه، قال شاعرهم:

وما النَّاس في التِّمثال إلا كثلجة وأنت لها الماء الذي هو نابع

ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه ويُوضع حكم الماء والأمر واقع[1]

وقال بعضهم: أنَّ وجود الأشياء هو المشيئة، وقد أشار الرِّضا عليه السلام إلى ذلك في الرَّدِّ على سليمان المروزي، قال عليه السلام: **«هَذَا قَوْلُ ضِرَار**

---

(١) الأبيات لعبد الكريم الجيلاني، ذكرها في كتابه الإنسان الكامل، ص: ٧.

وَأَصْحَابِه، فَإِنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ: أَنَّ المَشِيْئَةَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ، وَتَنْكِحُ وَتَحْيَى وَتَمُوْتُ»، نقلت بعض معناه[1].

وهذا القول بوجهيه باطل.

❁[تقرير وتقييم القول الثَّاني]:

وقيل: الشَّيء هو الماهيَّة، والوجود عرض حال بالماهيَّة، وهذا قول المشَّائين والمتكلِّمين، وهذا أيضاً باطل؛ لأنَّ الماهيَّة هي هوية الشيء وإِنِّيته، ولا يصح أن تكون سابقة على الوجود؛ لأنها إذا جُعلت أصلاً والوجود عارضاً عليها؛ وجب أن تكون سابقة على الوجود، ولا تكون سابقة إلا بوجود، فيلزم التسلسل.

على أنَّا إذا رجعنا إلى الضَّرورة؛ وجدنا الماهيَّة في السَّرير، ولا تحقُّق قبل مادته، ولا توجد مع وجود المادَّة، بل توجد المادَّة ولم يكن سرير، إذ

---

(١) ورد في حديث طويل ننقل هنا نص ما نقل المصنف معناه، قال الإمام عليه السلام: **«..يَا سُلَيْمَان! هَذَا الَّذي عِبْتُمُوْهُ عَلَى ضِرَار وَأَصْحَابِه، مِنْ قَوْلِهِم: (إِنَّ كُلَّ مَا خَلَقَ اللهُ عزّ وجلّ فِي سَمَاءٍ أَوْ أَرْضٍ، أَوْ بَحْرٍ أَوْ بَرٍّ، مِنْ كَلْبٍ أَوْ خِنْزِيْرٍ أَوْ قِرْدٍ، أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ دَابَّةٍ؛ إِرَادَةُ اللهِ، وَإِنَّ إِرَادَةَ اللهِ تَحْيَا وَتَمُوْتُ، وَتَذْهَبُ وَتَأْكُلُ، وَتَشْرَبُ وَتَنْكِحُ، وَتَلِدُ وَتَظْلِمُ، وَتَفْعَلُ الفَوَاحِشَ، وَتَكْفُر وَتُشْرِك)، فَنَبْرَأُ مِنْهَا وَنُعَادِيْهَا، وَهَذَا حَدُّهَا..»**. [التوحيد، ص: ٤٤٨. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٨٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣٣٣-٣٣٤].

لا يتحقق السَّرير إلا بالصُّورة العارضة للماهيَّة، وهو على العكس مما قالوا، وإلا لوجدت ماهيته التي بالصُّورة حدثت قبل وجود الخشب الذي هو المادَّة، فيلزم أن توجد الصُّورة قبل الخشب، وأن تكون الصُّورة هي المعروض، والمادَّة عارضاً.

والضَّرورة قاضية بوجود الخشب قبل السَّرير، وبأنَّ ماهيَّة السَّرير إنما توجد بالصُّورة العارضة، وبأن العارض مسبوق بالمعروض، وبأن أول صادر من فعل الله هو المعروض، وبأن الإنِّية والماهيَّة مسبوقة بالشَّيئية، والشيئية مسبوقة بالمادَّة، التي هي متعلَّق الصُّنع، فبالصنع حدثت المادَّة، وفي المادَّة حدثت الصُّورة التي بها الشيئية، التي تلزمها الماهيَّة والإنِّية.

فظهر لمن نظر: أنَّ الوجود هو المادَّة، وأن الماهيَّة هي الصُّورة، وأنها تابعة للمادَّة، والمادَّة سابقة عليها، ولا تكون الصُّورة معروضة للمادَّة.

وتوهُّمهم: أنَّ الوجود والماهيَّة زائدان على المادَّة والصُّورة؛ توهمٌ باطل، لا يكون جارياً عن حكمة، ولا هدى، ولا كتاب منير، وكيف يقولون: الإنسان حيوان ناطق؟، ويقولون: هو حد حقيقي تام؛ لأنَّه جامع لكل ذاتيات المحدود، ويقولون: حصة الحيوان هي المادَّة، وحصة الناطق هي الصَّورة، فأين الوجود، وأين الماهيَّة؟.

فإنْ كانا خارجين عن الذاتيات، فالشيء ليس هو الوجود ولا الماهيَّة، وإن كانا هما المادَّة والصُّورة، فالماهيَّة ليست هي الشيء والوجود عارض عليها، كما أنَّ الصُّورة ليست هي الشيء، والمادَّة عارضة عليها.

[تقرير وتقييم القول الثَّالث]:

والقول الثالث: أنَّ الشيء هو الوجود، والماهيَّة إنما هي بتبعية الوجود، أي: إنما حدثت بتبعية الوجود، وإلا فليست من الشيء، بل ليست مجعولة، ولا شمّت رائحة الوجود، فالشيء إنما هو الوجود وحده، وهو قول لبعض الإشراقيين(١).

وهذا القول مثل الأوَّلين في البطلان؛ لأنَّ الماهيَّة إذا لم تكن شيئاً لم يكن الممكن زوجاً تركيبياً، وإن كانت شيئاً ولكنها غير مجعولة فأسوء حالاً؛ لأنَّه يلزمهم أن يكون الممكن بسيطاً، وليس زوجاً تركيبياً.

وإن كانوا يقولون: أنه هو مركَّب، ولكنه من حادث وقديم، فهو القول الأوَّل، أو مثله في الفساد؛ لأنَّ القديم ينافيه مطلق التَّركيب، ومجامعة الحادث.

وإن قالوا: أنها لم تكن بجعل مختص بها، بل هي مجعولة بجعل الوجود، فهذا باطل؛ لأنَّ الجعل في نفسه إن كان بسيطاً ليس لَه [في نفسه](٢) إلا جهة واحدة، واعتبار واحد، وحيثية واحدة، فلا يصدر عنه شيئان متضادان، فليست مجعولة أصلاً، فإمَّا أن تكون قديمة، وإمَّا أن لا يكون شيئاً، وكلا الأمرين باطل، إذ القديم ينافي التركيب، وعدم كونها مجعولة،

---

(١) راجع: مطلع خصوص الكلم، ج: ١، ص: ٤٧. مفاتيح الغيب، ص: ٤١٥. الأسفار، ج: ٦، ص: ٢٨٢.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

بمعنى: أنها ليست شيئاً ينافي كون الممكن زوجاً تركيبياً، وينافي كون الشيء شيئاً، إذ لا شيئيَّة لمن لا ماهيَّة لَه.

والواجب تعالى ماهيته نفس وجوده، لا أنَّه لا ماهيَّة لَه، وإثباتها اعتباراً وذهناً لا يثبتها خارجاً، وإذا لم يثبت خارجاً لم يكن الشيء ذا ماهيَّة.

وأيضاً الشَّيء يصدر عنه ميلان متضادان، وذلك يدل على كونه مركَّباً من ضدين، فإنَّ زيداً يفعل الطاعة ويفعل المعصية، ويقولون: أنَّ الطاعة تنشأُ من الوجود، والمعصية من الماهيَّة، فإذا لم تكن الماهيَّة شيئاً، كيف تصدر عنها المعصية، والمعصية شيء، فكيف يصدر الشَّيء من لا شيء؟.

[تقرير وتقييم القول الرَّابع]:

والقول الرَّابع: أنَّ الشيء هو مركَّب من الوجود والماهيَّة؛ لأنَّه ممكن، وكل ممكن زوج تركيبي، وقد نَصَّ القدماء من الحكماء الإلهيين: أنَّ كلّ حادث فله اعتباران:

اعتبارٌ من ربِّه؛ هو حقيقته من ربه، وهو الوجود.

واعتبارٌ من نفسه؛ وهو حقيقته من نفسه، وهو الماهيَّة.

وهذا مما لا ريب فيه؛ لأنَّه لو لم يكن لَه جهة[1] من ربه لاستغنى عنه، سواء أريد بالجهة مادته وإيجاده، أم أحدهما، ولو لم يكن له جهة من نفسه لم يكن هو إيَّاه، بل لم يكن شيئاً أصلاً، إذ جهته من نفسه هي شيئيته وهويَّته وإنيته.

وكل ما يَرِدُ على الأقوال الثلاثة المتقدِّمة فهو دليل لهذا القول، وهو الحقُّ.

والجامع لثبوت التَّركيب: هو أنَّ الشيء المخلوق لا يتحقق إلا بفعل وانفعال، والفعل من الفاعل، والانفعال من نفس المخلوق، وذلك مثل: (خَلَقَهُ فانْخَلَق)، فالوجود الذي هو المادَّة من (خَلَقَ)، وهو الذي من ربِّه، والماهيَّة التي هي الصُّورة من (انْخَلَقَ)، وهو الذي من نفسه، وحيث لا يتحقَّق الفعل إلا بالانفعال، كالكسر مع الانكسار، لا يتحقَّق الوجود إلا بالماهيَّة.

فإنْ فهمت الحق من هذه العبارات المكرَّرة المردَّدة؛ فأنت من الواصلين إليه في المسألة، وإلا فلا تفهم من غيرها.

۞[بعض ما يتفرَّع على القول الحق، ودفع ما يَرِدُ عليه]:

قلتُ: (لِأَنَّ الوُجُوْدَ شَرْطُ كَوْنِهِ صُدُوْراً وَاسْتِمْرَاراً المَاهِيَّةُ، وَالمَاهِيَّةُ شَرْطُ تَكَوُّنِهَا انْصِدَاراً وَاسْتِمْرَاراً الوُجُوْدُ، فَمَا دَامَا مَوْجُوْدَيْنِ

---

(١) في بعض النُّسخ: (لو لم يكن هو جهة).

مُنْضَمَّيْنِ فَالشَّيْءِ مَوْجُوْدٌ، وَلَا شَيْئِيَّةَ لِلشَّيْءِ مَعَ فَقْدِ أَحَدِهِمَا وَلَا لِلآخَرِ.

وَالوُجُوْدُ مَادَّتُهُ نَفْسُهُ، وَصُوْرَتُهُ لِنَفْسِهِ ارْتِبَاطُ المَاهِيَّةِ بِهِ، وَالمَاهِيَّةُ مَادَّتُهَا نَفْسُهَا، وَصُوْرَتُهَا رَبْطُ الوُجُوْدِ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1]، فَهُمَا الشَّيْءِ، فَهُوَ مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا أَبَداً).

أقول: بعد أن ذكرتُ أنَّ الشَّيء هو الوجود والماهيَّة، وأنَّه مركَّب منهما أبداً، إذ لا يمكن تحقُّق أحدهما بدون الآخر؛ لأنَّ كلّ شيء ممكن زوج تركيي، ذكرتُ بعض ما يتفرَّع على ما ذكرنا، وبعض أسباب ذلك.

وجواب اعتراض أُورد على قولنا: (أنَّ كلَّ ممكن زوجٌ تركيبيٌّ)، يعني: أنه مركَّب من مادَّة وصورة، وهو أنه إذا قيل: كل ممكن مركَّب من المادَّة والصُّورة، يعني: الوجود والماهيَّة، فالوجود نفسه ممكن، فهو إذاً مركَّب من المادَّة والصُّورة، والماهيَّة نفسها ممكنة، فهي أيضاً مركَّبة من المادَّة والصُّورة، بل والصُّورة في المرآة أيضاً مركَّبة من المادَّة والصُّورة، ويلزم التسلسل.

والجواب:

أمَّا عن الأوَّل، يعني: أنَّ أحدهما لا يتحقَّق بدون الآخر، لا في أصل صدوره، ولا في استمراره، فلأنَّا قد قرَّرنا أنه لا يمكن تحقُّق الممكن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

المخلوق بدون الاعتبارين، أي: اعتبار من ربِّه، واعتبار من نفسه.

وهذا اللِّحاظ جار معتبر في صدور الشَّيء واستمراره؛ لأنه متقــوِّم بفعله قيام صدور، في الصُّدور وفي البقاء، كما ترى من تقوُّم النور بالمنير، والصُّورة في المرآة بالمقابلة.

وأمَّا الجواب عن تقوُّم أحدهما بالآخر، وأنه لا يمكــن أن يكــون المخلوق بسيطاً مطلقاً؛ فلأنَّ المخلوق لَمَّا لزم إيجاده الفعــل والانفعــال، وهما متضادان؛ لأنَّ الفعل من الفاعل، والانفعال من المفعول، أو الفعــل بالتكوين نازل من العالي إلى السَّافل، والانفعال بالتَّكون صاعد من السِّفل إلى العلوِّ، والفعل جهة الفناء الذي هو البقاء، والانفعال جهة البقاء الذي هو الفناء، والفعل منشأ الفقر الذي هو الاســتغناء، والانفعــال منــشأ الاستغناء الذي هو الفقر، والفعل مبدأ الموافقة والطّاعة، والانفعال مبــدأ المخالفة والمعصية؛ تعذَّر قيام الشيء المحدث بدون ما لا يتحقَّق إلا به من نحو ما ذكرنا، إذ البساطة تنافي اختلاف الجهتين اللَّتين لا ينفك الحــادث عنهما.

ولو شاء الله شيئاً كان ما شاء، ولكنه بطور فوق طور ما تدركــه العقول، وإلى عدم إيجاد بسيط، وإلى إمكانه في مشيئة الله؛ أشار الرِّضــا

عليه‌السلام بقوله: «أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْداً قَائماً بِذَاتِهِ دُوْنَ غَيْرِهِ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ الدِّلَالَة عَلَيْهِ»[١].

وأمَّا أنَّ كلَّ واحد منهما مركَّب من المادَّة والصُّورة، حتى الصُّورة في المرآة مركَّبة من المادَّة والصُّورة؛ فلأنَّا قُلنا: أنَّ واحداً منهما لا يقوم[٢] بدون الآخر، فإذا اعتبرنا الوجود نفسه ليتحقَّق في التعبير عنه وفي المفهوم وفي الذهن؛ كانت مادته نفسه، وصورته انضمام الماهيَّة إليه.

أمَّا في التعبير عنه؛ فلأنك تقول: (وُجُودٌ)، فتظهر بإفراده إنيته، وهي الماهيَّة؛ فلأنها لازمة لَه، لا ينفك عنه، إذا اعتبر لَه اعتبار من نفسه؛ لأنَّه هو الماهيَّة.. كما مرَّ.

وإذا اعتبرنا الماهيَّة نفسها كذلك؛ كانت مادَّتها نفسها، وصورتها ربط الوجود بها، بمعنى: إذا ذكرت في العبارة عنها وفي مفهومها وفي الذهن لزمها نوع وجود ما تلبسه وتظهر به في كل ما ذكرت به، وما ذكرت به هيئة لها، فهو صورتها، وإليه الإشارة في التأويل: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٣].

وهذا في تأويله والتَّمثيل به على حدِّ ما ذكرنا في أمر الوجود والماهيَّة، والأصل في الأسباب والمسبِّبات إذا ترامت صعوداً ونزولاً؛

---

(١) التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه‌السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(٢) في بعض النُّسخ: (لا يكون).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

انتهت إلى التَّضايف والتَّساوق في الظهور، فينقطع الترامي المذكور؛ لأنَّه إذا فُقد أحدهما فُقد الآخر، وإذا وُجد أحدهما وُجد الآخر.

هذا في الشَّيء التام المركَّب منهما، فإنَّه إنما يكون الوجـود مـادَّة والماهيَّة صورة ماداما موجودين منضمَّين، يلحظ أحدهما مع الآخـر في الشَّيء المركَّب منهما، وإذا اعتبر أحدهما كان مادته نفسه، ولزوم الآخر لَه صورته، كما قلنا.

وإذا جُرِّدا في الذهن عن الرابط بينهما[1]؛ كأن تتـصور الوجـود وحده، والماهيَّة وحدها، كان كل واحد منهما مادَّة نفسه وصورته هيئته ذهن المتصور ولونه وصقالته.

ومثل هذا وآيته: الصُّورة في المرآة، فإنَّ من عرف أحدهما عـرف الآخر، ومن جهله جهل الآخر، فمادَّة الصُّورة في المرآة صـورة المقابـل المنفصلة، أعني: ظل صورته اللازمة لَه، وصورها هيئة المرآة في الاستقامة والاعوجاج، ولونها في البياض والسَّواد، وصقالتها في الصَّفاء والكدورة.

فلم يكن شيء من الممكنات إلا وهو مركَّب من المادَّة والـصُّورة، فالمادَّة هي الوجود، والصُّورة هي الماهيَّة، فمن قال بغير هذا من المؤمنين، فأسأل الله أن يصلح وجدانه، ويُعرِّفه مذهب سادته عليهم السلام.

---

(١) في بعض النُّسخ: (عن الترابط بينهما).

۞[معاني الوجود والماهيَّة وتقسيماتهما]:

قلتُ: (فَالوُجُوْدُ جِهَةُ فَقْرِه إِلَى اللهِ، وَهُوَ جِهَةُ اسْتِغْنَائِه، وَالمَاهِيَّةُ جِهَةُ اسْتِغْنَائِهِ وَهِيَ جِهَةُ فَقْرِهِ، وَافْتِقَاره اسْتِغْنَاءٌ وَوُجُوْدٌ، وَاسْتِغْنَائه فَقْرٌ وَعَدَمٌ.

فَنَظَرُهُ بِالفُؤَادِ حَقٌّ، وَبِالقَلْبِ حَقِيْقَةٌ، وَنَظَرُهُ بِالتُّرَابِ بَاطِلٌ، وَبِالنَّفْسِ سَرَابٌ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ الوُجُوْدَ مُتَقَوِّمٌ بِالوُجُوْد، المُتَقَوِّمِ بِالحَقِّ، وَالمَاهِيَّةُ مُتَقَوِّمَةُ بِالوُجُوْدِ نَفْسِه، مِنْ دُوْنِ الوُجُوْدِ المُتَقَوِّمِ بِالحَقِّ؛ ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[1]).

أقول: الوُجودُ لَه معنيان:

أحدُهما: الوُجودُ الجنسيُّ؛ وهو الَّذي تؤخذ منه حصة، وتضاف إليه من الصُّورة النوعية -أعني: الماهيَّة- حصة، فيتكون منه ومن حصة الصُّورة النوعية مادَّة نوعية، كالمداد المركَّب من الزَّاج والعفص[2].

ونُسمِّي هذا الوجود: الوجود الأوَّل، وهذه الماهيَّة: الماهيَّة الأولى، والمتكوِّن منهما الخلق الأول.

وإذا أخذ من هذا المتكوِّن حصة من هذا الخلق الأول، الذي ربما نطلق عليه الوجود الثاني، وحصة من الصُّورة الشخصية؛ يكون منهما

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٤.

(٢) سبق تفسير معنى هاذين اللَّفظين فراجع.

الشَّيء الشخصي، أو النَّوعي الإضافي، أو الجنسي الإضافي، كلٌّ في مقامه.

ويسمَّى هذا الوجود الذي أخذ منه حصة هي مادَّة للشخص بالوجود الثاني، والذي أخذ منه حصة الصُّورة بالماهيَّة الثانية، والمتكون منهما بالخلق الثاني.

وثانيهما: أنَّ الشَّيء سواء كان شخصياً أم نوعياً أم جنسياً، إنْ لُوحظ أنَّه نور الله، وأنه أثر صنع الله، فهو وجوده، ولهذا يُعرف به الله، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»**[1].

وإنْ لُوحظ أنَّه هو، فهو ماهية وظلمة، لا يجوز أن يُعرف به الله سُبحانه، وإلا لوقع التشبيه، فالوجود حقيقته أنه نور الله وأثر فعله؛ لأنَّه حقيقة الشيء من ربه، سواءً كان في الخلق الأول، أم الخلق الثاني.

وهو معنى قولنا: (فالوجود جهة فقره إلى الله تعالى)؛ لأنَّه كالنور ليس له هوية، إلا ظهور المنير به، وإذا اعتبرت افتقاره إلى الله سُبحانه بحيث لا يجد نفسه؛ كان هو جهة استغنائه، يعني بالله؛ لقوة قابليته لفعله تعالى، حتى لم يشهد له إنية، كنور السِّراج، فإنَّه نور بالسِّراج، وظلمة بنفسه.

---

(١) مصباح الشريعة، ص: ١٣. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٢.

والماهيَّة جهة استغنائه، يعني: عن ربَّه، بمعنى أنه ينظر إلى نفسه، وهذا هو جهة فقره؛ لعدم قبوله للمدد بنظره إلى نفسه، وهو الماهيَّة، فافتقاره إلى الله سُبحانه استغناء ووجود، واستغناؤه عن الله لنظره إلى نفسه فقر وعدم، قال ﷺ: **«الفَقْرُ سَوَادُ الوَجْهِ فِي الدَّارَيْنِ»**[١].

فنظره -أي: نظر المرء- مثلاً بالفؤاد حقٌّ؛ لأنَّ الفؤاد هو النُّور الذي ينظر به صاحب الفراسة من المؤمنين، وأصحاب التَّوسم من الطاهرين (صلى الله عليهم أجمعين)، وهو الوجود الذي خلق منه، وهو النَّفس، أي: الذات التي من عرفها عرف ربه، أعني: حقيقته من ربه، وهو الوجود، وهو الوصف الذي ليس كمثله شيء، وصف الله سُبحانه نفسه لخلقه ليعرفوه بها، بمعنى أنه **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**[٢].

ولا شك أنَّ النظر بهذه حقٌّ عياني، ووجوبٌ عنواني؛ لأنَّ الحق نريد منه ما يعرف به الله سُبحانه، ويُوصف به: من العلم والقدرة، والسَّمع والبصر، التي هي ذاته ونظره بالقلب حقيقة؛ لأنه إنما يدرك ما كان من نوع المعاني المجرَّدة عن المادَّة العنصرية، والمدة الزمانية، والصُّورة الجوهرية والمثالية.

ونريد من الحقيقة ما دخل في الإمكان من الحقائق، ونظره بالتراب، أي: بالأجسام والجسمانيات باطل، بمعنى: أنه لا يُوصل إلى معرفة المعالم

(١) عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٤٠. بحار الأنوار، ج: ٦٩، ص: ٣٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

الإلهية، وإنما يدرك نوعه، كما لو أدرك بنظره وبسمعه، وبلمسه وبذوقه وشمه، أو بمعنى أنَّ نظره بالماهيَّة باطل؛ لأنَّ الماهيَّة -التي هي الانفعال- خلقت من أكثف الإنيات وأغلظها، وهو التُّراب الذي هو أسفل الأجسام والعناصر، وأشدها ظلمة، فيُدرك بها الباطل لا غير.

ونظره بالنَّفس سراب، يعني: أنَّ النفس لا تدرك إلا الصُّورة التي لا تعرف بها البسائط الحقيقية؛ «**إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا**»[1]، فإنْ كانت النفس هي الصَّدر؛ فتنظر إلى صور المعلومات الحقَّة؛ لأنها تستمد من العقل، إذ هي مركَّبة، وهذه النفس ليست مرادة هنا.

وأمَّا النَّفس المرادة هنا: فهي الأمَّارة بالسُّوء، التي هي ضد العقل، وهي وجه الماهيَّة ووزيرها، فلا تريد إلا المعصية، فإذا نظرت إنما تنظر إلى الباطل، ولذا قلتُ: (أنَّ نظر الإنسان بالنفس سراب)؛ لأنها تُموِّه الباطل في صورة الحق، كما توهم السَّراب الماء على الظمآن.

وإنما قلنا: (أنَّ نظر الإنسان بالوجود حق..إلخ)؛ لأنَّ الوجود الذي هو الفؤاد متقوِّم بالوجود الذي هو المشيئة، المتقوم بالحق سُبحانه، أي: متقوم بفعله ومشيئته على ظاهر الحال، تقوُّم صدور بفعله، وعلى الحقيقة،

---

(١) مقتبس من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، راجع: نهج البلاغة، ص: ٢٧٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥٢. التوحيد، ص: ٣٩. تحف العقول، ص: ٦١. أعلام الدين، ص: ٥٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٠. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٩.

فالمراد بالحق مجموع الفعل، وما تقوَّم به، أعني: المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان.

والماهيَّة إنما قلنا: (بأنَّ نظر الشخص لها باطل)؛ لشدَّة ظلمتها، وبعدها عن النور الذي تدرك به الأشياء على ما هي عليه، لأنها في تكونها متقومة بالوجود نفسه، يعني: حقيقته من نفسه، وهي الإنية السَّوداء المظلمة، فهي تنتهي إليه من هذه الحيثية، لا من حيث كونه نوراً، أو أثراً للفعل، فيكون أصلها مجتثاً.

فمثالها في نفسها وفي تقومها بالوجود بانتهائها إليه: كمثل الظل من الجدار، فإنه في نفسه من كونه ليس من الشَّمس، ولا يعود إليها، ومن كونه في أصله من الجدار المظلم، المكنَّى به عن نفس النور من حيث نفسه، لا من حيث المنير، فهو ينتهي إلى الجدار، وإنْ كان بالشَّمس.

وهو تأويل قوله تعالى: **﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾**[1]، وقومها: النُّفوس الأمَّارة بالسُّوء، فافهم.

۞[تمثيلٌ لمرحلة التَّمايز في الهيولى بالمِدَاد]:

قلتُ: (وَهَذَا هُوَ الهَيُوْلَى لِلْإِنْسَانِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ المِدَادِ المُرَكَّبِ مِنْ صَمْغٍ وَسَوَادٍ، وَزَاجٍ وَعَفْصٍ، وَمِلْحٍ وَصَبْرٍ، وَنَبَاتٍ وَآسٍ، فَكَمَا أَنَّ

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٤.

المِدَادَ مِنْ حَيْث هُوَ صَالِحٌ لِلاسْمِ الشَّرِيْفِ وَالاسْمِ الوَضِيْعِ، وَإِنَّمَا تُمَيِّز بيْنَهُمَا الصُّوْرَةُ الثَّانِيَةُ، أَيْ: الكِتَابَة بِهَيْئَتِهَا، وَهِيَ المَاهِيَّةُ الثَّانِيَة.

كَذَلِكَ هَذه الهَيوْلَى المُرَكَّبَة مِنَ الوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّة، صَالِحَةٌ لِلمُؤمِنِ وَالكَافِرِ، وَلَا يَتَمَيَّزُ إِلَّا بِالصُّوْرَةِ الثَّانِيَةِ، الَّتِي هِيَ الخَلْقُ الثَّانِي، وَهِـــيَ المَاهِيَّةُ الثَّانِيَة).

أقول: المراد بالمشار إليه بهذا هو المركّب من الوجود والماهيَّة، التي هي انفعاله عند أول تكوُّنه، وذلك في الخلق الأوَّل، وهذا الوجود مادَّة الأشياء، كما أنَّ المِدَادَ المركّب من الثمانية مادَّة للكلمات المكتوبة، فهو بمنْزلته في التأليف وفي الإيجاد منه؛ لأنَّ الوجود المذكور مركّب من ثمانية أشياء: (وجود، وماهيَّة، وكم، وكيف، ووقــت، ومكـان، وجهــة، ورتبة).

كذلك المِدَاد مركّب من ثمانية أجزاء:

من صمغ؛ ليربط بالقرطاس فلا ينمحي.

وسواد؛ ليكون لَه جرم لطيف يسهل حكُّه لو احتيج إليه، ويُلطِّف المداد مع زيادة تسويد.

وزاج؛ ليحصل بحرقه للعفص سواد يزيد المداد ثباتاً.

وعفص؛ لينحرق منه فيحصل منه مع الزَّاج سواد قارٌّ.

وملح؛ ليقطع لزوجته فيعينه على الجريان.

وصبِر –بكسر الباء–؛ ليمنع الذباب بمرارته من الأكل.

ونبات؛ ليكون برّاقاً.

وآس؛ ليكون شديد الجريان.

والوُجود تأخذ منه حصة لخلق الأنواع من الكلّي، ولخلق الأفراد من النوعي، فكما أنّ المداد من حيث هو صالح للاسم الشَّريف والاسم الوضيع ما دام لم يُكتب به، سواء كان في الدَّواة أم في القلم، كل الوجود المذكور صالح لأنْ يكون مادَّة للإنسان الشَّريف، إذا ضُمَّ إليه طينة إجابته الحسنى، وللمنافق الوضيع إذا ضُمَّ إليه طينة عدم إجابته وإنكاره السَّوأى.

والمراد بالطِّينة التي أشرنا إليها: الطينة المذكورة في الأخبار، وهي صورة إجابته وإنكاره، ومنها داعي الخير إذا كانت مجيبة، وداعي الشَّر إذا كانت منكرة، ولهذا قلنا: (وإنما تميز بينهما الصُّورة الثانية في الخلق الثاني)، مثل الكتابة التي بها تتميَّز الحصص المأخوذة من المداد بهيئتها اللاحقة لها.

وكذلك الحصص المأخوذة من الوجود المشار إليه، أعني: الهيولى المركَّبة من الوجود والماهيَّة، فإنّ الحصص المأخوذة منها تتمايز بما يلحقها من الهيئات، كما يتميَّز الكافر من المؤمن بالمشخّصات التي هي الماهيَّة الثَّانية، فإنّ الله سُبحانه يقول: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...**﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

۞[تكليف الخلق في عالم الذَّر، وكيفيَّة تصويرهم]:

قلتُ: (فَسَأَلَهُمْ لِعلْمه بِهِمْ حِيْنَ سَأَلُوْهُ أَنْ يَسْأَلَهُم؛ فَقَالَ: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّكُمْ، وَعَلِيٌّ وَلِيُّكُمُ[1]؟.

فَقَالُوْا بِأَجْمَعِهِم: بَلَى.

مِنْهُمْ مَنْ قَالَهَا مُصَدِّقاً بِلِسَانه وَقَلْبِه عَنْ عِلْمٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]، فَخَلَقَهُم مِنْ صُوْرَةِ التَّصْدِيْقِ وَالمَعْرِفَةِ، وَهِيَ الصُّوْرَةُ الإِنْسَانِيَّة، وَهِيَ هَيْكَلُ التَّوْحِيْد، وَهِيَ مِنْ فَلَكِ البُرُوْجِ، وَهُمُ المُرْسَلُوْن وَالأَنْبِيَاء، وَالصِّدِّيْقُوْنَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحُوْن).

أقول: فسألهم بإيجادهم لعلمه الإمكاني قبل سؤالهم باحتياجهم بقوابلهم حين السُّؤال، أي: حين سألوا بقوابلهم أن يُوجدهم.

وهو قولي: (أن يسألهم فقال: ألست بربكم؟) لإيجاد جسده، (ومحمد نبيكم؟) [لإيجاد] نفسه، (وعلي وليكم؟) لإيجاد عقله.

(فقالوا بأجمعهم) يعني: الخلق، (بلى، منهم من قالها مصدقاً بلسانه وقلبه) فحين صدَّق بلسانه خَلَق جسده، وحين صدَّق بخياله ونفسه

---

(١) في متن الفوائد: (وَآلُهُ وَخُلَفَاؤُهُ أَوْلِيَائكُم؟).

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

خُلِقَتْ نفسه، وحين صدَّق بعقله وقلبه خلق قلبه، إذ الشَّيء إنما يخلق بقبوله حين يخلق، لا قبله، ولا بعده.

ثم دعاهم كما دعاهم أولاً فقال:

ألست بربكم؟. فشهدوا: أن لا إله إلا هو.

ومحمد نبيكم؟. فشهدوا: أنَّ محمداً ﷺ رسول الله ونبيُّه.

وعلي وليكم؟. فشهدوا: أنَّ علياً ولي الله.

وذلك بأعمالهم في المراتب الثلاث.

فكانت الدَّعوة الأولى بحكم ما بالقوة، والدَّعوة الثانية بحكم ما بالفعل، ولا شك أنَّ ما بالقوة مسبوق في أصل الكون بما بالفعل، كالسُّنبلة؛ فإن الحبة في العود الأخضر تكون بالقوة، ثم تكون في السُّنبلة بالفعل، ولا شك أنَّ الحبة الموجودة في العُود الأخضر بالقوَّة مسبوقة بالحبة، التي زرعت فنبت منها العُود الأخضر والسُّنبلة، فما بالفعل سابق على ما بالقوة؛ لأنَّ ما بالفعل أقوى وأشد مما بالقوة، ولا يجوز أن يكون الفائض عن المبدأ الفياض أضعف مما يكون بعده ومن أثره، فافهم.

۞ [القسم الأوَّل من المكلَّفين: المُحبُّون، وصورهم]:

فإذا فهمتَ هذا؛ فاعلم أنَّ الوجود التَّشريعي روح الوجود التكويني، لتوقف الإيجاد على القبول، والقبول تشريعي يترتب عليه التكويني، فخلق سبحانه المحبين بإجاباتهم المساوقة لكونهم عن علم بما أجابوا به وبصيرة،

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١)، فخلقهم من صورة التَّصديق والمعرفة.

وهذه الصُّورة: هي الصُّورة الإنسانية، التي هي هيكل التوحيد؛ وذلك لأنَّ هذه الصُّورة من حدود تخطَّطت وتصوَّرت، خطُّ التَّوحيد، وخطُّ العقل، وخطُّ العلم، وخطُّ العمل، وخطُّ التَّقوى، وخطُّ الطاعة والرِّضا بقضاء الله وقدره.. وأمثال هذه من حدود الخير.

وصاحب هذه الصُّورة إنسان مُوحِّد مؤمن، عامل بعلمه، مطيع لربه، وهم المرسلون والأنبياء، والصِّديقون والشُّهداء والصَّالحون، وإنما كان لهم الصُّنع الجميل؛ لأنَّ الله تعالى حين فرق الحصص المادية من الوجود جعلهم صالحين لقبول الخير والشَّر، وهو قول الصَّادق عليه السلام حين سُئل عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذَرّ؟.

فقال: «جَعَلَ فِيهِم مَا إِذَا سُئِلُوْا أَجَابُوْا»(٢).

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(٢) قال أبو بصير؛ قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الذر حيث أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى، وأسرَّ بعضهم خلاف ما أظهر، فقلت: كيف علموا القول حيث قيل لهم: (أ لست بربكم)؟.

قال: «إِنَّ اللهَ جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوْهُ».[الكافي، ج: ٢، ص: ١٢. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٤٢. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٥٧، وَج: ٦٤، ص: ١٠٢].

والمراد بهذا المجعول: هو الصُّلوح للخير والشَّر، والتَّمكين من فعل ذلك بما جعل لهم من الاستطاعة، والقدرة، والآلة، وتخلية السِّرب، ثم كشف لهم عن الكتاب الأعلى، وهو الصُّور المنقوشة في عليين.

وعلّيُّون: أعلى الجنة، وهو باطن فلك البروج؛ **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَما أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾**[١].

وتلك الصُّور: صور الطَّاعات، وصورة العلم، وصورة الصَّلاة الصَّحيحة، وصورة الزَّكاة، وصورة الصِّيام، وصورة الحج، وصورة الإيمان، وصورة التَّسليم، وصورة الرِّضا بقضاء الله وقدره.. وما أشبه ذلك من صورة الإجابة بالطاعات.

ثم كشف لهم عن الكتاب الأسفل، أعني: الصُّوَر المنقوشة في سجِّين، وهي الصَّخرة تحت الأرض، التي ذكرها لقمان[٢]، وهي ظاهر الثرى الذي تحت الظلمة، التي تحت جهنم؛ **﴿كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۞ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾**[٣].

وهذه الصُّور: صُوَرُ المعاصي؛ صُورَة الجهل، وصورة ترك الصَّلاة، وصورة الصَّلاة الباطلة؛ كصلاة المُرائي، وصورة منع الزكاة، وإفطار شهر

---

(١) سورة المطفّفين، الآيات: ١٨-١٩-٢٠.

(٢) سيشير المصنِّف لاحقاً إلى أنَّ ذلك إشارة إلى قوله تعالى -حكايةً عن لقمان-: **﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾**، سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٣) سورة المطفّفين، الآيات: ٧-٨-٩.

رمضان عمداً للمُقيم، وصورة ترك الحج مع الاستطاعة، وصورة الجحود والإنكار والإلحاد، وصورة الأغراض، وصورة عدم الرِّضا.. وما أشبه ذلك.

فأوحى إليهم: ياعبادي!، إنِّي أدعوكم إلى النَّجاة، فمن أطاعني أُلبسه صورة إجابته من الصُّور التي رضيتها، وجعلتها صور محبَّتي ورضائي، التي بها يصل إلى رضواني، ويسكن جناني.

ومن عصاني، ولم يجب دعوتي؛ ألبسه صورة جحوده وإنكاره، واستهزائه واستكباره، من صور معصيتي وسخطي، التي بها يصل إلى دار غضبي جهنم.

فلمَّا دعاهم؛ سبق السَّابقون إلى الإجابة ظاهراً وباطناً، فخلق كل واحد من المجيبين بإجابته إلى الدَّعوة، وتفاضلوا بنسبة مراتبهم في السَّبق إلى الإجابة، ومن لم يُجِبْ؛ خَلَقَهُ من صورة عدم قبوله، وأعطى كل ذي حقٍّ حقَّه، وساق إلى كل مرزوقٍ رزقه، فتمَّت كلمته الحسنى عليهم، أي: على المجيبين بما أجابوا من العلم والعمل.

۞[القسم الثَّاني: المنكرون، وصورهم الحقيقية]:

قلتُ: (وَمِنْهُم مَنْ قَالَهَا بِلِسَانِه، وَقَلْبُهُ مُنْكِرٌ مُكَذِّبٌ غَيْرُ قَائِل، فَخَلَقَهُم مِنْ صُوْرَةِ التَّكْذِيْبِ وَالإِنْكَارِ وَالجُحُوْد، وَهِيَ الصُّوْرَةُ الحَيْوَانِيَّةُ الشَّيْطَانِيَّةُ، وَهُمُ الكَافِرُوْن وَالمُنافِقُوْن، وَأَتْبَاعُهُم مِمَّنْ تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى، فَأَعْرَضُوْا عَنْهُ، وَهِيَ مِنْ طِيْنَةِ خَبَالٍ، وَهِيَ سِجِّيْن.

وَإِنَّمَا كَانَتْ فِي الدُّنْيَا صُوَرُهُمْ صُورَةَ الإِنْسَانِ؛ لِإِجَابَتِهِم بِاللِّسَانِ، الَّذِي هُوَ أَدْنَى، وَفِي الآخِرَةِ تُسْلَبُ مِنْهُم، وَتَظْهَرُ صُوَرُهُم الحَقِيْقِيَّةُ التَّابِعَةُ لِلقَلْبِ).

أقول: من قالها -أي: كلمة الإجابة- بلسانه، وقلبه منكر مكذِّب مستهزء؛ خُلق ظاهره في الدُّنيا على الصُّورة الإنسانية، لإجابته بلسانه، الذي يدل على ظاهره.

وأمَّا قلبه؛ فإنه لَمَّا كان مُنكراً مكذِّباً لِمَا أجاب به بلسانه، فخلقهم في بواطنهم بصورة التَّكذيب والإنكار والجحود، وهي الصُّورة الحيوانية الشيطانية؛ لأنَّ حدودها التي تقوَّمت بها كما ذكرنا قبل هذا، لتقومها بحدِّ الجحود، وحدِّ الإنكار، وحدِّ ترك الصلاة، وحدِّ ترك الزكاة، وحدِّ ترك الصَّوم، وحدِّ ترك الحج.. وما أشبه ذلك.

وهؤلاء هم الكافرون والمنافقون والمشركون، وكل من أنكر الحقَّ من الأولين والآخرين وأتباعهم، ممن تبيَّن لهم الهُدى، فأعرضوا عنه من الأتباع؛ لأنَّ المتبوعين لا يكون من لا يتبين لَه الهدى منهم، فلا نُريد بالتَّقييد إلا الأتباع، إذ منهم من لا يتبين الهدى، وهم من أهل القسم الثالث.. كما يأتي.

وهذه الصُّورة التي خُلق منها هؤلاء -أعني: أهل القسم الثاني- وهم الكافرون والمنافقون والمشركون، وأتباعهم الذين تبين لهم الهدى، وهي طينة خبال، وهي سجِّين التي تكتب فيها أعمال الفجار، وهي أمثالهم في أعمالهم.

ومعنى كون كتاب الفجار في سجين: أنهم إذا عمل أحدهم شيئاً من المعاصي في السُّوق مثلاً، فإنك إذا شاهدته لا تزال صورته ومثاله في غيب ذلك المكان من السُّوق ووقته قائماً، كل ما التفَتَّ بخيالك إلى ذلك المكان، وذلك الوقت رأيت بخيالك صورة ذلك العامل للمعصية، ومثاله عاملاً بتلك المعصية أبداً.

ولو رأيت آخر في ذلك المكان ووقته، أو قبله، أو بعده، عاملاً لشيء من الطَّاعات؛ فإنَّك كلَّما التفَتَّ بخيالك إلى ذلك المكان، وذلك الوقت، رأيت مثال ذلك الآخر يعمل تلك الطاعة في غيب ذلك الوقت، وذلك المكان.

ومثال عامل المعصية في غيب ذلك الوقت، وذلك المكان، الذي هو السُّوق، هو مكانٌ من سجِّين[1]، يعني: أنَّ المكان الذي فيه مثال عامل المعصية من غيب السُّوق هو مكان من سجِّين، الذي هو كتاب الفُجَّار، والمكان الذي فيه مثال عامل الطاعة من غيب السُّوق هو مكان من عليين، الذي هو كتاب الأبرار.

فالأوَّل هو تحت الظلمة، التي هي تحت جهنم، التي هي تحت الرِّيح العقيم، التي هي تحت البحر، الذي هو تحت الحوت، الذي هو تحت الثور، الذي هو تحت سجين، أعني: الصَّخرة التي قال لقمان فيها: ﴿فَتَكُن

(١) في بعض النُّسخ: (هو من سجِّين).

﴿فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾[1]، فهذا الكتاب أصله في الثَّرى، ووجهه في سجين.

والثاني -أعني: الذي فيه مثال عامل الطَّاعة-: فوق الطَّبيعة، التي هي فوق المادَّة، التي هي فوق المثال، الذي هو فوق الجسم، الذي هو فوق محدَّد الجهات، الذي هو فوق علِّيين، أعني: باطن فلك البروج، فهذا الكتاب أصله في اللوح المحفوظ، ووجهه في فلك البروج.

وأنت قد رأيتهما في مكانٍ واحدٍ من السُّوق، هذا عامل بالمعصية، وهذا عامل بالطاعة، وإذا التفتَّ بخيالك رأيت المثالين في مكانٍ واحد، وفي الحقيقة مثال عامل المعصية في سجين، تحت الملك الحامل للأرض السَّابعة، وبينك وبينه أربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة، ومثال عامل الطاعة في عليين، فوق فلك البروج، وبينك وبينه ثمانية آلاف سنة.

۞[سبب تصوير المنكرين في الدنيا بصورة الإنسان]:

وإنَّما كانت في الدُّنيا صور المنافقين والكفار صور الإنسان؛ لأنهم أجابوا بألسنتهم خاصة، التي هي أدنى آلات المدارك والتبليغ.

فإذا كان يوم القيامة، وانتقل الخلق عن الدنيا؛ تخلَّف عنهم ما ينسب إليها، فتسلب عنهم الصُّورة الإنسانية، وتظهر صورهم الحقيقية، التي هم عليها في نفس الأمر وفي الواقع؛ لأنَّ كلَّ شيء يرجع إلى أصله.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٦.

وهؤلاء -أعني: الكفار والمنافقين، الذين أنكروا من بعد ما تبين لهم الهدى- حين قال لهم: ﴿أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[١]؟. قالوا: بلى. فخلق صورهم الظاهرة من صورة الإجابة، وهي الصُّورة الإنسانية الظاهرية.

وحين قال لهم: ومحمد نبيكم؟. سكتوا، حيث ظنُّوا[٢] أنه تعالى ما أراد بذلك خصوص طاعته، بل انتقل منها إلى طاعة رسول الله ﷺ، والرَّسول لَه ولاية ما، إلا أنَّه مُبلِّغ، فيرجع أمره وطاعته إلى الخالق سُبحانه، ولكن لَه تفضل، كما حكى الله في كتابه بقوله: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[٣].

فسكتوا، ليعلمُوا ما يستقر طلبه عليه، فإنْ انتَهى إلى المبلِّغ، ربما يهون الأمر عليهم، فيتداركوا الإجابة، وإن تعدَّى طلبه إلى أعظم من ذلك أنكروا الكل؛ لأنه يكون أسهل من أن يكون بعد الإقرار بالكل.

فلمَّا قال لهم: وعلي وليكم؟.

أنكروا، وقالوا: قد رضينا بما طلب منَّا أوَّلاً، حتى توصَّل به إلى أن يُولِّي علينا من يعمل بنا ما يراه فينا من الرَّأي، ونحن لا نرضى بذلك أبداً.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) في بعض النُّسخ: (حين ظنُّوا).

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٢٤.

فحكم عليهم بإنكارهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[1].

۞[القسم الثّالث: المستضعفون، وأصنافهم]:

قلتُ: (وَمِنْهُم مَنْ قَالَهَا بِلِسَانِه، وَقَلْبُهُ وَاقِفٌ، لَمْ يَقِرّ وَلَمْ يَجْحَد، وَهَؤُلَاء خَلَقَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الصُّوْرَةِ الإِنْسَانِيَّة ظَاهِراً؛ لِإِقْرَارِ أَلْسِنَتِهِم، وَلَمْ يَخْلُقْ بَوَاطِنَهُم حَتَّى يَقِرُّوْا أَوْ يَجْحَدُوْا، فَخَلَقَهُم مِنْ حَالِهِم.

وَهُمْ مُخْتَلِفُوْنَ، مِنْهُم فِي الدُّنْيَا، وَمِنْهُم فِي البَرْزَخِ، وَمِنْهُم فِي الآخِرَةِ، فَمَنْ خَلَقَ بَاطِنَهُ إِنْسَاناً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ خَلَقَ غَيْرَ ذَلِكَ دَخَلَ فِي النَّارِ).

أقول: هؤلاء هم القسم الثالث، وهم الذين لم يقرُّوا بقلوبهم ولم يجحدوا، سواء أجابوا عن غير معرفة بالكل، أم أجابوا بالبعض عن غير معرفة، إلا أنهم مجتمعون على وقف قلوبهم، وهؤلاء عرضت لهم موانع في طينتهم، وهذه الموانع العارضة لها هي عوارضها الذاتية والفعلية والنسبية.

وهذه العوارض مختلفة في الشِّدة والضَّعف:

فمنهم من موانعه ضعيفة، فتضمحل في الدنيا، فيقر في الدنيا بقلبه، ويلحق بالسَّابقين، أو ينكر في الدنيا به، ويلحق بأضدادهم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

ومنهم من موانعه متوسطة في القوة والضعف، فيقر بقلبه في البرزخ، أو ينكر ويلحق كل بنوعه.

ومنهم من موانعه شديدة، فيلهى عنه إلى يوم القيامة، حتى تأخذ الأرض ما فيه من موانعه، مع ما تعلقت به من الأجسام الظاهرية والتعليمية، فيجدِّد لَه الخطاب التكليفي، بمعنى: أنه يقع عليه، لا بمعنى: أنه انقطع واضمحل ثم حدث، بل لأنه بقي بعد انقطاع المكلفين على انبعاثه فلم يظهر؛ لعدم وجود مظهر يتعلق به.

فلمَّا قامت القيامة، ووجد المكلفون وهم الذين لم يتعقَّلوا الخطاب إلا بظواهرهم، إذ لا بواطن لهم، وحينئذٍ زالت عنهم الحجب المانعة، وقع عليهم الخطاب الذي لم تظهر صورته في الدنيا؛ لعدم وجود القابل، ولوجود المانع، فلمَّا زال المانع وجد القابل، ولَمَّا وُجد القابل وُجد المقبول، فإمَّا مؤمن، وإمَّا كافر.

وقولي: (فخلقهم من حالهم)، أي: خلقهم من الحال التي وقع عليهم فيها السُّؤال، وهي إجابتهم بألسنتهم، لاضطرارهم إلى الإيجاد، فإذا كان يوم القيامة وأجاب منهم أحد بقلبه؛ خلق الله باطنه بإجابته إنساناً، فكان مع المؤمنين، فدخل الجنة، ومن أنكر منهم بقلبه، خلق الله باطنه بإنكاره شيطاناً أو حيواناً، فكان مع الكافرين فدخل النار.

۞[إن الله خلق الصُّورة والطينة وهي الأم على ما اختاروه]:

قلتُ: (**فَهَذِه الصُّوْرَةُ الَّتِي خُلِقَتْ مِنَ الإِجَابَةِ أَوْ الإِنْكَارِ هِيَ الطِّيْنَةُ، وَهِيَ الأُمُّ الَّتِي يَسْعَدُ فِي بَطْنِهَا مَنْ سَعُدَ، وَيْشَقَى فِي بَطْنِهَا مَنْ شَقِيَ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَهُم بِالطِّيْنَةِ الطَّيِّبَةِ؛ الَّتِي هِيَ الإِجَابَةُ، وَالطِّيْنَةِ الخَبِيْثَةِ؛ الَّتِي هِيَ الإِنْكَارُ.**

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلُقُهُم إِلَّا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَلَوْ خَلَقَهُم عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَكُوْنُوْا إِيَّاهُم، بَلْ كَانُوْا غَيْرهم).

أقول: يعني أنَّ الصُّورة التي خلقهم فيها ومنها وعليها هي الطينة التي خلق الله تعالى المسؤلين منها، فالإجابة لدعوة الله ﷻ هي الطينة الطيبة، التي خلق الله المؤمنين منها، وأقامهم فيها، وأقرَّهم عليها؛ لِمَيلهم إليها، والإنكار لِمَا دعى إليه هو الطينة الخبيثة، التي خلق الكافرين منها، وأقامهم فيها لمحبتهم لها، وأقرهم عليها لميلهم إليها.

والصُّورة -كما تقدَّم-: هي الأم، كما قال ﷺ: **«السَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»**(١)، إذ الأم هي الصُّورة؛ لأنها هي صورة عمله، لأنه ﷻ لا يخلق الخلق إلا على ما هم

---

(١) تفسيرالقمي، ج: ١، ص: ٢٢٧. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٣٥. الزهد، ص: ١٤. التوحيد، ص: ٣٥٦. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٥.

عليه، والذي هم عليه عملهم ووصفهم، وهو سُبحانه ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ولأجل أنه تعالى لا يخلقهم إلا على عملهم الاختياري، كما قال: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾(٢)، خلقهم على ما هم عليه، ولو خلقهم على غير ما هم عليه -أعني: بغير أعمالهم- لَمَا كانوا إياهم، بل يكونون غيرهم؛ لأنَّ صورهم غير صورهم، بل هي صور غيرهم، فهم غيرهم.

كما لو خلق السَّعيد بصورة الشَّقي، والشَّقي بصورة السَّعيد؛ لم يكن السَّعيد سعيداً، والشَّقي شقياً، حيث أثبت للسَّعيد الشقاوة، وللشَّقي السَّعادة، فيمتنع الإيجاد لعدم جريانه على مقتضى الحكمة، ولجريان عدمه حينئذٍ على مقتضى الحكمة.

والصُّنع على غير مقتضى الحكمة؛ إنما يكون للحاجة إليه، أو الظلم، وإذا انتفيا عن الغني المطلق ﷻ لم يحسن الإيجاد إلا على خلقهم على ما هم عليه، لا على غير ما هم عليه.

۞ [لا تنافي في خلق الله للمكلَّفين]:

قلتُ: (وَلَوْ لَمْ يَقْبَلُوْا وَخَلَقَهُم مِنَ الإِنْكَارِ، وَجَعَلَ لَهُمْ مَا جَعَلَ لِلمُقِرِّيْنَ؛ لَوَقَعَ التَّنَافِي فِي خَلْقِهِم، وَخَلْقِهِ إِيَّاهُم؛ لِأَنَّ خَلْقَهُم كَمَا هُمْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

مُنَاف لجَعْلهم كَالْمطِيْعِيْنَ، وَجَعْلُهُم كَالْمطِيْعِيْنَ مُنَاف لخَلْقه كَمَا هُــمْ، وَخَلْقُهُ كَمَا هُمْ مُنَافٍ لِخَلْقه لَهُم لَيْس كَمَا هُمْ، ﴿وَلَوِ اتَّبَــعَ الْحَــقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيْهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِــذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾[١]).

أقول: هذا من نحو ما ذكرنا قبله من البيان، وإن كان فرضاً آخر؛ لأنَّ الأوَّل راجع إلى الخلق الأوَّل، وهذا إلى الخلق الثاني، وهو أنه تعالى لو خلقهم من الإنكار لإنكارهم، وعدم قبولهم، وجعل لهــم مـــن الجـــزاء الوجودي والتَّشريعي ما جعل للمقرِّين[٢] من الجزآءين؛ لوقع التَّنـــافي في خلقهم، المقتضي لعدم خلقهم، إمَّا لكونهم غيرهم، وإما لكونهم إياهم لا إيَّاهم.

ووقع التنافي أيضاً في خلقه إيَّاهم الذي هو فعله، فيكون فاعلاً لهــم غير فاعل لهم، أمَّا كونه فاعلاً؛ فلفرض كونه فاعلاً لهم، وأمَّا كونه غــير فاعل لهم؛ فَلغنَاه عن الظلم والحاجة، فلا يصدر عنه ما يخالف الحكمــة، وفي خلقه إياهم، أي: في الصُّنع المتعلّق بإيجادهم حــين إيجــادهم؛ لأنَّ خلقهم كما هم أن يخلقهم بما أجابوا به دعوته من الإنكار والجحود.

وهذا منافٍ لجعلهم كالمطيعين، وجعلهم كالمطيعين منـــاف لخلقـــه كما هم، وخلقه كما هم مناف لخلقه ليس كما هم -كما تقدَّم- فيقع

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٢) في بعض النُّسخ: (ما جعل للمقرنين).

التنافي في الفعل والمفعول، قال الله سُبحانه: **﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾**(١).

يعني: لو جرى فعل الله على شهوة كل واحد؛ لأراد شخص دوران الفلك سَريعاً ليذهب الليل والنَّهار على حسب شؤونه، وأراد شخص أن يلبث ليبقى الليل والنهار على حسب شؤونه، وأراد آخر أن يكون الأطول هو الليل، والأقصر هو النَّهار، أو لا يكون نهار أصلاً، وأراد آخر بالعكس، وأراد شخص أن يمطر على الأرض في الليل، وينبت في النهار، وأراد عدوه العكس.. وهكذا، فتفسد السَّماوات والأرض.

ولو أراد شخص أن يضعف ضده وعدوُّه، أو يهلكان، وأراد أن يضعف هو أو يهلك؛ فيفسد من فيهن؛ لأنَّه إن اتَّبع التكوين وما يتوقف عليه من الحق عليه إرادة واحد دون آخر؛ لزم التَّرجيح بلا مرجِّح، وإن اتبع إرادات جميع الخلق، وهي مختلفة؛ لزم ما ذكرنا وأمثاله.

فردَّ سُبحانه عليهم بما فيه الحق الذي به قوامهم وقوام نظامهم، فقال: **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾**(٢)، أي: بما ذكرناهم، أو بما ذكرونا به من السُّؤال قوابلهم من كونهم مذكورين بما هم عليه، أو ذاكرين لِمَا هم عليه، يعني: أتيناهم بما هم عليه من التكوينات الوجودية وتشريعاتها، ومن التشريعيات الكونية ووجوداتها.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم﴾، أي: عن ذكرنا إياهم بما هم عليه، وما يقتضي من التَّكليفات، وعن ذكرهم إيانا بسؤالهم بقوابلهم لِمَا هم عليه، وما يقتضي ذلك من التكاليف، وعن شرفهم وتشريفنا إياهم بما فيه نجاتهم مما يكرهون، وفوزهم بما يريدون ويطلبون، ولكنهم لا يعلمون.

﴿مُّعْرِضُونَ﴾، يعني: عن ذكرنا لهم بما هم عليه مما فيه فوزهم بما يحبون، وعن ذكرهم أنفسهم بما يشتهون، وهم لا يعلمون؛ لأنهم يشتهون ما تشتهيه أنفسهم، والذي ما تشتهيه أنفسهم[1] على الحقيقة هو ما آتيناهم به، وذكّرناهم به، وأمَّا ما يشتهون الآن ليس شهوة لأنفسهم في نفس الأمر، وإنما زُيِّن لهم بإغواء الشيطان، حتى توهموا أنَّه مطلوبٌ حسنٌ، وهو قبيح.

انظر مثلاً إلى الزِّنا؛ فإنه في نفس الأمر ليس حَسناً، بل هو قبيح، وكيف زيَّنه إبليس عند الزَّاني، وإذا أردت أن تعرف قبحه؛ فافرض وقوعه من الأجنبي بأحد من محارمك لتعرف قبحه.

وفي الآية أسرار يطول في ذكرها الكلام.

۞[للجنَّة ولا أبالي، وللنار ولا أبالي]:

قلتُ: (فَهَذَا هُوَ الخَلْقُ الثَّانِي، تَحْتَ النُّوْرِ الأَخْضَرِ، فِي عَالَمِ الأَظِلَّةِ، فِي وَرَقِ الآسِ، فَكَانُوْا فِي الذَّرِّ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: «لِلْجَنَّةِ وَلَا

(١) في بعض النُّسخ: (والذي تشتهي أنفسهم).

أُبَالِي، وَلِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي»[١]**، ثُمَّ كَسَرَهُم**[٢] **فِي النُّوْرِ الأَحْمَرِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عليه السلام: «ثُمَّ رَجَعَهُم إِلَى الطِّيْنِ»، أَيْ: إِلَى طِيْنِ الطَّبِيْعَةِ).**

أقول: يعني أنَّ ما تقدَّم من ذكر **﴿أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾**[٣].. إلى آخره هو الخلق الثاني، وهو الخلق الذي ألبسهم فيه الصُّور الشَّخصيَّة، التي تمايزوا بها وتميَّزوا؛ لأنَّ الخلق الأوَّل الذي هو المادَّة والصُّورة النوعيتان، اللتان هما بمنْزلة المداد للكتابة فيه أيضاً تكليف بشرع وجودي، والخلق فيه مكلَّفون به، ولكنه في المبادئ مخفي على أذهان المكلفين إدراكه، فوجب أن يخفى عليهم التكليف به، وإلا لكان عندهم تكليفاً بما لا يُطاق.

ولكنه تعالى حيث أجرى حكمته بإخفائه عليهم؛ لأنه من المبادئ الوجودية؛ أخفى التكليف المترتب عليه، وإذا كشف للمكلَّفين عن أبصارهم الأغطية وجدو الطينة، أي: الصُّورة، ووجدو الرُّسل عليهم

---

(١) عَنْ حَبِيبِ السِّجِسْتَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: **«إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَمَّا أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ عليه السلام مِنْ ظَهْرِهِ لِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَبِالنُّبُوَّةِ لِكُلِّ نَبِيٍّ..قال عز وجل: إِنَّمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُون، وَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَبَدَنِي مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي، وَخَلَقْتُ النَّارَ لِمَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي وَلَمْ يَتَّبِعْ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي..»**.[الكافي، ج: ٢، ص: ٩. الاختصاص، ص: ٣٣٢-٣٣٣. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٠-١١. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٢٦].

(٢) في متن الفوائد: (ثُمَّ كَثَّرَهُم).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

تترى بتلك التكاليف، ويجري عليهم ما لهم وعليهم؛ **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**[(١)].

ثم أخذ من الخلق الأوّل للخلق الثاني حصصاً متساوية في الصُّلوح للإجابة والإنكار، فأمرها ونهاها، فخلقهم منها بذلك الأمر والنهي فيما شاء، وهذا هو الخلق الثاني.

وقد كانت الخلائق المكلّفون تحت النُّور الأخضر، والنُّور الأخضر هو اللّوح المحفوظ، والنفس الكلية، وهي سدرة المنتهى، وشجرة طوبى، والخلائق أوراقها، والأوراق تحت الشجرة في الرُّتبة.

وهذا معنى: كونهم تحت النور الأخضر؛ لأنه هو الشجرة، وهم الأوراق في عالم الأظلة، كما ترى ظلك في الشّمس في ورق الآس؛ لأنهم قبل أن يشملهم التكليف أوراق في النور الأصفر، وهو الرُّوح الكلية على هيئة ورق الآس، وذلك لأنهم باعتبار تساوي وجهات وجوههم إلى مبدأ لا جهة لَه؛ توجَّهوا إليه من كلِّ جهة، فكانوا على هيئة الدائرة؛ لتساوي جهاهم وتوجهاهم إلى كلِّ جهة، وهذا في النُّور الأبيض، الذي هو في أوَّل الدَّهر، وهو العقل الكلي.

فلمَّا نزلوا إلى النُّور الأصفر؛ كانت أعاليهم متوجهة إلى العقل في الجهة العليا، وأسافلهم مرتبطة بالنور الأصفر والروح الكلية، فكانت أعاليهم ألطف وأدق من أسافلهم؛ لقربها من العقل والنور الأبيض،

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

وأسافلهم أغلظ وأكثف؛ لقربها من النُّور الأصفر، الذي هو الرُّوح، فانجذبت أعاليها إلى العالي، وأسافلها متعلقة بالأسفل، فامتدت كالأوراق، فكانت أعاليها أدقُّ وأرقُّ للطافتها ودقتها[1]، وكانت أسافلها أعرض وأغلظ لكثافتها وغلظتها، فكانت في هيئتها أشبه الأشياء بورق الآس المعروف، فأطلقوا عليها ورق الآس، فلمَّا نزلت إلى رتبة النَّفس تم تمايزها تحت النفس.

وقولي: (فكانوا في الذَّر)، يعني: بعد أن قال لهم: ألست بربكم؟، ومحمد نبيكم؟، وعلي وليكم؟. بعد النُّور الأخضر، أعني: اللَّوح؛ لأنه هو الشَّجرة، وهم أوراقها، فحقَّت عليهم الكلمة.

فقال للمجيبين: **«لِلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي»**، وقال للمنكرين: **«لِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي»**، أي: خَلَقْتُ أهل الجنة بإجابتهم للجنة ولا أبالي، بعد أنْ قبلوا مني ما دعوهم إليه مختارين، وخلقتُ أهل النار بإنكارهم للنار ولا أبالي، بعد ما أنْ أنكروا ما دعوهم إليه مختارين.

ثم كسَرهم في النُّور الأحمر في مدَّة أربع مئة سنة، بعد أنْ ما جاءهم الخطاب بـ: (أَ لست بربكم؟) في خمسين ألف سنة، والنُّور الأحمر نور الطبيعة؛ لأنهم بعد أن تمَّ خلق صورهم في خمسين ألف سنة تمايزت أجزاؤهم، فكان أبيض الشَّخص منهم غير أسوده، ورطبه غير يابسه، وحارُّه غير بارده.

---

(١) في بعض النُّسخ: (أدقُّ وأقبُّ للطافتها ورقَّتها).

فلمَّا كلَّفهم، وأجاب من أجاب، وأنكر من أنكر؛ كسرهم في النُّور الأحمر -يعني: أذاهم- فكانوا طيناً صَلْصَالاً، وطبيعة ذائبة، قد تساوت فيه الأجزاء كلها على طبيعة واحدة، حارة وباردة، ويابسة ورطبة، ولذوباها وامتزاجها بعضها في بعض في مدة أربع مئة سنة؛ لأنه تعالى خلقهم من عشر قبضات، وكلُّ قبضة يتمُّ كسرها في أربعين سنة، في أربعة أدوارها، كل دورة في عشرين سنة؛ لانتساب كل دور إلى العشرة.

فصار لكلِّ دور نسبة هي رتبته من الوجود، اشتملت على الفصول الأربعة مثالها واحد من القبضات، هو القلب من محدَّد الجهات، وتمَّت تلك القبضة في أربعة أدوار، دور عناصرها، ودور معادنها، ودور نباتها، ودور حَيوانها، كل دور من هذه الأربعة ينتسب إلى كلِّ قبضة من القبضات العشر، برتبة من مراتب الوجود.

والرتبة تتمُّ في الفصول الأربعة، فتكون سنة، فكل دور لَه سنة في نسبته إلى كل قبضة، فله عشر سنين، فتتمُّ قبضة القلب في أربعين سنة، إذا أردت تحليل أدوارها الأربعة من القبضات العشر، فيكون جميع تحليل الشخص الواحد الجوهري بعد تركيبه تحت النُّور الأخضر، وتكليفه في عالم الذَّر أربع مئة سنة، حتى تكون تلك الجواهر المتمائزة المشخصة طيناً صلصالاً، أو حمأ مسنوناً، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1].

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

وهذا الطِّين: هو طين الطبيعة، الذي يجمد ويكون مادَّة، لا الطين الذي وردت الأخبار فيه أنه مَنشَأ السَّعادة والشَّقاوة؛ لأنَّ المراد به الصُّورة التي هي صورة الإجابة، وصورة الإنكار حين قال تعالى لهم: **﴿أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾**[١]، فأخبار الطينة التي وردت وحصل فيها[٢] لكثير من الناس الإشكال، واردة في الطينة التي هي صورة الإجابة والإنكار.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) في بعض النُّسخ: (وتحصَّل فيها).

شرح

الفائدة الثّامنة

أَجْزَاء المُحْدَثِ عَلَى جِهَةِ الإِجْمَالِ



قلتُ:

(الفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ
[أَجْزَاء الُمحْدَثِ عَلَى جِهَةِ الإِجْمَالِ]

كُلُّ شَيْءٍ لَا يُجَاوِزُ وَقْتَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُوْجَدْ إِلَّا فِيْه، وَلَا ذِكْرَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذِي وَقْتٍ فَوَقْتُهُ مُسَاوِقٌ لِمَكَانِه وَكَوْنِهِ، لِأَنَّ الوَقْتَ وَالمَكَانَ وَالكَوْنَ مُتَسَاوِقَة، إِذْ كُلُّ وَاحِدٍ شَرْطٌ لِلآخَرِ.

وَكَذَا بَاقِي الُمعَيَّنَاتِ وَالُمشَخَّصَاتِ، فَيَلْزَمُهَا التَّضَايُفُ، كَالَمشِيْئَةِ وَالسَّرْمَدِ، وَكُلُّ الإِمْكَانِ، وَكَالعَقْلِ الأَوَّلِ وَالدَّهْرِ، وَكُلُّ الُممْكِنِ، وَكَالجِسْمِ وَالزَّمَانِ وَالَمكَانِ).

۞[بيان أجزاء الصُّورة]:

أقول: في هذه الفائدة أشرنا إلى أجزاء المحدث على جهة الإجمال، فإنَّ منها ما هو أجزاء للمادَّة، ومنها ما هو أجزاء للصُّورة، وأشرنا إلى مجملات تفصيل كلِّ شيء من هذا النوع؛ لِمَن عرف ما ذكرنا.

فقولنا: (كلُّ شيء لا يجاوز وقته)، فيه إشارة إلى بيان أجزاء الصُّورة، سواء كانت الأولى النوعية، أم الثانية الشَّخصية، يعني: أنَّ الشَّيء من مقومات وجوده الوقت؛ لأنَّه حدٌّ من حدود الماهية، التي هي قبوله

للإيجاد؛ ولأنه لو وُجد قبله أو بعده لَمَا كان وقتاً لَه، ولَمَا كان موقّتاً لو لم يوجد في غيره، وَما لم يكن موقّتاً ليس مصنوعاً، إذ المصنوع لم يكن قبل الصُّنع شيئاً، وإذا أخذ فاعله في صنعه؛ كان في وقت لا محالة، فالشَّيء لا يُوجد إلا في وقته.

وإذا كان كذلك، لم يخبر أن يجري لَه ذكر قبل ذلك؛ لاستلزام الذكر الوجود، فإمَّا أن يكون الذكر في وقت، أو لا في وقت، ويأتي الكلام المتقدِّم.

وعلى كونه لا يوجد إلا في وقته[1]؛ يجب أن يكون مساوقاً لكونه، أي: وجوده ومكانه، والكلام في المكان كالكلام في الوقت، وكل واحد من الثلاثة لازم للآخرين، ومساوق لهما، حيث كان كل واحد شرطاً للآخرين.

وباقي المشخصات، كالكمِّ والكيف، والجهة والرتبة، والوضع والنسبة، والإذن والأجل والكتاب.. وما أشبه ذلك، مثل الوقت والمكان، في كونها شرطاً ومشروطاً، فيلزمها ما ذكرنا في الوقت والمكان، ويلزم الكلُّ التَّضايف والتَّساوق.

وهو معنى المعيَّة، وذلك كالمشيئة والسَّرمد، الذي هو وقت المشيئة، ومعناه: الوقت الغير المتناهي، لا الوقت الممتد بين الأزل والأبد، كما هو مذهب أكثر المتكلمين، فإنه باطل، إذ ليس بين الأزل والأبد امتداد؛ لأنَّ

---

(١) في بعض النُّسخ: (إلا في وقت).

الأزل هو الأبد، وليس بين الشيء ونفسه امتداد وكل الإمكان، فإنه هو مكان المشيئة.

وإنما قلنا: (كلُّ الإمكان)؛ لأنَّ الإمكان منه ما لبس حلة الكون وسينْزعها، ومنه ما لا ينْزعها، ومنه ما لم يلبس، وكلها متعلق المشيئة ومحلُّها.

والمراد بالمشيئة: ما هو أعم من الإمكانية والكونية؛ لأنها ليست اثنتين، وإنما هي واحدة تعلَّقت بالإمكان، وتقوَّمت به، وقد تتعلَّق بالأكوان، وإذا تعلَّقت بالأكوان لم تخرج عن تعلُّقها بالإمكان.

فلذا قلنا: (كالمشيئة والسَّرمد وكل الإمكان)، يعني: ما نزع وما لبس وما لم يلبس، فيكون المراد: أنَّ المشيئة يلزمها الوقت والمكان؛ لأنهما المقومان لها، وهي مقوِّمة لهما، وإحداهما مقوِّمٌ للآخر، فيلزم الثلاثة التساوق والتضايف.. كما مرَّ.

وكالعقل الأوَّل، أعني: العقل الكلِّي، لا أنَّا نقول بـــ(العقول العشرة)، بل المراد: العقل الكل[1] والدَّهر، وكل الممكن، فإنَّ هذه الثلاثة أيضاً متساوقة، كل واحد يتقوَّم بالآخر.. كما مرَّ.

وأردنا: (بكلِّ الممكن)؛ أنَّ الممكنات المكونات كلها محل العقل، ومتقوِّمة به، والدَّهر وقته كذلك.

ومعنى كون الممكنات كلها متقوِّمة به، أنه وجه الأمر الذي به قام

---

(١) في بعض النُّسخ: (عقل الكلِّ).

كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[1]، وقال عليه السلام في الدُّعاء: «كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ»[2]، وكالجسم والزَّمان والمكان، فإنَّ كلَّ واحدٍ منها شرط لتقوُّم الآخرين، فتلزمها المساوقة والمعيَّة.

ومن قال: (بأن الأجسام لا يمكن أن توجد إلا بعد وجود المكان والزمان قبلها)، فقد جهل حقائقها، إذ لو وجد الزَّمان قبل الأجسام؛ جاز أن يكون ظرفاً، لا حالٌ فيه، وكذا المكان، وقبل الأجسام ليس إلا المجرَّدات، فإن كانت حالَّة فيهما كانا ظرفين لها، ولم يكونا ظرفين للأجسام، وإن لم يكونا ظرفين للمجردات، وكانا موجودين قبل الأجسام، كانا فارغين، وذلك ممتنع؛ إذ كونهما ظرفين للمجرَّدات ممتنع، إذ لا يشغلهما المجرَّدات.

وكونهما فارغين أيضاً ممتنع، إذ الظرف لا يوجد فارغاً، فيلزم الخلاء في المكان وفي الزمان، أمَّا في المكان فظاهر، وأمَّا في الزَّمان؛ فلأنَّ الزَّمان ظرف لِامْتداد الحال فيه، وإذا لم يحل فيه شيء لم يكن ظرفاً لامتداد نفسه، فافهم.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٢) من دعاء يوم السَّبت، راجع: مصباح المتهجد، ص: ٤٣١. البلد الأمين، ص: ٩٧. بحار الأنوار، ج: ٨٧، ص: ١٤٨.

۞[مراتب المشيئة وظرفاها في كلّ مرتبة بنسبتها]:

قلتُ: (وَمَرَاتِبُ المَشِيئَة -كَمَا مَرَّ- أَرْبَعٌ، وَالسَّرْمَدُ وَالإِمْكَانُ يَكُوْنُ كُلٌّ وَاحِد مِنْهُمَا فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الأَرْبَعِ بِنِسْبَتِهَا، فَلِلرَّحْمَة بِالسَّرْمَد وَالإِمْكَان رُتْبَةُ الذَّات مِنَ الشَّجَرَة وَلِلأَلِف بِهِمَا رُتْبَةُ الأَصْلِ مِنَ الشَّجَرَة، وَلِلسَّحَابِ المُزْجَى، أَيْ: الحُرُوْف بِهِمَا رُتْبَةُ الفَرْعِ مِنَ الشَّجَرَة، وَلِلسَّحَابِ المُتَرَاكِمِ، أَيْ: الكَلِمَة بِهِمَا رُتْبَةُ الكُلِّ مِنَ الشَّجَرَة).

أقول: ومراتب المشيئة -كما مَرَّ- أربع: النقطة، والألف، والحروف، والكلمة التامة. وظرفاها: السَّرمد والإمكان، يكونان في كل مرتبة بنسبتها، كالزمان والمكان، يكونان في الأجسام في كل مرتبة بنسبتها، فمكان محدَّب محدّد الجهات وزمانه لطيفان جداً، حتى يكادان يلحقان بعالم المثال؛ لأنَّ الحال فيهما هو محدَّب محدّد الجهات كذلك.

ومكان فلك البروج وزمانه دون كونهما ظرفين لمحدّد الجهات في اللَّطافة والرِّقَّة والشَّفافية، وهما في السَّماوات السَّبع دون كونهما ظرفين لفلك البروج كذلك، وهما في العناصر دون كونهما ظرفين للسماوات السَّبع كذلك، فكذلك في مراتب المشيئة الأربع بنحو هذه النسبة.

فالسَّرمد والإمكان في النُّقطة في غاية الرُّجحان، حتى يكاد أن يتحقَّق قبل التحقيق، وفي اللطافة والرقة ما لا يكاد يوجد إلى معرفته طريق، وهما في الألف المسمى بالنَّفس الرحماني الأولي، وبالألف الأول،

والرياح، دون كونهما ظرفين للنقطة، التي هي الرحمة في اللطافة والرقة والتحقق، وهما في الحروف دون كونهما ظرفين للألف، المسمى بالنفس الرحماني، وبالرياح كذلك، وهما في الكلمة الكلية دون كونهما ظرفين للحروف كذلك.

واعلم أنَّك إذا أردت تصور المراتب الأربع التي تنسبها إلى المشيئة مع ما هي عليه من الوحدة والبساطة؛ فاعتبر الشَّجرة، مع أنها واحدة، فإنَّ لها أربع مراتب: رتبة الذات، ورتبة الأصل، ورتبة الفرع، ورتبة الكل. فإذا قابلت المشيئة بها؛ عرفت معنى المراتب.

فللرحمة التي هي النقطة، وهي أول مراتب المشيئة في اعتبار الفؤاد بالسَّرمد والإمكان، أي: فللرحمة من النسبة التمثيلية بالسرمد، والإمكان مصحوبة لهما؛ لكونهما ظرفين لها، ومقوِّمين لها، لأنهما من حدود قابليتها لإيجادها بنفسها نسبة رتبة ذات الشجرة من الشجرة.

وللألف بهما في نسبة رتبته إلى المشيئة نسبة رتبة الأصل، أي: أصل الشجرة من الشجرة.

وللسَّحاب المزجى بهما، أعني: الحروف في نسبة رتبته إلى المشيئة نسبة رتبة فرع الشجرة من الشجرة.

وللسَّحاب المتراكم بهما، أي: الكلمة التامة بعد تكونها بنفسها من الحروف، التي هي في نسبة رتبتها إلى المشيئة نسبة رتبة كل الشجرة من الشجرة، ونسبة كل مرتبة من السَّرمد والإمكان نسبة إلى كل رتبة منها نسبة كل منها إلى كلها.

۞[نسبة السَّرمد والإمكان إلى المشيئة]:

قلتُ: (فَنِسبَةُ السَّرْمَدِ وَالإِمْكَانِ إِلَى المَشِيْئَةِ بِجَمِيْعِ مَرَاتِبِهَا؛ كَنِسْبَةِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ إِلَى مُحَدَّبِ مُحَدّدِ الجِهَاتِ، يَعْنِي: نِهَايَةَ المُسَاوَقَةِ بِلَا حِوَايَةٍ غَيْرِ المُسَاوَقَةِ، إِذْ المُسَاوَقَةُ هِيَ التَّحَاوِي، لَا مُطْلَق الحِوَايَة).

أقول: و(نسبة السَّرمد والإمكان إلى المشيئة)؛ تفريعٌ على ما سبق، وبيان لَه، يعني: أنَّ نسبة السَّرمد والإمكان إلى المشيئة بجميع مراتبها الأربع؛ نسبة الزَّمان والمكان إلى محدَّب محدّد الجهات.

وذلك لأنَّ المشيئة وإن اختلفت مراتبها وتعدَّدت في الاعتبار، بالنظر إلى أحوال آثارها، لكنها في نفسها وفي نفس الأمر في كمال البساطة الإمكانية، التي ليس وراءها رتبة في الإمكان مطلقاً، بخلاف محدّد الجهات، فإنه وإن كان بسيطاً في كمال البساطة الجسمانية، إلا أنَّ محدَّبه هو المجرَّد عن الرتبة والمكان، فالمناسبة التامة إنما تكون بين المشيئة وبين محدَّبه، لا بينها وبين كلِّه.

والمراد من نسبة السَّرمد والإمكان إلى المشيئة، ونسبة الزَّمان والمكان إلى محدَّب محدّد الجهات: هو نهاية المساوقة وكمالها، بلا حواية غير المساوقة، يعني: أنَّ الحواية قد تكون مع المساوقة كما قلنا، فإنَّ السَّرمد مساوق للمشيئة وحاوٍ لها، وكذا المشيئة مساوقة للسَّرمد وحاوية لَه، وكذا الإمكان بالنسبة إلى كل واحد منهما، وبالنسبة من

كل منهما إليه.

وقد تكون الحواية؛ حواية الظَّرف للمظروف، كحواية الكوز للماء، وهذه حواية بلا مُساوقة، وهذه الحواية لم نردها فيما نحن بصدده، وإنما نريد الحواية التي هي المساوقة، فإنَّ المساوق للشيء المتقوم به يكون حاوياً لَه ومحويّاً لَه باعتبارين.

فلذا قلنا: (إذ المساوقة للشَّيء هي التَّحاوي)، يعني: أنَّ كلّاً من المساوقين حاوٍ للآخر، ولا نريد مطلق الحواية، التي تكون بكوز أحداهما حاوياً للآخر ولا عكس، كالكوز؛ فإنه حاوٍ للماء ولا عكس.

۞[للعقل الأوَّل في أكواره ما للمشيئة]:

قلتُ: (وَللعَقلِ الأوَّلِ فِي أَكْوَارِهِ الأَرْبَعَةِ بالدَّهْرِ وَالُمْكِنِ مَا للمَشيْئَةِ بِالسَّرْمَدِ وَالإِمْكَانِ، وَمَا لَهُمَا مِنَ الُمسَاوَقَةِ وَالتَّحَاوِي، وَللجِسْمِ فِي أَدْوَارِهِ الأَرْبَعَةِ بِالزَّمَانِ وَالَمكَانِ مَا ذَكَرْنَا سَابِقاً حَرْفاً بِحَرْف.

وَكَذَا فِي الُمسَاوَقَةِ، أَيْ: التَّحَاوِي، يَعْنِي: أَنَّ الجِسْمَ حَاوٍ لِلزَّمَانِ وَالَمكَانِ، لَا يَخْرجُ مِنهُمَا عَنْهُ شَيْء، وَالزَّمَان حَاوٍ لِلجِسْمِ وَالَمكَان[1]، لَا يَخرجُ مِنْهُمَا عَنْهُ شَيْء، وَالَمكَان حَاوٍ للجِسْمِ وَالزَّمَان، لَا يَخرج مِنْهُمَا عَنْهُ شَيْء، وَذَلِكَ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيهِ فِي الَمشيْئَةِ وَفِي العَقْلِ حَرْفاً بِحَرْفٍ).

---

(١) في متن الفوائد وردت كلمة: (وَالزَّمَان)، بدل كلمة: (وَالَمكَان).

أقول: للعقل الأوَّل -يعني: عقل الكل- في أكواره الأربعة مصحوباً بالدَّهر والممكن بالمشيئة مصحوباً بالسَّرمد والإمكان.. إلى آخر ما أشرنا إليه، ويأتي بيانه.

والمراد بالأكوار: جمع كور، وهو إدارة الشيء[1] على شيء.

وأصل ذلك مما قُرِّر في العلم الطبيعي، قالوا: أنه أوَّل ما خلق الله سُبحانه طبيعة الحرارة، وأصلها من الحركة الكونية، التي هي قدرة الله، وعلة العلل في الأشياء المتحركات.

ثمَّ خلق الله سُبحانه طبيعة البرودة، وأصلها من السُّكون الكوني، الذي هو قدرة الله، وعلَّة العلل في الأشياء السَّاكنات، فهذا أوَّل زوجين خلقهما الله تعالى مما قال الله تعالى: **﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[2].

ثمَّ تحرَّك الحارُّ على البارد بسِرِّ مَا أودع الله فيه من الحركة المذكورة فامتزجا، فتولَّد من الحرارة اليبوسة، وتولَّد من البرودة الرُّطوبة، فكانت أربع طبائع مفردات في جسم واحد روحاني، وهو أوَّل مزاج بسيط.

ثمَّ صعدت الحرارة بالرُّطوبة، فخلق الله منها طبيعة الحياة والأفلاك العلويات، وهبطت البرودة مع اليبوسة إلى أسفل، فخلق الله منها طبيعة الموت والأفلاك السُّفليات.

---

(١) في بعض النُّسخ: (هو إدارة شيء).

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

ثم افتقرت الأجسام المَوَات إلى أرواحها التي صعدت عنها، فأدار الله تعالى الفلك الأعلى على الأسفل دورة ثانية، فامتزجت الحرارة بالبرودة، والرُّطوبة باليبوسة، فتولّدت العناصر الأربع، وذلك أنّه حصل من مزاج الحرارة مع اليبوسة عنصر النّار، وحصل من مزاج الحرارة مع الرُّطوبة عنصر الهواء، وحصل من مزاج البرودة مع الرطوبة عنصر الماء، وحصل من مزاج البرودة مع اليبوسة عنصر الأرض، فهذا مزاج العناصر، وهو مركب لازدواج المركبات الثلاث.

ثمَّ أدار الله الفلك الأعلى على الأسفل دورة ثالثة، فتولّد النَّبات والحيوان البهيمي.

ثمَّ أدار الله الفلك الأعلى على الأسفل دورة رابعة، فتولّد الحيوان الناطق الإنساني، وهو آخر المركبات وأحسنها، وأكملها تركيباً.

هذا ما قاله الحكيم محمد بن إبراهيم الضبري، في كتابه المسمَّى بـــ(كتاب الرَّحمة، في الطِّب والحكمة) [1]، واعلم أنَّ ما ذكره فيه بعض التغييرات[2]، ونحن لسنا بصدد هذا، وإنما مرادنا بيان الأكوار والأدوار.

واعلم أنَّ الإنسان خُلق من عشر قبضات، تسع من الأفلاك التِّسعة من كل فلك قبضة، وقبضة من العناصر الأربعة، وكل قبضة تتم في أربعة أدوار: دور عناصرها، ودور معادلها، ودور نباها، ودور حياها.

وهذا جارٍ في الكلِّ في كل واحد من أجزائه، وجارٍ في الغيب

---

(١) ذكر هذا الكتاب صاحب كشف الظنون، وقال أنه: (للشيخ مهدي بن علي بن إبراهيم الصبيري اليمني، مختصر لطيف مفيد على خمسة أبواب)، ج: ١، ص: ٨٣٦.

(٢) في بعض النُّسخ: (بعض التعبيرات).

والشَّهادة؛ لأنَّ العبودية جوهرة كنهها الرُّبوبية، كما تقدَّم.

فبعضهم اصطلح على تسمية الأدوار الأربعة إذا كانت في المجرَّدات بتسميتها أكواراً، وفي الأجسام بتسميتها أدواراً، وبعضهم في اصطلاحه عكس التَّسمية، ونحن قد جرينا في اصطلاحنا على الاصطلاح الأوَّل، فلذا قلتُ: (وللعقل الأوَّل في أكواره الأربعة)، وقلتُ بَعْدُ: (وللجسم في أدواره الأربعة).

وأريد بأكواره الأربعة: أنَّ الله سُبحانه أوَّل ما خلق منه أن خلق عناصره من تكرير طبائعه بعضها على بعض، ثم كوَّر العناصر، فتولَّد منها معادنه، ثم كوَّر بعضها على بعض، فتولَّد نباته، ثم كوَّر بعضها على بعض، فتولَّد حيوانه.

فهو من ابتداء تكوينه في هذه الأطوار[1]، إلى أن تمَّت خلقته بالدهر والممكن، أي: مصحوباً بهما على نحو المساوقة؛ لكون كل واحد شرطاً للآخرين، لَه ما للمشيئة بالسَّرمد والإمكان من المساوقة، التي هي التَّحاوي ومن الشرطية، وكذلك للجسم أيضاً، أعني: محدَّب المحدّد في أدواره الأربعة: دورة عناصرها، ودورة معادنه، ودورة نباته، ودورة حيوانه بالزَّمان والمكان، كما مرَّ ما للمشيئة وللعقل كما تقدَّم.

ومعنى المساوقة في الثلاثة: أنْ يكون كل واحد مع وقته ومكانه متساوقة في الظهور، لكون كل واحد شرطاً للآخرين.

---

(١) في بعض النُّسخ: (في هذه الأكوار).

وكذا معنى التَّحاوي: أنْ يكون كل واحد حاوياً للآخر، بمعنى: أن لا يخرج شيء منه عن الآخر، ولا ينقص عنه، فلا يتصور ظهور جزء من واحد منهما خالياً عن جزء من الآخرين.

وهذا في المشيئة وفي العقل وفي الجسم، الذي هو محدَّب محدّد الجهات، كل أسفل من الثلاثة في هذا الحكم آية وعنوان لِمَا فوقه، وما فوقه ظاهر به.

ويجري هذا التَّحاوي في المشيئات الجزئية كالكلية؛ لأنها وجه من الكلية، فلها وجه من السَّرمد الكلي والإمكان الكلي بقدرها، وكذا في العقول الجزئية كالعقل الكلي؛ لأنها وجوه منه، فلها وجوه من الدَّهر والممكن بقدرها، وكذا باقي الأجسام.

۞[الماء الأوَّل والنُّفوس]:

قلتُ: (أَمَّا المَاءُ الأَوَّلُ الَّذي بِهِ حَيَاةُ العَقْلِ وَمَا بَعْدَهُ، فَوَجْهُهُ فِي السَّرْمَدِ وَالإِمْكَانِ، وَهُوَ فِي الدَّهْرِ وَالُمْكِنِ.

وَأَمَّا النُّفُوسُ؛ فَإِنَّهَا مِنْ وَسَطِ الدَّهْرِ وَالُمْكِنِ، وَهُوَ الأَظِلَّةُ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ العَقْلِ النُّوْرُ الأَصْفَرُ، وَهُوَ البَرْزَخُ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ الأَرْوَاحُ، وَهُو مِنَ الطَّرَفِ الأَعْلَى، وَآخِرُهُ النُّوْرُ الأَحْمَرُ، وَجَوْهَرُ الهَبَاء).

أقول: إنَّ الماء الأوَّل؛ الذي هو أوَّل صادر من المشيئة الكونية، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ، وهو الوجود، والعنصر الذي منه خلق الله كلَّ شيء، أي: من شعاعه، وبه حَيِي كلُّ شيء؛ لأنه الماء، وبه قوام كلِّ

شيء، لأنه أمر الله الذي قام به كلُّ شيء قيام تحقُّق، يعني: قياماً ركنياً، فيه احتمالان، وهما:

[الاحتمال الأوّل]: أنّه هل يكون من الوجود المطلق؛ لأنه قبل العقل، وأوَّل ما خلق الله العقل[١]، يعني: من الوجود المقيَّد؟.

[الاحتمال الثّاني]: أم يكون من الوجود المقيَّد؛ لأنه من المفعولات لا من الأفعال؟.

ودليل الأوّل: أنَّ الفعل متقوُّم به قيام ظهور، فلا يكون لَه تأثير إلا به، لأنه كالحديدة المحماة بالنَّار، وإنْ كانت إنما تحرق بحرارة النار القائمة بها، إلا أنها لا تقوم بنفسها من دون الحديدة، فبالحديدة تحرق الحرارة لا بنفسها، فيُنسب إلى الحديدة كثير من أوصاف الحرارة[٢]، فيكون الماء المذكور من الوجود المطلق، وربما يشير إليه قوله تعالى: **﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾**[٣].

ودليل الثّاني: أنَّه من الخلق، بمعنى: المخلوق، فلا يكون من عالم الأمر، كما قال تعالى: **﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾**[٤]، والعطف يقتضي

---

(١) كما روي عنهم عليهم السلام في روايات متعددة: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ**»، راجع: عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩. بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٩٧. شرح نهج البلاغة، ج: ١٨، ص: ١٢٨.

(٢) في بعض النُّسخ: (فينتسب إلى الحديدة كثيرة من أوصاف الحرارة).

(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

المغايرة، فيكون من الوجود المقيَّد؛ لتقيّده بمسِّ النار، أي: لا يُضيء إلا بمسِّ النار.

وعلى كلٍّ من الاحتمالين؛ فهو برزخ بين الفعل والمفعول بالفعل بالذات والقصد، فيكون وجهه وأعلاه في السَّرمد والإمكان، وهو في الدَّهر والممكن من حيث الرُّتبة، وأعلى الدَّهر والممكن وألطفهما وأدقُّهما[1] ما كان للعقل منهما.

وأمَّا النُّفوس؛ فهي في وسط الدَّهر والممكن، أي: المتوسط منهما بين اللَّطافة والرِّقة، وهو الأظلة، يعني: أنَّ النفوس هي الأظلة؛ لأنها جواهر لطيفة كالظل في لطافته، مع أنه جوهر ألبس قالباً كهيئة الإنسان هو جزء ماهية ذلك الجوهر اللطيف.

وبينه وبين العقل النور الأصفر، وهو البرزخ بينهما؛ لأنَّ العقل هو النور الأبيض، والنَّفس هو النور الأخضر، والبرزخ هو الأصفر؛ لأنَّ بياض العقل الذي هو بساطته لما تنَزَّل بالروح اصفرَّ؛ لأنَّ الرُّوح أول التركيب، إذ هو بمنْزلة المضغة في خلق الإنسان، والعقل كالنُّطفة، والنَّفس كالعظام إذا كُسيت لحماً، وأُنشئت خلقاً آخر؛ بأن ولجتها الحياة.

وخضرة النَّفس من اجتماع صفرة الرُّوح مع سواد الكثرة، والمشخصات من حدود القوابل والرُّوح، وإن كان برزخاً، إلا أنه أقرب من الطرف الأعلى.

---

(١) في بعض النُّسخ: (وألطفهما وأرقُّهما).

وإنَّما كان من الطَّرف الأعلى، أي: لاحقاً بعقل الكل، لكونه يطلق عليه غالباً، لكنه قد يطلق على النفس أيضاً، فهو بحكم البرزخية أولى، فيكون وجهه الأعلى إلى الطرف الألطف، وهو في الطَّرف الأوسط كما مرَّ في الماء الأوَّل.

(وآخره)، أي: آخر الحال في الدَّهر من المجرَّدات عن المواد العنصرية، والمدد الزَّمانية؛ (النُّور الأحمر)، الذي هو المسمَّى بالطبيعة الكلية وجوهر الهباء، وهو الحصص المادية المجرَّدة؛ لأنَّ المراد منها قبل ارتباط الصور المثالية بها، وجوهر الهباء برزخ بين رتبة الكسر ورتبة الصَّوغ.

وهذه الرُّتبة -أعني: آخر الدَّهر- أغلظ أوقات الدَّهر، وأكثفها وأسفلها، حتى أنَّ أسفل هذه الرتبة يقارن بصفة الفعلية عالم المثال.

۞[موقع الكسر والامتزاج والعقد]:

قلتُ: (**فَالكَسْرُ فِي النُّوْرِ الأَحْمَرِ، وَالامْتِزَاجُ فِي جَوْهَرِ الهَبَاءِ، وَالعَقْدُ فِي المِثَالِ**).

أقول: فالكسر بعد الصَّوغ الأوَّل في النُّور الأحمر؛ لأنَّ الأشياء لا بد لها في صنعها من كسْرين وصوغين، فالكسر الأوَّل في الماء الأوَّل عند إذابته لقبول الماهيَّة، التي تُسمَّى بالصُّورة النَّوعية.

والامتزاج، أي: انحلال الأجزاء، وكونها شيئاً واحداً، وتحصيصه حصصاً مبهمة في العقل، وأوَّل التخلق والنمو في الروح، وتمام العقد الأوَّل والصَّوغ الأوَّل في النَّفس.

والكسر الثّاني في النور الأحمر، يعني: الطبيعة، والامتزاج والتحصيص في جوهر الهباء، والعقد في المثال: وهو البرزخ، وهو أوّل العقد والنمو وتمامه في هذه الدنيا، وإذا حُلّ حلّين وعُقِد عقدين؛ تمّ إكسير الإجابة لدعوة الله ﷻ عند التكليف.

والحل الثالث: عند إلقائه على المعدن الناقص، وذوبانه معه.

والعقد الثالث: الذي هو غاية الغايات، ونهاية النِّهايات، هو حصول العقدين على أكمل وجه، وهذا في الإنسان الفلسفي، وفي الإنسان الأوسط الناطق، كسره موته، ودفنه في الأرض حتى يضمحل، ولا يبقى من تركيبه إلا الطينة الأصلية، التي خلق منها في قبره مستديرة، ثم يتم عقده يوم القيامة، ويُبعث حيّاً بحياة قارة، لا يجري عليها الموت ولا التغيير، وهو غاية الغايات، ونهاية النِّهايات.

وقولي: (والعقد في المثال)، أريد به: أوّل العقد والنمو، كما قلنا في الرُّوح؛ لأنّ تمام العقد في هذه الدنيا كما ذكرنا، فافهم.

۞[موقع المثال وجهاته]:

قلتُ: (وَالمِثَالُ بَيْنَ الزَّمَانِ وَالدَّهْرِ، فَوَجْهُهُ فِي الدَّهْرِ، وَأَسْفَلُهُ فِي الزَّمَانِ، أَيْ: بِالعَرَضِ لِتَبَعِيَّةِ الجِسْمِ، فَلَهُ الجِهَتَانِ: الذَّاتِيَّةِ، وَالعَرَضِيَّة، وَبِهِمَا مَعاً تَحَقَّقَتْ بَرْزَخِيَّتُهُ).

أقول: إنّ المثال برزخ بين المجرّدات والمادِّيات، فله أحكام البرزخ كغيره، فوجهه، أي: الذي هو جهة تلقيه، وهو أعلاه في الدَّهر الذي هو

ظرف المجرَّدات، وأسفله، أي: محل حلوله منه، يعني: الذي يحل منه في المحل الجسماني، وهو تعلقه بالمواد في الزَّمان؛ لأنَّه ظرف الماديات بالعرض، يعني: أنَّ كونه في الزَّمان بالعرض، حيث ارتبط بالمادة الزَّمانية، فجذبته إلى الزَّمان، ولو لا ذلك لم ينحط في الزمان.

فله -أي: المثال- جهة ذاتية، وهي جهة تلقيه من المجرَّدات وبها تحقق، فهي ذاتية له، وجهة عرضية، وهي جهة ارتباطه بالأجسام.

وإنما كانت هذه عرضية؛ لأنها ناشئة عن فعله، أو عن فعل الفاعل به في المادة على الاحتمالين: من أنه هو؟، أم الشيء؟، كما هو الصَّحيح عندنا، والمروي عنهم عليهم السلام، وأبُ الشَّيء مادته، أو هو أب الشيء، والأم مادته كما قيل، وبهاتين الجهتين تحقَّقت برزخيته، وإن كانت أحديهما عرضيَّة.

۞[كل شيء بدأ من فعل الله وإليه يعود على الاستدارة]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ ذَوِي رُوْحٍ وَغَيْرِهِ قَدْ بَدَأَ مِنْ فِعْلِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الاسْتِدَارَةِ، وَيَعُوْدُ إِلَى اللهِ كَذَلِكَ، وَيُقْبِل مِنَ اللهِ كَذَلِكَ، وَسُرْعَةُ تَدْوِيْرِهِ وَبُطْئِهِ عَلَى حَسَبِ كَوْنِهِ وَوَقْتِهِ، وَهِيَ تَنَقُّلاتُ تعدُّ وَقْتهُ، وَلَا يُسْرِعُ لِذَاتِهِ أَزْيَدَ مِنْ نِسْبَةِ كَوْنِهِ وَوَقْتِهِ).

أقول: لَمَّا كان فعل الله سُبحانه هو مبدأ كل ما سوى الله، وما كان كذلك فإنه يجب لَه أن تكون في كل جهة، وكل مكان، وكل وقت، فهو محيط بالأوقات والأمكنة، والجهات والرُّتب وكل شيء، وما

كان كذلك يجب أن يكون أثره قابلاً عنه من كلّ جهة ووقت، في كل شيء يُنسب إليه على حدٍّ واحد، فيكون جهات افتقار أثره إليه على السَّواء.

ولا نعني بالاستدارة: إلا تساوي الخطوط والنِّسب والأوقات والجهات إلى القطب، الذي هو مبدؤها، وكذلك يعود إلى ما منه بدأ أيضاً، يعني: على الاستدارة، إذ البدء كالعَوْد، ويكون في دورانه على علّته في بدئه وعوده على حدٍّ واحد، في سرعة حركة دورانه وبُطئها، وهذا ظاهر إن شاء الله.

وسرعة حركته في استدارة إقباله وإدباره تكون على حسب كونه، أي: على حسب رتبة كونه، أي: وجوده ووقته من دهر أو زمان، ومن كونه في أوَّل الدَّهر أو الزَّمان، أو في وسطهما، أو في آخرهما.

فإنْ كان كونه -أي: وجوده- أوَّل فائض عن فعل الله مثل وجود نبينا ﷺ، فإنَّ استدارته على قطب علَّته أسرع من جميع ما خلق الله بعد المشيئة، ومن دونه أرض الجُرُز، ومن دونهما، العقل الكلي، أي: عقل الكل، ومن دونه الرُّوح، ومن دونها النفس، ومن دونها الطبيعة، ومن دونها جوهر الهباء، ومن دونه المثال، ومن دونه الجسم المطلق، ومن دونه الأطلس، ومن دونه المكوكب، ومن دونه فلك الشَّمس، ومن دونه زحل، ثم القمر، ومن دونه المشتري، ثم عطارد، ومن دونه المريخ، ثم الزُّهرة، ثم النار والهواء، والماء والتُّراب، فكلما قرب من المبدأ كان ألطف وأسرع، وكلَّما بَعُدَ كان أبطأ.

فكلُّ شيء محدث كرة مجوَّفة، يدور على نقطة هي علّته لا إلى جهة، فيستمد منها ما لم يصل إليه ممَّا لَه، وبما وصل إليه بعد أن تجاوزه إلى مبدئه.

وهذه الحركات والتَّطوُّرات تنقلات، إذ بها يسير الشيء إلى منتهاه، وهي تعدُّ وقته، أي: تحصي المدد والأوقات التي ينتهي فيها إلى ما منه بدأ، وإلى غايات المتحركات إذا تناهت حركاها؛ لأنها مدد وأوقات يتطور فيها المتحرك.

كما يُقال: أنَّ الإنسان يتطور في بطن أمه ستَّة أطوار، كلُّ طور مدته عشرون يوماً، فتتطوَّر النطفة في الرَّحم عشرين يوماً؛ فتكون علقة، وتتطوَّر العلقة عشرين يوماً؛ فتكون مضغة، فتتطوَّر المضغة عشرين يوماً؛ فتكون عظاماً، فتتطوَّر العظام عشرين يوماً؛ فتكسى لحماً، فتتطوَّر العظام المكسوة لحماً في تقديراها عشرين يوماً بتتميم آلات الرُّوح، ومجاري النفس[1] وحواملها، فتُنفخ فيه الرُّوح، فصار مدة ذلك أربعة أشهر.

فتلك الحركات للنَّفس النباتية تنقلات تعدُّ مدة تمامها وتحصيها بتنقلها من طور إلى طور، حتى ينتهي الأربعة الأشهر.

ثم أنَّ الشيء لا يسرع في حركاته وتنقلاته لذاته أزيد من نسبة كونه، أي: وجوده من مقتضى رتبته من المبدأ الفيَّاض ومن وقته، أي: وقت المتحرك، إذ هذه الحركة مقتضى ذاته، فلا تزيد عليها.

---

(١) في بعض النُّسخ: (ومحاوي النَّفس).

نعم.. يمكن أن يُسرع في حركاته بمعين خارجي، كما قيل في تخليل الخمر إذا أراد صاحبها أن يقلبَها خَلّاً؛ فإنها يتخلَّل في مدة معينة لا تزيد، لكن لو وُضع فيها عصارة السَّلق أسرع انقلابها خلاً.

حتَّى قيل: إنها تنقلب خلاً في أربع ساعات.

وهذا الإسراع ليس لذاتها، وإنما هو من عصارة السَّلق، وهو النبات المعروف، فإنَّه معين لِمُقتضاها الناقص، إذ كل شيء يمكن أن يكون كذا، فإن كان ذلك الإمكان لَه لذاته؛ كان ما يمكن لَه لذاته مقتضياً لكون ذلك ذاته، إذا كان تاماً بالنسبة إلى ذاته، ما لم يحصل لَه مانع أقوى من مقتضى ذاته.

وإنْ كان ما يمكن لذاته ناقصاً عن إظهار مقتضاه لم يلبس ذلك الإمكان حلة الكون، فإن حصل له معين يتمِّم ذلك الناقص لبس حلة الكون بسبب تتميم المعين.

۞[مُسوِّغ السُّرعة، وأقسام ما يُمكن للشيء]:

ولذا قلتُ: (فَإِذَا حَصَلَ لَهُ شَيْءٌ أَسْرَع بِهِ فَلَيْسَ قَاسِراً لِذَاتِه مِنْ حَيْثُ هِيَ، فَلَا يَحْدُثُ لَهَا تَغْيِيْرٌ، وَإِنَّمَا يُعِينُ ذَاتَهُ بِمَا يُمْكِنُ لَهَا، إِذْ مَا يُمْكِنُ لِلْشَيْءِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

قِسْمٌ يُمْكِنُ لِذَاتِه بِذَاتِه.

وَقِسْمٌ يُمْكِنُ لَهَا بِخَارِجٍ عَنْهَا، وَهُوَ الْمُعِيْنُ).

أقول: إذا حصل للشيء شيءٌ أسرع به إسراعاً زائداً على مقتضى

ذاته؛ فليس ذلك الشَّيء المسرع به قاسراً لَه، ومجبراً لَه، رافعاً لأصل اختياره، الذي هو مقتضى ما تركب منه ذاته، فيرتفع التَّركيب المستلزم لارتفاع ذاته من الوجود، إذ لو فرض أنه قاسر؛ لكان أحْدَث اقتضاء لم يمكن في ذات المجبور، فإن كان ذلك الاقتضاء قائماً بالجابر، لم يصح إسناد شيء من آثاره إلى المجبور، ولو فرض استنادها إليه لَمَا صحَّ الاستناد، إلا أنْ يكون مُقتضياً لَها، ولا يكون مقتضياً لَها حتَّى يكون هو غير ما هو عليه في ذاته، وإن كان غير ما هو عليه في ذاته مقتضياً لذلك؛ كان هذا شيئاً آخر يقتضي هذا الأثر لذاته.

فلا يكون القاسر قاسراً، بل إمَّا معيناً، وإمَّا مانعاً للمانع أو لمنعه، فلا يحدث للشيء بسبب المعين أو مانع المانع، أو منعه تغير وانقلاب لذاته، فلا يمكن للشَّيء أنْ يكون منه ما لا يمكن في ذلك إلا أن تقلب حقيقته عمَّا هي عليه، كما أشار إليه ﷻ: ﴿**لا يَزَالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيْبَةً فِي قُلُوبِهِمْ**﴾[1].

۞[الشَّيء لا ينقلب إلى ما لا يُمكن في ذاته]:

ولأجل ما أشرنا إليه، **قلتُ**: (**وَلَوْ حَصَلَ بِالخَارِجِ عَكْسُ مُقْتَضَى ذَاتِه؛ فَهْوَ مُعِيْنٌ أَيْضاً لَا قَاسِرٌ، مَا دَامَ لِمُقْتَضَاهَا فِعْلٌ، وَإلَّا فَهْوَ قَاسِرٌ، وَحِيْنَئِذٍ لَا يَكُوْنُ الشَّيْء ذَلِكَ الشَّيْء، بَلْ هُوَ غَيْرُهُ، وَهَذَا يُسَمَّى قَاسِراً**

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٠.

بِاعْتِبَارِ قَلْبِ الذَّاتِ المَوْجُوْدَة.

وَإِلَّا فَفِي الحَقِيْقَة: أَنَّ الشَّيْءَ لَا يَنْقَلِبُ إِلَى مَا لَا يُمْكِنُ فِي ذَاتِه فِي جَمِيْعِ الوُجُوْدِ، بَلْ لَيْسَ ذَلِكَ شَيْئاً، فَلَا تَتَعَلَّق بِهِ قُدْرَة؛ لِأَنَّ القُدْرَةَ لَا تَتَعَلَّقُ إِلَّا بِالشَّيْء).

أقول: ولو حَصَل بالخارج عكس ذاته، أي: عكس مقتضى ذاته، فهو -أي: المتمِّم لذلك الإمكان النَّاقص- معينٌ يُعين الشَّيء بتَتْمِيم مقتضاه النَّاقص عن التَّأثير بدون الُمعين، فهذا الُمتمِّم مُعين للشَّيء لا قاسر، ما دام لمقتضى تلك الذَّات فعل، أي: تأثير بدون الُمعين وبالُمعين، والُمتمِّم يُتِمُّ ما كان ممكناً في ذاته، ويظهر اقتضاؤه.

وقد تَقدَّم بيانُ هذا؛ لأنَّه إذا انقلبت ذاته لم يكن هو إياه، بل غيره، وهذا جارٍ على ظاهر اللَّفظ، وإلَّا ففي الحقيقة أنَّ الشَّيء لا ينقلب إلى ما لا يمكن في ذاته، فإنَّ الواجب ﷻ لا يمكن أن يكون ممكناً ولا ممتنعاً، والممكن لا يمكن أن يكون واجباً ولا ممتنعاً، والممتنع لا يمكن أنْ يكون واجباً ولا ممكناً.

وهذا كلامٌ لاشكَّ فيه، وإنْ كان في نفس الأمر وفي الخارج غير معقول، إذ الممتنع على مرادهم ليس شيئاً، لا في الذِّهن، ولا في نفس الأمر، ولا في الخارج، وإنما هو لفظٌ وُضع بإزاء حادث.

وكذلك هذا الفرض في حقِّ الواجب تعالى؛ لأنَّ فرض أنَّ الشيء لا يكون كذا، إنما يصح بين شيئين يجدهما الفارض في محلِّ وجدانه مجتمعين، سواء كان المحل ذهناً، أم خارجاً، ولا يحوي الممتنع والواجب شيء، ولا

الممكن مع الواجب؛ إذ لا يجتمع الممكن إلا مع الممكن، ولا اجتماع يُنسب إلى الواجب ﷻ، إنما هو إلهٌ واحدٌ، **﴿لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**(١)، والممتنع ليس شيئاً إلا الممكن.

فالصَّحيح في التَّعبير -ليُرفع غبار الأذهان- أن يُقال: لا يمكن أن يكون الممكن واجباً، ولا يمكن أن يكون الواجب ممكناً، وفي الصُّورتين يُراد من الواجب علاماته؛ ليمكن أن يُعقل ما يُنفى إمكانه.

۞ [مَقامات المُمكن في مراتب الإمكان]:

قلتُ: (وَالشَّيْءُ المُمْكِنُ لَهُ خَمْسَةُ مَقَامَات:

الأَوَّلُ: فِي الإِمْكَانِ وَلَا يَكُوْنُ أَبداً، وَهُوَ فِيْ المَشيْئَة مُمْكنُ الكَوْن.

وَالثَّانِي: فِي الإِمْكَانِ وَسَيَكُوْنُ، وَفِي المَشيْئَة يُمْكنُ أَلَّا يَكُوْنُ.

وَالثَّالثُ: أَنَّهُ كَانَ وَلَا يَزَالُ أَبداً، وَهُوَ فِي المَشيْئَةِ يُمْكنُ مَحْوُهُ فِيْمَا بَعْدُ، وَإِثْبَاتُهُ وَمَحْوُهُ.. وَهَكَذَا.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ كَانَ وَسَوْفَ يُعْدَمُ، أَيْ: يَرْجِعُ إِلَى مَا قَبْلَ كَوْنِه، وَفِي المَشيْئَة يُمْكنُ أَلَّا يُعْدَمَ، وَأَنْ يُعْدَمَ وَيُعَادُ.. وَهَكَذَا.

وَالخَامِسُ: أَنَّهُ قَدْ كَانَ كَوْنُهُ وَلَا يَكُوْنُ عَيْنُهُ، وَكَانَتْ عَيْنُهُ وَلَا يَكُوْنُ قَدَرُهُ، وَكَانَ قَدرُهُ وَلَا يَكُوْنُ قَضَاؤُهُ، وَيَكُوْنُ قَضَاؤُهُ وَيسْترُ إِمْضَاؤُهُ، وَظَهَرَ إِمْضَاؤُهُ وَيُعْدَمُ مِنْهُ مَا كَانَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

وَكُلُّ ذَلِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ مِمَّا يُمْكِنُ فِي ذَاتِه).

أقول: هذا الكلام لبيان ما يمكن للشيء، فإنه قد يكون تامّاً يقتضي في نفسه ما يترتَّب عليه، من غير أن يُضاف إليه شيء، وقد يكون ناقصاً يعجز بنفسه عن اقتضاء ما يترتب عليه، إلا إذا أُضيف إليه ما يُتمِّم نقصه، وفاعل ذلك يُسمَّى معيناً ومتمِّماً، والممكن في مراتب الإمكان على خمسة أقسام:

[القسْمُ] الأوَّل: في الإمكان [ولا يكون][1]، أي: هو في نفسه مُمكن، والحكمة لا تقتضي وجوده في جميع الأحوال.

وذلك كشقاوة الأنبياء، وسعادة الشَّياطين وسائر الأشقياء، فإنَّه ممكن في نفسه وفي مشيئة الله سُبحانه، ولكن حكمة الله تقتضي عدمه، وهو عدمه، وهو لا يكون أبداً، وفي مشيئة الله ممكن أن يكون، كما قال تعالى: ﴿**وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾[2]، فهو ﷻ قادر على ذلك، ولكنه لا يفعله أبداً.

[القسْمُ] الثَّاني: في الإمكان، يعني: في نفسه ممكن، وسيكون فيما بعد؛ إذا تمَّت شرائط وجوده، وفي المشيئة يمكن أنْ لا يكون قبل أن يكون، وبعد أن يكون يمكن أن يُعدم، وذلك كسائر المعدومات.

[القسْمُ] الثَّالث: أنَّه كان ولا يزال أبداً كعقل الكلِّ، ففي المشيئة

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٦.

يمكن محوه بعد كونه إذا شاء الله، ويمكن أن يثبته بعد محوه، ومحوه بعد إثباته.. وهَلُمَّ جرّاً.

[القسْمُ] الرَّابــعُ: أنّه كان وسوف يُعدم؛ بأن يخلع حلّة الكون، ويرجع إلى رتبته في الإمكان الرَّاجح، أي: إلى ما قبل كونه، وفي المشيئة يمكن أن لا يُعدم، ويمكن أن يُعدم، ويمكن أن يُعاد وأن لا يُعاد.

و[القسْمُ] الخامسُ: ما تجري عليه أحكام قوله تعالى: **﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾**[١]، وهو أنَّ الممكن رُبَّما قد كان كونه، أي: وجوده، يعني: مادته النَّوعية، ولا تكون عينه، أي: صورة مادَّته النَّوعية، بأن تتعلَّق به المشيئة، فيحدث كونه، ثم يُمحى قبل أن تتعلَّق الإرادة بعينه.

وربما تتعلَّق الإرادة بعينه، أي: بصورة مادته النوعية، أعني: الصُّورة النَّوعية، فكانت عينه، يعني: الصُّورة [النَّوعيَّة][٢]، ثم تُمحى قبل أن يجري عليه القدر، وربُما جرى عليه القدر، فتحدث به الهندسة والحدود الظاهرة؛ كالطُّول والعرض، والعُمق والاستدارة، والتَّثليث والتَّربيع.. أو غيرها.

والباطنة؛ كالبقاء والفناء، والرُّتبة من المبدأ الفيَّاض، والجهة والكمِّ، والكيف.. وما أشبه ذلك.

ثمَّ تُمحى قبل أن يقضي، وربما تعلق به القضاء، فتمَّت بنيته، وكمل

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

تركيبه، ثم يُمحى قبل إمضائه وإظهاره مشروحاً مبيَّن العلل، معروف الأسباب، واضح الدلالة والاستدلال به وعليه، وربما جرى عليه الإمضاء كذلك، ويظهر إمضاؤه بعدما كان مستوراً، وربما عُدم ما كان ظاهراً؛ عدم تفكك، أو عدم فناء.

إلى غير ذلك من الفروض الممكنة للشَّيء وما أشبهها، مما يمكن لذاته من تامٍّ أو ناقص، فإنَّ كل ذلك إذا ظهر منه شيء بسبب تتميم معين لا يُقال: أنه مقسور مجبور، وإنَّ الفاعل به ذلك أجبره على الحقيقة، كما يأتي تمثيل ذلك.

[ما لا يُمكن في ذاته، لا يُمكن فرضه أو تصوُّره]:

قلتُ: (وَأَمَّا مَا لَا يُمْكِنُ فِي ذَاتِه؛ بِأَنْ يَكُوْنَ مُسْتَحِيْلاً، أَيْ: لَا شَيْءَ بِكُلِّ اعْتِبَارِ، أَوْ يَكُوْنُ وَاجِباً لِذَاتِه، أَيْ: هُوَ الشَّيْءِ لَا سِوَاهُ، فَيَسْتَحِيْلُ عَلَيْهِ فَرْضُ الإِمْكَانِ، فَلَا يُمْكِنُ فَرْضُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَلَا تَصَوُّرُهُ؛ لِأَنَّ التَّصَوُّرَ وَالفَرْضَ مِنَ الإِمْكَانِ، بَلْ لَا يُفْرَضُ وَلَا يُتَصَوَّرُ إِلَّا مَا هُوَ مَوْجُوْدٌ فِي الإِمْكَانِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ).

أقول: إنَّ ما لا يُمكن في ذاته، بأنْ كان مستحيلاً، فهو في نفس الأمر وفي الخارج وفي الذهن لا شيء بكل اعتبار، فلا تتحقّق لَه شيئية أصلاً، لا في الخارج، ولا في الذّهن، ولا في نفس الأمر، ولا في الوهم.

ولا يدخل في مُطلق مفهوم ولا مصداق، بكل مشعر من المشاعر الوجود الحقّة والباطلة كالسَّفسطة، إذ كل ما ينطبق عليه شيء بكل

فرض فهو ممكن.

أمَّا الممتنع؛ فلأنه لفظُ ممكن، قد يُفهم من دلالة مادَّته وهيئته شيء محدث لا غير ذلك؛ لأنَّ المتولِّد من الممكن، أو بالممكن، أو في الممكن؛ ممكن.

وأمَّا الواجب لذاته ﷻ وتقدَّس ممَّا سواه؛ فلأنه هو الشَّيء لا سواه، وجميع ما يدخل في مطلق الاحتمال والفرض، والإمكان والتَّجويز، والتَّصور وغير ذلك؛ فإنه سواه، وكلٌّ ما سواه خلقه تعالى، أحدث بعضه لبعض، ولا يجري عليه ما هو أجراه.

فلا يُمْكن تصوُّر الممتنع ولا فرضه، إذ ليس شيئاً، ولا تصور الواجب ولا فرضه، لِمَا أشرنا إليه من أنَّ التَّصور والفرض والاحتمال، وما أشبهها إنما يُعقل في الممكن.

۞[هل يتحقَّق القاسر؟ وكيف لا؟ ولماذا؟]:

قلتُ: (فَفِي الحَقِيْقَةِ لَا يَتَحقَّقُ القَاسِرُ إِلَّا بِقَلْبِ الشَّيْءِ إِلَى غَيْرِ مَا يَقْتَضِيْهِ مِنْ ذَاتٍ أَوْ صِفَةٍ، وَهْوَ مِمَّا يُمْكِنُ لَهُ، فَهُوَ مُطَاوِعٌ، فَلَا قَلْبَ، فَلَا امْتِنَاعَ فِي الإِمْكَانِ، فَلَا قَسْرَ وَلَا إِمْكَانَ فِي الوَاجِبِ وَلَا فِي المُسْتَحِيْلِ.

فَالشَّيْء الَّذي هُوَ الشَّيْء لَا سِوَاهُ لَا إِمْكَانَ فِيْهِ وَلَا رُجْحَانَ، لَا يَمْنَعُ النَّقِيْضَ، بَلْ هُوَ وُجُوْبٌ بَحْتٌ، وَالمُسْتَحِيْلُ الَّذي هُوَ لَا شَيْء بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، [أَيْ: سَوَاء اعْتبرتَ شَيْئِيَّة خَارِجِيَّة أَمْ وَاقِعِيَّة، أَمْ ذِهْنِيَّة، أَمْ

إمْكَانِيَّة، أَمْ وَهْمِيَّة، أَمْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَعْتَبِرُهُ مُعْتَبِر] لَا إِمْكَانَ فِيْه، [فَلَا يُعْتَبَرُ بِحَالٍ](١).

فَافْهَمْ هَذِهِ العِبَارَاتِ المُكَرَّرَةِ المُرَدَّدَةَ لِلتَّفْهِيْمِ).

أقول: يعني أنَّ القاسر بالمعنى المذكور في الحقيقة غير متحقّق، إذ لا يتحقَّق إلا إذا كان بقلب الشيء إلى غير ما يقتضيه مطلقاً، لا بالفعل ولا بالقوة من ذاتٍ أو صفة، فلو قلبه إلى غير ما يقتضيه، فإنْ قَبِلَ القلب فهو مما يمكن له، وفي قلبه إلى ما يمكن لَه فهو مطاوع، وإذا كان مطاوعاً فلا قلب ولا قسر، وإن لم يقبل القلب لم يكن قسرٌ ولا إمكانٌ في الواجب ولا في المستحيل.

فالشَّيء الذي هو الشَّيء لا سواه هو الواجب ﷻ، وهو خالق الإمكان والرُّجحان، فلا يجري عليه الإمكان ولا الرُّجحان الذي لا يمنع النقيض، وأمَّا الرجحان الذي يمنع النقيض فهو الواجب البحت.

والمستحيل الذي هو لا شيء بكل اعتبار، أي: سواء اعتبرت شيئية خارجية أم واقعية، أم ذهنية، أم إمكانية، أم وهمية، أم غير ذلك مما يعتبره معتبر؛ لا إمكان فيه، فلا يُعتبر بحال.

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في هذا الموضع إلا في متن شرح الفوائد.

شرح

الفائدة التّاسعة

كُلُّ شَيْءٍ لَا يُدْرِكُ مَا وَرَاءَ مَبْدَئِهِ

قلتُ:

(الفَائدَةُ التَّاسعَةُ

كُلُّ شَيْءٍ لَا يُدْرِكُ مَا وَرَاءَ مَبْدَئه

لأَنَّ الإِدْرَاكَ إِنْ كَانَ بالفُؤَاد فَهُوَ أَعْلَى مَرَاتبِ الــذَّات، وَأَوَّلُ جُزْئيِّهَا، وَأَعْلَاهُمَا وَأَشْرَفُهُمَا، وَلَيْسَ لَهُ وَرَاءَ ذَلكَ ذكْرٌ في حَالٍ، فَلَا يَجدُ نَفْسَهُ هُنَاكَ، وَلَا يَجدْهُ غَيْرُهُ؛ إِذْ أَوَّل وُجْدَانه ذَلكَ الإِدْرَاك، وَإِنْ كَانَ بالعَقْلِ وَالنَّفْسِ وَالحِسِّ المُشْتَرَك وَبالحَوَاسِّ الظَّاهرَة، فَهيَ بجَميْعِ إِدْرَاكَاتها وَمُدْرَكَاتها دُوْنَ ذَلكَ، فَلَا يُدْرِكُ الشَّيْءُ مَا وَرَاءَ كَوْنه، فَإِذَا تَصَوَّرَ شَيْئاً بغَيْرِ الفُؤَاد أَدْرَكَ مَــا وَرَاءَهُ، أَيْ: أَنَّ مَــا وَرَاءَهُ شَــيْء يُدْرِكُهُ.

فَإِذَا أَدْرَكَ ذَلكَ الأَعْلَى؛ أَدْرَكَ وَرَاءَهُ شَيْئاً.. وَهَكَذَا، لَا يَقِــفُ عَلَى حَدٍّ لَا يَجدُ وَرَاءَهُ شَيْئاً).

❁[الفؤاد لا يُدرك ما يكون أعلى منه]:

أقول: في هذه الفائدة ابتدأناها بالإشارة إلى أنَّ الإدراك بـــالفؤاد -الذي هو أعلى مراتب الذات- فعلٌ ذاتيٌّ لَه، فلا يُدرك ما يكون أعلـــى منه، إذ لا يميل الشَّيء إلى أعلى مما هو له أو منه.

وإنَّما قلتُ: (إذ لا يميل الشَّيء..إلخ)؛ لأنَّ قولي: (فعلٌ ذاتيٌّ لَـــه)، أريد به: ميلُ الذَّات إلى وجهها من مبدئها، وهذا الميل ليس ميلاً فعلياً؛ لأنَّ الأوَّل من القابليَّة التي هي جزء الماهية، والميل الفعلي تأثير الـــذَّات بفعلها فيما دونها، والميل الفعلي لا يُساوي الذَّات، بل يـــنحطُّ عنـــها، والميل الذاتي يُساويها، ولهذا قال عليه السلام: **«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ؛ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّه»**[1].

ومعنى معرفة نفسه: أنه يُدرك نفسه بها لا بشيء غيرها، وذلك هو الفعل الذاتي، ويكون الشَّيء بهذا الإدراك مُدركاً لنفسه، لكنه لا يدرك به ما هو فوقها، وإلا لكان الشَّيء أعلى من نفسه، ولكـــان موجـــوداً في إدراكه قبل أن يكون موجوداً؛ هذا خُلفٌ.

فكلُّ شيء لا يُدرك ما وراء مبدئه؛ لأنَّ الإدراك إنْ كان بـــالفؤاد الَّذي هو أعلى مراتب الشَّيء -أي: بالذَّات- أدرك نفسه، ولم يُدرك ما فوق نفسه، إذ ليس فوق نفسه شيء منه ليميل إلى ما منه، فلو نظر مـــا وراءه -أي: ما فوقه- لم يجد نفسه، فلا نظر هناك ولا يجد غيره[2] ممـــا يكون أعلى منه.

وإنما يجده من هو أعلى منه في الرُّتبة الَّتي كان فيها شـــيئاً؛ لأنَّ أوَّل

---

(١) مصباح الشريعة، ص: ١٣. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. غرر الحكـــم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٢.

(٢) في بعض النُّسخ: (ولا يجده غيره).

وجوده أوّل وجدانه، وفوقها ليس واجداً ولا موجوداً، وذلك لأنّ الفؤاد عبارة عن الوجود الأوّلي، الذي هو مادّته النّوعية، التي تُؤخذ منها حصة للشّيء، وتضاف إليها صورته المشخصة لَه، التي بها هو هو.

فالحصة هو فؤاده، وهو نور الله في قوله عليه السلام: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ**»[1]، وهو حقيقة من فعل الله[2]، وهو وجوده، وهو مادّته، وهو كونه، والصُّورة المشخّصة لَه هي حقيقة من نفسه[3]؛ لأنها قابليته، وإنْ كان الإدراك بما دون الفؤاد كالعقل، والنّفس، والخيال، والحسِّ المشترك، والحواسِّ الظاهرة، فهي بجميع إدراكاتها ومدركاتها دون الفؤاد، ودون إدراكه، فتدرك أنفسها وما دونها.

ولا تدرك ما وراء ذلك، أي: ما فوقها؛ لأنّ الشيء لا يدرك ما فوق كونه، أي: وجوده، فإذا تصوَّر شيئاً بأحدها -أي: بغير الفؤاد- أدرك بالفؤاد ما فوق ما أدركه بواحد منها، بمعنى: أنه يدرك شيئاً فوقه، كما لو أدرك بعقله شيئاً أدرك بفؤاده أنّ فوق العقل شيئاً، وأدرك أيضاً

---

(١) الكافي، ج: ١، ص: ٢١٨. الاختصاص، ص: ٣٠٧. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٣٠. الأمالي للطوسي، ص: ٢٩٤. بصائر الدرجات، ص: ٣٥٥. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٢٨١. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٢٤٧. شواهد التنْزيل، ج: ١، ص: ٤٢٢. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٧٤. المسائل العكبرية، ص: ٩٣-٩٤. معاني الأخبار، ص: ٣٥٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٢٠٠.

(٢) في بعض النُّسخ: (وهو حقيقته من فعل الله).

(٣) في بعض النُّسخ: (هي حقيقته من نفسه).

بفؤاده أنَّ ما أدركه بعقله فوقه شيء، وأدرك أنَّ وراء هذا الأعلى شـــيئاً وهكذا، حتَّى يُدرك فؤاده، وينقطع السَّير، حتى أنه لو كان الإدراك بما هو دون الفؤاد وجد مدركات بعضها فوق بعض، بلا نهاية ولا غاية، حـــتى يكون الإدراك بالفؤاد لأعلى مراتبه، الذي هو نور الله تعالى، فيـــستدير وينقطع السَّير.

۞[الإنسان يسير صاعداً إلى مبدئه الكوني]:

قلتُ: (وَهَذِهِ حُرُوْفُ نَفْسِهِ وَمَرَاتِبِهَا، وَتِلْكَ الحُرُوْفُ وَالمَرَاتِبُ لَا تَتَنَاهَى نَفْسُهُ، أَيْ: لَا تَقِفُ عَلَى حَدٍّ، لَا تَتَوَهَّم أَنْ لَا قَبْلَ لَهُ، فَهِيَ لَـــا تَفْقِدُ نَفْسَهَا فِي تِلْكَ المَرَاتِبِ).

أقول: وهذه المراتب التي تقع عليها وفيهـــا إدراكـــات مـــشاعره حروف نفسه، إذ كانت نفسه كلمة لكلمته تعالى، يعني: أنَّ نفسه مجموع تلك الأطوار، وكلما وصلت إلى رتبةٍ كانت أعلى نفسه، وكانت الأولى التي كانت أعلاها متأخِّرة عن علوها، مثل الجدار المبني: فإنَّ أعلا ما رفع ما فيه، فإذا بنيت عليه كان أعلى أولاً[١] وسطاً للجدار، وكان اللَّـــاحق أعلاه.. وهكذا، فهذه الأطوار جزء ذاته وحروفاها[٢].

واعلم أنَّ الإنسان نزل من مكان عالٍ في الإمكان، وهو الآن عائد

---

(١) في بعض النُّسخ: (كان الأعلى أوَّلاً).

(٢) في بعض النُّسخ: (فهذه الأطوار أجزاء ذاته وحروفه).

إليه، فهو يترقّى بلا نهاية في سيره إلى مبدئه الحادث الممكن، الذي كان في رتبة ذات الحق ﷻ ممتنع الوجود عدماً محضاً، لا ذكر لَه، ولا رسم، ولا اسم، ولكنه مع هذا كلّه لا يقف في صعودٍ إلى مبدئه على حدٍّ لا سير فيه؛ لأنه محدث لا من شيء، قد كوَّنه الله ﷻ، واخترعه بفعله، ولم يكن لَه قبل أن يخلقه بفعله ذكر ولا وجود، إلا في رتبة إمكانه الذي أمكنه بمشيئته الإمكانية، وأمَّا قبل الإمكان فلا ذكر له في وجود ولا في علم، ولا في حال من الأحوال.

فلما اخترعه لا من شيء؛ كان مبدأ إمكانه من مشيئته الإمكانية، ومبدأ كونه من مشيئته الكونية بعد المبدأ الإمكاني والمبدأ الكوني، مع أنه مسبوق بالمبدأ الإمكاني، المسبوق بفعل الله تعالى، لا نهاية لَه سبحان من أحدث ما لا نهاية له.

وقولي: (لا نهاية لَه)، أعني به: أنَّه كذلك في الإمكان، وإلا فهو متناه إلى فعل الله، والفعل محدث، أحدثه الله بنفسه، فهو متناهٍ فَانٍ عند الله سُبحانه، قال عليه السلام: **«يَا مَنْ هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ»**[1]، والإنسان يسير صاعداً إلى مبدئه الكوني، وهو لا ينتهي في الأكوان، ولا يصل إلى مبدئه أبداً.

والإشارة إلى بيان ذلك للمؤمنين الممتحنين قلوبهم: أنَّ الإنسان

(١) من دعاء الجوشن الكبير المروي عن النبي ﷺ، راجع: المصباح للكفعمي، ص: ٢٤٩. البلد الأمين، ص: ٤٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩١، ص: ٣٨٦.

خلقه الله، والمخلوق محتاج في كونه وبقائه إلى المدد، لا غنى لَه في حالٍ من الأحوال، بل يحتاج في بقائه إلى المدد، وهو سبحانه يمدُّه مما هو حادث ممكن، ولا يمدُّه مما ليس له، ولا مما هو فوق مبدأ كونه وهويَّته التي إليها معاده، وليس لهذا الإمداد غاية ولا نهاية، وإلَّا لَفَنَى واضمحلّ.

وقد دلَّت الأدلَّة القطعية الضرورية من العقلية والنقلية: بأنَّه باقٍ أبد الآبدين، ولا يعرض لَه فناء أبداً، ولا بقاء لَه إلا بذلك المدد، والمدد حادث لا يجوز أن يكون مما هو فوق مبدأ كونه وهويته، التي لم يكن لَه ذكر قبلها ولا مما ليس لَه.

فقد ثبتَ عند من ثبتَ على الإيمان الموصوف بالامتحان: أنَّ الإنسان عائد إلى مبدئه ولا يتجاوزه، ولا يقف في سيره، ولا يفنى ولا يستغني عن المدد في بقائه، وإنه مع ذلك كله حادث بفعل الله سُبحانه، وأنَّه قبل أن يخلقه الله لم يكن لمبدئه الذي لم يصل إليه، ولم يقف فيه ولا يتجاوزه، ولا له قبل أن يجعله ممكناً في الإمكان ذكر، لا في إمكان ولا في علم؛ ﴿**أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا**﴾[1].

۞[هل هناك قديم غير الله؟]:

فلا تتوهَّم من كلامي: أنِّي قائل بقدمِ شيء ممَّا سوى الله، أو يلزم

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٧.

من كلامي شيء من ذلك، حيث أنّي قلتُ: (أنَّ سير الإنسان لا ينتهي إلى حدٍّ)، فإنَّ صاحب الشَّريعة أخبر تبعاً لمَا أنزل الله تعالى إليه ﷺ: **«أَنَّ أَهْلَ الجَنَّة خَالدُوْنَ فِيْهَا أَبَداً بلَا نِهَايَة، وَأَنَّ أَهْلَ النَّارِ خَالدُوْنَ فِيْهَا أَبَداً بلَا نِهَايَةَ، وَأَنَّ المَوْتَ يُؤْتَى بِهِ فِي صُوْرَة كَبْشٍ أَمْلَح، وَيُذْبَحُ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّارِ، وَيُنَادي مُنَاد بِأَمْرِ الله ﷻ: يَا أَهْلَ الجَنَّة خُلُوْدٌ وَلَا مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّار خُلُوْدٌ وَلَا مَوْتٌ»**(١).

على أنّي بيَّنت لك: أنَّ الله سُبحانه خلق ما لا يتناهى بعد أن لم يكن، وما ذلك على الله بعزيز.

وأمَّا قول من أنكر الحدوث الذاتي، وحصره في الزَّماني، فهو ممن قال الله سبحانه: **﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخرُصُونَ﴾**(٢)، مع أن الحكماء من المتقدمين والمتأخِّرين اتَّفقوا على قاعدتين، بل لا يختلف

---

(١) عن أبي ولاد الحناط، عن أبي عبد الله عليه السلام لَمَّا سُئل عن قوله: **﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾**[سورة مريم، الآية: ٣٩]، قال: **«يُنَادي مُنَاد منْ عنْد الله، وَذَلكَ بَعْدَ مَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّة فِي الجَنَّة، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّار: يَا أَهْلَ الجَنَّة وَيَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُوْنَ المَوْتَ فِي صُوْرَةٍ منَ الصُّوَرْ؟. فَيَقُوْلُوْنَ: لَا. فَيُؤْتَى بالمَوْت فِي صُوْرَة كَبْشٍ أَمْلَحٍ، فَيُوْقَفُ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّارِ، ثُمَّ يُنَادَوْنَ جَميْعاً: أَشْرِفُوْا وَانْظُرُوْا إِلَى المَوْت. فَيُشْرِفُوْنَ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ به فَيُذْبَحْ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّة خُلُوْدٌ فَلَا مَوْتَ أَبَداً، يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُوْدٌ فَلَا مَوْتَ أَبَداً»**. [تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٥٠. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٤٤-٣٤٥].

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٦، وسورة يونس، الآية: ٦٦.

فيهما اثنان من العقلاء، وهما:

[القاعدة الأُولى]: أنَّ كل ما لَه أوَّل فله آخر.

و**[القاعدة الثّانية]**: أنَّ ما سبقه العدم لحقه العدم.

وهذا مما لا إشكال فيه عند من عرف مـا أشـرت إليـه، وإلّـا فالإشكال لازم، لأنك إذا قلتَ: أنَّ الحادث لَه أوَّل في الحدوث؛ لزم أن يكون من في الجنة غير باقين، لأنه سبقهم العدم، فيلحقهم العدم.

فإن قُلتَ: أنَّ الإنسان ليس لَه أوَّل في الحدوث؛ لزم القول بالقِدَم، والتَّفصِّي من الإشكال، وكل إشكال قد ذكرته لك، فتفهَّم كلامي.

وأمَّا قول من قال: بأنَّ الإنسان سبقه العدم في الحدوث والإمكان، ولا يلحقه العدم، فإنه جارٍ على نمط عجيب، يستعمله كثيرٌ ممن يُقال أنه لبيب، وهو أنَّا لو لم نقل بهذا لزمنا إمَّا قِدَم ما سوى الله، أو فناء الجنـة والنار، وكلاهما باطل.

وهذا ليس بدليل، وليس لَه إلى الحقِّ سبيل، بل ينبغي أن تقول بمـا هو الحق، على نمط لا يلزمك شيء من ذلك، ولا بطلان ما اتفق عليـه العقلاء من القاعدتين.

وها أنا ذا بيَّنت لك السَّبيل، وأقمت لك عليه الدليل، وحَسبنا الله ونعم الوكيل.

وإنَّما أطلت الكلام هنا؛ ليقول من أراد الحق بالدليل، ومـن أراد الباطل أو الجهل بالوهم والتخييل، فافهم.

وهذا كله مما أشرت إليه، هو معنى قولي: (لا تتناهى نفسه)، أي: لا

تستطيع أن تحصيها؛ لأنها لا تقف في سيرها على حدٍّ، لا تتوهم أن ليس وراء ذلك شيء، بحيث ينقطع السَّير، ولهذا تراها لا تفقد نفسها في تلك المراتب؛ لأنها ما دامت تدرك غيرها، فهي واجدة نفسها.

۞[النفس تطلب إدراك ما غاب عنها]:

قلتُ: (فَإِذَا نَظَرَتْ ذَاتَهَا بِذَاتِهَا -أَيْ: نَظَرَتْ بِفُؤَادِهَا- انْقَطَعَ وُجُوْدهَا، وَيَتْنَاهى كَوْنُهَا إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهَا نَظَرَتْ مِنْ مِثْلِ سَمِّ الإِبْرَةِ، فَاسْتَدَارَتْ عَلَى نَفْسِها، قَالَ الشَّاعِرُ:

قَدْ طَاشَت[1] النُّقْطَةُ فِي الدَّائِرَة وَلَمْ تَزَلْ فِي ذَاتِهَا حَائِرَة

وَقَالَ عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ؛ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»[2]، وَقَالَ عليه السلام لِكُمَيْلٍ رحمه الله: «مَحْوُ المَوْهُوْمِ، وَصَحْوُ المَعْلُوْمِ»[3]).

أقول: إنَّ النفس -لأجل ما قلنا- لا تزال تطلب إدراك ما غاب عنها، ولا تزال كلّ ما وصلت إلي مطلوبها طلبت ما فوقه.. وهكذا، حتَّى تنظر بفؤادها، وإذا نظرت بفؤادها وجدت شيئاً بلا إشارة ولا كيف، فهناك انقطع وجودها، وتناهى كونها، أي: وجودها حينئذٍ؛ لأنها نظرت إلى ما فوقها.

---

(١) في بعض النُّسخ: (قد ضلَّت).

(٢) مصباح الشريعة، ص: ١٣. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٢.

(٣) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وَص: ١٧٠.

فيكون نظرها من مثل سمِّ الإبرة؛ لعِظَم ما فوقها، وصغرها بالنسبة إليه، ولاجتماع نظرها، ولكنَّها لا تدرك ما فوقها، وإنَّما تدرك ما فيها منه؛ لأنها أثر لَه، فيجد ما تطلب ممَّا فوقها فيها، فتستدير على نفسها طلباً للدَّليل على ما فوقها، فهي الدَّليل على ما فوقها، فتغيب عن نفسها في نفسها، فلا تجدها حيث تعرفها.

قال الشَّاعر، وهو استشهاد على ما ذُكر، ومثالٌ لَه:

قد طاشت النُّقطة في الدَّائرة	ولم تزل في ذاتها حائرة
محجوبة الإدراك عنها بها	منها لها جارحة ناظرة
سَمَتْ على الأسماء حتى لها[1]	فوّضت الدنيا مع الآخرة

فالنقطة: علتها، وهي قطب وجودها.

ومعنى طاشت: انبسطت في غيب الدَّائرة بلا كيف ولا إشارة.

والدَّائرة: نفسها ونظرها بفؤادها المستدير على نفسه عند استدارته على علته، والنقطة -أيضاً- نظرها إلى علتها، فإنها نقطة تدور على قطبها، فتحدث منها دائرة محيطة على القطب الذي هو العلة.

فقد طاشت النقطة، أعني: نظر الفؤاد في الدائرة الحادثة من ذلك النظر؛ لانبساط النَّظر وشيوعه في هذه الدائرة، التي هي استدارته على نفسه.

ولم تزل النقطة -أعني: نظر الفؤاد- حائرة: في ذاتها، كناية عن

(١) في بعض النُّسخ: (حتَّى لقد).

استدارها محجوبة الإدراك، يعني: النُّقطة، أي: النَّظر محجوبة الإدراك عن نفسها بها، يعني: أنَّ نظر الفؤاد، وهو النفس حجبها وجودها عن إدراك ذاتها، فإذا حجبت من الوجدان وجودها وجدت نفسها وأدركتها، وإذا حجبت نفسها حصلت لها منها عين ناظرة، تبصر بها ذاتها، وفي الحديث: **«إِنَّ نَبِيّاً مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَى نَاجَى رَبَّهُ فَقَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ الوُصُولِ إِلَيْكَ. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَلْقِ نَفْسَكَ وَتَعَالَ إِلَيَّ»**.

فالنَّاظر إذا ترك نفسه وجدها، وذلك تأويل قوله تعالى: **﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۞ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾**[١].

سَمَتْ على الأسماء، يعني: أنَّ الفؤاد الذي هو النَّفس، الَّتي من عرفها فقد عرف ربَّه، وهو حقيقة الإنسان من ربه، فإذا جردت في الوجدان عن جميع السُّبحات حتى عن الإشارة والكيف؛ سَمَت، أي: ارتفعت عن رتبة جميع الأسماء؛ لتفرُّدها حين التجرُّد عن المثل، حتى كانت آية للعزِّ والقدس، والألوهية والرَّحمانية، والرُّبوبية في الدنيا والآخرة، وذلك لأنها إذا كشفت عنها جميع السُّبحات حتى الإشارة ظهرت بآية الأحدية، فمن عرفها فقد عرف ربَّه.

والمراد من تجرُّدها في الوجدان عما سواها: محو كل ما لم يكن إيَّاها؛ لأنَّه بالنسبة إليها موهوم، فإذا مَحَوْتَ الموهوم صحا المعلوم؛ لأنَّ الموهوم حجاب المتوهمين عن المعلوم، المحتجب بغير حجاب محجوب؛ لأنَّ

(١) سورة طه، الآيتان: ١٩-٢٠.

الحجاب لم يضعه للذّوات إلا لتتحقّق به في أنفسها، وتحقُّقها في أنفسها مانع لحاظ كونها أثر فعل الله، ونوراً من فعل الله.

فكانت تلك الموهومات -أعني: السُّبحات المسمَّاة بالحجاب- مثبتة بالإنِّية[1] الموهومة، وحاجبة للحقيقة المعلومة، أعني: كونها نور الله، وأثر فعله، فافهم.

۞[معرفة الرَّب ﷻ بالمحو والصَّحو]:

قلتُ: (وَكُلَّمَا وَصَلَ العَبْدُ إِلَى مَقَامٍ ظَهَرَ لَهُ الجَبَّارُ فِيْهِ؛ حَصَلَ لَهُ المَحْوُ وَالصَّحْوُ، فَهُنَاكَ عَرَفَ رَبَّهُ؛ لأَنَّهُ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالمَحْوِ وَالصَّحْوِ.

فَإِذَا اسْتَقَامَ فِيْهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا﴾[2]، حَتَّى ظَهَرَ لَهُ الأَثَرُ، ظَهَرَ لَهُ الجَبَّارُ فِي مَقَامٍ أَعْلَى مِنَ الأَوَّلِ، فَيَعْرِفُ فِيْهِ رَبَّهُ بِحُكْمِ المَحْوِ وَالصَّحْوِ بِطَوْرٍ أَعْلَى، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ المَقَامَ الأَوَّلَ مَقَام "خَلَقَ" قَدْ تَعَرَّفَ لَهُ فِيْهِ بِهِ، ثُمَّ تَعَرَّفَ لَهُ فِي الأَعْلَى، قَالَ عليه السلام: «تُدْلِجُ بَيْنَ يَدَي الْمُدْلِجِ مِنْ خَلْقِكَ»[3]).

أقول: فإذا كان نظره من الباب الّذي أمر الله أن يؤتى منه البيوت،

---

(١) في بعض النُّسخ: (مثبتة للإنِّية).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠. وَسورة الأحقاف، الآية: ١٣.

(٣) من أدعية قيام الليل، مروي عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، راجع: الكافي، ج: ٢، ص: ٥٣٨. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ١٢٣. وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٣٤. مفتاح الفلاح، ص: ٢٩٣. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٨٧.

أي: بيوت توحيده وعبادته؛ كان دائم الترقي إلى الله سُبحانه، فإذا وصل إلى مقام قد ظهر لَه الجبار فيه بصفة تعرَّف لَه.

وإنما خصَّ الجبَّار هنا؛ إمَّا للحاظ العظمة، وإمَّا لكونه جَابراً لِمَا كسره الجهل بمعرفته، فإذا وصل إلى ذلك حصل لَه محو المقام الأول؛ لانحطاطه عن بساطة وحدة ما فوقه، وهو الّذي وصل إليه وصحا لَه هذا المقام العالي بقدس أعلى، ووحدة أشرف[1] ممَّا دونه، فحصلت لَه معرفة بربه أعلى من معرفته الأولى؛ لأنَّ المقام الأوَّل موهوم بالنسبة إلى الثاني، والثاني معلوم بالنسبة إلى الأول.

فإذا استقام في المقام الثاني الأعلى؛ بأن تحقَّق في نفسه بآثاره[2] هذا المقام، كما قال عزَّ من قائل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾[3]؛ بالقيام بما يترتب على قولهم: (ربُّنا الله)، فإنه يترتب عليه: أن يمتثلوا أمره، ويجتنبوا نهيه، ليثبت يقينهم المعبَّر عنه بالاستقامة، فإنَّ يقين المؤمن والمنافق والكافر يُرى في عمله.

فإذا استقام كذلك ظهر لَه الجبَّار في مقام أعلى مما قبله..وهكذا، فيعرف فيه ربه بحكم المحو لكل مقام يجاوزه، والصَّحو في كلِّ مقام وصل إليه [بطورٍ][4] أعلى عن الأوَّل، بحيث يتبيَّن له أن المقام الأول مقام خلق

(١) في بعض النُّسخ: (ووجوده أشرف).

(٢) في بعض النُّسخ: (في نفسه بإثارة).

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠، وَسورة الأحقاف، الآية: ١٣.

(٤) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

قد تعرَّف له فيه به، ثم تعرَّف له في الأعلى، ويظهر لَه أيضاً أنَّ الأعلى ليس هو غاية السَّير إلى الله، بل الله سبحانه يسير معه ليوصله إلى ما يريد، كما قال عليه السلام: «تُدْلِجُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُدْلِجِ مِنْ خَلْقِكَ»[1].

والإدلاج: السَّير آخر الليل، أو مطلق السير في الليل؛ لأنه مقام العابدين.

۞[للعارف سيرٌ لا نهاية له أبداً]:

قلتُ: (فَإِذَا عَرَفَ رَبَّهُ فِي الأَعْلَى بِظُهُوْرِهِ لَهُ فِيْهِ بِهِ، وَنَظَرَ إِلَى الأَسْفَلِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ أَنَّهُ مَقَامُ خَلَقَ؛ ﴿وَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2]، وَهَكَذَا أَبداً يَسِيْرُ بِلَا نِهَايَة.

قَالَ تَعَالَى فِي الحَدِيْثِ القُدْسِيِّ -حَدِيْث الأَسْرَارِ-: «كُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُمْ عِلْماً، وَضَعْتُ لَهُمْ حِلْماً، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ»[3]).

---

(١) من أدعية قيام الليل، مروي عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، راجع: الكافي، ج: ٢، ص: ٥٣٨. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ١٢٣. وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٣٤. مفتاح الفلاح، ص: ٢٩٣. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٨٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٣) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وآله سأل ربَّه سبحانه ليلة المعراج فقال: «**يَا رَبِّ! أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟.**

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: لَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمْتُ.

←....

أقول: إذا عرف ربه في المقام الأعلى، وتجاوز من الأسفل بأن صعد عنه، وهو الذي تبيَّن له بعد أن تجاوزه أنه مقام (خَلَقَ)؛ تجلّى لَه فيه الجبَّار ﷻ، فلمَّا تجلّى لَه في الأعلى، ونظر إلى الأسفل حال تجلّيه له في الأعلى؛ ﴿وَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾، أي: عند الأسفل، إذ لا يخلو منه مكان ولا وقت، لا يحويه مكان ولا وقت، إذ كلّ شيء ظهوره فيه لَه، لا إله إلا هو.

﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾، أي: أنه تعالى يوفي عبده العارف به حساب كل مقام وصل إليه، وكلّ مقام تجاوز عنه صاعداً إلى ما فوقه، أو نازلاً عنه إلى ما تحته.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1]؛ ومعنى سريع الحساب: لا يخاف الفوت، وكيف يخاف الفوت مَنْ كلُّ شيء بفعله؟!.

←...

يَا مُحَمَّدُ! وَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلمُتَحَابِّيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلمُتَعَاطِفِيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلمُتَوَاصِلِيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلمُتَوَكِّلِيْنَ عَلَيَّ، وَلَيْس لِمَحَبَّتي عِلْمٌ وَلَا غَايَة وَلَا نِهَايَة، وَكُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُم عِلْماً وَضَعْتُ لَهُم عِلْماً. أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ نَظَرُوْا إِلَى المَخْلُوْقِيْنَ بِنَظَرِي إِلَيْهِم، وَلَمْ يَرْفَعُوْا الحَوَائِجَ إِلَى الخَلْقِ، بُطُوْنُهُم خَفِيْفَةٌ مِنْ أَكْلِ الحَرَامِ، نَعِيْمُهُم فِي الدُّنْيَا ذِكْرِي وَمَحَبَّتِي، وَرِضَائِي عَنْهُم». [إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٩٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٢١-٢٢].

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

ومعنى سريع الحساب: أنّه ألزم المقتضيات على ما تقتضيه، إذا كان الاقتضاء صدقاً[١]، وإن كان غير صدق؛ فبنسبة ما فيه من الصِّدق، فقد يتخلَّف الجزاء لنقص المقتضي، وقد يكون [قليلاً، وقد يكون][٢] لِمَانعٍ أقوى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٣].

[المقامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان]:

قلتُ: (وَهَذه الْمُشَارُ إِلَيْهَا هِيَ الْمَقَامَاتُ الَّتِي لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان، قَالَ الْحُجَّةُ عليه السلام فِي الإِشَارَة إِلَى ذَلِكَ فِي دُعَاءِ رَجَب: «وَمَقَامَاتكَ الَّتِي لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤُهَا مِنْكَ، وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ...إلَخ»[٤].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «لَنَا مَعَ اللهِ حَالَاتٌ نَحْنُ فِيْهَا هُوَ، وَهُوَ نَحْنُ، وَهُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ»[٥].

وَهَذَا طَرِيْقٌ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ لَا نِهَايَةَ لَهُ وَلَا غَايَة).

---

(١) في هامش بعض النسخ: (اقتضاً صدق).

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٤) إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٩٣.

(٥) اللمعة البيضاء، ص: ٢٨-٦٢-٧٢.

أقول: المقامات مظاهره التي تجلّى بها لعباده، وعباده في كل مكان؛ فتجلّى بهذه المقامات في كلّ مكان لكل شيء من خلقه، على حسب ما يحتمله وسعهم.

وتلك المقامات: أسماء الفاعل ﷻ؛ لأنَّ المقام تركّب وتقوّم من مادة فعل الفاعل وصورته، فمادته حقيقته، وصورته أثره، ومجموعهـا اسـم الفاعل، وذلك الأثر بفعله، مثاله: (قائم) بالنسبة إلى زيد، فإنه مركب من حركة إحداث القيام، ونفس القيام الذي هو الحدث والأثـر، فتركـب منهما اسم فاعل القيام، أعني: زيداً حال إحداثه للقيام لا مطلقاً، فقـائم وقاعد، وآكل وشارب ونائم..وما أشبه ذلك هي مقامات زيد وعلاماته، على نحو ما ذكرنا، والقيام والقعود، والأكل والشرب والنوم معاني زيد، أي: معاني أفعاله، يعني: آثارها؛ لأنها محال الأفعال.

ومثال ذلك: الحديدة المحماة بالنار، فإنها مقامات النار وعلاماتهـا، التي لا فرق بينها وبينها في الإحراق، إلا أنَّ الحديدة إنما تحرق بفعل النار القائم فيها، فالحديدة المحماة إذا أحرقت لم تحرق، وإنما أحرقت النار، على حد قوله تعالى: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**﴾[1]؛ لأنه ﷺ بمنْزلة الحديدة، وفعل الله الظاهر به ﷺ كفعل النار الظاهر بالحديـدة، والحديدة حينئذ ركن المحرق، كما أنَّ القيام ركن القائم.

وكما أنَّ محمداً وآله ﷺ ركن المقامات والعلامات، والتوحيـد

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

والآيات، فلا تظهر المقامات والعلامات والتوحيد [والآيات][1] إلا بهم وفيهم، كما لا تظهر حرارة النار إلا بالحديدة، وكما يجوز أن تظهر النار حرارتها في غير الحديدة؛ كالحجر والأرض، وإذا ظهرت في شيء كان محرقاً كذلك؛ يجوز أن يظهر فعل الله في غيرهم عليهم السلام لو شاء تعالى، ويفعل ذلك الغير بفعل الله كفعلهم، كما قال تعالى: **﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾**[3]، وهو سُبحانه لا يفعل ذلك أبداً، فلا يذهب بما أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وآله أبداً، وإن كان بالنسبة إلى المشيئة ممكناً، وهو تعالى قادر عليه.

ولا يظهر فعله في شيء غيرهم إلا بواسطتهم، فإنه تعالى أظهر جميع أفعاله فيهم عليهم السلام، ويظهر بعض وجوه بعض أفعاله فيمن شاء من خلقه بوساطتهم، هكذا جرت عادته في خلقه، وهكذا بدت قدرته، وهكذا مضت كلمته، وهكذا سبقت عنايته، وهو العليم الخبير.

ومعنى **«يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ»**: أنها هي الدليل عليه، وهي معنى ما وصف به نفسه لنا.

ومعنى **«لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا»**: أنّ من عرفها فقد عرفه، وأنه

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٦.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٦٠.

تعالى إنّما يفعل بها، ففعله لكلّ شيء هو فعله بها، وهو معنى قولهم عليهم السلام: **«مَنْ عَرَفَنَا فَقَدْ عَرَفَ اللّٰه، وَمَنْ جَهِلَنَا فَقَدْ جَهِلَ اللّٰه، وَمَنْ أَطَاعَنَا فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰه، وَمَنْ عَصَانَا فَقَدْ عَصَى اللّٰه»**(١)، قال تعالى: **﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ﴾**(٢).

ومعنى **«إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ»**: أنهم عليهم السلام مع ظاهر التّساوي والاتحاد ليس لهم في شيء من ذلك أمر، إلا ما أظهر من فعله فيهم، فهو بهم يفعل؛ لأنهم محالُّ فعله ومشيئته وإرادته، وهم بفعله يفعلون، كما قال تعالى: **﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾**(٣)، إذ لا فعل لهم لذواتهم، ولا عمل إلا بفعله وأمره.

---

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «..**يَا عَلِيُّ! مَنْ عَرَفَنَا فَقَدْ عَرَفَ اللّٰه، وَمَنْ أَنْكَرَنَا فَقَدْ أَنْكَرَ اللّٰه عزّ وجلّ**..». [الأمالي للصدوق، ص: ٦٥٧. كمال الدين، ج: ١، ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ١٦، ص: ٣٦].

وعن ابن نباتة قال؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ، وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ وَالأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدِكَ سَادَاتُ أُمَّتِي، مَنْ أَحَبَّنَا فَقَدْ أَحَبَّ اللّٰه، وَمَنْ أَبْغَضَنَا فَقَدْ أَبْغَضَ اللّٰه، وَمَنْ وَالَانَا فَقَدْ وَالَى اللّٰه، وَمَنْ عَادَانَا فَقَدْ عَادَى اللّٰه، وَمَنْ أَطَاعَنَا فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰه، وَمَنْ عَصَانَا فَقَدْ عَصَى اللّٰه**..». [الأمالي للصدوق، ص: ٤٧٦. بشارة المصطفى، ص: ١٥١. دعائم الإسلام، ج: ١، ص: ٥٧. الزهد، ص: ١٠٤. بحار الأنوار، ج: ٢٧، ص: ٨٨].

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٧.

ومعنى «**فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ**»، أي: أنَّه إذا شاء فَتْقَهُم فيعلمون بما أوحى إليهم، ويعملون بما أمرهم، وإذا شاء تعالى شأنه رَتْقَهُم فلا يعلمون شيئاً، ولا يعملون أمراً، وهو معنى قولهم عليهم السلام: «**يُبْسَطُ لَنَا فَنَعْلَمُ، وَيُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَمُ**»(١).

ومعنى قوله عليه السلام: «**بَدْؤُهَا مِنْكَ، وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ**»: أنَّ بدأها من فعله، يعني: أثراً لفعله كما يحب ويرضى، مما يحب ويرضى، لما يحب ويرضى، وعودها إلى ما بُدئت منه، أي: يعودون بما بدؤا منه، مما بدؤا منه، إلى ما بدؤا منه، وهم عليهم السلام قد خلقهم بمحبَّته ورضاه، من محبته ورضاه، لمحبته ورضاه.

وقول الصَّادق عليه السلام: «**لَنَا مَعَ اللهِ حَالَاتٌ...إلخ**»، يعني به: أنَّ لهم حالة مع الخالق، وحالة مع الخلق، فحالتهم مع الخالق: كونهم مَحَالٌّ لمشيئته وفعله، فإذا هم كما مرَّ مثل الحديدة المحماة، وهو في هذه الحالة

---

(١) قال الصَّادق عليه السلام: «**يُبْسَطُ لَنَا فَنَعْلَم، وَيُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَم، وَالإِمَامُ يُوْلَدُ وَيَلِدْ، وَيَصِحُّ وَيَمْرَضُ، وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَيَبُوْلُ وَيَتَغَوَّطُ، وَيَفْرَحُ وَيَحْزَنُ، وَيَضْحَكُ وَيَبْكِي، وَيَمُوْتُ وَيُقْبَرُ، وَيُزَادُ فَيَعْلَم.**

وَدَلَالَتُهُ فِي خِصْلَتَيْنِ: فِي العِلْمِ، وَاسْتِجَابَةِ الدَّعْوَةِ، وَكُلَّمَا أُخْبَرَ بِهِ مِنَ الحَوَادِثِ الَّتِي تَحْدُثُ قَبْلَ كَوْنِهَا كَذَلِكَ بِعَهْدٍ مَعْهُوْدٍ إِلَيْهِ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وآله، تَوَارَثَهُ مِنْ آبَائِهِ عليهم السلام».[الخصال، ج: ٢، ص: ٥٢٨. بصائر الدرجات، ص: ٥١٣. بحار الأنوار، ج: ٢٦، ص: ٩٦].

هو، وهم هم، وحالاتهم مع الخلق ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾[1]، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[2]، فالله سُبحانه ذاكرٌ بهم في الثانية، وهم ذاكرون به في الأولى، كما أنه تعالى ذاكرٌ بهم في الأولى، وهم ذاكرون به في الثانية.

ومعنى أنَّ هذا طريق إلى الله لا غاية له ولا نهاية: إنهم سائرون في عمق الإمكان بما لهم ولغيرهم، والله سُبحانه يسير أمامهم، فهو قائدهم بعنايته، وسائقهم بهدايته، «تُدْلِجُ بَيْنَ يَدَيِ الْمُدْلِجِ مِنْ خَلْقِكَ»[3]، وهذا السَّير لا أوَّل له في الإمكان ولا آخر له.

۞[ظهر سُبحانه لك بك، وبك امتنع عنك]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَقَامٍ ظَهَرَ اللهُ فِيْه لِعَبْده فَهُوَ مَظْهَرُهُ وَصِفَتُهُ، وَهِيَ حُرُوْفُ ذَاتِ العَبْدِ، لَا حَقِيْقَة لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ ظَهَرَ لَكَ بِكَ، وَبِكَ احْتَجَبَ عَنْكَ.

فَلَا سَبِيْلَ لَكَ إِلَى مَعْرِفَتِه إِلَّا بِمَا تَعَرَّفَ لَكَ بِه، وَلَمْ يتعرَّف لَكَ إِلَّا فِيْكَ وَبِكَ، قَالَ عليه السلام فِي نَهْجِ البَلَاغَةِ: «لَا تُحِيْطُ بِهِ الأَوْهَامُ، بَلْ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٩.

(٣) من أدعية قيام الليل، مروي عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، راجع: الكافي، ج: ٢، ص: ٥٣٨. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ١٢٣. وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٣٤. مفتاح الفلاح، ص: ٢٩٣. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٨٧.

تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا»(١).

أقول: كلُّ مقامٍ -أعني: كلُّ رتبة من مراتب ظهـــوره- ظهـــر الله تعالى فيه، أي: في ذلك المقام لعبده، فهو -أي: ذلك المقام- مظهره، أي: محل ظهور الله فيه وصفته، أي: صفة فعل الله.

وهي -أعني: تلك المقامات- حروف ذات العبد، أي: أجزاء ذاته، وسُمِّيت أجزاء الذات حروفاً باعتبار إطلاق الكلمة على الـــذّات، فـــإنّ الكلمة مؤلفة من الحروف، فهذه المراتب من الوجود بمجموعهـــا حقيقـــة العبد، لا حقيقة لَه غير ذلك؛ لأنّا قد قدَّمنا: أنه تعالى تعرَّف لعبـــده، و لم يتعرف لَه إلا بذاته.

وهو معنى قولي: (و لم يتعرَّف لك إلا فيك، وبك احتجب عنك)؛ لأنّك إذا التفتَّ إلى إنيَّتك وجدت نفسك مستقلاً، فلا تجد نفسك دليلاً على وجوده، إلا إذا نفيت وجودك من وجدانك، فرأيت نفـــسك أثـــراً لفعله، ونوراً من صنعه، فإنَّك حينئذٍ -أي: حين لم تجد نفسك- تكـــون دليلاً عليه، إذ الأثر يدل على المؤثر، والنُّور يدل على المنير.

وحيث كان تعالى لا تدركه الأبصار، ولا تحـــيط بـــه البـــصائر والخواطر والأفكار؛ لأنَّ (الأدوات إنما تحدُّ أنفسها، وتـــشير الآلات إلى

---

(١) نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. شرح نهج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٦١.

نظائرها)[1]، كان ﷻ لا يعرف إلا بما تعرَّف به، ووصف نفسه به، ولا سبيل إلى معرفته إلا من هذا الطريق، وهو ما وصف به نفسه، وإلى ما ذكرنا أشار سيد الوصيِّين -كما رواه في النَّهج-: **«لَا تُحِيْطُ بِهِ الأَوْهَامَ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا»**[2].

ومعنى **«تَجَلَّى لَهَا بِهَا»**: ما قلنا سابقاً أنه لا يتجلى بذاته، إذ لا تختلف عليه أمور حالاته، بل هو على حال لا يحول عنها في جميع الأحوال، وإنما يتجلى بأفعاله وبآثارها لأفعاله ولآثارها، وهو معنى: **«تَجَلَّى لَهَا بِهَا»**، فكنتَ أنت نفس تجلِّيه لك بك.

ومعنى **«وَبِهَا امْتَنَعَ مِنهَا»**، أي: احتجب منها، كما قلنا: أنها إذا التفتت إلى نفسها لم تجد نفسها أثراً ولا نوراً، وإنما تراها قائمة مستقلة، فلا تدرك إلا نفسها، فإذا كشفت ظاهرها، ونظرت إلى حقيقتها؛ وجدت حقيقتها نقشاً فهوانياً، وخطاباً شفاهياً، فاحتجب عنها بها، حيث نظرت إلى نفسها، وتجلى لها بها، حيث وجدت نفسها نقشاً فهوانياً، وخطاباً شفاهياً، فعرفته بصفته التي تعرَّف لها بها، وهي حقيقتها منه،

---

(١) مقتبسٌ من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، راجع: نهج البلاغة، ص: ٢٧٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥٢. التوحيد، ص: ٣٩. تحف العقول، ص: ٦١. أعلام الدين، ص: ٥٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٠. بحار الأنوار، ج: ٤ ص: ٢٢٩.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. شرح نهج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٦١.

أعني: كونها أثراً ونوراً وخطاباً.

ومعنى «وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا»: أنه ﷻ يستشهدها على أنفسها، هل هي إلا أثره ونوره؟، فتشهد لَه أنه لا إله إلا هو، لا يرى فيها نوراً إلا نوره، ولا يسمع فيها صوتاً إلا صوته، ولا يعرف شيئاً إلا أثره، يعني: لا يُرى إلا نور فعله وصنعه، ولا يسمع إلاّ صوت فعله، وصرير قلم إيجاده، ولا يعرف إلا أثره؛ لانحصار ما سوى الله في أثر فعله.

۞ [المتجلّي نقطةٌ يدور عليها التّجلّي]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْمُتَجَلِّي نُقْطَةٌ يَدُوْرُ عَلَيْهَا التَّجَلِّي، فَهُوَ كُرَةٌ مُجَوَّفَةٌ لِفِعْلِ التَّجَلِّي، وَفِي الإِنْجِيْلِ: «أَيُّهَا الإِنْسَانُ!، اعْرِف نَفْسَكَ تَعْرِفُ رَبَّكَ، ظَاهِرُكَ لِلفَنَاء، وَبَاطِنُكَ أَنَا»[1]).

أقول: اعلم أن المتجليِّ -أعني: العلّة- نقطة واقفة ساكنة، أي: قائمة بنفسها، يدور عليها التَّجلي، الذي هو كرة مجوَّفة لفعل التجلي، يعني: أنَّ التَّجلي الذي هو الأثر، وهو المفعول كرة مجوَّفة؛ لأنَّ علتها في باطنها، فلذا كانت مجوَّفة لفعل التجلي.

وفعل مضاف إلى التَّجلي، وهو مفعوله، والمعني: أنَّ المتجلّي الذي

---

(١) قال الحافظ رجب البرسي؛ يقول الرب الجليل في الإنجيل: **«أَيُّهَا الإِنْسَانُ!، اعْرِف نَفْسَكَ تَعْرِفُ رَبَّكَ، ظَاهِرُكَ لِلفَنَاءِ، وَبَاطِنُكَ للبقاء»**. راجع: الجواهر السنية، ص: ١١٦.

هو الفاعل، الذي هو في الحقيقة باطن كلّ شيء، وخارج عن كلّ شيء؛ جعل التَّجلي الذي هو مفعوله يدور على فعله، أي: فعل المتجلي للتَّجلي. فيكون الفعل هو باطن المفعول، والمفعول يدور عليه.

فالفعل: نقطة ساكنة، والمفعول: نقطة دائرة عليها إلى كل جهة، فلذا كانت كرة و لم تكن دائرة، وهذا معنى ما في الإنجيل: «**بَاطِنُكَ أَنَا**»، أي: فِعْلِي، «**وَظَاهِرُكَ لِلْفَنَاءِ**»، يعني: يُعدم، فإذا عُدِمَ وأراد إعادته أحدثه منه، أي: من الفعل، كما أحدثه من قبل، قال تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾[1].

۞[لجميع الخلق استدارة على فعل الله]:

قلتُ: (**فَلِجَمِيْعِ الخَلْقِ اسْتِدَارَةٌ عَلَى فِعْلِ اللهِ وَاحِدَةٌ كرّية، فَكُلُّ الخَلْقِ كُرَةٌ وَاحِدَةٌ مُجَوَّفَةٌ، تَدوْرُ عَلَى نُقْطَةٍ هِيَ فِعْلُهُ تَعَالَى.**

وَأُصُوْلُ الخَلْقِ كُرَاتٌ مُجَوَّفَةٌ كَذَلِكَ، كُلُّ أَصْلٍ كُرَةٌ تَامَّةٌ تَدُوْرُ عَلَى نُقْطَةٍ، هِيَ وَجْهُ ذَلِكَ الأَصْلِ مِنَ المَشِيْئَةِ، وَلَا تَدُوْرُ عَلَى مِحْوَرٍ؛ لِأَنَّ الاسْتِدَارَةَ عَلَى مِحْوَرٍ تُحْدِثُ مِنْ أَجْزَاءِ الكُرَةِ دَوَائِرَ لَا كُرَاتٍ، فَتَكُوْنُ الاسْتِدَارَةُ عَلَى جِهَةٍ، فَلَا تَكُوْنُ العِلَّةُ مُحِيْطَةً بِالمَعْلُوْلِ، وَلَا تَتَسَاوَى الأَجْزَاءُ المُتَسَاوِيَةُ فِي الرُّتْبَةِ إِلَى مُنْتَصَفِ المِحْوَرِ، الَّذِي هُوَ النُّقْطَةُ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ مَا كَانَ مِنَ الأَجْزَاءِ فِي جِهَتَي القُطْبَيْنِ لِلْمِحْوَرِ لَا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

تَدُوْرُ عَلَى النُّقْطَةِ، وَوَجْهُ الكُرَةِ مِنَ العِلّةِ لَيْسَ مِحْوَراً مُسْتَطِيْلاً، بَلْ نُقْطَةٌ).

أقول: لجميع الخلق استدارة واحدة كرّية على فعل الله سبحانه وتعالى؛ لتساويها في الافتقار إليه، ولتساوي نسبته إليها، ولقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[2].

ولِمَا ورد في كيفية الحساب يوم القيامة، وأنه تعالى يخاطبهم بلسان واحد يقع على كلّ شخص بلغته، ومثله ما قال تعالى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]، فإنَّ كل واحد ينظر في كتابه، ويقرأ ولي الله كتابه، أي: كتاب الله الناطق، فيكون بلسان واحد، ولفظ واحد، طبق كل كتاب من كتبهم، لا يخالفه حرف منه حرفاً منها.

والأصل في ذلك: أنَّ الفعل -أي: الإيجاد- انبسط على أول الخلق وآخره، وظاهره وباطنه، وجوهره وعرضه، وعينه ومعناه، وموصوفه وصفته، فتختلف الأشياء باختلاف قوابلها، وتتقدَّم وتتأخَّر باختلاف

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الجاثية، الآيتان: ٢٨-٢٩.

أوقاتها، وتكبر وتصغر باختلاف كمِّها، فالفعل متساوي بالنسبة إلى كلّ فردٍ فردٍ، وجزء جزء، وإن تعاقبت رؤوس التعلقات، فالفعل واحد، والمصنوع باعتبار الجملة واحد.

فبهذا الاعتبار -يعني: مطلق افتقارها إليه- للجميع دورة واحدة عليه، ثم أصول الخلق كالعقل الكلي والنفس الكلية.. وغيرهما من الأفلاك الغيبية المجرَّدة، وكأفلاك الشهادة كفلك زحل، وفلك المشتري والمريخ، والشَّمس والزهرة، وعطارد والقمر، وكالعناصر كلها كُرات، كل واحد منها كُرة مجوَّفة، تدور على أصلها ووجهها من المشيئة.

فلكل واحد استدارة يختص بها، واستدارة يشارك فيها غيره، وكل جزئي من كل واحد أو جزء فله استدارة على وجهه الخاص به، واستدارة يشارك فيها غيره من مثله في كليِّه، واستدارة يشارك بها كليه أو كله، واستدارة يشارك بها جزئيه أو جزءه.. وهكذا كل كلّي أوكل، وكل جزئي أو جزء.

ولا يدور شيء من هذه المذكورات في دورانه على علته على محور؛ لأنَّه يدور عليها لا إلى جهة، والاستدارة على محور استدارة على جهة، ولو استدار على محور حدثت من أجزائه دوائر لا كُرات، كما هو شأن الاستدارة على جهة.

ولا تكون العلة محيطة بالمعلول، ولتعددات العلل بعدد أجزاء المعلول، فيختص كل معلول من أجزاء الشيء بعلته من غير مشاركة الآخر لَه، فيلزم استقلال كل جزء وانفراده عن الآخر، وتكون الأجزاء

المتساوية في الرتبة غير متساوية إلى منتصف المحور، الذي هو النقطة العلّية؛ لأنَّ ما كان من الأجزاء في جهة القطبين للمحور لا تدور على النقطة، التي في منتصف المحور؛ ولهذا كانت دوائر صغاراً، ولو كانت تدور على النقطة التي هي منتصف المحور؛ لكانت عظاماً، ولَمَا تحقّق محور قط، وللزم أن تكون استدارتها على النقطة، لا إلى جهة كما هو مقتضى الحاجة المطلقة، فيكون كرة.

ووجه الكرة لا يصح أن يكون محوراً مستطيلاً؛ لأنَّه إذا كان مستطيلاً اختلفت جهات أجزاء الشيء الواحد، فيكون كل جزء له قطب غير قطب الآخر، وتتعدَّد العلل، وتتعدَّد المعلولات.

۞ [الاستدارة الذّاتية والعرضيَّة]:

قلتُ: (وَالأَصْلُ الثّاني يَدُوْرُ عَلَى الأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ لِلثّانِي نُقْطَةٌ، وَيَدُوْرُ عَلَى النُّقْطَةِ الأُوْلَى، فَلَهُ اسْتِدَارَتَان:

اسْتِدَارَةٌ ذَاتِيَّةٌ: تَدُوْرُ عَلَى نُقْطَةِ الأَصْلِ الأَوَّلِ.

وَ[اسْتِدَارَةٌ] عَرَضِيَّةٌ: تَدُوْرُ عَلَى الأَوَّلِ إِذَا كَانَ مُتَرَتِّباً عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَعَلَى جِهَةِ لَوَازِمِهِ مِنْ وَضْعٍ وَإِضَافَة.. وَغَيْرِهِمَا.

وَهُمَا اسْتِدَارَةٌ وَاحِدَةٌ بِلِحَاظِ وِحْدَةِ الدَّائِرَةِ، وَلِهَذَا كَانَ أَبْطَأَ مِنَ الأَصْلِ الأَوَّلِ، كَاسْتِدَارَةِ الكَوْكَبِ عَلَى قُطْبِ تَدْوِيْرِهِ، وَاسْتِدَارَتُهُ عَلَى قُطْبِ الخَارِجِ المَرْكَزِ، فَإِنَّ اسْتِدَارَتَهُ فِي التَّدْوِيْرِ عَلَى نَفْسِهِ، فَهِيَ عَرَضِيَّةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَحَقُّقِهِ وَأَصَالَتِهِ، وَاسْتِدَارَتُهُ عَلَى قُطْبِ الخَارِجِ

الْمَرْكَزِ ذَاتِيَّة؛ لِأَنَّهَا وَجْهُهُ إِلَى أَصْلِ تَحَقُّقِه؛ لِأَنَّ هَذِه أَصْلٌ لِاسْتِدَارَتِه عَلَى تَدْوِيْرِه، فَائِضَةٌ عَنْهَا، مُتَفَرِّعَةٌ عَلَيْهَا).

أقول: أنَّ الأصل الثاني كالعقل الكلي يدور على الأول، أعني به: الحقيقة المحمدية ﷺ؛ لأنَّ الحقيقة المحمَّدية ﷺ للعقل نقطة، أي: علة يدور عليها بالعرض؛ لأنَّ استدارته على الفعل ذاتية، لقيام العقل به قيام صدور، واستدارته على الحقيقة المحمدية ﷺ عرضية؛ لأنها وإن تقوَّم بها ركنياً وتحقُّقياً، إلا أنها عرضية، لأنها أثر للفعل وتأكيد لَه، فهو أشد منها، فتكون نسبة افتقار العقل إلى الفعل أحق وأسبق من افتقاره إلى الحقيقة المحمَّدية ﷺ.

فإذا نسبنا[1]: كان ما إلى الفعل ذاتياً، وما إلى الحقيقة عرضياً؛ لأنَّ الحقيقة علَّة مادية للعقل الكلي، والفعل علة فاعلية، وعلة للعلة المادية.

۞[سبب بُطء استدارة الأصل الثَّاني]:

قلتُ: (وَإِنَّمَا كَانَتْ اسْتِدَارَةُ الثَّانِي بَطِيْئَة؛ لِحُصُوْلِ الْكَثْرَةِ فِيْهَا، وَكُلَّمَا كَثُرَتْ الْوَسَائِطُ كَثُرَتْ الاسْتِدَارَاتُ وَكَانَ أَبْطَأ، وَتَتَرَتَّبُ الْعَرَضِيَّاتُ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، فَمَا قَرُبَ مِنَ الدَّائِرَةِ كَانَ أَضْعَف، وَالذَّاتِيَّةُ أَبَداً وَاحِدَةٌ).

أقول: وكلَّما كان أبسط كان أسرع في حركته القابلية الانفعالية،

---

(١) في بعض النُّسخ: (فإذا نُسِبا).

وكلّما كان أكثر تركيباً، أو اجتماعاً وتأليفاً؛ كان أبطأ، وإنما كانت استدارة الأصل الثاني بطيئة لأجل حصول الكثرة فيها، التي تحصل بها الاستدارات الكثيرة.

وكثرة الاستدارات لكثرة الوسائط؛ لأنّ المتأخر لَه على ما تقدم عليه دورات، لكل واحد استدارة، وكلها عرضيات إضافية، إلى أن ينتهي إلى الاستدارة على علة العلل وقطب الأقطاب، فتكون استدارته عليها ذاتية.

وكلّما قرب منها كانت عرضيتها أقوى ممّا تحتها، وكلّما قرب من الدائرة كانت أضعف؛ لِمَا قُلنا: من أنها في الأعلى استدارة على العلّة، وفي الأسفل استدارة على المعلول، وإن كان المعلول علة لِمَا تحته، فإنّ ما فوقه علة له ولِمَا تحته، فالاستدارة عليها أقوى، فهي عرضيات متفاوتة في الشِّدة والضَّعف بنسبة القرب من العلة والبعد عنها، والذاتية التي ليست عرضية أصلاً واحدة.

ولو أُطلق على الدَّورات المتوسطة الذاتية باعتبار ما تحتها، والعرضية باعتبار ما فوقها؛ لم يكن به بأس، إلا أنّه على جهة المجاز، فافهم.

۞[كلُّ عالمٍ كُرةٌ واحدة]:

قلتُ: (وَهَكَذَا حُكْمُ كُلّ أَصْلٍ، وَلِفُرُوْعِ ذَلِكَ الأَصْلِ هَذَا الحُكْمُ، كُلُّ فَرْعٍ كُرَةٌ وَاحِدَةٌ لَهُ دَوْرَاتٌ، دَوْرَةٌ عَلَى أَصْلِه، وَعَلَى كُلّ مَا سَبَقَهُ دَوْرَةٌ، وَعَلَى القُطْبِ الأَوّلِ كَذَلِكَ، وَقِسْ عَلَيْهِ كُلّ شَيْء

بِنسْبَةِ حَالِ ذَاته وَعَوَارِضهَا، فَكُلُّ عَالَمٍ كُرَةٌ، وَكُلُّ نَوْعٍ كُرَةٌ، وَكُلُّ صِنْفٍ كُرَةٌ، وَكُلُّ شَخْصٍ كُرَةٌ، وَكُلُّ جُزْءٍ كُرَةٌ).

أقول: يعني أنَّ كلَّ أصل من الأصول الكلّية الإضافية والجزئية الإضافية نسبتها في الاستدارات على عللها وأصولها؛ كنسبة الكليات والجزئيات فيما مثّلنا به، وهو معنى قولنا: (وقِس عليه كلَّ شيء بنسبة حال ذاته وعوارضها).

والفرع يدور على أصله، وفرعه يدور عليه؛ كما أنَّ الأصل يدور على أصله إذ النسبة واحدة، فكل عالم كُرة واحدة، وكلُّ نوع منه -أي: من ذلك العالم- كرة واحدة، وكلُّ صنفٍ من ذلك النوع كُرة واحدة، وكلُّ شخصٍ من ذلك النوع كُرة واحدة، وكُلُّ شخصٍ من أشخاص تلك الأصناف كُرة واحدة، وكلُّ جزء من أجزاء تلك الأشخاص كرة واحدة.. وهكذا.

وحكم دورة كلِّ جزء منفرداً ومنضماً إلى غيره في الدورة؛ حكم ما تقدَّم من الإسراع والإبطاء، والذّاتية والعرضيَّة.

❁[ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف]:

قلتُ: (وَهَكَذَا أَحْكَامُهَا فِي الأَوْضَاعِ وَالتَّضَايُفِ وَالنِّسَبِ كُلِّهَا، فِي التَّسَاوِي وَالتَّعَارُفِ وَالتَّنَاكُرِ، إِلَّا أَنَّهَا فِي التَّنَاكُرِ تَدُوْرُ عَلَى التَّعَاكُسِ هَكَذَا: (< >)، وَفِي التَّعَارُفِ عَلَى جِهَةِ التَّوَاجُهِ هَكَذَا: (> <)، وَفِي التَّسَاوِيْ عَلَى جِهَةِ الْمُمَاثَلَةِ: (>>).

وَأَمَّا فِي التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ وَحَدهَا هَكَذَا: (٨ >)، وَفِي الصِّفَاتِ وَحَدهَا هَكَذَا: (٧٨)، وَفِيهِمَا مَعاً هُوَ التَّنَاكُرُ كَمَا مَرَّ، قَالَ عليه السلام: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[١].

أقول: وأحكام الأصول والفروع الكلّيات والجزئيات في الإسراع والإبطاء في الاستدارات العرضية والذاتية بالنسبة إلى أحكامها في الأوضاع والتَّضايف والنِّسب.

أما الأوضاع: فجمع وضع، أعني: التَّحيُّز، أو ترتُّب بعض الأجزاء إلى بعضها، أو إلى البعض الخارجي.

وأما التَّضايف: كالأمور المتساوقة في الوجود، أو الظهور كالأبوة والبنوة، وكزوجية الأربعة، وكإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل، وكوجود الرطوبة من نكاح الحرارة للبرودة، ووجود اليبوسة من نكاح البرودة للحرارة، وكحمرة الزَّنجفر من الكبريت والزئبق، وكسواد المداد من الزَّاج والعفص.. وما أشبه ذلك.

فإنَّ لكل واحد من الاثنين استدارة على الآخر، إمَّا فعلية وانفعالية، أو فاعلية ومفعولية، أو ظهورية وركنيَّة، أو فاعلية باعتبار، مفعولية

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٨٠. الأمالي للصدوق، ص: ١٤٥. جامع الأخبار، ص: ١٧١. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٨٤. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٢٨٨. المسائل السروية، ص: ٣٧. مصباح الشريعة، ص: ١٥٦.

باعتبار، أو استدارة تتميم وتكميل، أو استدارة توليد.. وما أشبه ذلك.

وأمَّا النِّسب: فكالتقييد بالحيثيات والاعتبارات، فإنَّ لكلٍّ منهما استدارة حيثية أو اعتبارية، والنِّسب كلُّها تنحصر في نسبة التساوي، أي: التماثل، وهو لا يقتضي تساوي الاستدارتين في الإسراع والإبطاء، وإن تساويا في العرضية والذاتية وفي نسبة التَّعارف، وهو لا يقتضي التساوي في الإسراع والإبطاء، ولا في عدد العرضيَّة وفي نسبة التَّناكر، وهو أيضاً كالتَّعارف في عدم اقتضاء التساوي في الإسراع والإبطاء وعدد العرضيَّة، إلا أنَّ الأكثر في التَّعارف والتَّناكر التَّساوي بين المتعارفين والمتناكرين في جهة التَّعارف والتَّناكر.

وإذا وقع بينهما التَّعارف أو التَّناكر في غير جهتيهما؛ فذلك من جهة الماهية الطَّاغية إلا أنَّها، أعني: ذوات الاستدارات من الكلِّيات والجزئيات، والأصول والفروع في صورة التَّناكر تختلف استداراتها اختلافاً كُلِّياً، فتدور على التعاكس، يعني: أحدهما يخالف باستدارته استدارة الآخر، وصورة استدارتهما هكذا: ")("، فإذا ابتدأ أحدهما في الاستدارة من الطرف الأعلى مثلاً إلى جهة اليمين، ابتدأ الآخر في الاستدارة من الطرف الأسفل إلى جهة الشمال، وهذا إذا كان أحدهما من أصحاب اليمين والآخر من أصحاب الشِّمال.

وأمَّا إن كانا معاً من أصحاب اليمين إذا ابتدأ أحديهما في الاستدارة من الطرف الأعلى إلى جهة اليمين؛ ابتدأ الآخر من الطرف الأعلى إلى جهة الشِّمال.

وإن كانا من أصحاب الشمال معاً؛ ابتدأ أحدهما من الطرف الأسفل إلى جهة اليمين، ابتدأ الآخر من الطرف الأسفل إلى جهة الشِّمال.

ولا يدور أصحاب اليمين من الطرف الأسفل إلا حال معصيته بما فيه من اللَّطخ، ولا يدور أصحاب الشمال من الطرف الأعلى إلا حال طاعته بما فيه من اللَّطخ في صورة التَّعارف، على عكس ما ذكرنا في التَّناكر؛ لتوافقهما في ذاتيهما وصفاتيهما، بعكس التَّناكر، وصورة استدارتهما هكذا: "()"، فإذا ابتدأ أحدهما في الاستدارة من الطرف الأعلى إلى جهة اليمين، ابتدأ الآخر من الطرف الأعلى إلى جهة اليمين.

ولا يلزم تنافٍ إذا ابتدأ كلٌّ منهما من اليمين، حيث أنهما مع التَّعارف متقابلان، فإذا كان في التقابل يمين كلّ منهما إلى جهة يسار الآخر؛ يكون ابتداء استدارة أحدهما إلى جهة انتهاء استدارة الآخر، فيوهم ذلك أنه تناكر، مع أنه من التوافق؛ لجريان الاستدارتين معاً على جهة اليمين، فلا تنافي بينهما.

وكذلك لو كان المتعارفان من أصحاب الشِّمال، فإنَّه إذا ابتدأ أحدهما في الاستدارة من الطرف الأسفل جهة الشِّمال؛ ابتدأ الآخر من الطرف الأسفل إلى جهة الشِّمال، ولا تنافي بينهما كما قلنا في أصحاب اليمين.

وفي صورة التَّساوي في أصحاب اليمين وأصحاب الشِّمال على جهة المماثلة، وإن اختلفت رتبتهما، إذ قد يختلفان في الرتبة، وفي

الإسراع والإبطاء، وفي عدد العرضيات، وصورة استدارتهما هكذا: "دد"، ويكونان من أصحاب اليمين، ويبتدآن بالأعلى على اليمين وعن أصحاب الشمال[١]، ويبتدآن من الأسفل على الشمال، وقد يختلفان ببعض دواعي اللّطخ، وحينئذٍ قد يختلفان في الابتداء وفي التّوجه، وفي الإسراع والإبطاء.

وأمّا التّغاير في الذات وحدها، وهو التّناكر في الذوات، والتّعارف في الصِّفات، إلا أنه بوجه من التّناكر والتعارف، ولذا عبَّرت عنه بالتّغاير، ورسمت صورة استدارتيهما الذّاتيّين على غير صفة استدارة التّناكر أو التّعارف، فقلتُ: صورة استدارتيهما هكذا: " ٧٨ دد "، وما في الفوق ذاتي، وهو "٧٨"، وما في التحت صفتي، لكن الذات أعلى منها: "دد"، وصورة استدارة الصِّفات على التّعارف، والذات على التّغاير هكذا: " ٧ >"، وبالعكس هكذا: "٨ >"، فكانت صورة استدارة الصِّفات كصورة استدارة التّساوي.

وأمّا في الذوات فليست كالتعارف ليتقابلان بالوجوه، ولا كالتناكر فيتقابلان بظهورهما، ولا كالتساوي فتقابل وجوههما جهة واحدة، بل على حالة مغايرة للثلاثة: " ٨ ٧ ٨ ٧ ".

وهذا النوع قد لا يتنافيان في جهة الذوات، وإن كان قليلاً؛ لأجل ملاءمة الصِّفات، وقد يتنافيان في الصِّفات قليلاً؛ لأجل تنافي الذوات،

---

(١) في بعض النُّسخ: (من أصحاب الشمال).

وقد يتعارفان وقد يتناكران، وهذا كلّه موجب للاختلاف في الإسراع والإبطاء في عدد العرضيات، ومثل هذا في جميع ما ينسب إليه حكم التّغاير في الصفات، وحدها وصورها هكذا: " د د ٨ ٧ "، وإن اختلف المتغايران شدةً وضعفاً، فإنّ التّغاير في الذات أقوى وأشد من التّغاير في الصِّفات، والتّغاير في الذات والصفات هو التّناكر، كما أنّ التساوي في الذوات والصفات هو التّعارف.

وقوله عليه السلام: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[1]، يعني: أن الأرواح عساكر، جمعتها الغاية الإلهية بدواعي طبائعها، فما تعارف منها، بأن كان في عالم الأظلة، وفي الورق الأخضر، وعالم الذّر ظلّ المتعارف وورقته مقابلاً بوجهه لظلّ من تعارف معه وورقته، ائتلف في هذه الدنيا؛ لأنّ ورقة كلّ واحد منهما في غصن واحد متقابلان بوجوههما، وكذلك المتناكران.

وأمّا المتساويان: فقد يكونان في غصن، وقد يكون في غصنين.

وأمّا المتغايران في الذوات خاصة: فكل واحد في غصن، وظلّه قد يكون مع ظلّ مغايره في غصن، وقد يكون في غصنين.

وأمّا المتغايران في الصِّفات: فهما في غصن واحد غالباً، وقد يكونان

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٨٠. الأمالي للصدوق، ص: ١٤٥. جامع الأخبار، ص: ١٧١. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٨٤. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٢٨٨. المسائل السروية، ص: ٣٧. مصباح الشريعة، ص: ١٥٦.

في غصنين، وصفاتهما في غصنين، فافهم.

[معنى التَّعارف والتَّناكر، والمساواة والمغايرة]:

قلتُ: (وَمَعْنَى التَّعَارُفُ: يَنْظُرُ أَحَدُهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِه.
وَمَعْنَى التَّنَاكُر: ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِ صَاحِبِه.
وَالمُسَاوَاةُ: مِنَ التَّعَارُف فِي التَّبَعِيَّة.
وَالمُغَايَرَة: أَحْوَال، وَانْظُر إِلَى تَمْثِيلِ الأَشْكَال:
وَلِكُلٍّ رَأَيْتَ مِنْهُمْ مَقَاماً شَرْحُهُ فِي الكِتَابِ مِمَّا يَطُوْلُ).

أقول: معنى التَّعارف؛ ينظر أحدهما في وجه صاحبه، سواء كانا في غصن واحد، أم في غصنين كما ذكرنا قبل.

ومعنى التَّناكر: ظهره إلى ظهر صاحبه، كما مثلنا به قبل في الأشكال، وفي البيان.

وأما المساواة: فمن التعارف في التبعيَّة، يعني: أنها نوع من التعارف الصفاتي.

وأما المغايرة: فهي أحوال متعدِّدة، كما أشرنا إلى نوع ذلك، وإلا فأفراد المتغايرين كثيرة جداً، فالتَّناكر منها في بعض الأحوال والمساواة قد تكون بمحض الصِّفات، فتكون المغايرة من جهة الذات، وقد تكون المساواة بالعكس، فتكون المغايرة في غير جهتها، إذ لا تجتمع مع المساواة في جهة واحدة.

وإذا تدبَّرت وضع هذه الأشكال، التي هي تصوير لدورات

الكرات؛ ظهر لك الحال:

(ولكلٍّ رأيت منهم مقاماً).

هذا البيت من قصيدة عبد الله بن قاسم[1] السَّهروردي، في وصف أحوال السَّائرين، وأحوال الواصلين، وصفات مطلوبهم، وهذا الذي ذكرته لك من الاستدارات هو باطن ما ذكره في قصيدته.

[المعنى الصَّحيح للاستدارة الصُّدوريَّة]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَم أَنَّ الكُرَةَ إنْ كَانَتْ اسْتدَارتُهَا عِبَارَةٌ عَنْ اسْتدَارَة قَوْسٍ مِنْ مُحيْطِهَا؛ فَهِي تَدُوْرُ عَلَى مِحْوَر، وَتُحْدثُ مِنَ الأَجْزَاءِ الدَّوَائر لَا الكُرَات، وَلَيْسَ تِلْكَ الاسْتِدَارَةُ الصُّدُوْرِيَّةُ عَنِ العِلَّة البَسِيْطَة، الَّتي هِيَ فعْلُ الله سُبْحَانَهُ وَمَشيْئَتُهُ.

بَلْ الاسْتدَارَةُ الصُّدُوْرِيَّة: أَنْ يَكُوْنَ كُلُّ جُزْء مِنْ الكُرَة عَلَى قُطْبِهَا، فَتَكُوْنُ اسْتدَارَةُ الكُرَة عَلَى قُطْبِهَا لَيْسَتْ إلَى خُصُوْصِ جِهَةٍ؛ لِأَنَّ ذَلكَ مِنْ خَوَاصِّ الأَجْسَامِ فِي حَرَكَاتِهَا الجِسْمَانيَّة).

أقول: اعلم أنَّ الكرة التي ذكرناها ليست عبارة عما يحدث عن استدارة قوس من محيطها؛ لأنَّ الكرة التي تحدث من استدارة القوس لم تتساوى أجزاء سطحها إلى مركز قطبها، بل كل جزء تحدث عنه دائرة قطبها نقطة من المحور تسامتها غير قطب الدائرة الأخرى، فتختلف لذلك

---

(١) في بعض النُّسخ: (عبد الله بن القاسم).

تلك، فمنها عظام، ومنها صغار، ومنها بين ذلك.

وإذا اعتبرنا استدارة تلك الكرة، واستدارة كل واحد من أجزائها على فعل الله سبحانه؛ كانت استدارة انفعال وتتساوى فيها جميع الممكنات، مع اختلاف حقائقها وقوابلها، ودواعيها وأوقاهّا، وكمِّها وكيفها؛ لأنها استدارة صدورية، فتكون فيها على السَّواء، من غير أن يكون بعض منها إلى جهة، بل كل شيء منها يدور على تلك العلة لا إلى جهة؛ لأنها ليست في جهة، إذ الجهات كلها صادرة عنها فلا تحويها، فتكون تلك العلّة البسيطة التي هي فعل الله ومشيئته ليست في جهة، فالمستدير عليها يستدير لا إلى جهة؛ لأنَّ الاستدارة إلى جهة من خواص الأجسام في حركاهّا الجسمانية.

فإن قلتَ: أنَّك أطلقت القول في جميع الأشياء بأنها تدور على فعل الله تعالى لا إلى جهة، ومنها الأجسام، فلِمَ قُلتَ: أنَّ الاستدارة إلى جهة من خواص الأجسام في حركاهّا الجسمانية.

قلتُ: أنَّ الأجسام تدور إلى جهة إذا كانت تدور على ذي جهة، وأمَّا إذا كانت تدور على ما ليس في جهة؛ وَجب أن تكون استدارهّا لا إلى جهة، وإلا لكانت تدور على غيره، إلا أنَّ الجسم لا يدور على ما ليس في جهة حال جموده، فإنه من هذه الحيثية يدور على ما في جهة، وأمَّا دورانه على ما ليس في جهة كالعلّة الصدورية، فإنما هو من حيث ذوبانه واتحاد أجزائه المتباينة.

وهذا معنى ما قلتُ: (**وَأَمَّا الحَرَكَاتُ الوُجُوْدِيَّة الصُّدُوْرِيَّة؛ فَلَيْسَتْ**

جِسْمَانِيَّة، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الأَجْسَامِ فَهِيَ دَوْرَات دَهْرِيَّة وَسَرْمَدِيَّة، وَإِلَّا لَمْ تَحطْ جِهَة العِلَّة بِجَمِيْعِ جِهَاتِ المَعْلُوْلِ، وَلِهَذَا قُلْنَا: "كُلُّ جُزْءٍ كُرَةٌ"، فَافْهَمْ فَهَّمَكَ اللهُ تَعَالَى.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الطَّوْرُ مِنَ الاسْتِدَارَةِ لَا تُدْرِكُهُ النَّفْسُ وَلَا العَقْل، وَإِنَّمَا يُدْرِكُهُ الفُؤَادُ؛ لِأَنَّهُ جِهَةُ الصُّدُوْرِ، وَهِيَ جِهَةُ الرَّبْطِ بِالسَّرْمَدِ، وَالسَّلَامُ).

أقول: إن الحركات الوجودية -كما أشرنا إليه- ليست جسمانية من حيث هي جسمانية، وإن كانت من الأجسام؛ لأنها حركات صدورية، والحركات الصُّدورية من قبل فعل الله سُبحانه سرمديَّة، ومن قِبَل القابل تكون في المقيد دهرية، وفيما فوقه[1] من الممكنات برزخية، يعني: أنَّ وجهها في السَّرمد، وقرارها في الدَّهر، ولأجل كون حركة الفعل سرمديَّة؛ أحاطت العلة بجميع جهات المعلول، ولو كانت جسمانية لم تحط بها.

وإنما قلنا: أنَّ كل جزء كرة؛ لأجل عموم الإحاطة، ومن ثَمَّ لم تدرك النفس ولا العقل هذا النوع من الحركة، وإنما يعرفه الفؤاد؛ لأنَّه -أي: الفؤاد- جهة الصُّدور، يعني: وجهه إلى المظاهر، وبه ربط الدَّهر بالسَّرمد، من جهة أنَّ الفعل وإن تعلَّق بالمفعول الذي هو المقيَّد ومحله لا

---

(١) في بعض النُّسخ: (وفيما فوقها).

يخرج عن السَّرمد، وإن كان محله ومتعلّقه في الدَّهر، بل وفي الزمان؛ إذ لا يقارن المفعول إلا بالتعلق الذي هو من نوع المفعول.

شرح

الفائدة العاشرة

فِي خَلْــقِ الأَشْـيَاءِ

قلتُ:

(الفَائِدَةُ العَاشِرَةُ
فِي خَلْــقِ الأَشْــيَاءِ

اعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الأَشْيَاءَ بِفِعْلِهِ وَإِبْدَاعِهِ مِنْ غَيْرِ سَــبْقِ فِكْرٍ أَوْ رَوِيَّةٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَاللهُ خَالِقُهُ، سَوَاء كَانَ فِي الوُجُوْدِ الخَارِجِيِّ أَم الذِّهْنِيّ، وَمَا فِي الذِّهْنِي لَمْ يُوْجَد عَلَى احْتِذَاءِ سَبْقِ ذِهْن، فَالوُجُوْدُ الذِّهْنِيّ فِي الوَاقِعِ وُجُوْدٌ خَارِجِيٌّ.

وَإِنَّمَا قُسِّمَ الوُجُوْدُ إِلَى: الذِّهْنِيّ وَالخَارِجِيّ؛ لِلْفَرْقِ بَيْنَ الوُجُــوْدِ الظِّلِّي الانْتِزَاعِي، وَالأَصْلِي اصْطِلَاحاً، وَلَا مُشَاحَة فِي الاصْطِلَاحِ، وَإِلَّا فَهُوَ فِي الحَقِيْقَةِ قِسْمٌ مِنَ الوُجُوْدِ، خَلَقَهُ اللهُ لِحَاجَةِ الخَلْقِ إِلَيْــهِ فِــي التَّفَاهُمِ وَالتَّعَارُفِ، لِيَحْصَلَ لَهُم إِدْرَاكُ مَا غَابَ عَنْ حَوَاسِّهِم الظَّاهِرَة، وَذَلِكَ مِمَّا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ تَكْلِيْفُهُم، وَنِظَامُ أُمُوْرِهِم وَمَعَاشِهِم).

❁[أقوال ومزاعم حول الوجود الذهني]:

أقول: هذا الكلام فيه تعريضٌ بالرَّد على من زعم: أنَّ الوجود الذهني ليس وجوداً، وإنما حقيقة[1] ما يدركه الذهن إنما هو الحقائق الثابتة قبل إيجادها، وليس بموجود.

وعلى من زعم: أنَّ النفس هي التي تحدثه، لا أنه صُنْعُ الله.

وعلى من زعم: أنَّ الوجود الذهني وجود أصلي، ليس بانتزاعي ظلِّي، وإنَّما يوجد الشيء بحقيقته في الذِّهن، لا بظله ومثاله.

وعلى من زعم: أنَّ الوجود الذهني أصلٌ للوجود الخارجي، والوجود الخارجي ظلٌّ للوجود الذهني.

فقلتُ: إنَّ الله سُبحانه خلق جميع الأشياء ذهنيِّها وخارجيِّها بفعله وإبداعه، من غير سبق فكر ولا رويَّه، ليُقال: أنَّ ما في الذهن ليس الوجود الخارجي، بل هو من ذهنيٍّ قبله.

والدَّليل على أنَّه مخلوقٌ لله تعالى؛ قوله تعالى ﷻ: **﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**[2].

وإنما قال تعالى: **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾**؛ لأنَّ ما تُوسْوِس به النُّفوس

---

(١) في بعض النُّسخ: (وأمَّا حقيقة).

(٢) سورة الملك، الآيتان: ١٣-١٤.

هو الذي في معرض العلم به، حيث أخفوه و لم يجهروا به، فقــال: إنــه يعلمه؛ لأنَّه خلقكم أنتم وما في أنفسكم، فكيف لا يعلم من خلق؟!.

ولو أُريد به خصوص العلم بهم، لا مع ما في نفوسهم، كما يُوهِمُهُ ظاهر ﴿مَنْ خَلَقَ﴾؛ لَمَا دلَّ على اطلاعه على ما أسرُّوا به، الــذي أراد بيان الاطلاع عليه، ولا يرد علينا: أنَّهم أسرُّوا ما هو قبيح ممنوع منه، فلا يكون الله خالقاً لَه.

۞[عرض القول الأوَّل ومناقشته]:

واعلم؛ **أنَّ أهل القول الأوَّل:** أنكروا الوجود الذِّهني، وزعموا أنَّ ما تراه بخيالك ليس موجوداً في الذِّهن، وإنما هو موجــود في الخــارج، ويعنون: الأعيان الثابتة، وقالوا: كما أنَّك ترى يدك بعينيك، ولــيس في عينيك، وإنما هو خارج عنها، فليس للذهن وجودٌ يُنــسَب إليــه إلا إذا أثبتناه فيه، و لم يثبت فيه شيء.

وغلطوا، بل نُريد بالوجود الذهني ما كان الذهن علــة لظهورهــا ووجودها الكوني، وهي الأظلَّة المنتزعة من الأشياء الخارجية، وذلك لأنَّه تعالى حينَ خلق الأشياء أقام كل شيء في مكانه المناسب لَه، فالإشراقات النُّوريَّة لا تظهر إلا في الأجسام الكثيفة؛ فوضعها فيها، والصُّور لا تظهر إلا في الأشياء الصيقليَّة كالمرآة والماء؛ فوضعها فيها، والــصُّور المثاليــة المعنوية -أي: الخياليَّة- لا تظهر إلا في الأذهان؛ فأقامها فيها، والأجسام لا قرار لها إلا على الأرض المتماسكة؛ فأقامها عليها.

فمُرادنا بالوجود الذّهني: أنّ الأظلة الخيالية المنتزعة تكون في الذهن، وأنّ ذَا الظِّل موجود في الخارج، وذوا الظل والظل هما موجودان، لكن ذا الظل موجود في الخارج، وظِلّه الخيالي الانتزاعي في الذهن.

فتنقسم الموجودات: إلى ما يكون في الخارج، وإلى ما يكون في الذهن، وكلاهما موجودان، أحدهما في الخارج؛ وهو الموجود الخارجي، والأخر في الذّهن، وهو الموجود الذّهني.

ودليل هذا ما قلنا مراراً: أنك لا تقدر أن تتصوَّر بذهنك شيء رأيته قبل ذلك حتى تلتفت بذهنك، فتُقابل ذلك الشيء بمرآة خيالك في المحل الذي رأيته فيه، وباهيئة التي رأيته عليها، وفي الوقت الذي رأيته فيه، فتجد مثاله وهيئته في غيب ذلك المكان، وغيب ذلك الوقت، فتنتقش في ذهنك تلك الصُّورة، ولا تقدر على التَّصور بدون هذا، فافهم.

۞ [عرض القول الثَّاني ومناقشته]:

وأهل القول الثاني: يزعمون أنّ للنفس قوة على إحداث ما شاءت، من غير سبق مثال، فتتصوَّر شريك الباري تعالى، وبحراً من زئبق، ولا أصل لهما، وليس إلا لأنها تخترع بنفسها.

وغلطوا، فإنها لو كانت كذلك؛ لكانت تحدث ذلك من غير أن تتوجَّه إلى جهة مظنته[1]، وما تتوهمه فيه، لكنها لا تقدر حتى تتوجه إلى

---

(١) في بعض النُّسخ: (إلى جهة مظنة).

جهة ذلك، فتنتزع من موهومها صورته، سواء كان شيئاً في الخـارج أم لا، بل في الحقيقة لا بد وأن يكون شيئاً في الخارج، كما دلّت عليه الأدلة، مثل قول أبي الحسن الرِّضا عليه السلام قال؛ قلتُ: لِمَ خلق الله الخلق على أنواع شتى، و لم يخلقه نوعاً واحداً.

فقال عليه السلام: **«لِئَلَّا يَقَع فِي الأَوْهَامِ عَلَى أَنَّهُ عَاجِزٌ، وَلَـا تَقَـع صُوْرَةٌ فِي وَهْمِ أَحَدٍ [مُلْحِد] إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا خَلْقاً، لِئَلَّا يَقُوْلَ قَائِلٌ: هَلْ يَقْدِرُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ صُوْرَةَ كَذَا وَكَذَا؟، لِأَنَّهُ لَـا يَقُوْلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً إِلَّا وَهُوَ مَوْجُوْدٌ فِي خَلْقِه تَبَارَكَ وَتَعَـالَى، فَـيَعْلَمَ بِالنَّظَرِ إِلَى أَنْوَاعِ خَلْقِهِ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٍ»**، رواه في أول كتاب العلل، في باب علّة الخلق[1].

فتكون الصُّورة الذهنية منتزعة من الوجوديَّة الخارجيَّة، وإنما اختلفت الصورة للشيء الواحد بالنسبة إلى المتصوِّرين؛ لاختلاف أذهانهم، كما يختلف الصور لشيء واحد في المرايا المتعدِّدة المختلفة.

وهؤلاء طائفتان:

منهم من يزعم: أنَّه وجودٌ وهميٌّ، ليس بانتزاعي، وإنما يصدق عليه الوجود لأنه شيء. ومنهم من يزعم: أنَّه انتزاعي من موهوم.

وكِلا الزَّعمين باطل.

---

(١) رواه علي بن فضال عن أبيه، راجع: علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٤. عيـون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٧٥. بحار الأنـوار، ج: ٣، ص: ٤١، ج: ٥٩، ص: ٥٩. وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

۞[عرض القول الثّالث ومناقشته]:

وأهل القول الثالث: يزعمون أنّ الوجود الذهني أصلٌ للوجود الخارجي، والخارجي ظِلُّه وتنزُّله، وهم جُلُّ الصوفية، ومن هنا يقول أحدهم: (ما تتحرك نملة في المشرق أو في المغرب إلا بقدرتي).

ومنهم من يزعم: أنّه متّحدٌ مع الخارجي، لا يفرق بينهما إلا بأن الذهني مجرَّدٌ عن اللّوازم الخارجية، كالنار مثلاً: فإنّ الموجود منها في الخارج هو الموجود في الذهن بعينه، إلا أنّه مجردٌ عن لوازمه الخارجية، كالإحراق فإنّه من لوازم الخارِج.

وقد قال الشّيخ جواد الكاظمي في شرح الزبدة، في مبحث العلم: (وليعلم أنّ الحق بعد القول بالوجود الذهني، وأنّ العلم من مقولة الكيف: أنّ الأشياء بأنفسها موجودة في الذهن؛ كما هو مذهب المحقّقين، لا بأشباحها وأمثالها؛ كما هو مذهب شرذمة قليلة لا يُعبأ بهم).

وهذا كلُّه غلط؛ لأنّ قول الصُّوفية لو صحّ لكان إذا مات الصُّوفي بطل نظام العالم، كما أنّه إذا انصرف المقابل للمرآة بطلت الصورة التي في المرآة، وهذا ظاهر الفساد.

وقول الآخرين أيضاً باطل؛ لأنّه لو كانتا صورتان نُقشتا من قالب واحد، وحضرت عندك واحدة منهما، فإنك إذا نظرت فيها لا تحضر الأُخرى في ذهنك ولا عندك، وإن حضر أصل القالب، فلو كانت النار التي في الذهن هي النار الخارجية لا ظلالها؛ لكنت إذا تصوَّرت ما في

ذهنك لا يلتفت ذهنك إلى النار الخارجية أصلاً، كما أنّك إذا تصوَّرت إحدى صورتين كلاهما من قالب واحد؛ لا يلتفت قلبك إلى الأخرى، وإن التفت إلى قالبهما.

والواقع خلاف ذلك، بل لا يمكنك أن تتصور ما في ذهنك إلا إذا التفتَّ إلى الخارجي، وليس إلا لأنّ ما في ذهنك منتزعٌ من الخارجي، وليس في ذهنك شيء، وإذا التَفتَ ذهنك بمرآته إلى الخارجي انطبعت فيه صورته المنفصلة المنتزعة، وهو الحق، أعني: كون الوجود الذهني ثابتاً، وأنه ظلّي منتزع من الخارجي.

نعم.. هنا تفصيل: وهو أنّ ذا الذهن إن كان علة الوجود، بأن كان هو أمر الله الذي به قام كل شيء، وأن وجودات الأشياء كلها -أعني: موادها- من أشعة وجوده؛ كان ما في ذهنه من صور الأشياء عللاً وأسباباً للأشياء الخارجية، بحيث لو عُدمت تلك الصور التي هي وجوه تلك الأشياء اضمحلت الأشياء.

وهذا مثل النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين عليهم السلام، كما دلّت عليه أخبارهم، ونطقت به كلماتهم وآثارهم، من أنّه لو لم يكن الحجة في الأرض لساخت[1]، وأمّا من سواهم؛ فكلّما فيهم من الصُّور -أي: في

(١) عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ؛ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَ تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟. قَالَ: «لَوْ بَقِيَتِ الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ لَسَاخَتْ».[الكافي، ج: ١، ص: ١٧٩. بصائر الدرجات، ص: ٤٨٨. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٩٦. الغيبة للنعماني، ص: ١٣٨].

←...

أذهانهم- فإنها أظلة منتزعة من الأشياء الخارجية، والكلام مبني على أحوال العوام[1]، وأمَّا أحوالهم عليهم السلام فعلى طور غير ما نحن بصدده، وإنما جرى التنبيه عليه استطراداً.

۞[تقييم عام للأقوال الثلاثة، والتأكيد على القول الحق]:

فأهل القول الأوَّل: ينفون الصورة عن الذهن، ويقولون: الذي تراه بذهنك ليس في ذهنك، وإنما هو في الخارج ثابت، لا موجود ولا معدوم.

وأهل القول الثاني: يثبتون صوراً ليست ذواتاً ولا أظلة منتزعة، بل هي أظلة قائمة بالذهن ولا خارج لها.

وأهل القول الثالث: يجعلون ما في الذهن أصلاً لما في الخارج، أو أنَّ الشيء له مكانان؛ مكانٌ ذهنيّ، ومكانٌ خارجيّ.

والحقُّ: أنَّ ما في الذهن قسمٌ من الوجود الظلي، خلقه الله في الذِّهن؛ لافتقار الخلق إليه في التفاهم والتعارف، يتوصَّلون به إلى مطالبهم،

←....

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**لَوْ بَقِيَت الأَرْضُ يَوْماً بِلَا إِمَامٍ؛ لَساخَتْ بِأَهْلِهَا، وَلَعَذَّبَهُمُ اللهُ بِأَشَدِّ عَذَابِه، إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَنَا حُجَّةً فِي أَرْضِهِ، وَأَمَاناً فِي الأَرْضِ لِأَهْلِ الأَرْضِ، لَمْ يَزَالُوْا فِي أَمَانٍ مِنْ أَنْ تَسِيْخَ بِهِم الأَرْضُ مَا دُمْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهُم، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُهْلِكَهُم ثُمَّ لَا يُمْهِلَهُم وَلَا يُنْظِرُهُم ذَهَبَ بِنَا مِنْ بَيْنِهِم، ثُمَّ رَفَعَنَا إِلَيْه، ثُمَّ يَفْعَلُ اللهُ مَا شَاءَ وَأَحَبّ**». [منتخب الأنوار المضيئة، ص: ٣٣].

(١) في بعض النُّسخ: (أحوال العوالم).

ليحصل لهم إدراك ما غاب عن حواسِّهم الظاهرة، إذ لولاه لم يدركوا إلا ما تراه عيونهم، وتناله أسماعهم، وذلك مما يتوقف عليه تكليفهم بما فيه نجاتهم، ونظام معاشهم، وهذا -إن شاء الله- ظاهر.

[الدليل القاطع على أنَّ ما في الذِّهن مخلوق لله]:

قلتُ: (وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّهُ مَخْلُوْقٌ للهِ؛ لمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيْلُ القَاطِعُ، بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُوم﴾[1].

فَإِنْ قُلْتَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ فِي النَّفْسِ قُدْرَةً عَلَى اخْتِرَاعِ مَا شَآءَتْ مِنَ الصُّوَرِ، فَهِيَ تَخْتَرِعُ تِلْكَ الصُّوْرِ مِمَّا يُمْكِنُ لَهَا، فَلَا يَكُوْنُ الوُجُوْدُ الذِّهْنِيُّ فِي الحَقِيْقَةِ خَارِجِيّاً.

قُلْتُ: إِنَّمَا جَعَلَهُ فِيْهَا وَفِي غَيْرِهَا مِمَّا تَجْرِي فِيْهِ عَلَى اخْتِيَارِهَا، لَيْسَ حَيْثُ أَعْطَاهَا رَفَع يَده عَنْه، بَلْ هُوَ يَده بَعْد الإِعْطَاء كَمَا هُوَ قَبْلَ الإِعْطَاء، بَلْ هُوَ حَالٌ وَاحِدَةٌ بِلَا تَعَدُّدٍ إِلَّا فِي العِبَارَةِ، كِنَايَةً عَن ظُهُوْرِ العَطِيَّةِ فِي نَفْسِهَا).

أقول: إنما قلنا أن ما في الذهن مخلوق لله ﷻ؛ لأنَّ الدليل قد دلَّ على جهة القطع والضرورة: بأنَّ الله سُبحانه خالق كل شيء، قال الله

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُوم﴾[١]، وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُور ۞ أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٣].

وهذا معلوم؛ لأنَّه إذا كان شيئاً يصدق عليه اسم الشيء بكل اعتبار فقد دخل في عموم الآيتين الأوَّليتين وأمثالهما، وإن لم يكن شيئاً أصلاً، لم تكن النَّفس مخترعة لَه.

وأمَّا الآية الثالث: فهي صريحة في خصوص الدَّعوى؛ لأنَّ الإسرار بالقول هو التَّصور، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُور..﴾[٤]، أي: عليمٌ بما أسررتم وتصوَّرتم، وعزمتم عليه وهممتم به.

ولا ينافيه قوله: ﴿أَ لَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، بتوهُّم: أنه إنما خلق المتصورين لا التَّصور بقرينة: ﴿مَنْ خَلَقَ﴾؛ لأنه تعالى في بيان علمه بسرائرهم وتصوراهم، وما توهموا وأضمروا، وقد علَّل تعالى ذلك: بأنه خلقه، فكيف لا يعلمه؟!.

هذا على معنى: أنَّ ﴿مَنْ خَلَقَ﴾؛ مفعول يعلم، يعني: أ لا يعلم

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) سورة الملك، الآيتان: ١٣-١٤.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٣.

مخلوقه، وأمَّا على معنى: أنَّ ﴿مَنْ خَلَقَ﴾؛ فاعل يعلم -كما هو المشهور في التَّفسير- فهو أدَلُّ وأظهر.

ولا يرد علينا: لزوم الإجبار من خلقه لذلك؛ لأنَّــه تعــالى خلــق أعمالهم القبيحة بأفعالهم، أي: حكم عليهم بما فعلوا، كما تجعــل زيــداً عاصياً إذا لم يطعك، فقد حكمت عليه بفعله، وكذا قال[1] تعالى: ﴿بَــلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ﴾[2]؛ لأنه تعالى لَمَّا كفروا طبع علــى قلــوبهم بكفرهم، ولا يلزم من ذلك الإجبار.

وأمَّا قولهم: أنَّ الله جعل في النفس قدرة على اختراع ما شآءَت من الصُّور..إلخ، فبعد ما ذكرنا من أنها لو كانت مخترعة لها لَمَا كانت تلتفت بمرآتها إلى جهة إمكانه لتنطبع صورته فيها، أنَّا نقول: حين جعل لها قدرة تخترع بها هل دفع يده عمَّا جعل لها؟، أم هو في يده؟، إذ لو رفع يــده لم يكن شيئاً، فلا تفعل إلا بالله.

فالله في الحقيقة هو الفاعل، على حَدِّ قوله: ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْــتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى﴾[3]، وقوله: ﴿أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ ۞ أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[4]، فافهم إن كنت تفهم.

---

(١) في بعض النُّسخ: (ولذا قال).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

(٣) سورة الانفال، الآية: ١٧.

(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٦٣-٦٤.

وقولي: (كناية عن ظهور العطيَّة)، يعني: إنما قلنا أعطى خلقه قدرةً وعلماً، أو غير ذلك، ليس لأنَّ العطية انفصلت من يده تعالى، ليكون العبد مستقلاً بها وبما يترتب عليها، بل إنما قيل: أعطى، كناية عن ظهور العطية من كتم الوجود الإمكاني إلى علانية الوجود الكوني، وإلا فهي في قبضته، إذ لو خلّاها من يده لم يكن شيئاً.

[معنى قوله عليه السلام: «مَخلُوقٌ مثلُكم، مَرْدُوْدٌ إلَيْكم»]:

قلتُ: (وَتلْكَ القُوَّةُ المُشَارُ إلَيْهَا فعْلُهَا وَانْفعَالُهَا، وَإِضَافَتُهَا وَتَعَلُّقُهَا بمُخْتَرِعِهَا، إنَّمَا كَانَ شَيْئاً في نَفْسه بكَوْنه في يَده، فَإذَا قَابَلَت المـرْآةُ الشَّيء؛ أَوْجَدَ اللهُ تَعَالَى بهَا فيْهَا الصُّوْرَة، وَإِنَّمَا لَهَا اختيَـارُ المُقَابَلَـة وَانْتزَاعُ الصُّوْرَة، اللَّذَان هُمَا شَيْء بكَوْنهمَا في يَده، فَافْهَم.

وَإِلَى هَذَا الإشَارَة بقَوْله عليه السلام: «كُلّ مَا مَيَّزْتُمُوْهُ بأَوْهَامكُم في أَدَقِّ مَعَانيْه، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوْعٌ] مثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إلَيْكُم»[1].

فَافْهَم قَوْلَهُ عليه السلام: «مَخْلُوقٌ مثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إلَيْكُم»).

أقول: قولنا: (وتلك القوة)؛ تقدم بيانه، وهو أنَّ جميع ما أعطى

---

(١) روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: **«كُلّمَا مَيَّزْتُمُوْهُ بأَوْهَامكُم، وَأَدْرَكْتُمُوْهُ مُمَثّلاً في نُفُوْسكُم، وَمُصَوَّراً في أَذْهَانكُم؛ فَهُوَ مُحْدَثٌ مَصْنُوْعٌ مثْلُكُم»**.[إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢].

خلقه لم يخلّيه من يده؛ لأنه ليس شيئاً إلا بكونه في يده، فلو خلاه لم يكن شيئاً أصلاً، فهو لو خلّاه من يده الأكوانية لم يكن مكوناً، ولكنه ممكن، ولو خلاه من يده الإمكانية لم يكن ممكناً، وهذا الوجه الثاني خفي على العقول، ولكنه كما أقول.

(فإذا قابلت المرآة الشيء)؛ هذا تفريع على ما قبله، تفريعاً بيانياً، لا تأسيسياً، يعني: إذا قابلت الشاخص أوجد الله من صورة الشاخص المنفصلة؛ لأنها هي مادة الصورة التي هي في المرآة، فيوجد الله منها بالمرآة؛ لأنها هي القابلة للصورة، فهي صورة الصورة، وحدودها هي صقالة المرآة، وبياضها وسوادها، واستقامتها واعوجاجها فيها، أي: في المرآة، لأنَّ الشيء يوجد في صورته، وكل شيء يتوقف عليه الإيجاد فمن جعل الله ليس للمرآة فيه شيء، وإنما لها اختيار المقابلة بالله، وانتزاع الصورة بالله، اللذان هما شيء بكونهما في يده.

وهذا معنى قولي: (بالله)، وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله: «**كُلّ مَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم**»، أي: تصوَّرتموه أو تعقَّلتموه، «**فِي أَدَقِّ مَعَانِيْه**»، يعني: في أدقِّ معانيه بالنسبة إلى عقولكم، أو إلى المميِّز نفسه، يعني: في أول مراتب تعينّه، «**فَهُوَ مَخْلُوقٌ**»، يعني: خلقه الله سبحانه، «**مِثْلُكُم**»، أي: كما أنتم مخلوقون، أو مثلكم، أي: صفة لكم، ومَثل لكم -بفتح الميم، والثاء المثلثة- أي: صفتكم وشبحكم وآيتكم، وبكسر الميم وسكون الثاء، أي: نظيركم، إمَّا في الإيجاد، أو فيما يترتب على الإيجاد من أحكام التكاليف في الدنيا والمعاد، «**مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم**»، أي: غير

مقبول منكم أن تجعلوا العبد ربّاً، أو «**مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم**»، يعني: أنه من أشعة وجوداتكم أو ذاتكم[١].

وهذا معنى قولي: (فافهم قوله عليه السلام: «**مَخْلُوقٌ مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم**»).

❁[هل الله خالق المعاصي والكفر وسائر القبائح؟]:

قلتُ: (فَإِنْ قُلْتَ: يَلْزَمُكُم أَنَّ اللهَ خَلَقَ المَعَاصِي وَالكُفْرَ وَسَائِرَ القَبَائِحِ.

قلتُ: نَعَم.. كَذَلِكَ اللهُ رَبُّنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٢]، وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَى مَا تَفْهَمُ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلُقُ شَيْئاً إِلَّا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُن المَخْلُوْقُ كَذَلِكَ، بَلْ يَكُوْنُ قَدْ خُلِقَ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فَحِيْنَئِذٍ لَم يَكُنْ هُوَ إِيَّاهُ، وَإِنَّمَا يَكُوْنُ غَيْرُهُ، هَذَا خُلْفٌ).

أقول: لا يلزمنا من قولنا أنَّ جميع ما وهب عباده من النِّعم، من القوة والاستطاعة، والفعل والانفعال.. وغيرها، كلها في يده سبحانه: أن يكون الله عز وجل فاعل المعاصي والكفر والشرور، على ما هو معروف؛ لأنَّ الاعتقاد الحق: أنَّ العبد هو فاعل المعاصي والكفر والشرور باختياره، والله

---

(١) في بعض النُّسخ: (أو ذواتكم).

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

سُبحانه بريء منها، كما قال تعالى: ﴿وَإذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّه ما لا تَعْلَمُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بأَيْديهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَليلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْديهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٢]..وغيرها من الآيات.

وأمَّا قولنا: (أنَّ الله خالق كل شيء من جملته المعاصي والكفر)؛ فنريد به معنى آخر غير هذا، لا يلزم منه هذا المعنى الباطل، وأخبار الأئمة عليهم السلام متواترة بذلك، ناطقة به، مع تنْزيههم جناب الحق عن الظلم، وفعل القبائح.

۞[إشارة تمهيدية إلى كيفية الخلق الأوَّل]:

وبيان المعنى الذي نشير إليه يحتاج إلى تقديم كلمات، نشير فيها إلى بيان ما وردت به الأخبار، بحيث لا يلزم التفويض ولا الإجبار فنقول:

اعلم أنَّ الله سبحانه لا يخلق شيئاً من خلقه من ذات وصفة إلا على ما هو عليه في ذاته وصفاته وأفعاله، إذ لو خلق المخلوق على غير ما هو عليه كذلك لم يكن هو إياه، بل كان غيره؛ لأنَّه إنما خلق غيره.

---

(١) سورة الاعراف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

وتفصيل ذلك: أنَّه تعالى إن خلق على مقتضى استطاعة فعله تساوت المفعولات؛ لأنَّ نسبتها إلى فعله على السَّواء، بل لم تتعدد في أنفسها، بل تكون واحداً؛ لأنَّ فعله واحد، وإن خلق على مقتضى قابلية المفعول، فإن كان على نحو القسر والإجبار؛ كانت كما لو خلقها بمقتضى استطاعة فعله تعالى، وإن كان على جهة الاختيار؛ صحَّ الصنع، وارتفع الإجبار، وذلك بعد أن كانوا شيئاً واحداً، وجوداً هيولانياً حصَّصهم.

فلمَّا جعلهم حصصاً متمايزة المواد في الجملة؛ جعل في كل حصة من تلك المادة النوعية الاختيار والتميز، ومعرفة الخير والشر، والجيِّد والرديء، وحيث كانت السَّعادة والشَّقاوة، والطاعة والمعصية إنما هي في الصُّور، عرض عليهم صور طاعاته في علِّيين، وصور معاصيه في سجِّين، وأخبرهم: أنَّ من أجاب دعوتي صوَّرته بصورة إجابته، وألبسته لباس طاعتي، ومن لم يجب دعوتي صوَّرته بصورة إنكاره، وألبسته لباس معصيتي، فرضوا وقبلوا.

ثم دعاهم إلى توحيده ونبوَّة نبيه ﷺ وولاية وليِّه عليه السلام، فقال: ألست بربكم؟. فقالوا: بلى.

فالمؤمن أجاب بلسانه وقلبه، مُصدِّقاً مسلِّماً طائعاً.

والكافر قال: بلى، وأضمر: أنه إن اقتصر على هذا فلا تضرنا الإجابة؛ لأنَّه خالقنا ودعانا إلى طاعته، وإن تجاوز بنا إلى طاعة غيره لم نجب؛ لأنَّا أولى من غيرنا.

ثم قال لهم: ومحمد نبيكم؟.

فأجاب المؤمن بقلبه ولسانه كما مَرَّ، وأزداد إيماناً بتسليمه.

وسكت الكافر، وقال في نفسه: تجاوز بنا إلى غيره، لكن هذا الغير لم يجعل لَه ولاية علينا، وإنما هو داعٍ إلى خالقنا، فإن اقتصر عليه أجبنا، وإلا أنكرنا.

ثم قال لهم: وعليٌّ وليُّكم؟.

فأجاب المؤمن، وازداد إيماناً على إيمان.

وأنكر الكافر، وقال: لا نقبل أن يكون علينا وليّاً بشر مثلنا.

ولذا قال ﷺ لعلي عليه السلام -في حق جميع الأمم-: «**مَا اخْتَلَفُوْا فِي اللهِ وَلَا فِيَّ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوْا فِيْكَ يَا عَلِيّ**»، وكان فيما أنزل على نبيه: **﴿ولا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝﴾** في الدِّين **﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾**[1]،[2].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٨.

(٢) في تفسير هذه الآية ورد عن عبد الله بن غالب، عن أبيه، عن رجل قال؛ سألت علي بن الحسين عليهما السلام عن قول الله: **﴿وَلا يَزالُونَ مُخْتَلفينَ﴾**؟.

قالَ: «**عَنَى بِذَلِكَ مَنْ خَالَفَنَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّة، وَكُلُّهُمْ يُخَالِفُ بَعْضَهُم بَعْضاً فِي دِيْنِهِم، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؛ فَأُوْلَئِكَ أَوْلِيَاؤُنَا مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ مِن الطِّيْنَة طيناً، أَ مَا تَسْمَعُ لِقَوْلِ إِبْرَاهِيْمَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرات مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ﴾، قَالَ: إِيَّانَا عَنَى وَأَوْلِيَاءَهُ وَشِيْعَتَهُ وَشِيْعَةَ وَصِيِّه، قَالَ: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ**

←....

فإذا عرفت أنَّ الله تعالى لم يخلق الخلق إلا على ما هم عليه، بحسب قوابلهم باختيارهم، ولم يكونوا في دواعيهم ولا ما يميلون إليه مجبورين؛ عرفت مقدمة معرفة أن الله خلق كل شيء حتى المعاصي، ولم يكن فاعلاً لها، وبقي تمام المقدمة.

وهو ما قلتُ: (**وَإِذَا خَلَقَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْه؛ فَإِنَّمَا خَلَقَهُ عَلَى مُقْتَضَى سَبَبِ إِيْجَاده وَقَبُوْله للوُجُوْد، وَذَلكَ بِالأَسْبَاب الخَارِجَة عَنْ حَقِيْقَة مَا أَفَاضَهُ اللهُ بِذَات فعْله، وَإِنْ كَانَتْ بِعَوَارِضه، وَتلْكَ الأَسْبَابُ مُقْتَضَيَاتٌ لِتَغَيُّرِ الحَقَائِقِ بِحُكْمِ الوَضْعِ، وَتِلْكَ المُقْتَضَيَاتُ مِنْ أَفْعَالِ الخَلْقِ وَأَوْضَاعِهِم، فَلَوْ خلقَ عَلَى غَيْرِ المُقْتَضى؛ لَكَانَ قَدْ مَنَعَ مَا أَعْطَى، وَأَبْطَلَ مَا قَدَّرَ**).

أقول: هذا من تمام ما ذكرنا من المقدِّمة، وهو أنَّ معنى قولنا: (أنه خلقه على ما هو عليه)، أنه خلقه على مقتضى سبب إيجاده وقبوله للوجود، [وسبب إيجاده وقبوله للوجود][1]؛ هو انفعاله بحسب كمِّه

→...

النَّار﴾[سورة البقرة، الآية:١٢٦]، **قَالَ: عَنَى بِذَلِكَ مَنْ جَحَدَ وَصِيَّهُ، وَلَمْ يَتْبَعْهُ مِنْ أُمَّتِه، وَكَذَلِكَ وَاللهِ حَالُ هَذِهِ الأُمَّة»**.[تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ١٦٤. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٢٠٤. وراجع ما يُماثله في تفسير القمي، ج: ١، ص: ٣٣٨. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٢٠٤].

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

وكيفه، ووقته ومكانه، وجهته ورتبته وأوضاعه، وكلها منسوبة إليه؛ لأنها أجزاء ماهيته، وليست من فعل الله سبحانه أوَّلاً وبالــذات بالنــسبة إلى تشخُّصه بها، وإن كان بفعل الله ثانياً وبالعرض.

ومعنى كونها بالعرض بالنسبة إلى تشخصه بها: أن منها ما هو مخلوق في نفسه بالذات من حيث نوعيته، بل كلها كــذلك، لكنــها باعتبــار اختصاص بعض الأفراد ببعض حصص منــها لم يكــن التَّخــصيص إلا باقتضاء المفعول، فكان التخصيص بالعرض؛ لأنه للاقتضاء لا لنفسه.

وهذا معنى قولنا: (وذلك بالأسباب الخارجة عن حقيقة ما أفاضــه الله بذات فعله، وإن كانت بعوارضه)؛ لأنَّ الذي أفاضه الله بذات فعلــه هو الوجود خاصة، أعني: المادة الكلية المسماة بــالهيولى الأولى، والمــواد الجزئية رؤوس منها، كالورق من الشجرة، وحصص منها كالــذَّر مــن جوهر الهباء.

هذا هو المقبول، وأمَّا أسباب قابليته للإيجاد فأشياء يقتضيها المقبول من نفسه عند توجه الإيجاد عليه، فلمَّا توقَّف قبوله عليها خلقت لَه، فهي مخلوقة بالعرض، وبها تغيَّرت الحقائق واختلفت، فهي باقتضاء المقبول لها، وتغاير حقائقها واختلافها بسبب تغايرها قد جرى عليها إيجــاد بحكــم الوضع؛ لكون تلك منها أسباباً، ومنها موانع أو شروطاً، وتلك المقتضيات كلها من أفعال الخلق وأوضاعهم كما ذكرنا.

۞[إنَّ الله لا يمنع ما أعطى ولا يبطل ما قدَّر]:

فإنْ خلق الأشياء على غير ما تقتضيه؛ كان قد منع ما أعطى، وأبطل ما قدَّر، فإنَّه أعطى الحديد أنَّه يقطع، والنَّار تحرق، والبذر إذا وضع في الأرض ينبت، والنُّطفة إذا أُلقيت في الرَّحم يتخلق منها الجنين..وهكذا.

فإذا أراد الظالم قتل المؤمن بالسَّيف، أو يحرقه بالنار، أو يغصب حنطته ويزرعها في أرض مغصوبة، ويسقيها بماء مغصوب، والزاني وضع نطفته في رحم الزَّانية، فإن منع الحديد أن يقطع، والنَّار أن تُحرق، والحنطة أن تنبت، والنطفة أن تتخلَّق؛ كان قد منع ما أعطاها.

ويلزم من ذلك أنَّ الحديد لا يقطع في الجهاد، والنار لا ينتفع بها العباد، والحنطة لا تنبت عند مالكها مع كمال الاستعداد، والنطفة الحلال لا تتكوَّن منها الأولاد، ويفسد النظام، وتبطل فائدة الإيجاد.

وإن خلق الأشياء على ما تقتضيه طبائعها التي خلقها عليها لمصلحة العباد؛ قطع الحديد رأس المؤمن، والنار أحرقته، والحنطة تنبت عند الظالم، ونطفة الزاني يتكون منها ولد الزِّنا، وليس الله مُعِيْناً لمن عصى، فلم يقتل المؤمن، وإنما قتله الظالم بالسَّيف، وأحرقه بالنار، ولم يُعِن الغاصب لحنطة المؤمن، ولم يأمر الزاني بالزِّنا.

فمعنى قولنا: (أن الله خلق الكفر)؛ أنه تعالى إذا كَفَر عبده طبع الله على قلبه بكفره، كما قال تعالى: ﴿قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها

بِكُفْرِهِمْ﴾(1). ومعنى: (أنَّ الله خلق المعاصـي)؛ أنَّـه خلـق مقتـضاها ولوازمها، كما مَثَّلنا لك به، والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة لا تكاد تحصى كلها من هذا المعنى.

۞[مثالٌ وبيان]:

وهو معنى ما قُلْتُ: (**مَثَلاً: خَلَقَ الحَدِيْدَ يَقْطَع، وَلَا يَقْطَعُ إِلَّا بِالله، فَإِذَا ذَبَحَ زَيْدٌ عَمْرواً بِالسَّيْفِ، فَإِنْ لَمْ يُوْجِد الله الذَّبْحَ بِمُقْتَضَى فِعْـلِ زَيْدٍ وَالحَدِيْدِ؛ لَكَانَ قَدْ مَنَعَ الحَدِيْدَ مَا خَلَقَهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُـنْ الحَدِيْـدُ حَدِيْداً، وَمَنَعَ زَيْداً مُقْتَضَى فِعْله، فَلَمْ يُمكِّن زَيْداً مَنْ فَعَلِ المَعْصِيَة، فَلَمْ يَقْدِر عَلَى الطَّاعَة؛ لِأَنَّهَا لَا تَتحَقَّقُ إِلَّا بِالتَّمَكُّنِ مِنَ المَعْصِيَة، وَإِذَا لَم يَكُنْ ذَلِكَ لَمْ يَحْسُنْ إِيْجَادُهُ، وَيَبْطُلُ الإِيْجَادُ مِنْ أَصْلِهِ، وَالوُجُوْدُ الـذِّهْنِيّ حَدَثَ عَنِ الله بِهَذَا النَّحْو**).

أقول: مرادي من قولي: (أنَّ الحديد لا يقطع إلا بالله)، ليس كمـا فهمه الأشاعرة: بأنَّ القاطع هو الله؛ لأنَّ الأسباب في الحقيقـة ليـست أسباباً، وهو غلط؛ لأنه يلزم الجبر، بل الأسباب أسباباً في الواقع، والحديد بنفسه هو القاطع بلا مشاركة مع الله عز وجل في القطع.

وإنما مرادي: أنه تعالى أعطى الحديد القطع، وجعله يقطع بنفـسه، ولكن الحديد والحركة من الفاعل والقطع قائمة بأمر الله قيامـاً ركنيـاً،

---

(1) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

وبفعل الله قياماً صدورياً، وهي شيء يحفظه الله[١]، فما دام الله حافظاً لوجودها بأمره وفعله فهي شيء يفعل بما أودع من القدرة المحفوظة بقبضة الله، إذ لو خلاها من يده لم تكن شيئاً أصلاً، فإن لم يوجد الله بالحديد الذبح الذي هو أثر فعل زيد بمقتضى فعله لم يكن زيد متمكناً من فعل المعصية، وإذا لم يكن متمكناً من فعل المعصية لم يكن متمكناً من فعل الطاعة؛ لأنَّ الطاعة -كما يأتي- لا يتحقق حتى يكون متمكناً من فعل المعصية، قادراً عليها باختياره، فيتركها ويفعل الطاعة باختياره فحينئذ تتحقق الطاعة، فإذا لم يتمكن من المعصية لم يتمكن من فعل الطاعة، فإذا لم يتمكن من فعل الطاعة لم يحسن تكليفه؛ لانتفاء فائدة التكليف، وإذا لم يحسن تكليفه لم يحسن إيجاده؛ لانتفاء فائدة الإيجاد.

وإيجاد الوجود الذهني من هذا القبيل بالنسبة إلى ما ينتقش فيه من خيرٍ أو شر، فإنها كلها بفعل الله، على نحو ما أشرنا إليه؛ لا أنَّ الله فاعل لأفعال العباد، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فافهم راشداً.

[كل شيء له مخازن]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ﴾[٢]، حَيْثُ أَتَى الشَّيْءِ مِنْ جِهَةِ إِفْرَادِهِ بِجَمْعِ خَزَائِنِ؛ سِرّاً نَبَّهَ

---

(١) في بعض النُّسخ: (شيء بحفظ الله).

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢١.

بذَلكَ عَلَيْه، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ خزَائن، فَأَعْلَى خزَائنه الرَّحْمَةُ، ثُـــمَّ الرِّيَاحُ، ثُمَّ السَّحَابُ الْمُزْجَى، ثُمَّ السَّحَابُ الْمُتَرَاكِمُ، ثُمَّ الْبَحْرُ الْمُمْكِـــنُ وَهَبَاؤُهُ، ثُمَّ سَحَابَهُ الْمُزْجَى، ثُمَّ الْمُتَرَاكِمُ).

أقول: يعني أنَّ سرَّ قوله تعالى في جعل خزائن متعددة لشيء واحد هو: أنَّ الشيء الواحد لَه مراتب متعدِّده من مراتب الوجود وتنَزُّلاته، بأن يكون مذكوراً في كل مرتبة بماله فيها من التحقُّق والشيئية من مراتـــب المشيئة، كما أشار إليه سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، على ما نقله عنه الرِّضا عليه السلام: أنه دعا أبا ذر لضيافته، فأتى لَه برغيفي شـــعير يابـــسين، فأخذ أبو ذر يقلبهما.

فقال لَه سلمان: (أراك تقلبهما يا أبا ذر، أتدري من أين أتيـــاك؟!، والله لقد عمل فيهما الماء الذي حمل العرش؛ حتى ألقيهما على العـــرش، وعمل فيهما العرش؛ حتى ألقيهما على الملائكة، وعملت فيهما الملائكة؛ حتى ألقتهما على الرياح، وعملت فيهما الرياح؛ حـــتى ألقتـــهما علـــى السَّحاب، وعمل فيهما السَّحاب حتى ألقيهما علـــى الأرض، وعملـــت فيهما الأرض والماء والنار -أو كما قال-.

ثم قال: أنّى لك وشكر هذا يا أبا ذر). -نقلت بعض معناه-[1].

---

(١) وإليك نص الرِّواية عَنْ الإمام الباقر عليه السلام عن أَبيه الصَّادق جَعْفَر بْنِ مُحَمَّـــد عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عليه السلام قَالَ: «**دَعَا سَلْمَانُ أَبَا ذَرٍّ (رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَـــا) إِلَـــى**

....←

۞[تفصيل خزائن الوجود الذهني من ظل الحق]:

وكل واحدة من هذه الخزائن لذلك الشيء، يذكر فيها وجهه منها الذي خلق منه، فيخلق من الوجه الأعلى ما تحته، ويخلق من هذا التحت ما تحته.. وهكذا، حتى يظهر الشيء في مكان حدوده، ووقت وجوده، والوجود قارّ على كل وجه في مكانه من تلك الخزانة، لا يخرج منها نازلاً

←....

مَنْزِلِه، فَقدَّمَ إِلَيْهِ رَغِيفَيْنِ، فَأَخَذَ أَبو ذَرٍّ الرَّغِيفَيْنِ فَقلَبَهُمَا، فَقَالَ سَلْمَانُ: يَا أَبَا ذَرٍّ لِأَيِّ شَيْءٍ تَقْلبُ هَذَيْنِ الرَّغِيفَيْنِ؟.

قَالَ: خِفْتُ أَنْ لَا يَكُونَا نَضِيجَيْنِ.

فَغَضِبَ سَلْمَانُ منْ ذَلِكَ غَضَباً شَدِيداً، ثُمَّ قَالَ: مَا أَجْرَأَكَ حَيْثُ تَقْلبُ هَذَيْنِ الرَّغِيفَيْنِ، فَوَ اللَّهِ لَقَدْ عَمِلَ فِي هَذَا الْخُبْزِ الْمَاءُ الَّذِي تَحْتَ الْعَرْشِ، وَعَمِلَتْ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى أَلْقَوْهُ إِلَى الرِّيحِ، وَعَمِلَتْ فِيهِ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ إِلَى السَّحَابِ، وَعَمِلَ فِيهِ السَّحَابُ حَتَّى أَمْطَرَ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَمِلَ فِيهِ الرَّعْدُ وَالْبَرْقُ وَالْمَلَائِكَةُ حَتَّى وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ، وَعَمِلَتْ فِيهِ الْأَرْضُ وَالْخَشَبُ، وَالْحَدِيدُ وَالْبَهَائِمُ، وَالنَّارُ وَالْحَطَبُ وَالْمِلْحُ، وَمَا لَا أُحْصِيهَا لَكَ، فَكَيْفَ لَكَ أَنْ تَقُومَ بِهَذَا الشُّكْرِ؟!.

فَقَالَ أَبو ذَرٍّ: إِلَى اللَّهِ أَتُوبُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا أَحْدَثْتُ، وَإِلَيْكَ أَعْتَذِرُ مِمَّا كَرِهْتَ». [الأمالي للصدوق، ص: ٤٤٢-٤٤٣. مستدرك الوسائل، ج: ١٦، ص: ٢٩٤-٢٩٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٥٢-٥٣. بحار الأنوار، ج: ٢٢، ص: ٣٢٠].

ولا صاعداً، ﴿وَما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾[1]، وإنما يتنَزَّل ما تحته منــه، كما تتنَزَّل النار من النار الكامنة في حَكِّ الزِّناد بالحجر، فأول خزانة ذكر فيها في مراتب التكوين الأربع الاعتبارية.

الأولى: ذكره في تكوين الرَّحمة والنقطة، والسِّر المحلل بالسِّر.

والثانية: ذكره في تكوين الألف الأولى والرياح، والنَّفَس الرحمــاني الأولى -بفتح الفاء-.

والثالثة: ذكره في تكوين السَّحاب المزجي، والحروف الأوليــات العليات.

والرابعة: ذكره في تكوين السَّحاب المتراكم، والكلمة التامة، الــتي خلق تعالى بها كل شيء من الأشياء، أعني: المشيئة.

والخامسة: بدؤ كونه في بحر الممكن وهبائه.

والسادسة: سحابه المزجى بعد إثارته من أعلى شجر ذلك البحر، برياح الاسم البديع الرَّحمان.

والسابعة: سحابه المتراكم من ذلك الــسَّحاب المزجــى، المــشار المذكور[2].

قلتُ: (ثُمَّ الأَكْوَانُ السِّتَّة، الَّتي أَشَارَ عليه السلام إِلَيْهَا:

الكَوْنُ النّورَانِي: وَهُوَ المَاءُ الَّذي بِهِ حَيَاةُ كُلِّ شَيْء، وَهُوَ حِجَابُ

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

(٢) في بعض النُّسخ: (المثار المذكور).

السِّرِّ.

ثُمَّ الكَوْنُ الجَوْهَرِي: وَهُوَ الحِجَابُ الأَبْيَضُ، وَهُوَ الرُّكْنُ الأَيْمَنُ الأَعْلَى، عَنْ يَمِيْنِ العَرْشِ.

ثُمَّ الكَوْنُ الهَوَائِي: وَهُوَ الحِجَابُ الأَصْفَرُ، وَهُوَ الرُّكْنُ الأَسْفَلُ الأَيْمَنُ، عَنْ يَمِيْنِ العَرْشِ.

ثُمَّ الكَوْنُ المَائِي: وَهُوَ الحِجَابُ الأَخْضَر، وَهوَ حِجَابُ الزُّمُرُّد، وَهُوَ الرُّكْنُ الأَيْسَرُ الأَعْلَى، عَنْ يَسَارِ العَرْشِ.

ثُمَّ الكَوْنُ النَّارِي: وَهُوَ الحِجَابُ الأَحْمَرُ، وَقَصَبَةُ اليَاقُوْتِ، وَهُوَ الرُّكْنُ الأَيْسَرُ الأَسْفَلُ، عَنْ يَسَارِ العَرْشِ.

ثُمَّ الكَوْنُ الأَصْلَّة: وَهُوَ الهَبَاءُ الآخَر، وَكَوْنُ الذَّرِّ الثَّانِي).

أقول: الأكوان السِّتة التي ذكرها الصادق عليه السلام من الخزائن للشيء[1]، فهي مع السبع الأُول ثلاث عشرة خزانة.

والأول -من الستة الأكوان المذكورة-: الكون النوراني؛ وهو حجاب السِّر، وهو أعلى الحجب، وهو معانيه، أي: معاني أفعاله تعالى، وهي حقائقهم عليهم السلام، وهو الماء الذي حمل العرش في قوله تعالى: **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾**[2]، أعني: أول فائض عن فعل الله، وهو الوجود

---

(١) ذكر ذلك عليه السلام في رواية طويلة مع المفضل بن عمر، راجع نصها في كتاب: الهداية الكبرى، ص: ٤٣٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٧.

الراجح، وهو الحقيقة المحمَّدية، وهو الزيت في قوله تعالى: ﴿يَكادُ زَيْتُهـا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ﴾[١]، كنايةً عن راجحية وجوده.

والثاني: الكون الجوهري؛ وهو عقل الكل، المسمَّى بروح القدس، وبالقلم، والحجاب الأبيض، وهو الركن الأيمن، أي: النـوراني الأعلـى، يعني: الباطن؛ لأنَّ كل ما بطن فهو على رتبة مما ظهر، وهو أول خلق من الرَّوحانيِّين، وأوَّل غصن نبت من شجرة الخُلد، خلقه الله عن يمين العرش، يعني: عن يمين السلطنة، والمملكة الدائمة الكاملة[٢].

والثّالث: الكون الهوائي، أعني: الروح الكلية، والحجاب الأصـفر، حجاب الذهب، وأصل البراق؛ ﴿إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[٣]، وهو ركن العرش الأيمن النوراني الأسفل؛ لأنـه ظـاهر بالنسبة إلى نور العقل.

والرابع: الكون المائي؛ وهو الحجاب الأخضر، حجـاب الزُّمـرد والزبرجد، على اختلاف الرِّوايتين، وهو ركن العرش الأيـسر، يعـني: الظلماني الجسماني، أي: المنسوب من جهة ارتباط فعله بالأجسام إليهـا، والأعلى، أي: الباطن، والنفس الكلية، واللوح المحفوظ.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) في بعض النُّسخ: (الدائمة الخالدة).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٩.

والخامس: الكون الناري؛ وهو الحجاب الأحمر، يعني: الطبيعة الكلية، وقصبة الياقوت، كما في بعض الرِّوايات، وهو الركن الأيسر، أي: الظلماني الجسماني -كما تقدَّم- الأسفل، يعني: أنه ظاهر بالنسبة إلى الأخضر، وهو عن يسار العرش، أي: ظاهره.

السَّادس: كون الأظلة، سُمِّي بذلك؛ لأنَّه كالظل، يُرى ولا يُدرك باللَّمس، وهو الهباء الآخر، يعني آخر المجردات الدهريات، وهو المواد البسيطة، المحصَّصة بالمهملات بالحصص الشخصية.

وكون الذَّر الثاني، يعني: أنَّ الكون السادس هو عالم الأظلة والذر، وهو هنا أي: الذر الهباء المنبث في الهواء، شبهت تلك الحصص بالهباء المنبث في الهواء لصغرها بالنسبة إلى سعة ذلك الفضاء، وإلا فهم على قدر حجمهم الظاهري، كما إذا كان شخص تحت الجبل، فإنك تراه لِبُعد المكان وصغره بالنسبة إلى الجبل كالذر وأصغر، من غير أن يصغر حجمه في نفسه.

وسُمِّي بالأظلة؛ لِمَا قلنا من أنه كالظل، يُرى ولا يُمسّ، فكون الأظلة وكون الذر واحد؛ لأنه عليه السلام قال: «**وَالكَوْنُ السَّادِس أَظِلَّةٌ وَذَرّ**».

وإنَّما قلنا الذر الثَّاني؛ لأنَّ الذر متعدد باعتبار تعدد رتبته، أو اعتبار المعتبرين. الأول: وهو المعاني في العقول.

والذر الثاني: هو الصور الجوهرية في النفوس.

والثالث: هو ما في هذه الدنيا.

والرابع: ما في الآخرة.

وبين الأول والثاني برزخ: هو الأرواح والرَّقائق، وهو عالم الـورق الخضر، وورق الآس، وبين النفوس والأجسام عالم المثال والأظلة الحقيقية والأشباح، وهي أبدان نورانية لا أرواح لها، أي: لا مواد فيها، وبين الدنيا والآخرة عالم البرزخ في القبور بعد الموت.

وقيل؛ الذر الأول: عالم النفوس. والثاني: ما في هذه الدنيا.

وقيل؛ الأول: ما في الدنيا. والثاني: ما في الآخرة.

وقيل: غير متعدِّد، وهو مجاز[1] على المكلفين في هذه الدار.

والأصح الحقيق بالتحقيق، الأولى بالتصديق: هو الأول.

قلتُ: (ثُمَّ العَرْشُ مُحَدِّدُ الجِهَات، ثُمَّ الكُرْسِيّ، ثُمَّ فَلَكُ البُرُوْجِ، ثُمَّ فَلَكُ المَنَازِل، ثُمَّ فَلَكُ الشَّمْس فِي زُحَل وَفِي القَمَرِ، ثُمَّ مِنَ الشَّمْسِ فِي المُشْتَرِي وَعَطَارِد، ثُمَّ مِن الشَّمْسِ فِي المِرِّيْخِ وَفِي الزُّهْرَة، ثُمَّ تَنْزُلُ إِلَى الأَذْهَانِ صُوْرَتُهُ، بِتَسْخِيْرِ شَمْعُوْن وَسَيْمُون وَزَيْتُـوْن لِجُنُـوْدِهِم وَأَعْوَانِهِم مِن المَلَائِكَة المُوَكَّلِيْن بِفَلَك عَطَارِد، وَمَا حَمَل مِن مُتَمِّماتِـه وَحَامِلِه، وَمُدِيْرِه وَتَدْوِيْرِه، وَكَوْكَبِه وَأَشِعَّتِه).

---

(١) في بعض النُّسخ: (وقيل: الذَّر متعدِّد، وهو جارٍ).

[إطلاقات العرش في أخبار الأئمة عليهم السلام]:

أقول: اعلم أنَّ العرش لَه إطلاقات في أخبار الأئمة عليهم السلام.

فتارة: يُطلق على الوجود الراجح؛ كالمشيئة، وكأول فائض عنها.

وتارة: يُطلق على الملائكة الأربعة العالين، التي هي الأنوار الأربعة: الأحمر والأصفر، والأخضر والأبيض، التي هي أركان العرش؛ لأنَّ العرش ينقسم إليها.

وتارة: على الدِّين، كما في قوله تعالى: **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾**[1]، يعني: أنه تعالى حمل دينه العلم، فالعلم حامل لَه.

وتارة: على الملك، كما قال تعالى: **﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾**[2]، يعني: رب الملك العظيم.

وتارة: على العلم الباطن، الذي فيه علل الأشياء، وعلم الكيفوفة، ومنه مظهر البدآء، والكرسي على العلم الظاهر، أعني: صور المعلومات ومُثُلها -بضم الميم، والثاء المثلثة- وأظلتها الكونية والعرضيه.

وتارة: على العلم المؤدي أوامره ونواهيه إلى المكلفين، كم ورد في تفسير قوله تعالى: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾**[3]، أهم

---

(١) سورة هود، الآية: ٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

أربعة من الأولين: نوح وإبراهيم، وموسى وعيسى عليهم السلام، وأربعة من الآخرين: محمد صلى الله عليه وآله وعلي، والحسن والحسين عليهم السلام[1].

وتارة: يُطلق على ما سوى الله.

وتارة: يُطلق على محدد الجهات.

وقد أشارت الرِّوايات إلى هذه الإطلاقات[2].

---

(١) عن محمد بن مسلم قال؛ سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾**[سورة غافر، الآية:٧]، قال: «**يَعْنِي: مُحَمَّداً وَعَلِيّاً، وَالحَسَنَ وَالحُسَيْن، وَنُوْحاً وَإِبْرَاهِيْمَ، وَمُوْسَى وَعِيْسَى عليهم السلام**».[تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٦٩١. تفسير فرات الكوفي، ص: ٣٧٥. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ٢١٧. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٣٥].

(٢) من تلك الروايات ما عن حنان بن سدير قال؛ سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال: «**إِنَّ لِلْعَرْشِ صِفَات كَثِيْرَة مُخْتَلِفَة لَهُ فِي كُلِّ سَبَبٍ وضعٍ فِي القُرْآنِ صِفَة عَلَى حِدَة، فَقَوْلُهُ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾**[سورة التوبة، الآية:١٢٩]، **يَقُوْلُ: المُلْكُ العَظِيْمُ. وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾**[سورة طه، الآية:٥]، **يَقُوْلُ: عَلَى المُلْكِ احْتَوَى، وَهَذَا مُلْكُ الكَيْفُوْفِيَّة فِي الأَشْيَاء.**

ثُمَّ العَرْشُ فِي الوَصْلِ مُتَفَرِّدٌ مِنَ الكُرْسِي؛ لِأَنَّهُمَا بَابَان مِنْ أَكْبَرِ أَبْوَابِ الغُيُوْبِ، وَهُمَا جَمِيْعاً غَيْبَان، وَهُمَا فِي الغَيْبِ مَقْرُوْنَان؛ لِأَنَّ الكُرْسِيّ هُوَ البَابُ الظَّاهِرُ مِنَ الغَيْبِ الَّذِي مِنْهُ مَطْلَع البدع، وَمِنْهُ الأَشْيَاء كُلّها، وَالعَرْشُ هُوَ البَابُ البَاطِنُ، الَّذِي يُوْجَدُ فِيْهِ عِلْمُ الكَيْفِ وَالكَوْن، وَالقَدَرِ وَالحَدِّ، وَالأَيْنِ وَالمَشِيْئَة، وَصِفَةُ الإِرَادَة، وَعِلْمُ الأَلْفَاظ، وَالحَرَكَات وَالتَّرْك، وَعِلْمُ العَوْدِ وَالبَدْء.

....←

۞[بقية المخازن وكيفية تنزُّل الصُّور والهيئات]:

ونحن إنما نذكر محدَّد الجهات؛ لأنَّ أكثر غيره أو كله أو غيره داخل فيما ذكرنا من الخزائن قبل المحدد[1]، وهو الخزانة الرابعة عشر، وهو خزانة القلوب والكرسي، وفلك البروج، وفلك المنازل، وفلك زحل، والمشتري، والمرِّيخ، والشَّمس، والزُّهرة، وعطارد، والقمر، فهذه عشرة خزائن.

فالكرسي: للعلوم الكلية، وفلك البروج: للنوعية، والمنازل: للصنفية، وزحل: للعقول، والمشتري: للنفوس، والمريخ: للأوهام، والشمس: للوجود الثاني، والزهرة: للخيالية، وعطارد: للفكرية، والقمر: للحياة.

←....

فَهُمَا فِي العِلْمِ بَابَانِ مَقْرُوْنَان؛ لِأَنَّ ملك العَرْش سوى ملك الكُرْسِي، وَعِلْمُهُ أَغْيَب مِنْ عِلْمِ الكُرْسِي، فَمِنْ ذَلِكَ قَالَ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، أَيْ: صِفَتُهُ أَعْظَمُ مِنْ صِفَةِ الكُرْسِي، وَهُمَا فِي ذَلِكَ مَقْرُوْنَان.

قلتُ: جُعلت فداك، فلم صار في الفضل جار الكرسي؟.

قالَ: إِنَّهُ صَارَ جَارَهُ؛ لِأَنَّ عِلْمَ الكَيْفُوْفِيَّة فِيْه، وَفِيْهِ الظَّاهِر مِنْ أَبْوَاب البَدَاء، وَأَيْنِيَّتِهَا وَحَدّ رَتْقِهَا وَفَتْقِهَا..». [التوحيد، ص: ٣٢١-٣٢٢. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٣٠].

(١) في بعض النُّسخ: (من الخزائن قبله، وهو المحدَّد).

وأما قولنا: (من الشمس في زحل والقمر.. إلخ)، فنشير إلى سرٍّ، وهو أن الشمس كما هو مقرر في الطبيعي المكتوم، وهي أول ما خلق الله من الأفلاك السبعة، فدارت الأفلاك عليها، يستمدون منها فوقها وتحتها؛ لأنها إنما كانت منشأ الوجود الثاني، لأنها مهبط الأنوار العلوي[1]، فهي تستمد من نفس النور الأبيض، وتمد زحل ومن صفته، وتمد القمر وتستمد من نفس النور الأخضر، وتمد المشتري ومن صفته، وتمد عطارد وتستمد من نفس النور الأحمر، وتمد المريخ ومن صفته، وتمد الزهرة.

ثم تنْزل صورته إلى الأذهان، بتسخير الملائكة الثلاثة الموكّلين بفلك الفكر، وهو فلك عطارد الكاتب، وهم شمعون، وسيمون، وزيتون، المسبِّحون باسم الله المحصي، ولهؤلاء الملائكة الثلاثة جنود وأعوان من الملائكة، لا يُحصي عددهم إلا الله، حتى قيل: ليس واحد من السَّماوات فيه ملائكة بقدر فلك عطارد.

وتلك الجنود والأعوان موكلون بفلك عطارد من قبل الملائكة الثلاثة، وبما حمل[2] ذلك الفلك من متمماته الأربعة، وكوكبه وحامله، ومديره وتدويره، وأشعة هذه المذكورات، أعني: نهاياتها وحركاتها ونهاياتها.

---

(١) في بعض النُّسخ: (الأنوار العلويَّة).

(٢) في بعض النُّسخ: (أو بما حمل).

هذا إذا كان الشيء النازل صورة؛ لأنَّ الذهن هو محلها المتقوم لها، ولو كان الشيء جسماً أو جوهراً وضعه الله في محله المقوم لَه، ومن فلك المحدد تخلق القلوب، ومن الكرسي النفوس، والعلوم الكلية وأنواعها في فلك البروج، وأصنافها في فلك المنازل، ومن زحل العقول، أي: التعقلات؛ لأنَّ العقول هي القلوب، وهي من الفلك المحدد.

وأمَّا زُحل: فهو بمنْزلة ما في رأس الإنسان من عقله، فإنَّ العقل هو القلب، وهو في الصَّدر، قال تعالى: **﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾**[1]، وأمَّا ما في الدِّماغ من العقل؛ فإنه وجهه وبصره، وباطنك كظاهرك، فإنك في الصدر وترى بالرأس، كذلك باطنك، ومن المشتري الذاكرة، وهي العلم الذي وصل إليه من الزُّهرة، ويؤديه إلى الكرسي في حال الترقي، كما في حال التنزُّل، ومن المريخ الأوهام، ومن الشمس التكوين الثاني، ومن الزُّهرة الخيالات، ومن عطارد الأفكار، ومن القمر الحياة.

فإذا قدَّر الله تعالى وأذن بشيء من الصُّور أو الهيئات[2] أن يتنزَّل من الخزائن المشار إليها؛ تلقَّته الملائكة الثلاثة، وسلَّموه إلى الأعوان بإذن الله تعالى، وتُنَزِّله الأعوان بإذن الله بواسطة تلك الحركات والكواكب والأسماء التي هي المُمدَّة لهم إلى الأذهان.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٢) في بعض النُّسخ: (والهيئات).

ولذا قلتُ: (وَإِنَّمَا يَنْزِلُ إِلَى الذِّهْنِ بَعْدَ أَنْ يَنْزِلَ مِنَ الخزَانَة العُلْيَا إِلَى مَا دُوْنَهَا.. وَهَكَذَا، إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الذِّهْنِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُوْمٍ﴾[1]؛ يُشِيْرُ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ النَّازِل مِنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ إِنَّمَا يَنْزِلُ بِإِذْنٍ وَأَجَلٍ وَكِتَابٍ).

أقول: وهذا ظاهر.

[لكل نازلٍ إذنٌ وأجلٌ وكتابٌ]:

ومعنى: (إنَّما ينْزل بإذن وأجل وكتاب)؛ أنَّ كل شيء نزل من تلك الخزائن لا ينْزل من العليا إلى ما دونها إلا إذا أذن الله له في النُّزول في وقت معيَّن، بعد أن يكتب تنَزُّله في الألواح، أعني: نفوس الأشياء وذواتها وصفاتها من الجمادات والنباتات والحيوانات مما فوقه إلى رتبة ما نزل إليه، وإذا نزل من العليا إنما ينْزل منه ما هو مثل له، وحقيقته باقية في الخزانة، لا تخلو منها، أعني: الخزانة التي نزل منها، مثل ما ينْزل من النار التي في الحجر بالحكِّ، فإن حقيقتها في الحجر باقية، ويظهر منها نار مثلها، من غير أن يتصور نقص في الحقيقة التي في الحجر، فافهم.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢١.

۞[الكل وجود خارجي]:

قلتُ: (وَهَذِه المَرَاتِبُ كُلُّهَا مِن الوُجُوْدِ الخَارِجِيِّ، وَمَا فِي الذِّهْنِ كَمَا فِي المِرْآة، فَإِنَّهُ وُجُوْدٌ خَارِجِيٌّ).

أقول: إنَّ ما في هذه المراتب المذكورة -أعني: الخزائن- كلها من الوجود الخارجي، وهي أصول لِمَا في الذّهن، فيكون ما في الذهن إنما ينتقش فيه منها أظلة ما فيه كما في المرآة، وإنما ينتقش فيها أظلة ما يقابلها، مع أنك تحكم بأنَّ ما في المرآة من الوجود الخارجي كذلك ما في الذهن؛ لأنه ﷻ يضع كل شيء خلقه في محله اللائق به الذي يكون مقوماً لَه، فوضع الشخص في مكانه من الأجسام، ووضع مثاله في محل اللائق به الذي يكون مقوماً لَه؛ وهو الذهن، والكل من الوجود الخارجي.

وإنما اصطلحوا إلى تقسيمه هذين القسمين؛ للفرق بين محلّ ما للغيب، وبين محلّ ما للشهادة.

۞[أقسام الخزائن السابقة]:

قلتُ: (ثُمَّ مَا فِي هَذِهِ المَرَاتِبِ الَّتِي هِيَ الخَزَائِنِ قِسْمَانِ: أَصْلٌ، وَظِلٌّ.

وَالمُنْتَقِشُ فِي مِرْآةِ الذِّهْنِ إِنْ كَانَ مِنَ الأَصْلِ؛ انْتَقَشَتْ فِيْهِ صُوْرَتُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الصُّوْرَةِ انْتَقَشَتْ صُوْرَةُ الصُّوْرَة مَعَ مِرْآتِهَا، إِلَّا

أَنَّ الذِّهْنَ إِنَّمَا يَنْتَقِشُ فِيْهِ عَلَى قَدْرِهِ مِنَ الكَمِّ وَالهَيْئَةِ وَالكَيْفِ، فَـإِنْ كَانَ صَافِياً مُسْتَقِيْماً؛ حَكَى مَا فِي المُقَابِلِ بِلَا تَغْيِيْرٍ، وَإِلَّا اخْتَلَفَ المُنْتَقِشُ فِيْهِ فِي الكَمِّ بِكَمِّ هَذَا الذِّهْنِ، وَفِي الهَيْئَةِ بِهَيْئَةِ الـذِّهْنِ فِـي الطُّـوْلِ وَالعَرْضِ، وَالاعْوِجَاجِ وَالانْحِرَافِ، وَفِي الكَيْفِ بِكَيْفِهِ؛ مِنْ بَيَـاضٍ أَوْ سَوَادٍ.. أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، كَاخْتِلَافِ صُوَرِ الوَجْهِ الوَاحِدِ فِي المَرَايَا المُتَعَدِّدَةِ المُخْتَلِفَةِ كَذَلِكَ).

أقول: أنَّ الذهن لَمَّا ثبت أنه ليس فيه إلا ما انتقش من ظل المقابل؛ لأنه بحكم المرآة، وأنَّ الخزائن قسمان: خزائن للذَّوات، وخزائن للصفات، كان المنتقش منها في الذهن إن كان من الأصل؛ انتقشت فيـه صـورته المنفصلة بنفسها، أعني: ظل صورته القائمة به.

وإن كان المنتقش فيه من الظل؛ انتقشت فيه صورة الصورة، مـع مرآها التي انتقشت فيه، إلا أن الذهن تنتقش فيه الصورة على قدره مـن الكم، أي: على قدر الذهن من جهة كم الـذهن، أي: سـعته وكـبره وصغره، ومن جهة هيئته؛ من استقامته واعوجاجه وانحرافـه، وطولـه وعرضه، ومن جهة كيفه؛ من بياضه وسواده.. وغيرهما.

وآيته: المرآة، فإن صورة المقابل تنقش فيها بنسبة كمِّهـا وهيئتـها وكيفها.

وهذا معنى قولنا: (فإن كان صافياً مستقيماً..إلى آخـره)، وهـذا ظاهر.

۞[خزائن الوجود الذهني من ظل الباطل]:

قلتُ: (هَذَا إِذَا كَانَ مَا فِي الذِّهْنِ مِنْ ظِلِّ الحَقِّ، فَإِنْ كَانَ مَا فِيْهِ مِنْ ظِلِّ البَاطِلِ؛ انْعَكَسَ إِلَى الأَسْفَلِ، فَقَابَلَ الَّذِي فِي خَزَائِنِ الشَّمَالِ، وَهِيَ ثَمَانِي عَشَرَ خزَانَة مَنْكُوْسَة، كُل مَا فِيْهَا دَعَاوَى لَا حَقَائِق، إِلَّا أَنَّه تُشْبِه مَا فِي الحَقِّ، كُل خزَانَة تُشْبِه ضِدَّهَا، فَيَنْتَقِش فِيْهِ مَا قَابَلَهُ مَعَ مَا فِي الذِّهْن مِن الهَيْئَةِ فِي الكَيْف، وَمَا لَهُ مِنَ الكَمِّ).

أقول: ما ذكرنا كله إذا كان ما في الذهن من ظل الحق أو ظلّ ظلّ الحق، أعني: ما هو مثبت في كتاب الأبرار، أعني: عليين، وهو الصفحة الأولى النورانية من اللوح.

وأمّا إن كان ما في الذهن من ظل الباطل؛ انعكس الذهن، أي: نكس وجهه إلى جهة السّفل، مُكبّاً على وجهه، **﴿ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾**[1]، فإذا انتكس قابل ما في خزانة الشمال، وهي الصفحة السفلى الظلمانية من اللوح، وهو ما أثبت في كتاب الفجار، أعني: سجِّين من مُثُل الباطل -بضمِّ الميم، والثاء المثلثة- المجتثة، كما قال تعالى: **﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرارٍ﴾**[2]، يعني: ما لها من ثبات مستند إلى الحق المتأصِّل الثابت الأصل؛

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

بأن يرجع ثبوته إلى ما يكون بفعل الله تعالى بالــذات، ولــو بوســائط متعدِّدة.

وهذه المُثُل المجثة ثماني عشر خزانة، مع عدٍّ مبدئها منا، أعني: الجهل، وما فوقه وهو ما تحت الثرى، وذلك بلحاظ غيبها وشهادها، وتفــصيل ذكرها: الجهل الأول، وفوقه روح الباطل، ونفس الباطل، المسمى بالثرى، والطمطام -أي: الظلمة- وجهنم بطبقاها السَّبعة، أعني: أبواها تعد كلها خزانة واحدة، والريح العقيم، والبحر، والحوت، والثــور، والــصخرة، والملك الحامل للأرضين السبع، والأرضون السبع بلحاظ نفوسها: نفــس الجور والإلحاد، ونفس الطغيان، ونفس الشهوة، ونفس الطبيعة، ونفــس العادات، ونفس الممات.

فهذه ثمانية عشر خزائن تقابل مثلها من الحق، أوَّلها العقل الكلــي، وروح الكل، ونفس الكل، وطبيعة الكل، وجوهر الباء، والمثال، ومحــدَّد الجهات، والكرسي، وفلك البروج، وفلك المنازل، والسَّماوات الــسَّبع بلحاظ نفوسها: العقل -أي: التعقُّل كما مَرَّ-، والعلم، والوهم، والوجود الثاني، والخيال، والفكر، والحياة.

وكل واحدة من خزائن الباطل تقابل ما يشاهها من خزائن الحــق، إلا أها ترجع إليها من حيث هي هي، لا من حيث رجوعها إلى الحــق،

وإلا لكانت حقاً، بل على حد قوله تعالى: ﴿وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(١).

۞[سر تشابه الحق مع الباطل]:

وهذه الثمانية عشر الخزائن الباطلة كلها دعاوى، أي: باطلة وكذب، لا حقائق؛ لأنَّ الحقائق إنما تكون للحق، ولو كان للباطل حقيقة لما كان باطلاً، إلا أنها تشابه الحق؛ لأنها تدَّعي الحق، أو يُدَّعى بها الحق دعوى باطلة.

ولأجل كونها مشابهة للحق؛ سمَّاهما الله في أنفسهما باسم واحد، وشبَّههما بتشبيه واحد، فقال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ..﴾(٢)، فسمى الباطل زبداً، وسمَّى الحق زبداً مثله، وقال تعالى: ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ..﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ..﴾(٤).

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

وانتقاش الباطل في الذهن على نحو انتقاش الحق فيه، إلا أنَّ الحق لَمَّا كان أصله ثابتاً؛ كان قارّاً في الذهن، كما هو في الخارج، وأما الباطل فهو دائماً متزلزل مضطرب.

والسِّر في ذلك: أن الحق هيئة تكوينه، وتكوُّنه هيئة الفطرة التي فطر الناس عليها، فكان مستقرّاً في المحل المطابق لَه، بخلاف الباطل؛ لأنه مخالف للفطرة، لأنَّ الله ﷻ إنما فطر المكلفين على الحق، فإنْ عَمِلَ المكلف بأمر الله كان مُوافقاً لِمَا خلق عليه هيئته، [كما][1] قال تعالى: **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾**[2]، وإن لم يعمل بأمر الله كان مخالفاً للفطرة، وإنما عمل بقتضى ما طبع نفسه عليه مما تقتضيه شهوته وهوى نفسه، اللذان هما خلاف الفطرة، وذلك بعد أن غيَّر الفطرة بفطرة تطبعيَّة، وبدَّلها بصورة نفسانيَّة حيوانيَّة أوشيطانية.

فكان للعاصي طبيعتان:

أصلية: هي مقتضى الإجابة في عالم الذَّر.

وعارضية: هي ما تطبَّع عليها، حتى تغيَّرت فطرته.

ولكن الفطرة الأصلية لم تضمحل أصلاً، بل هي موجودة وفيها تغيير، بمقتضى الأصلية ينكر المعصية كلَّما لحظ بها، وبمقتضى العارضية يقبل المعصية لما بينهما من المناسبة كلما لحظ بها، فهو لا يزال مضطرباً،

(١) ما بين المعقوفين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

كما أخبر عنه تعالى فقال: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾[١]، لما فيه من مقتضى الموافقة ومقتضى المخالفة.

بخلاف المطيع؛ فإن الله تعالى بطاعته يشرح صدره للإسلام، ولو اضمحلت الفطرة الأصلية من العاصي لما عرف شيئاً من الحق، وإذا لم يعرف لم تقم عليه الحجة.

نعم.. قد يكون بعض المكلفين الذين تبين لهم الحق فأنكروا كلّما تبين لهم، حتى اطمأنت نفوسهم بمعصية الله، وهؤلاء لم تفن منهم الأصلية، وإنما عدم ميلها الإرتباطي الذي يتعلق بأفعال الطاعة؛ لعدم إمدادها بشيء من أعمال الخير، فعُدم ميلها الإرتباطي بأفعال الخير، وبقي ميلها الأصلي، فبه يعرف[٢] أنه عاصٍ مُقصِّر.

وذلك من صنع الحكيم؛ لئلا تكون للناس على الله حجة، فلا يقولوا: ما علمنا، أو ما فهمنا. فلذا قال تعالى: ﴿وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٢) في بعض النُّسخ: (فيه يُعرف).

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٥.

۞[علة كون الشبح الذي في الذهن ظلي انتزاعي]:

قلتُ: (وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّهُ ظِلِّيّ انْتِزَاعِيّ فِي غَيْرِ ذِهْنِ عِلَّةِ المَوْجُوْدَات؛ لِأَنَّكَ لَا تُدْرِكُ مَا غَابَ عَنْ بَصَرِكَ بِخَيَالِكَ، إِلَّا فِي وَقْتِهِ وَمَكَانِهِ، وَلَا يُمْكِنُكَ أَنْ تُدْرِكَ شَيْئاً سَمِعْتَهُ أَوْ نَظَرْتَه إِذَا غَابَ عَنْكَ، أَوْ غِبْتَ عَنْه، إِلَّا إِذَا الْتَفَتَّ فِي نَفْسِكَ إِلَى زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ الَّذِي أَدْرَكْتَهُ فِيْهِ أَوْ لَا تُدْرِكُهُ فِيْهِ، وَإِنْ ذَهَبَتْ شَهَادَتُهُ، فَإِنَّ غَيْبَهُ لَمْ يَذْهَبْ، كُلَّمَا طَلَبْتَهُ وَجَدْتَهُ فِيْهِ).

أقول: إنما قلنا (أنَّ الشبح الذي في الذهن كلّه ظلّي انتزاعي)؛ لأنك لا تدرك ما غاب عن بصرك بخيالك، إلا في وقته ومكانه، ولو لم يكن ظلّاً منتزعاً من الخارج لَمَا احتاج في تصوره إلى الإلتفات إلى جهة الخارجي؛ لأنَّ الذات لا تحتاج في تصورك لها إلى ما تتقوم به غير ذاتها، بخلاف الصفة، فإنك تحتاج إلى انتزاعها من موصوفها، فهذا ظاهر.

نعم.. إذا كان الذهن ذهن علّة الشيء علّة مادِّية وعلّة صورية، فإنه لا يحتاج إلى أخذه من غيره، إذ ليس لذلك الشيء الموجود أصل ولا وجود غير ذهن هذا المتصوِّر، فإنَّ ما في ذهنه علّة للخارجيّ، والخارجي متنزِّل منه.

ولذا قلتُ: (في غير ذهن علّة الموجودات)؛ لأنّه لو عُدِم -والعياذ بالله- لساخت الأرض؛ لأنَّ وجوده هو أمر الله، الذي به قامت السَّماوات والأرض، وما فيهما وما بينهما.

بخلاف زيد وعمرو وأمثالهما من ذوي الأذهان، فإنَّ أحدهما إذا فُقِد لم يُفقد شيء بفقده، ولم يُعدم شيءٍ بعَدَمه، فيكون جميع ما تجده في ذهنك أظلة منتزعة من وجود خارجي، إمَّا في عالم الشهادة مما رأيته، أو في عالم الغيب مما سمعت به، ولو بدلالة لفظ، فإنه موجود في خلق الله قبل أن تقع صورته في ذهنك، كما دلَّ عليه كلام الرِّضا عليه السلام المتقدم.

وقد ذكرنا قبل: أنك إذا رأيت زيداً يصلي يوم الثلاثاء، الثالث عشر من شهر رجب، سنة الثالثة والثلاثين بعد المائتين والألف -وهو اليوم الذي كُتب فيه هذا الكلام- في المسجد؛ بقي مثاله وشبحه -أعني: ظله- قائماً في ذلك المكان وذلك الوقت إلى يوم القيامة، فكلما طلبت رؤيته التفتَّ بمرآة خيالك إلى غيب ذلك المكان وذلك الوقت، فإذا قابلته بمرآة خيالك انطبع فيها ذلك المثال في ذلك الوقت الذي رأيته يصلي فيه وفي ذلك المكان، وهو بعينه عين الوقت الأول الذي رأيته فيه، إلا أن الأول شهادته، وهذا غيبه، فأمَّا شهادة ذلك فقد مضت، وبقي غيبه ثابتاً إلى يوم القيامة، كلَّما التفتَّ بخيالك إليه رأيته.

ولو رأيته على معصية فكذلك، إلا أنَّ المكانين مختلفان في الغيب، وإن اتفقا في الشهادة، كما لو رأيته يصلي في الدكان، ورأيته يسرق فيه أو يزني، فإن المثال المصلِّي في العلِّيين، والمثال السَّارق والزَّاني في السِّجين، والمكان الظاهر واحد، والباطنان مختلفان، وكذلك زيد؛ فإنه في الظاهر واحد، وإذا صلى فهو زيد المؤمن، وإذا زنى فهو زيد الفاسق.

واعلم أن زيداً مادام على معصية؛ فأنت ترى ذلك المثال الزاني لازماً لَه، وهو متصف به لابس لَه كالثوب، وذلك المثال متقوِّم به، وبأصله المنقوش في كتاب الفُجَّار سجين، فإذا تاب وعلمت ذلك منه إذا أتاك؛ وجدت ذلك المثال منفصلاً عنه، غير مرتبط به، ولا متقوِّم به، وإنما هو متقوم بأصله من سجين خاصة.

فإذا مات زيد على التوبة والإيمان والعمل الصالح؛ أمر الله كلمته فمحت ذلك المثال من غيب ذلك المكان وذلك الزمان، وأنسي الملائكة ذكره، وستر بفضله على عبده المنيب إليه سرَّه، وهو خير الغافرين، وخير السَّاترين.

۞[مثالٌ وبيانٌ واستشهاد]:

وهو ما قلتُ: (**كَمَا لَوْ ذُكِرَ لَكَ: أَنَّكَ كَلَّمْتَ عَمْرواً أَمْس بِكَذَا، فَإِنَّكَ لَمْ تَذْكُرْهُ حَتَّى تَلْتَفِتْ نَفْسُكَ بِخَيَالِكَ إِلَى ذَلِكَ الوَقْت وَالمَكَان، فَتَرَى فِيْهِ عَمْرواً بِعَيْنِهِ وَكَلَامك بِعَيْنِهِ مَوْجُوْدَيْنِ فِي الكِتَاب الحَفِيْظ، فَيُعْطِي الكِتَاب الحَفِيْظ ذِهْنك صُوْرَة الشَّخْصِ وَالكَلَام وَالوَقْت وَالمَكَان، فَتُخبر عَمَّا انْتَقَشَ فِي ذِهْنِكَ مِنْ ذَلِكَ، عَلَى نَحْوِ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ كَيْفِيَّة الانْتِقَاش**).

أقول: إذا التَفَتَتْ نفسك بخيالك إلى ذلك الوقت وذلك المكان لتذكر أنَّك كلَّمة عمرواً أمس بكذا، وتذكر نفس كلامك؛ وجدت الكلام ثابتاً بجميع حدوده ومشخصاته في ذلك المكان، وفي ذلك الوقت،

فتنطبع صورة ذلك في صورة ذلك المكان، في صورة ذلك الزمان كلها في مرآة خيالك، فترى عمرواً بعينه، أي: ترى مثال عمرو بعينه، وكلامك -أي: مثال كلامك- بعينه موجودين، والذي رأيته من كلامك ومن عمرو، و[عمرو][1] هو الشبح، أعني: الظل منهما؛ لأنهما مكتوبان بهذه الهيئة في الكتاب الحفيظ، اقتباس من قوله تعالى: **﴿قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظ﴾**[2]، أي: حافظ لكلِّ شيء، وهو اللوح المحفوظ.

ومثل هذا: ما قال تعالى حكاية عن سؤال فرعون لموسى وجوابه عليه السلام له قال: **﴿قالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُوْلى﴾** حيث كانوا تراباً، واضمحلُّوا [وضلُّوا][3] في الأرض، فكيف يرجعون؟!، **﴿قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَ لا يَنْسى﴾**[4].

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

(٢) سورة ق، الآية: ٤.

(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٥٢-٥١. ونقل العلامة المجلسي في بحاره ما يلي: (قيل لَمَّا دعاه موسى إلى البعث قال: فما بالهم لم يبعثوا؟.

قال موسى عليه السلام: **﴿عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي﴾**، أي: أعمالهم محفوظة عند الله، يجازيهم بها، **﴿فِي كِتابٍ﴾**، يعني: اللوح، أو ما يكتبه الملائكة، **﴿لا يَضِلُّ رَبِّي﴾**، أي: لا يذهب عليه شيء، **﴿وَلا يَنْسى﴾** ما كان من أمرهم، بل يجازيهم بأعمالهم).[بحار الأنوار، ج: ١٣، ص: ٩٤].

فهذا الكتاب المكتوب فيه أعمال الخلائق بأمثالهم وأشباحهم؛ يُعطي ذهنك ما يُقابله من صورة تلك الأمثال القائمة، ومن أظلتـــه المنفـــصلة، فتخبر عما حصل في ذهنك مما نقشه فيه القلم الخاص بك وينقشه، على نحو ما ذكرنا سابقاً من الانتقاش.

۞[كل شيء له غيبٌ وشهادة]:

قلتُ: (وَاعْلَم أَنَّ الوَقْتَ الَّذي ذكرْتَ فيْه، وَالمَكَان الَّذي رَأَيْتَ فيْه الشَّخْص، وَالكَلَام؛ هِيَ نَفْس مَا رَأَيْتَ أَوَّلاً في الزَّمَـــان، إلَّـــا أَنَّ الجِسْمَ المَرْئي بالبَصَرِ، وَالكَلَام المَسْمُوْع بِهَذهِ الأُذُن قَبْل هَذَا الذِّكْر فِي الزَّمَان، وَهُوَ شَهَادَهُمَا.

وَأَمَّا إِدْرَاكُكَ لِحَالَتَيْهِمَا فِي ظَرْفَيْهِمَا؛ فَفِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَمَكَـــانٍ وَاحِدٍ.

وَنَظِيْرُهُ -فِي غَيْرِ الوَقْت-: لَوْ كَانَ عِنْدَكَ كِتَابَةٌ فِـــي قِرْطَـــاسٍ فَنَظَرْتَ إِلَيْهَا فِي وَقْتَيْنِ، فَإِنَّ المَرْئِيَّ وَالمَكَان وَاحِد.

وَمَا نَحْنُ فِيْهِ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ الوَقْتَ وَاحِدٌ، وَهُوَ وَقْتُ الأَظِلَّة مِنْ يَوْمِ الجُمعَة، وَقْت العَصْرِ بَعْدَ الأَذَان وَالصَّلَاة، فَإِنْ كَانَ بَصَرُكَ حَدِيْداً عَرَفْتَ هُنَاكَ ذَلِكَ الشَّخْص، هَلْ صَلَّى أَمْ لَا؟، فَافْهَم).

أقول: مرادي أنَّ كل شيء فله غيب وشهادة.

فأمَّا شهادته؛ فتدركها الحواس الظاهرة.

وأمَّا غيبه؛ فتدركه الحواس الباطنة، كالخيال، والنَّفس، والرُّوح، والعقل، على تفصيل ما ذكرنا فيما سبق الإشارة عليه.

فالوقت الذي ذكرت فيه الشخص، وكلامك معه، ومكانهما، هو باطن ما أدركته بالحواس الظاهرة، ولو ذكرته مرة ثانية وثالثة، سواء كانت بين الذكرين مدة طويلة أم قصيرة؛ كان الوقت والمكان والمذكور فيهما هو بعينه ما ذكرته قبل ذلك، تعدَّدَ الذِّكر أم اتحد؛ لأنَّ المثل مكتوبة بوقتها ومكانها في اللوح، وأنت تقابله بإدراكك الباطن، فينتقش فيه ذلك المنتقش الأول بعينه.

وهذا معنى قولي: (هي نفس ما رأيت أوَّلاً في الزمان)، يعني: بحواسك الظاهرة، إلا أن الجسم المرئي بالبصر، والكلام المسموع بهذه الأذن؛ قبل هذا الذكر في الزمان، ولهذا قلتُ: (وهو -أي: المرئي بالعين، والمسموع بالأذن- شهادتهما)، أي: الشَّخص والكلام، وغيبهما هو الذي أدركته بالذكر بالخيال أو بالنفس.

ومرادي باتحاد الحالتين: أنَّ ما أدركت من حالتي الشخص والكلام في وقتٍ واحد، ومكان واحد، وكنت أنت معهما في زمانٍ واحد، ومكانٍ واحد، فلمَّا سرت سفينة الزمان وتجاوزتهما؛ بقيا في مكانهما ووقتهما، فإذا التفتَّ إليهما لم تر شهادتهما؛ لبعدك عنهما، وذلك لسرعة سيرك في سفينة الزمان، وضعف بصرك وسمعك الظاهرين وصغرهما، ولكنَّك تراهما بغيبك بعينك الباطنة؛ لقوته وسعته، فتراهما أبداً في ذلك المكان، وفي ذلك الوقت.

۞[تنظير واستثناء]:

وإذا أردت مثاله فنظيره في غير الوقت الظاهر؛ لأنِّي لو لم استثن لك ذلك الوقت لاشتبه المثال عليك، مع أنَّ مغايرة الوقـت أيـضاً في الأول كذلك، إذا لم ترد الوقت الظاهر، فإنه في الممثّل والمثل متَّحد، وإذا أردت الوقت الظاهر ظهر لك التغاير، فيحصل لك الاشتباه في التـنظير، فلـذا استثنيت الوقت، يعني: الظاهر، وهو شهادة الوقت الذي لا تزال تراهمـا فيه كلَّما ذكرهما.

فنظيره: لو كان عندك كتابة في قرطاس، فنظرت إليها في وقـتين، فإن المرئيّ والمكان واحد، إذ المرئيّ: هو الكتابة في كلِّ وقـت؛ ولم تـر غيرها، والمكان: هو القرطاس لم تر غيره، لكن الوقـت الأول لرؤيتـك للقرطاس والكتابة غير الوقت الثاني؛ لأنَّ الزَّمان باعتبار سير أهله عنه غير قارّ الذَّات، وإن كان في نفسه قارّ الذَّات.

فإذا استغربت كلامي هذا؛ لِمَا ملأ سمعك من أنه غير قارّ الـذَّات، فأنا أقول لك: الآن الواحد من الزمان حين حضرك قبل أن يفـنى كمـا يتوهَّمون، هل كان داخلاً في ملك الله سُبحانه وفي قبضته أم لا؟.

فإن قلتَ: كان داخلاً، وفي قبضته، كما هو حكم الإسلام عليك.

قلتُ لك: فإذن بعد أن يمضي عنك أو تمضي عنه، ويأتيك آنٌ آخر؛ كان الأول خارجاً عن ملك الله وعن قبضته حتَّى تحكم عليه بأنه كـان عدماً محضاً؟.

فإن قلتَ: خرج؛ فهو الكفر والعياذ بالله.

وإن قلتَ: لم يخرج.

قلتُ: هذا حقٌّ، إلا أنك انتقلت عنه إلى وقت غيره وبقي مكانه، فإذا عملتَ بقول سيدِّنا الرِّضا عليه السلام: **«قَدْ عَلِمَ أُوْلُوْا الأَلْبَابِ، أَنَّ الاسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَاهُنَا»**[1].

فانظر.. فإنك حين خرجت من أصفهان وأتيت إلى العراق؛ قد عُدمت عنك أصفهان، كما عُدم عنك الزمان، وأصفهان باقية في مكانها على ما هي عليه، كذلك الزَّمان الذي تجاوزت عنه؛ فإنه باقٍ في مكانه على ما هو عليه، وذكرك له ورؤيتك له بخيالك وبنفسك؛ كذكرك لأصفهان ورؤيتك لها، فافهم.

وقولي: (وما نحن فيه كذلك، إلا أنَّ الوقت واحد).

أُريد: أنَّ رؤيتك للكتابة في القرطاس كرؤيتك للشخص وكلامك له، إلا أنَّ مسألة رؤية الكتابة[2] في المحسوس، فيختلف وقت الرُّؤية، وما نحن فيه ليس من المحسوس، فلا يختلف وقته؛ لأنَّه من الدَّهر لا من الزَّمان كوقت المثل، بل يكون هذا وقته واحداً في كلِّ وقت ذكرته، وهو وقت الأظلة، أعني: النفوس من يوم الجمعة، أي: وقت اجتماع النفوس بأفعالها

---

(١) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

(٢) في بعض النُّسخ: (إلا أنَّ رؤيتك للكتابة).

مع الأجسام، وهو وقت العصر، يعني: أنَّ عند تعلق النفوس بأفعالها بالأجسام، حتى تعلَّقت بها تعلق التدبير؛ عُصر منها -أي: خلق مما اجتمع منها[(١)]- الإنسان، الذي هو محل ذلك الذكر وذلك الإدراك الذي هذا الوقت المذكور هو وقت إدراكه وذكره بعد الأذان، أعني: الإعلام في الدعوة بقوله: (ألست بربِّكم، ومحمد نبيكم، وعلي وليكم؟).

والصلاة: هي الصِّدق في قوله: (بلى)، يعني: بلسانه وقلبه، عارفاً بذلك، مُصدِّقاً مسلِّماً، وبالتسليم تمَّت الصلاة.

فإن كُنتَ ممن لطف حسُّه، ودَقَّ فهمه، وأجاب علمه عمله حين هتف به؛ كما قال ﷺ: **«العِلْمُ يَهْتِفُ بِالعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ ثَبتَ، وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ»**[(٢)]، إذا نظرت إلى كلِّ شخص عرفت أمره؛ هل صلَّى هناك، أي: أجاب بقلبه ولسانه، مُصدِّقاً مسلماً، أم لا؟.

وهذه المسألة ذكرها استطراداً عند ذكر وقت الذكر، لا أنها مما نحن[(٣)].

---

(١) في بعض النُّسخ: (عُصر منهما -أي: خلق مما اجتمع منهما-).

(٢) ورد بروايات عديدة، ومنها عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: **«الْعِلْمُ مَقْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ»**.[الكافي، ج: ١، ص: ٤٤. نهج البلاغة، ص: ٥٣٩. عدة الداعي، ص: ٧٨. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٦٦-٦٧. غرر الحكم، ص: ٤٥. مشكاة الأنوار، ص: ١٣٩].

(٣) في بعض النُّسخ: (لأنها مما نحن فيه).



شرح الفائدة

الحادية عشر

فِي بَيَانِ صُدُوْرِ الأَفْعَالِ مِنَ الإِنْسَانِ

قلتُ:

(الفَائدَةُ الحَاديَة عَشَر

فِي بَيَانِ صُدُوْرِ الأَفْعَالِ مِنَ الإِنْسَانِ، وَالإِشَارَةِ إِلَيْهِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الإِنْسَانَ مُرَكَّبٌ مِن الوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّة، وَالمَخْلُوْقُ أَبَداً مُحْتَاجٌ فِي بَقَائه إِلَى المَدَدِ منْ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ؛ طَرَفُ الوُجُوْدِ، وَطَرَفُ المَاهِيَّة، فَمَدَدُ الوُجُوْدِ بِفعْلِ الله الذَّاتي، فَهُوَ أَبَداً قَائمٌ بِأَمْرِه قيَامَ صُدُوْرٍ وَمِنْ فعْله للأَعْمَال الصَّالحَة.

فَالحَافظُ أَمْرُ الله، وَالمَدَدُ من الأَعْمَالِ الصَّالحَة منْ فعْلِ الله وَمِنْ فعْلِ العَبْدِ، فَمَا بِفعْلِ الله مَقْبُوْلٌ، وَمَا بِفعْلِ العَبْدِ قَبُوْلٌ).

۞[تركيب الشيء، ووجوده من طورين]:

أقول: قد تبيَّن فيما تقدَّم أنَّ الشيء مركب من الوجود والماهيَّة، وأنه وُجِد في طورين.

الطور الأوَّل: هو الخلق الأول، وهو إيجاد مادته في ضمن إيجاد المادَّة والصُّورة النوعيتين، اللتين مادته الخاصة به حصة من مجموعهما، وقد تقدَّم أنَّ الخلق الأول -أعني: المادَّة النوعية التي هي الهيولي- مركب من وجود وماهيَّة، والوجود هو المادَّة، والماهيَّة هي الصُّورة.

[الطور الثاني]: ثم أخذ من هذه الهيولي -أعني: المادَّة النَّوعية- حصة هي وجود الشيء ومادته، وأُلحق بالصُّورة الشخصية التي هي الماهيَّة، وهذا هو الخلق الثاني.

والوجود في هذين الطورين، أي: الخلق الأول، والخلق الثاني في كليهما بالمعنى الأول للوجود، والمعنى الثاني للوجود؛ باعتبار لحاظ كون الشيء أثراً لفعل الله، أو كونه نور الله، فإنَّه بهذا اللّحاظ وجود، وبلحاظ أنه هو هو ماهيَّة، سواء اعتبر ذلك في الخلق الأول أم في الخلق الثاني، فافهم هذا الأصل، ولاتنسه حين نقول بالمعنى الأول أو بالمعنى الثاني.

۞[الأفعال الاختيارية وحكم الشقاوة والسّعادة]:

ونحن وإن كان قد نريد العموم في كثير من العبارات، لكنَّا إنما نجري الكلام في الخلق الثاني؛ لأنه هو الذي يظهر فيه حكم الشقاوة والسَّعادة الناشئتين من الأفعال الاختيارية التي نحن بصدد الكلام عليها فنقول: إنَّ الشيء -ونريد: أنَّ المكلّف- مركب من وجود وماهيَّة، والوجود والماهيَّة محدثان، اخترعهما الله سُبحانه بفعله، فخلق الوجود لا من شيء، وإنما هو أثر فعله وتأكيه.

مثاله: إيجادك (ضرباً) الذي هو المصدر من (ضربت) الذي هو فعلك، وهذا بناءً على المذهب المحقّق من أنَّ الأسماء مشتقة من الأفعال، كما هو رأي الكوفيين.

وخلق سُبحانه الماهيَّة من نفس الوجود من حيث هو هو، وإذا كانا مخلوقين كانا مفتقرين محتاجين في بقائهما إلى المدد، فيلزم كلّ منهما لذاته الميل إلى الاستمداد من شيء من نوعه، فالوجود نور؛ ويميل إلى الاستعداد من النور، إذ لا بقاء له بدون المدد، إمَّا بالذات وإمَّا بالعرض، والماهيَّة ظلمة؛ تميل إلى الاستمداد من الظلمة، إذ لا بقاء لها دون المدد، إمَّا بالذات وإمَّا بالعرض.

وأريد (ما هو بالذات)؛ ما إذا كان الشيء استمداده من نوعه، و(بالعرض)؛ ما إذا استمداده من نوع ضدِّه، وذلك بعد تلازمهما، إذ لا يتحقَّق أحدهما منفرداً عن الآخر، فلمَّا تلازما كان المجموع منهما هو المكلَّف، فصار المكلف مركباً من الوجود -أي: النور- ومن الماهيَّة -أي: الظلمة-، فكان لذاته ميلان ميل إلى الطاعات، التي هي من نور النور، وذلك من ميل الوجود المفتقر إلى المدد، وميل إلى المعاصي التي هي من نوع الظلمة، وذلك من ميل الماهيَّة المفتقرة إلى المدد.

فإن رجَّح المكلف العمل بالطاعات؛ كان استمداد وجوده بالذات، وماهيته بالعرض؛ لأنَّها لما كانت لازمة للوجود وحصل له الاستمداد تقوّم به وتقوَّمت هي بتبعيَّته، وإن رجَّح المكلف العمل بالمعاصي؛ كان استمداد ماهيته بالذات، ووجوده بالعرض؛ لأنه لَّما كان ملزوماً لماهيَّته التي حصل لها الاستمداد تقوَّمت به بالذات، وتقوّم هو بتبعيتها بالعرض، فذوا الاستمداد الذاتي إذا اتصل به قوي واستولى على الآخر، حتى لا يبقى للآخر ميل تام، بل ولا يبقى لذاته إنية متحقّقة إلا بقدر ما يتماسك

به الذي استقوى باتصال الاستمدادات الذاتية؛ لأنَّه وإن قوى إلى رتبة الكمال لا يضمحل ضده أصلاً، بل يبقى من الضد ما يحصل به الاستمساك.

نعم.. يكون الضعيف تابعاً للقوي، مُتقوِّماً بتبعيته له، ولذا قلنا: (أنه متقوّم بالعرض)؛ لأنَّ استمداده ليس مما هو من نوعه، ولا مما هو له، بل مما هو لضدِّه.

وقولي: (فمدد الوجود بفعل الله.. إلخ)، أريد: أنَّه خلقه الله أوَّلاً وبالذات، واستمداده من نوعه الذي هو نور، فيكون مدده بفعل الله الذاتي، فهو نور يستمد من النور، وهو ما يمده الله سُبحانه بتأييداته وألطافه، ويستمدُّ بالنور، أي: بفعل الله، إذ هو المقصود من الإيجاد، فهو -أي: الوجود- أبداً (يعني: دائماً) بغير انقطاع، قائمٌ بأمر الله ﷻ (يعني: بفعله) قيام صدور، ومتقوّم بأمر الله (أعني: بأثر فعله الذاتي) تقوماً ركنياً ومن فعله، أي: أنَّ مدد الوجود بفعل الله الذاتي ومن فعله، أي: فعل الوجود للأعمال الصالحة؛ لأنها من نوعه.

فالحافظ لبقاء الوجود أمر الله الذي هو فعله، والمحفوظ به أمر الله الذي هو أثر فعله، وهو هيئة الفعل المنفصلة، فلذا قلنا: (قيام صدور)، والهيئة المنفصلة هي مادَّة الوجود؛ لأنها أثر الفعل، ولذا قلتُ: (تقوماً ركنياً).

وقولي: (فما بفعل الله مقبول.. إلخ)، أُريد: أنَّ الحافظ للمكلَّف حتى يتوجه إليه التكلف، ويتحقَّق كونه شيئاً هو أمر الله، وهو شيئان:

الأمر الذي هو الفعل، قام به وجود المكلّف قيام صدور.

والأمر الذي هو أثر الفعل ومتعلقه، وأول صادر عنه، أعني به: الحقيقة المحمدية، قام به وجود المكلّف قياماً ركنياً، بمعنى: أنَّ مادته من شعاع تلك الحقيقة، وهو قولي قبل هذا: (قام بأمر الله الذي هو أثر فعله قياماً ركنياً)، وأعني به: هيئة الفعل المنفصلة، وهي التي بفعل الله، وهي المقبول؛ لأنه المادَّة على ما برهنا عليه سابقاً، وما من فعل العبد هو قبول، وهو انفعاله لفعل الله كما أراد ﷻ.

۞[بين فعل الله وفعل العبد]:

قلتُ: (وَمَدَدُ المَاهِيَّة بِفعْلِ الله العَرَضِيّ، فَهي أَبَداً قَائِمَة بفعْله العَرَضِيّ قِيَامَ صُدُوْر وَمِنْ فعْلِهَا من الأَعْمَالِ الخَبِيْثَة، فَالحَافظ أَمْر الله التَّابِع وَالمَدَد بِالأَعْمَالِ الخَبِيْثَة بِفعْلِ الله وَمِنْ فعْلِ العَبْد، فَمَا بِفعْلِ الله مُقَرّرٌ وَمُقَوّم، وَمَا مِنْ فعْلِ العَبْد مُتَكَوّن وَمُتَقَوّم).

أقول: إنَّ مدد الماهيَّة كأصلها بفعل الله العرضي؛ لأنَّ ذاها إنما وجدت لأجل تقوّم الوجود، إذ لا يتقوّم محدث بسيط بنفسه من دون تركيب؛ لأنَّه في نفسه لا يقدر، فلا بد من ضدٍّ له يمسكه، فلم تخلق الماهيَّة لنفسها؛ وإنما خلقت لأجل قوام الوجود، فكان وجودها ثانياً وبالعرض.

وكذلك مددها؛ فما بفعل الله سُبحانه في أعمالها الخبيثة هو التَّخلية، بأن يكلّها إلى نفسها، وما من أفعالها الخبيثة؛ فلأنه سُبحانه إنما جعل الآلة

المخلوقة للطّاعة صالحة للمعصية، وتمكين المكلّف من المعصية لأجل أن تصح الطاعة، إذ لا يكون المكلّف طائعاً حتى يتمكن من فعل المعصية، ويتركها باختياره وبفعل الطاعة، ولو لم يتمكن من فعل المعصية لم يكن بالطاعة طائعاً، إذ لا يقدر على غيرها، فجعلت له الطاعة صالحة للمعصية وجميع دواعيها كذلك، فلذا كان الفعل حافظاً لها عرضياً؛ لأنها لم تكن مقصودة لذاتها، وجميع استمدادها وأسبابها كلها عرضيَّة، لم تُجعل لنفسها، وإنما جُعلت للطاعة.

فعلى هذا: يكون ما بفعل الله هو التخلية والخذلان، وما من فعل العبد هو المعاصي كما تقدَّم ويأتي.

۞[منشأ الاختيار في أفعال المكلَّف]:

واعلم؛ أنَّ منشأ الاختيار في أفعال المكلّف هو من كونه مركَّباً من ضدَّين؛ وجود: هو نور. وماهيَّة: هي ظلمة. وميل كلّ واحد منهما على خلاف ميل الآخر.

فكان للمكلَّف ميل وداعٍ إلى فعل الطّاعات من الوجود، وميل وداع إلى فعل المعاصي من الماهيَّة، فلذا كان مختاراً، إن شاء فعل، وإن شاء ترك.

قلتُ: (ثُمَّ لَمَّا كَانَ الإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ مُرَكَّباً مِنْ ضِدَّيْنِ مُتَعَادِيَيْنِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَةِ وَالانْبِعَاثِ، مُحْدَثَيْن مُحْتَاجَيْنِ فِي تَقَوّمِهِمَا إِلَى المَدَدِ مِنْهُمَا أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا.

فَإِنْ كَانَ مِنْهُمَا؛ جَرَى عَلَى ذَلِكَ الإِنْسَان الوَزْن يَوْمَ القِيَامَةِ وَالحِسَابِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَدِهِمَا؛ ضَعُفَ الآخَر، وَلَمْ يَبْقَ عَنْهُ إِلَّا قَدْر مَا يَحْفَظ الآخَر، وَيَكُوْنُ حُكْمُهُ حُكْمُ القَوِيِّ).

أقول: إنَّ الإنسان مركّب من (ضدَّين): نورٌ، وظلمة.

(متعادِيين)، يعني: متعاكسين، (في الذات): نور وظلمة، و(في الصِّفة): معرفة وإنكار، وقبول وعدم قبول، و(في الانبعاث): انبعاث على التَّوالي، وانبعاث على خلاف التَّوالي؛ وذلك لأنَّ الوجود إذا مال إلى فعل شيء؛ مالت الماهيَّة إلى تركه وبالعكس.

وهما معاً مُحدثان كما تقدَّم، محتاجان في تقوُّمهما وبقائهما إلى المدد منهما أو من أحدهما -الوجود أو الماهيَّة- فإن استمدَّ كلّ واحد من نوعه، فلا يكون استمداد أحدهما معاً؛ لأنَّه يلزم منه انفكاك كلّ واحد عن الآخر، ذلك موجب لعدم كلّ واحد منهما، بل يكون استمداد كلّ منهما على التَّعاقب.

وإذا كان المكلَّف هكذا؛ جرى عليه حكم الوزن والحساب يوم القيامة، فمن ثقلت موازينه لكثرة حسناته؛ فأولئك الذين هم المفلحون، ومن خفَّت موازينه لقلة حسناته، وكثرة سيئاته؛ **﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾**[١].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩.

وحيث كان الوجود يدور على نقطة مبدئه على التَّوالي؛ كان ميله الذاتي على التَّوالي، فإذا استمدَّ من نوعه كان دوره على التَّوالي، وتنجذب الماهيَّة معه على التَّوالي؛ لعدم قدرتها على انفرادها وانفكاكها، وعلى مُعاكسة ضدِّها، فيضعف ميلها الذاتي، فتميل بالعرض مع الوجود، وإن كانت هي المستمدة من نوعها دارت على خلاف التَّوالي، وينجذب الوجود معها على خلاف التَّوالي؛ لعدم قدرته على الانفراد والانفكاك، وعلى معاكسة ضدّه، فيضعف ميله الذاتي، فيميل بالعرض معها.

وقد ذكرنا أنه: إذا انحصر الاستمداد في أحدهما ضعف الآخر ورقّ، حتَّى لا يبقى منه إلا مقدار ما يستمسك به القوي، وبنسبة ما بقي من الضَّعف يكون له ميل بنسبته، إلا أنَّه قد لا يظهر أثر، وإذا كمل الشَّخص في طرفٍ من الوجود أو الماهيَّة سكن ميل ضعيفه، حتَّى لا يكاد يلتفت إلى جهته.

وإذا لم ينحصر: فإنْ تساويا في الميلين؛ كان الشخص من المرجوّين لأمر الله، إمَّا يعذبهم، وإمَّا يتوب عليهم، وإن زاد أحدهما على الآخر؛ جرى على الشَّخص حكم الوزن، ويستقرُّ حكمه في الغالب على حكم الزائد، والله يفعل في ملكه ما يشاء.

۞[جدلية العلاقة بين الوجود والماهية]:

ومن أجل ما أشرنا إليه قلتُ: (**فَإِنْ كَانَ القَوِيُّ الوُجُوْدُ؛ اطْمَأَنَّت النَّفْسُ، وَكَانَتْ أُخْتَ العَقْلِ، وَرَقَّت المَاهِيَّة، وَشَابَهَت الوُجُوْد،**

كَالحَدِيْدَة المَحْمِيَّة بالنَّارِ، فَلَا فَرْقَ فِي الفِعْلِ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ كَانَ مَا بِهَا بِالعَرَضِ كَالحَدِيْد، قَالَ الشَّاعِرُ:

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّـتِ الخَمْـرُ ... فَتَشَاكَلَا وَتَشَابَهَ الأَمْـرُ

فَكَأَنَّمَا خَمْـرٌ وَلَـا قَـدَحٌ ... وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَـا خَمْـرُ[1]

وَإِنْ كَانَ القَوِيُّ المَاهِيَّة؛ كَانَ الأَمْرُ عَلَى العَكْسِ، وَكُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِنَّمَا يَسْتَمِدُّ وَيَقْوَى بِمَدَدٍ مِنْ جِنْسِهِ، إِذْ لَا يَسْتَمِد مِنْ نَحْوِ مَا هُوَ مِنْ ضِدِّهِ، فَلَا يَسْتَمِدُّ النُّوْر مِنَ الظُّلْمَةِ وَلَا العَكْس، وَمِنْ حَيْث هُوَ كَذَلِك، وَمَيْلُ الآخَر مَعَهُ إِنَّمَا هُوَ لِبَقَائِهِمَا).

أقول: هذا بيان لبعض أحوال القويّ والضّعيف، وهو أنّه إن كان القوي هو الوجود؛ اطمأنّت النفس، التي هي وجه الماهيَّة ووزيرها، كما أنّ العقل وجه الوجود ووزيره.

۞[مراتب النّفس الناشئة من الماهية]:

والنَّفس النَّاشئة من الماهيَّة لها في الاصطلاح سبع مراتب، المطمئنة هي المرتبة الرَّابعة، وذلك لأنّ النَّفس أوَّل حصولها وظهورها في طبيعتها: النَّفس الأمَّارة بالسُّوء.

الثانية من مراتبها: اللوَّامة؛ لكونها تلوم صاحبها على فعل الطاعة لطبيعتها، وعلى فعل المعصية لتطبُّعها ببعض أفعال العقل، واستعمالها لبعض أفعال الخير.

---

(١) نُسبت هذه الأبيات إلى السهروردي وإلى الصاحب بن عباد، راجع الموسوعة الشعرية.

والثالثة: الملهمة؛ لإلهامها حبّ الطاعة، وميلها إلى متابعة العقل في أغلب أحوالها.

والرَّابعة: المطمئنة؛ لاطمئنانها على متابعة العقل والأفعال الصَّالحة.

والخامسة: الرَّاضية؛ لأنها لمَّا اطمأنت على أفعال الخير رضيت من الله تعالى بما أجرى عليها.

والسَّادسة: المرضيَّة؛ لأنها لمَّا استقامت في الرِّضا من الله تعالى رضيها سُبحانه، فكانت مرضيَّة له.

والسَّابعة: الكاملة؛ وهي نهاية كمال النفس الناطقة.

فإذا عمل المكلَّف بميل وجوده الذاتي؛ وهو ما بيَّنه الشارع عليه السلام بأوامره، واستقام على ذلك اطمأنَّت؛ لعدم استمدادها من نحو ما هو من نوعها، فكانت أخت العقل، ورقَّت الماهيَّة ولَطُفت، وشابهت الوجود في ميلها إلى النور بملكتها التَّطبعيَّة، فكانت أخت الوجود.

۞ [مثلٌ للنسبة بين العقل والماهية]:

فالنَّفس بالنسبة إلى العقل، والماهيَّة بالنسبة إلى الوجود؛ كالحديدة المحميَّة بالنار، فإنَّها مثل النار في الإحراق، كذلك النفس مثل العقل؛ لظهور أثره فيها، واستقرارها عليه، وكذلك الماهيَّة مع الوجود إذا استولى عليها، إلا أنَّ ما بالنفس وما بالماهيَّة من النور إنما هو بالعرض، ولهذا قلنا: أنها أخت العقل حينئذٍ، والماهيَّة أخت الوجود حينئذٍ أيضاً.

وإنما عبَّرنا عن كل واحدةٍ منهما بالأخت؛ من تأويل قوله تعالى: **﴿فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾**[1]، وهي الكلاب المعلَّمة التي علمها الوجود والعقل مما علَّمها الله.

واستشهادي بالبيتين؛ لمشابهة الماهيَّة للوجود، فإنَّها هي إناؤه، ولمشابهة النفس للعقل، فإنها أيضاً إناؤه، وإذا عمل المكلّف بميل ماهيته الذاتية؛ كان على عكس حكمه إذا عمل بميل وجوده الذاتي حرفاً بحرف كما ذكرنا.

۞[قوة الوجود والماهية]:

واعلم أنَّ كلَّ واحدٍ من الوجود والماهيَّة إنما يقوى إذا استمدَّ بمدد من نوع جنسه بالأصالة؛ لأنَّه إذا لم يكن بالأصالة كان استمداده إما من غير نوع جنسه، كاستمداد الضعيف منهما بتبعية القوي، وإمَّا من نوع جنسه بالتبعية، وحينئذٍ لا يكون ذاتاً، بل يكون صفة، كاستمداد الميل من المائل، وليس كلامنا فيه، إذ كلامنا في الذوات، وهو يقوى باستمداده من جنسه بنفسه، ولا يقوى باستمداده من ضده بل يضعف؛ لأنه بخلاف حقيقته، لكنه لابد له -أي: الضعيف- من الميل مع القوي؛ لِمَا قلنا من عدم قدرته على الانفراد ولا التفرد، وإلا لاضمحلا، فيميل مع القوي لأجل بقائهما، فإنَّه إذا لزمه استمد بالتبعية، وبها يحصل له البقاء في

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١.

الجملة، ويحصل للقوي الاستمساك بالضعيف بلزومه له، كما يحصل للضعيف البقاء بفاضل مدد القوي، أعني: شعاعه المسمَّى بالتبعية وبالعرض.

۞[مصدر استمداد كلٍّ من الوجود والماهية وتعليله]:

قلتُ: (فَالوُجُوْدُ يَستَمِدُّ مِنْ أَنْوَاعِ الخَيْرَات؛ لِأَنَّهَا مِنْ نَوْعِه، وَالمَاهِيَّةُ تَستَمِدُّ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُوْرِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ نَوْعِهَا، وَالمُرَكَّبُ الوَاحِدُ لَا يَسْتَمِدُّ مِنْ طَرَفَيْه مَعاً إِذَا كَانَا مُتَعَانِدَيْنِ إِلَّا عَلَى التَّعَاقُب.

وَإِذَا كَانَ وُجُوْد أَحَد الجُزْأَيْنِ شَرْطاً لِوُجُوْد الآخَرِ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُوْنَ فِعْلُ ذَلِكَ الشَّيْء وَاحِداً، فَلَوْ فَعَلَ الوُجُوْد الخَيْر وَالمَاهِيَّة الشَّر فِي حَالٍ وَاحِدٍ؛ لَزِمَ الانْفِرَاد المُسْتَلْزِم لِلانْفِكَاك، المُسْتَلْزِمِ لِفَنَاء الشَّيْء؛ لِأَنَّه عِبَارَةٌ عَنْهُمَا مُنْضَمَّيْن، وَيَفْنَيَان هُمَا أَيْضاً؛ لِتَوَقُّفِ وُجُوْدِ كُلٍّ مِنْهُمَا عَلَى انْضِمَامِ الآخَرِ إِلَيْه).

أقول: قد بيَّنا مراراً؛ أنَّ كل شيء يستمد لذاته فإنَّما يستمد من نوعه، فالوجود خيرٌ كلَّه فيستمد من أنواع الخيرات لذاته، والماهيَّة شرٌّ فتستمد لذاتها من أنواع الشرور؛ لأنها من نوعها، وهذا ظاهر.

وإذا كان الشيء مركَّباً منهما معاً؛ يستمد من كل واحد من طرفيه على التعاقب، أو من أحدهما كما ذكرنا سابقاً، ولا يمكن أن يستمد من كلا طرفيه أو من أحدهما كما ذكرنا سابقاً، ولا يمكن أن يستمد من كلا طرفيه دفعةً؛ لأنهما ضدَّان، واستمداد كل واحد خلاف جهة الاستمداد

الآخر[١]، فلو وقع منهما دفعةً انفرد كل واحد عن الآخر؛ لأنَّ ميله على خلاف ميل ضده، ويلزم انفكاك المركَّب وذهابه.

ولذا قلنا: (والمركب الواحد لا يستمد من طرفيه معاً)، أي: دفعة، (إذا كانا متعاندين)، أي: ضِدَّين كالوجود والماهيَّة، وذلك هو قولنا: (وإذا كان وجود أحد الجزئين)، أي: جزئي المركب (شرطاً لوجود الآخر) كالوجود والماهيَّة، فإنَّ الوجود شرطٌ لتحقق الماهيَّة، والماهيَّة وجودها شرطٌ لظهور الوجود بالتكوُّن؛ فيجب أن يكون المركب منهما فعله واحداً.

ولو تعدَّد فعله من كلا جُزأيه المتضادَّين؛ لزم انفراد كل منهما عن الآخر، وذلك يستلزم انفكاكهما، وانفكاكهما يستلزم فناء المركب أصلاً؛ لأنَّه عبارة عنهما منضمَّين، وانفرادها موجب لفنائه، ولفناء كلِّ واحد من الجزئين أيضاً؛ لِمَا قلنا من توقُّف وجود أحدهما على وجود الآخر.

۞[تعارض الوجود والماهية في الميل]:

قلتُ: (وَلَكِن يَتَعَارَضَان فِي المَيْلِ المُنبَعِث عَنْ شَهْوَة كُلٍّ إِلَى الاسْتِمْدَادِ مِنْ جِنْسِه؛ لِأَنَّ مَيْلَ أَحَدِهمَا إِلَى شَيْء يَقْتَضِي مَيْلَ الآخَرِ إِلَى ضِدِّه، لِأَنَّهُمَا ضِدَّانِ فِي كُلِّ شَيْء، وَلِهَذَا يَضْعُفُ أَحَدُهُمَا بِفِعْلِ

(١) هكذا في المخطوطة، والظاهر أن العبارة كما يلي: (جهة استمداد الآخر).

الآخَرِ؛ لِانْجِذَابِه مَعَ الفَاعِلِ عَلَى خِلَافِ مَا يَتَقَوَّى بِهِ، وَمِنْ ثَمَّ يَتَعَارَضَان، وَيَطْلُب كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَ الآخَرِ أَنْ يَكُوْنَ مَعَهُ فِي مَحَبَّتِه لِتَوَقُّفِ فِعْلِه لِمَا يُرِيْدُ عَلَى تَحَقُّقِه فِي نَفْسِه، وَإِذَا فَارَقَهُ الآخَرُ لَم يَتَحَقَّق).

أقول: ولكن يتعارضان في الميل؛ لأنَّ الوجود يشتهي المدد من أنواع النُّور، فيميل بشهوة طبيعته وكنه نفسه، فإذا مال مالت الماهيَّة بشهوة طبيعتها وكنه نفسها على خلاف ميل الوجود؛ لأنَّ ميل أحدهما يقتضي ميل ضده إلى ضدِّ ميله، ألا ترى أنَّ أحدهما يضعف إذا مال الآخر، وهو ممنوع عن تعلّق ميله بما هو من نوعه؛ لأنه إذا مال القويّ ولم يقدر على معارضته انجذب مع الفاعل بغير محبَّته، فكان استمداده من فاضل استمداد ضدِّه بتبعيته له، فيكتفي به مع قلته؛ لأنه بالنسبة إلى استمداده له بنفسه نسبة الواحد إلى السبعين، فيستولي عليه الآخر المستمدّ، حتَّى يكون تابعاً له، ويعلّمه ممَّا علّمه الله؛ إن كان المستولي هو الوجود، ويعلّمه ممَّا تعلّم من الشيطان؛ إن كان المستولي هو الماهيَّة.

واعلم؛ أنَّ الميل التام -أعني: الميل الذي يكون عنه الاستمداد- لا يكون من الضعيف الذي لا يحصل منه الاستمداد، وأمَّا الناقص فإنَّه قد يكون من الضعيف؛ لأنه هو لازم وجوده لا يكاد ينفك عنه، لكنه لا يحصل منه استمداد، ولهذا قد يقع ميل القويّ معاً، لكن لمَّا لم يكن له أثر لم يكن يصدر منه انفكاك، فلذا جَاز مع الميل التام وقوعه.

قلتُ: (وَأَمَّا مُجَرَّدُ المَيْلِ؛ وَهُوَ الالْتِفَاتُ لِشَهْوَةِ المُشَاكِلِ، فَلَيْسَ كَالفِعْلِ يَحْصُلُ بِهِ نَيْلُ المَدَدِ المُسَكِّنِ لِلشَّهْوَةِ، فَلَا يَحْصلُ بِهِ السُّكُوْنُ، وَلا تَرْجِيْحُ أَحَدِ المَيْلَيْنِ، وَلَا يُمْكِنُ انْبِعَاثُهُمَا مَعاً مُجْتَمِعَيْنِ؛ إِلَّا أَنْ يَكُوْنَ أَحَدُهُمَا ذَاتِيّاً وَالآخَرُ عَرَضِيّاً، وَلَا مُخْتَلِفَيْنِ؛ لِاسْتِلْزَامِ ذَلِكَ المُفَارَقَةَ، لِاسْتِحَالَةِ انْبِعَاثَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ مِنَ المُرَكَّبِ الوَاحِدِ، الَّذِي لَا يُوْجَدُ إِلَّا بِالانْضِمَامِ دُفْعَةً، لِاسْتِلْزَامِ ذَلِكَ عَدَمَهَا، لِتَوَقُّفِ تَحَقُّقِهِمَا عَلَى الانْضِمَامِ؛ فَوَجَبَ أَنْ يَكُوْنَا عَلَى التَّعَاقُبِ).

أقول: هذا ما ذكرته قبل هذا؛ أنَّ مطلق الميل لا يُنافي وقوعه وقوع ضدّه لحصوله من الضَّعيف بمجرد كراهته لمتابعة القوي، ولأنه شهوة وليس كالفعل، فلا يجتمع المنافيان في شيء واحد؛ لأنَّ الميل التام يحصل به مدد يسكّن المائل وتابعه.

بخلاف الميل الناقص، فإنَّه لا يحصل به ترجيح السُّكون للضعيف، ليحصل منه عدم الانقياد مع القوي الموجب للانفكاك، ولا يحصل به ترجيح يجوز عليه السكون؛ لأنهما -كما قدَّمنا- لا يحصل منهما انبعاثهما معاً مجتمعين، إلا إذا كان أحدهما ذاتياً والآخر عرضياً، ليدل على انضمام الموجب للتحقق، فيكون سكون الضَّعيف من فاضل القوي الذي بتبعيَّته، وإلا يكن بالتبعية وجب على التعاقب كما مرَّ.

۞[الوجود والماهية يتعاقبان في ميل كل منهما للآخر]:

قلتُ: (وَإِذَا مَالَ الوُجُوْدُ إِلَى الخَيْرِ مَالَ بِالمَاهِيَّة؛ فَمَالَتْ مَعَهُ بِالعَرَضِ عَلَى خِلَافِ مَحَبَّتِهَا، فَإِذَا مَالَتْ إِلَى الشَّرِّ مَالَتْ بِالوُجُوْدِ؛ فَمَالَ مَعَهَا بِالعَرَضِ عَلَى خِلَافِ مَحَبَّتِه، وَيَتَعَاقَبَانِ عَلَى هَذِهِ الحَالِ.

فَمَنْ رَجُحَ مَيْلُهُ، بِحَيْث لَا يَمِيْلُ مَعَ الآخَرِ؛ غَلَبَ، وَمَالَ مَعَهُ الآخَرُ بِالعَرَضِ، وَفَعَلَ الغَالِبُ مَطْلُوْبَهُ بِالذَّاتِ؛ فَيَقْوَى الفَاعِلُ، وَيَضْعُفُ التَّابِعُ بِنِسْبَةِ مَا يَقْوَى بِهِ المَتْبُوْعُ.

وَلَا يَحْصُلُ السُّكُوْنُ لِلمُرَكَّبِ إِلَّا بِالفِعْلِ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَنْمَحِقَ مَيْلُ الضَّعِيْفِ فِي مَيْلِ القَوِيِّ، إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى مِنَ الضَّعِيْفِ إِلَّا مَا يَتَقَوَّمُ وَيَتَحَقَّقُ بِهِ القَوِيُّ).

أقول: هذا الكلام بمعونة ما ذكرنا معناه ظاهر، فإنَّا قد ذكرنا بيانه، وهو في نفسه غير خفي.

قلتُ: (لِأَنَّ وُجُوْدَ الضَّعِيْفِ شَرْطٌ فِي تَحَقُّقِ وُجُوْدِ القَوِيِّ، وَيَكْفِي فِيْهِ رَأْسُ نُقْطَةِ المَخْرُوْطِ؛ لِأَنَّ الضَّعِيْفَ المُتَنَاسِبَ يَقْتَضِي حُصُوْلَ هَيْئَةِ المَخْرُوْطِ، لِأَنَّهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَضْعُفُ التَّابِعُ، وَيَقْوَى الفَاعِلُ).

أقول: لَمَّا كان المؤثِّر في تأثيره كالسِّراج في إشراقه؛ وَجَبَ أن يكون ما يليه مما هو بالذات أقوى وأشد نوراً، ومما هو بالعرض أضعف، كما أنَّ نور السِّراج كل ما قرب إليه من الأجزاء النُّورانية أشد نوراً، وما هو بإزاء هذا النور القوي الشديد من الأجزاء الظلمانية أضعفها ظلمة، فإنَّ

النور من المنير كهيئة المخروط، قاعدته عند المنير، وكلّما تباعد ضعف حتى يتنهي إلى نقطة هي رأس مخروط النور والظلمة أيضاً مخروط بعكس النور، فأضعفه الذي هو نقطة هي رأس مخروط الظلمة عند قاعدة مخروط النور، وكلّما بعد النور من السِّراج ضَعُفَ، ويقوى ما بإزائه من أجزاء مخروط الظلمة، حتى ينتهي مخروط النور إلى نقطة منه عند قاعدة مخروط الظلمة.

وأريد بقولي: أنّ مخروط النور ينتهي إلى نقطة منه عند قاعدة مخروط الظلمة، ومخروط الظلمة ينتهي إلى نقطة منه عند قاعدة مخروط النُّور، ليس أنّ رأس المخروط من كل واحد منهما نقطة في الحجم، بل هو في الحجم بقدر سعة قاعدة مخروط ضده، بحيث تكون تلك النقطة شائعة في كل قاعدة الآخر، لكنها لو جُمعت بحيث تكون في قوة قاعدة مخروطها؛ كانت نقطة، ويكون من خلق من قاعدة مخروط النور في تمام الكمال وكمال التمام، وتمام التمام، وكمال الكمال بحسب الإمكان.

ومن خلق من قاعدة مخروط الظلمة في غاية البعد من الخير، ومن هو من دون القاعدة دون ذلك، كلٌّ بحسبه، فكلّما بعد من النور ضعف نوره وقوية ظلمته، وبالعكس.

۞[زيادة بيان: حول منشأ الاختيار في المكلَّف]:

قلتُ: (وَشَرْحُ حَالِ ذَلِكَ: أَنَّ الوُجُوْدَ لَهُ وَجْهٌ إِلَى مَيْلِهِ وَمَطَالِبِهِ الطَّيِّبَةِ؛ وَهُوَ العَقْلُ، وَهُوَ وَزِيْرُهُ، وَلِلْمَاهِيَّةِ وَجْهٌ إِلَى مَيْلِهَا وَمَطَالِبِهَا الخَبِيْثَةِ؛ وَهُوَ النَّفْسُ الأَمَّارَةُ، وَهِيَ وَزِيْرُهَا).

أقول: بيان ما أشرنا إليه سابقاً من ذكر منشأ الاختيار في المكلَّف، ومن ذكر ما يلحق ذلك مما ذكرنا، وشرح ذلك يعني حال ما ذكرنا، بمعنى زيادة بيان ما بيَّناه: هو أنَّ الوجود الذي هو الرُّكن الأعظم من الإنسان -أعني: مادَّته- محتاج في بقائه إلى المدد كغيره من سائر المخلوقات، ولا بُدَّ من أن يكون له باعث، وهو ما عبَّرنا عنه بالميل، وبابه إلى ميله، وهو وزيره ووجهه إلى مطالبه، وهو العقل.

وكذلك الماهيَّة؛ فإنَّها محتاجة إلى المدد فيبقائها، ولها باعث إلى المدد، وهو ميلها وبابها إلى ذلك الميل، هو وجهها ووزيرها إلى مطالبها، وهو النَّفس الأمَّارة بالسُّوء، فإذا احتاج الوجود إلى الاستمداد من نوعه في بقائه؛ مال العقل بميل الوجود إلى ما احتاج إليه من أفعال الطاعات، وأنواع الخيرات، وفعلها الجسم بالآلة المسخَّرة بالعقل، وإذا احتاجت الماهيَّة إلى الاستمداد من نوعها في بقائها؛ مالت النفس الأمَّارة بميل الماهيَّة إلى ما احتاجت إليه من أفعال المعاصي وأنواع الشرور، وفعلها الجسم بالآلة المسخَّرة بالنَّفس الأمَّارة.

۞[الواحدية بصورتها ظهرت في الإنسان لتركبه منهما]:

قلتُ: (وَلَمَّا كَانَ الإِنْسَانُ هُوَ ذَلِكَ المُرَكَّبُ مِنْهُمَا؛ ظَهَرَتْ فِيْهِ الوَاحِدِيَّةُ بِصُوْرَتِهَا، فَوَجَبَ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ جِسْمٌ وَاحِدٌ، وَجَسَدٌ وَاحِدٌ، وَاسْمٌ وَاحِدٌ، وَآلَةٌ وَاحِدَةٌ، فَوَجَبَ فِي ذَلِكَ أَنْ تَكُوْنَ كُلُّهَا صَالِحَة لاسْتِعْمَالِ الوُجُوْدِ لَهَا عَلَى الانْفِرَادِ بِمُقْتَضَى فِعْلِه، كَمَا قُلْنَا.

وَصَالِحَةٌ لِاسْتِعْمَالِ المَاهِيَّةِ لَهَا عَلَى الانْفِرَادِ بِمُقْتَضَى فِعْلِهَا، وَكَذَلِكَ مُتَعَلّقَات أَفْعَالِهَا مِنَ المَآكِلِ وَالمَشَارِبِ، وَالمَلَابِسِ وَالمَنَاكِحِ.. وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكلّ مِنْهُمَا صَالِحٌ لِاسْتِعْمَالِهَا عَلَى الانْفِرَادِ، وَهِي كَافِيَةٌ لِلوُجُوْدِ إِذَا اسْتَعْمَلَهَا بِوَاسِطَةِ العَقْلِ، بِحَيْث لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْء فِي جَمِيْعِ مِيُوْلَاتِه لَا يَوْجَد فِي مُقْتَضَى العَقْلِ مِن الخَيْرَات، وَكَذَلِكَ المَاهِيَّة، بَلْ تَكُوْنُ تِلْكَ الأُمُوْرُ مُغْنِيَةٌ لِكُلّ مِنْهُمَا فِي كُلِّ شَيْء).

أقول: لَمَّا كان الإنسان مركبّاً من الوجود والماهيَّة الموصوفين بما تقدَّم ذكره ظهرت فيه الواحديَّة بصورتها؛ لأنَّه واحد، لا تحاد إنّيته؛ لأنَّ الوجود لا يجد نفسه، وإنَّما تجد نفسها الماهيَّة، فوجب أن يكون له جسم واحد، وهو النَّفس الحيوانية الفلكيَّة الحسَّاسة، وما يرتبط بها من النُّفوس إلى النَّفس الجوهرية الملكوتية، التي من الملكوت -أعني: عالم النُّفوس-، وهي أعلى مراتب جسميَّته.

وأن يكون له جسدٌ واحد؛ وهو هذا البشريّ، وما يرتبط به من الأجسام البرزخيَّة، كعالم (هورقليا)، وهو أعلى الأجساد.

وأن يكون له اسم واحد؛ إذ لا يعرف منه أزيد من واحد.

ولَمَّا كان في حقيقته مُركّباً من شيئين، لا تحقُّق لأحدهما إلا بالآخر وهما ذاته؛ وجب أن يكون كلّ واحد من هذه اللوازم -أعني: وحدة الجسم والجسد والاسم- أن يكون صالحاً لكلٍّ واحد من الشيئين الذين تركّب منهما؛ لأنَّ كل واحد من اللوازم كما كان صالحاً للمركب على نحو الاستقلال، كذلك يكون صالحاً لكل واحد من الجزئين؛ لعدم انفكاك الآخر عنه، فقد حصل المركب في إرادة الجزئين، وإنما أُهمل الآخر؛ لعدم ميله، وعدم حصول مطلبه الذاتي كما تقدَّم.

وهو معنى قولي: (فوجب في ذلك أن تكون كلها صالحة لاستعمال الوجود لها على الانفراد)، يعني: بدون الماهيَّة، بمقتضى فعله الذاتي لما شاء من أنواع الخيرات، وأن تكون صالحة لاستعمال الماهيَّة لها على الانفراد، بدون الوجود بمقتضى فعلها الذّاتي لما شآءت من أنواع الشُّرور، وكذلك بمتعلّقات أفعال الوجود والماهيَّة، يعني: مطلوباتهما من المآكل والمشارب، والملابس والمناكح.. وغير ذلك.

وكلّ واحد من الوجود والماهيَّة صالح الاستعمال للمآكل والمشارب، والملابس والمناكح؛ فيستعملها الوجود على الانفراد من حيث يُحب الله سبحانه، وتسكن الماهيَّة معه بالعرض حيث لا حكم لها، ويستعملها الماهيَّة على الانفراد من حيث يكره الله سُبحانه، ويسكن الوجود معها بالعرض حيث لا حكم له، وحيث يتعاقبان في الاستعمال يتعاقبان في الأحوال، فقد يتساويان، وقد يترجَّح أحدهما.

وإذا استعملها الوجود وحيث يضعف الماهيَّة كفته، بحيث لا يحتاج إلى شيء لا يوجد إلا في نوع الماهيَّة، وكذلك إذا استعملتها الماهيَّة حيث يضعف الوجود كفتها في جميع مطالبها، بحيث لا يحتاج إلى شيء لا يوجد إلا في نوع الوجود، وذلك لعموم صلوح الأشياء لاستعمال كل من الوجود والماهيَّة، كما مرَّ مكرراً، بل تكون تلك الأمور -أي: المطالب التي هي متعلق ميل كل منهما- مغنية لكل منهما في كلِّ شيء من أحوال الدُّنيا والآخرة، سبحان ربي التدبير، ومالك التقدير، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء خبير، وإليه المصير.

۞[مرآتا القلب، وجهتاهما، وجنودهما]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَم أَنَّ العَقْلَ فِي الإِنْسَانِ وَالنَّفس الأَمَّارَة مرْءاتَان:

مِرْآةُ العَقْلِ؛ عَنْ يَمِيْنِ القَلْب، وَوَجْهُهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَنْطَبِعُ فِيْهِ صُوْرَةُ الرَّأْسِ الْمُخْتَصِّ بِهِ مِنَ العَقْلِ الأَوَّلِ، وَعَلَى الأُذُنِ اليُمْنَى مِنَ القَلْبِ الَّتِي هِيَ بَابُ وَحْيِهِ مَلَك مُؤَيِّد، وَتَحْتَهُ جُنُوْدٌ كَثِيْرَةٌ مِنَ المَلَائِكَةِ، بِعَدَدِ أَفْعَالِ العَقْلِ وَمُيُوْلَاتِ الوُجُوْدِ، تُعِيْنُهُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ.

وَمِرْآةُ النَّفْسِ؛ عَنْ يَسَارِ القَلْب، وَجْهُهَا إِلَى الأَرْضِ، فَتَنْطَبِعُ فِيْهَا صُوْرَةُ الرَّأْسِ الْمُخْتَصّ بِهَا مِنَ الجَهْلِ الأَوَّلِ، وَعَلَى الأُذُنِ اليُسْرَى مِنَ القَلْبِ، الَّتِي هِيَ بَابُ وَحْيِهَا شَيْطَانٌ مُقَيّض، وَتَحْتَهُ جُنُوْدٌ كَثِيْرَةٌ مِنَ الشَّيَاطِيْنِ، بِعَدَدِ أَفْعَالِ النَّفْسِ الأَمَّارَة، وَمُيُوْلَاتِ المَاهِيَّة تُعِيْنُهُ عَلَى كُلِّ شَرٍّ).

أقول: إنَّ الله سُبحانه حين أمر كلمته فقبض لخلق الإنسان من السَّماء قبضة خلق من القبضة الَّتي من فلك المحدَّد القلب الصَّنوبريّ، وجعله مرءاتين:

مرآة إلى جهة السَّماء والعلو؛ وهي التي عن يمين القلب، فانطبعت فيها صورة الرّأس المختصّ بذلك الشَّخص من العقل الأوَّل، أعني: عقل الكل، وقد قدَّمت أنِّي قلت: (الأول) من باب جريان اللِّسان بذكر ما اصطلحوا عليه مُثبتوا العقول العشرة، وإن كان اعتقادنا بطلان قولهم؛ إذ ليس في العالم كلّه إلا عقل واحد، ولذا نقول: (عقل الكل).

وتلك الصُّورة هي عقل ذلك الشَّخص، وقوَّته وسعته، وصفائه وكبره، وعكس ذلك على حسب تلك المرآة في صفائها وسعتها، واعتدالها وعكسها، ولذلك القلب الصَّنوبريّ أُذنان، على الأذن اليمنى ملك مؤيد لذلك العقل، ومُعينٌ له، وتحت هذا الملك جنود من الملائكة، لا يُصيها إلا الله، وهي بعدد أفعال ذلك العقل بنفسه، مثل معانيه التي يدركها، وبعدد ميولات سلطانه، أعني: الوجود، وكلها تعين ذلك الملك المؤيد على كل خير، وهو يعين العقل على طاعة الله سُبحانه، تحصيلاً لمطالب الوجود.

وجعل سُبحانه مرآة إلى جهة الأرض والسفل منكبَّة، وهي التي عن يسار القلب، فانطبعت فيها صورة المختص بذلك الشخص من الجهل الكلِّي، وهذه الصُّورة هي نفس ذلك الشَّخص الأمَّارة بالسوء، واختلافها

في الشِّدَّة والضَّعف، والبعد من اللُّطف على حسب قابلية هذه المرآة، كما قلنا في العقل.

وعلى أذن القلب اليُسرى شيطان مقيَّض مزيّن لتلك النفس الأمَّارة، ومُعين لها على معاصي الله، وتحت هذا الشيطان جنود من الشياطين، لا يُحصي عددهم إلا الله، وهم بعدد أفعال تلك النَّفس، من صورها وخيالاتها وخطراتها، وبعدد ميولات سلطانها -أعني: الماهيَّة- وكلها تُعين ذلك الشَّيطان المقيّض على كل شر، وهو يعين النفس على معاصي الله سُبحانه تحصيلاً لمطالب الماهيَّة.

وهذه النفس هي التي تتطور مع مداومة الأعمال الصَّالحة؛ من الأمَّارة إلى اللوَّامة، ثم إلى الملهمة، ثم إلى المطمئنة، ثم إلى الراضية، ثم إلى المرضية، ثم إلى الكاملة، وليس وراء عبَّادان قرية.

۞[الحرب بين العقل والنفس وجنودهما ونتائجها]:

قلتُ: (وَكُلُّ مَلَكٍ مُوَكَّلٌ بِشَيْءٍ مِنَ الخَيْرِ لَا غَيْر، وَضِدُّه شَيْطَان مُوَكَّل بِضِدِّ مَا وُكِّل بِهِ المَلَك مِنَ الشَّر لَا غَيْر، فَإِذَا طَلَبَ الوُجُوْدُ مِنَ العَقْلِ شَيْئاً مِنَ الخَيْرِ، وَطَلَبَهُ العَقْلُ بِجُنُوْدِه؛ طَلَبَت المَاهِيَّةُ ضِدَّه مِنَ النَّفْسِ الأَمَّارَة بِجُنُوْدِهَا، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا الحَرْبُ.

فَإِنْ غَلَبَ العَقْلُ؛ قَتَلَ ذَلِكَ المَلَك ذَلِكَ الشَّيْطَان الخَاصّ بِمُضَادَّته، وَذَلِكَ بِعَوْنِ اللهِ سُبْحَانَه، وَإِنْ غَلَبَ النَّفْسُ الأَمَّارَة؛ ذَهَبَ ذَلِكَ المَلَكُ عَنْ ذَلِكَ الشَّخْص، وَلَحِقَ بِمَرْكَزِهِ مِنَ الوُجُوْدِ يَعْبُدُ اللهَ، وَاسْتَوْلَى

ذَلكَ الشَّيْطَانُ الخَاصُّ عَلَى ذَلكَ الشَّخْص، وَذَلكَ بِتَخْلِيَةٍ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ).

أقول: كل ملك من جنود الملك الذي على أذن القلب اليمنى موكَّل بشيء من الخير، مثلاً: فعل الصلاة موكَّل بها ملك، والباعث إلى فعلها موكَّل به ملك، فإذا مال الوجود بشهوته إلى فعلها ليستمد به طلب من العقل ذلك، وأن يُسخِّر لها الدَّواعي والأركان، وأعانه الملك المؤيَّد مع جنوده، ومالت الماهيَّة إلى ترك الصَّلاة، وطلبت من النَّفس الأمَّارة بالسوء ذلك، وأن تُسخَّر له الدَّواعي والأركان، بالتكاسل والتَّهاون، وأعانها الشَّيطان المقيّض مع جنوده، فيقع بين العسكرين الحرب.

فإن كان الغالب عسكر الوجود؛ تسلَّط الملك الخاصّ بفعل الصَّلاة على الشيطان الخاص الموكل بترك الصلاة، فيقتله ويجلس مكانه، فيتباعد الشيطان، وتخرج عن محل ترك الترك للصلاة، وتحيط بذلك الملك الجالس كثير من الملائكة، ولا يزال الحكم هكذا، مثلاً: كل حين يقتل ملكٌ شيطاناً، حتَّى تستولي الملائكة على مملكة النفس الأمَّارة من القلب، فتأسرها الملائكة، ويأتون بها إلى العقل، فيعلِّمها مما علَّمه الله، حتى تكون مطمئنة، فتكون أخت العقل، بأن تُريد ما يُريد، وعليه تأويل قوله تعالى: **﴿فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾**[1].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١.

وإن كانت الغلبة لعسكر الماهيَّة؛ تسلَّط الشيطان الموكل بترك الصلاة، واستولى بأعوانه على الترك، وجرى القضاء على الشخص بالخذلان -والعياذ بالله- خرج ذلك الملك الموكَّل بفعل الصلاة، ولحق بمركزه يعبد الله، وجلس الشيطان يعبد الماهيَّة من دون الله، ويجري بأعوانه في الأركان، فتكسل عن فعل الصلاة، ويحبس الدَّواعي إلى فعل الصلاة من جهة العقل، ويطلقها من جهة النفس الأمَّارة، ولا يزال هكذا حتى يرتفع العقل عن محلِّه، وتستولي النَّفس على ذلك المحلّ، وتعلِّمه مما ابتدعته الماهيَّة من سنن إنِّيَّتها، حتَّى يكون ذلك المحل أخاً للنفس الأمَّارة، يُريد ما تُريد، وهو النَّكراء، وهو الشَّيطنة، ويجري القضاء بتأويل قوله تعالى: **﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ..﴾**[١].

والمراد بالنكتة البيضاء التي في القلب: هي نور العقل، وبالنكتة السَّوداء التي فيه: هي ظلمة النفس الأمَّارة.. كما في الأخبار[٢].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢.

(٢) عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ؛ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً خَرَجَ فِي النُّكْتَةِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ تَابَ ذَهَبَ ذَلِكَ السَّوَادُ، وَإِنْ تَمَادَى فِي الذُّنُوبِ زَادَ ذَلِكَ السَّوَادُ حَتَّى يُغَطِّيَ الْبَيَاضَ، فَإِذَا غَطَّى الْبَيَاضَ لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُهُ إِلَى خَيْرٍ أَبَداً، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[سورة المطففين، الآية: ١٤]..».[الكافي، ج:

....←

والمراد ببياض القلب وبسواده بغلبة إحدى النكتتين: هو ما أشرنا إليه من حَال صفة القلب عند غلبة العقل والمالك وجنوده، أو غلبة النفس الأمَّارة والشيطان وجنوده، كما أشرنا إليه فافهم.

۞[مثالان وبيان لصدور الأفعال من المكلفين على نحو الاختيار]:

قلتُ: (**وَلِذَلِكَ مثَالٌ وَبَيَانٌ عَلَى سَبِيْلِ الإِشَارَةِ.**

فَالأَوَّلُ: اعْلَم أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الجِدَار اسْتَنَارَ وَجْهُهُ بِشُعَاعِ الشَّمْسِ، وَظَهَرَ الظِّلُّ مِنْ خَلْفِه، وَلَوْلَا الجِدَارُ لَمَا ظَهَرَ نُوْرُ الشَّمْسِ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا، وَلَوْلَا الشَّمْسُ لَمَا ظَهَرَ الظِّلُّ مِنَ الجِدَارِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُ، فَالاسْتِنَارَةُ مِنَ الشَّمْسِ بِالجِدَارِ، وَالظِّلُّ مِنَ الجِدَارِ بِالشَّمْسِ.

وَاعْلَم أَنَّا نُرِيْدُ بِالجِدَارِ نَفس النُّوْرِ مِنْ حَيْث نَفْسِه، لَا مِنْ حَيْث الشَّمْس).

أقول: إنَّ ما نحن بصدد بيانه من ابتداء هذه الفائدة؛ بيان صدور أفعال العباد عنهم على جهة الاختيار، بحيث يتحقق المنْزلة التي هي الحق بين المنْزلتين الباطلتين، اللتين هما الجبر والتفويض، وقد قدَّمنا ما فيه بيان منشأ الاختيار وكيفية صدوره، وهنا ذكرنا مثالاً لصدور الأفعال من

...←

٢، ص: ٢٧٣. وسائل الشيعة، ج: ١٥، ص: ٣٠٣. بحار الأنوار، ج: ٧٠، ص: ٣٣٢].

المكلفين على نحو ماذكرنا من المنْزلة بين المنْزلتين، إذ لا يصدر فعل من أفعال المكلفين مما أمروا به أو ندبوا إليه أو نهوا عنه إلا على نحو لا يكون الفاعل مجبوراً؛ بحيث يفعل بغير اختياره، ولا مُفوَّضاً إليه؛ بحيث يفعل ما يشاء، بل على حال وسط، وهو أنه مختار، والله سُبحانه لم يفعل فعله ولم يشاركه فيه، ولم يكن مستقلاً مفوضّاً إليه، بأن أهمله الله في ملكه يفعل فيه ما يشاء كيف يشاء.

وذكرتُ للمنْزلة الحق مثالاً وبياناً.

۞[المثال الأول: (الشمس إذا أشرقت على الجدار)]:

أمَّا المثال: وهو النور الواقع على الجدار عند طلوع الشَّمس وعكسه، وذلك أنَّ الشَّمس إذا طلعت ولم يقابلها كثيف كالأرض والجدار؛ لم يظهر لها النور المنفصل، أعني: الشعاع الواقع على الجدار.

وإنما قلت: (المنفصل)؛ لأنّي أريد أنَّه إنما يظهر بقابله كالجدار، وقبل الجدار ليس موجوداً في الأكوان، وإنما هو موجود في الإمكان؛ لأنه من الشَّمس بمنْزلة صورتك التي تظهر في المرآة، فإنَّها قبل المرآة لم يكن شيئاً مكوَّناً، وإن كانت شيئاً ممكناً، ولو كانت متصل بك؛ لكانت لازمة لك، موجودة بوجودك، وُجدت المرآة أم لم توجد، كما في صورتك القائمة بك، ولهذا قلنا: (المنفصلة)، فالنور الواقع على الجدار لم يكن موجوداً مع الشَّمس، ولهذا يقوى ويضعف ببياض الجدار وصقالته وعدمهما، فهو في الحقيقة نور ظهورها للجدار، لا النور الذي هو قائم بجرمها، إلا أنه من

تجليها، فهو منها بالجدار؛ لأنَّ ظهورها متوقف على كثافة الجدار، فإذا طلعت وقع نور تجليها على وجه الجدار، وظهر ظل الجدار من خلفه من الجانب الآخر، والظِّل ليس من الشَّمس، وإنما هو من الجدار؛ لكنه لا يظهر من الجدار إلا بالشَّمس.

فكان ظهور النور ليس من الشَّمس لِيقال: أنَّ الجدار ليس هو المستنير، ولا من الجدار لِيقال: أنه هو المنير، وإنما هو بين بين، يعني: الاستضاءة إنما تحققت بقابلية الجدار، أي: بكثافته، فهو الفاعل لها، إلا أنه بالشَّمس لأنها منها، وكان ظهور الظِّل ليس من الشَّمس لِيُقال: أنها هي الظلمة الكثيفة، ولا من الجدار لِيُقال: أنه مستقل بإيجاده، طَلَعَت عليه الشَّمس أم لم تطلع، وإنما الظِّل بين بين، يعني: أنَّ الظِّل إنما يتحقق بقابليته تجليّ الشَّمس من حيث نفسه، لا من حيث الشَّمس ومن كثافة الجدار إذ هي حقيقته؛ لأنه في الحقيقة صفتها، فهو مخلوق منها.

فالجدار: مثال المكلف.

والاستضاءة عن وجهه: مثال للطاعة.

والظِّل من خلفه: مثال المعصية.

فكما أنَّ الاستضاءة وإن كانت في الأصل من نور الشَّمس، إلا أنها لا تظهر إلا بالجدار، كذلك الطاعة وإن كانت من فضل الله ورحمته، إلا أنها لا تظهر إلا بفعل المكلف على جهة الاختيار؛ بأن يتمكّن من المعصية ويتركها باختياره ويفعل الطاعة.

ولو لم تكن الطاعات باختياره لم يكن مطيعاً؛ لأنه لا يقدر على تركها، كما لو جبرتَ شخصاً على الصلاة؛ فإنَّه غير مُصلٍّ، وإنما فَعَلَ صورة الصلاة خوفاً منك، فلم يكن مُصلّياً.

وكما أنَّ الظِّل وإن كان من الجدار؛ إلا أنه لا يوجد ولا يتحقَّق إلا بالشَّمس كذلك المعصية، فإنَّها وإن كانت من المكلف؛ إلا أنها لا تتحقَّق إلا بقدر من الله بأن يُخلّيه، ويُحدث مقتضى فعله الاختياري، أي: يحدث صورة عمله الاختياري لأجل قابلية ذلك الفعل، فإنَّها اقتضت أن يُحدث الله ذلك، كما قال تعالى: ﴿**قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ**﴾[1]، فإنَّ كفرهم بقلوبهم على جهة الاختيار؛ اقتضى أن يطبع الله عليها، وإيجاد مقتضى قابلية الفعل هو القدر؛ لأنه مساوق للفعل، لاسابق ولا لاحق.

۞[المثال الثاني: (الصُّورة في المرآة)]:

ومثال آخر: الصُّورة في المرآة، فإنَّك إذا قَابلتَها وُجِدْت فيها، والمرآة مستقلّة بتحريكها إذا تحرَّكت -أي: المرآة- وإن كُنْتَ ساكناً، وأنت مستقل بتحريكها، إذا تحرَّكتَ أنت تحرَّكت الصُّورة؛ وإن كانت المرآة ساكنة.

فأنت: مثال أمر الله.

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٥.

ومقابلتك للصورة: مثال قدر الله.

والمرآة: مثال المكلف.

والصُّورة: مثال فعل المكلف في الخير والشَّر.

فالمكلف مستقلٌ بفعله في الخير والشَّر، ولكن بقدر الله، بمعنى: أنه لولا قدر الله لم يكن فعلٌ أصلاً، كما أنَّ الصُّورة التي تكون المرآة مستقلة بتحريكها لولا أنك مقابل للمرآة لم تكن صورة أصلاً، فما الذي تحركه المرآة إلا إذا كنت حافظاً للصورة بمقابلتك لها، كذلك القدر مع فعل العبد، فإنَّ حفظ الفعل ونشوئه وتمامه وإمضائه بالقدر.

۞[تعقيبٌ على المثال الأوَّل]:

واعلم؛ أنَّا إذا قلنا في نحو هذا المثال الجدار، فإنَّا نريد به نفس النور من حيث هو هو، لا من حيث الشَّمس، فإنَّك إذا اعتبرته من حيث الشَّمس كان نوراً، والمخلوق منه يكون نوراً، وحيث اعتبرناه من حيث نفسه كان ظلمة، والمخلوق منه يكون ظلمة، كالظِّل والليل.

ولو أردنا بالجدار نفس الجدار، لكان لقائل أن يقول: أنَّ المثل غير صحيح؛ لأنَّ علَّة الظِّل إذا كانت كثافة الجدار لم تكن الشَّمس دليلاً عليه، وقد جعلها سُبحانه عليه دليلاً، يعني: بها يكون.

فيكون المراد فيما نحن بصدده أنه هو المكلف، والمكلف لم يكن مركباً من الوجود الذي مثل نور الشَّمس، ومن الماهيَّة التي هي ظلمة

ذلك النور، أي: إنيته وظله الذي به ظهر، ومن شيء آخر مثل الجدار في المحسوس لِيَكون المكلّف مركّباً من ثلاثة أشياء.

وإنما هو مركّب من شيئين لا غير: نور وظلمة، فمثال النور الذي هو الوجود استضاءة الجدار، ومثال الظلمة التي هي الماهيَّة ظل الجدار؛ لأنها خُلقت من إنية الوجود وانفعاله من حيث هو هو، بل الماهيَّة نفس تلك الإنية، وأين الجدار المغاير للنور والظّل في الإنسان؟.

وإنما مثّلنا بالجدار؛ لكونه صورة نفس النور في إيجاد الظل، وإلا لكان أجنبياً من الشَّمس كما في المحسوس، وليست مؤثرة فيه ولا في كثافته ولا فيما منها، فلا تكون دليلاً على ظله، كما لا يكون زيدٌ دليلاً على صفة عمرو وظله.

فالمراد بالجدار في المثال: نفس النور من حيث هو هو، فافهم إنْ كنتَ ذا فهم.

قلتُ: (فَالاسْتِنَارَةُ تَقَوَّمَتْ بِنُوْرِ الشَّمْسِ تَقَوُّم صُدُوْر، وَبِالجِدَارِ تَقَوُّم تَحقُّق، وَالظِّلُّ تَقَوَّمَ بِالجِدَارِ تَقَوُّم صُدُوْر، وَبِنُوْرِ الشَّمْسِ تَقَوُّم تَحقُّق؛ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْه دَلِيلًا﴾[1].

فَالاسْتِنَارَةُ آيَةُ الحَسَنَةِ بِفِعْلِ العَبْدِ مِنْ قَدَرِ اللهِ، وَالظِّلُّ آيَةُ المَعْصِيَةِ مِنْ فِعْلِ العَبْدِ بِقَدَرِ اللهِ).

---

(١) اقتباس من سورة الفرقان، الآية: ٤٥.

أقول: استنارة وجه الجدار تقوَّمت بنور الشَّمس تقوُّم صدور؛ لأنه هو المحدث لها في وجه الجدار، وهو الحافظ بدوام الإمداد بلا انقطاع؛ لأنها تجلِّيه بها على وجه الجدار، وتقوَّمت الاستنارة بالجدار تقوُّم تحقُّق؛ لأنَّ الجدار علَّة تكوُّنه الذي هو علَّة تكوينه.

۞[فرضٌ لاعتراضٍ وجوابه]:

فإن قلتَ: هذا على خلاف ما قرَّرتم؛ لأنَّ الذي قرَّرتم: أنَّ قيام التَّحقق إنما يطلق على القيام الرُّكني، وإنما الموافق لما قرَّرتم: أنها قائمة بالجدار قيام ظهور.

قُلتُ: الأمر كما قلت ظاهراً، ولكن قيام الظهور إنما نقوله للفرق بين التحقق المادي؛ الذي هو قيام تحقق وقيام ركني، وبين الصُّوري؛ الذي اصطلحنا على تسميته قيام ظهور، وهو في الواقع كما هو قيام ظهور بلحاظ أنَّ المادَّة في نفسها قبل الصُّورة، وإنها قبل حال الاجتماع موجودة في وجودها الإمكاني أو الدهري.

فإذا لحظنا أنَّ علَّة ظهورها في مرتبة كونها هو الصُّورة، قلنا: أنَّ المادَّة تتقوَّم بالصُّورة قيام ظهور، وإذا لحظنا أنَّ الصُّورة جزء ماهيَّة الشيء المركب منها كالسَّرير، فإنَّ جزء ماهيته التي لا تحقق بدونه؛ الصُّورة الشخصية، وإنَّ الخشب بدونها لا يدل على السَّرير بواحدة من الدلالات الأربع، إلا حال انضمام الصُّورة إليه، فإنَّه يُقال: أنَّ المادَّة تقوَّمت

بالصُّورة قيام تحقق، بلحاظ أنّ الصُّورة علّة التكوُّن وهو علّة التكوين كما تقدَّم.

فيُقال: أنّ المادَّة قائمة بالصُّورة قيام تحقق، إذ لا يتحقّق تكوينها ولاتكوُّنها إلا بها، فلذا قُلتُ: (قيام تحقق)، ولئلا يتوجه علينا الاعتراض، وإن لم يكن صحيحاً، وهو أنه إذا كانت الحسنة من العبد قائمة به قيم ظهور؛ كان العبد غير فاعل لها حقيقة، ولمّا ثبت أنه فاعل للحسنة؛ دلّ على أنّ قيامها به قيام تحقق، أي: بفعله؛ لأنّ فعله هو صورة الحسنة ومادتها حصة من أمر الله، أي: من شعاع الحقيقة المحمدية ﷺ، والأمر الشرعي الوارد بالخطاب للمكلفين حامل صورة ذلك الشعاع، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**نَحْنُ الصَّلَاةُ، وَنَحْنُ الزَّكَاةُ، وَنَحْنُ الأَعْمَالُ، وَنَحْنُ الثَّوَابُ، وَنَحْنُ العِقَابُ**»، نقلته بالمعنى من أقواله عليه السلام[1].

---

(١) روى شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى الفضل بن شاذان، عن داود بن كثير قال؛ قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصَّلاة في كتاب الله عزّ وجلّ؟، وأنتم الزكاة؟، وأنتم الصيام؟، وأنتم الحج؟.

فقال: «**يَا دَاوُد! نَحْنُ الصَّلَاة فِي كِتَابِ اللهِ عزّ وجلّ، وَنَحْنُ الزَّكَاةُ، وَنَحْنُ الصِّيَامُ، وَنَحْنُ الحَجُّ، وَنَحْنُ الشَّهْرُ الحَرَام، وَنَحْنُ البَلَدُ الحَرَامُ، وَنَحْنُ كَعْبَةُ اللهِ، وَنَحْنُ قِبْلَةُ اللهِ، وَنَحْنُ وَجْهُ اللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾**[سورة البقرة، الآية:١١٥]، **وَنَحْنُ الآيَاتُ، وَنَحْنُ البَيِّنَاتُ**.

←....

۞[لا يعرف حكم المنزلة بين المنزلتين إلا بهذا المثل ونحوه]:

وإذا عرفت هذا المثال فاعلم؛ أنَّ الله سُبحانه ضربه مثلاً لذلك، يعرفه من يعرفه، إذ لا يعرف حكم المنْزلة بين المنْزلتين إلا بذلك ونحوه.

والمثل هو آية الممثل ودليله، فالاستنارة في وجه الجدار هي آية للحسنة ومثالها بفعل العبد؛ لأنَّ العبد ليس من فعله إلا صورة الحسنة ومن قدر الله تعالى؛ لأنَّ مادتها من قدر الله تعالى، أعني: من أمر الله الذي ظهر لفظ الخطاب الشرعي ومعناه على صورته؛ لأنَّ الأمر الشرعي هو صورة أمر الله الذاتي، أعني: ذلك الشعاع المادي، أي: النور الذي هو مادَّة

...←

وَعَدُوُّنَا فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ: الفَحْشَاء وَالُمنْكَر وَالبَغْي، وَالخَمْر وَالَميْسر، وَالأَنْصَاب وَالأَزْلام، وَالأَصْنَام وَالأَوْثَان، وَالجِبْت وَالطَّاغُوْت، وَالمِيْتَة وَالدَّم وَلَحْم الخِنْزِيْر.

يَا دَاوُد! إِنَّ اللهَ خَلَقَنَا فَأَكْرَمَ خَلْقَنَا، وَفَضَّلَنَا وَجَعَلَنَا أُمَنَاءَه وَحَفَظَتَهُ، وَخُزَّانَهُ عَلَى مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَجَعَلَ لَنَا أَضْدَاداً وَأَعْدَاداً، فَسَمَّانَا فِي كِتَابِهِ، وَكَنَّى عَنْ أَسْمَائِنَا بِأَحْسَنِ الأَسْمَاءِ وَأَحَبِّهَا إِلَيْه، تَكْنِيَة عَنْ العَدُوّ، وَسَمَّى أَضْدَادَنَا وَأَعْدَاءَنَا فِي كِتَابِهِ، وَكَنَّى عَن أَسْمَائِهِم، وَضَرَبَ لَهُم الأَمْثَالَ فِي كِتَابِهِ فِي أَبْغَضِ الأَسْمَاءِ إِلَيْهِ، وَإِلَى عِبَادِهِ الُمتَّقِيْن». [تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٢١-٢٢. وَص: ٨٠١. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٣٠٣].

الحسنات والطاعات، ولأجل هذا قلنا: (أنَّ الحسنة بفعل العبد من قدر الله)، ولانريد بالقدر المادي إلا هذا الذي أشرنا إليه.

وأمَّا القدر الإيجادي الذي هو فعل الله، الذي به خلق الحسنة والطاعة من مادَّة أمره الشعاعي، ومن صورة فعل المكلف وامتثال أمره التكليفي؛ فهو فعل الله المتعلق بهندسة المفعولات وحدودها، وبه صور الحسنة والطاعة، وبه نفخ فيها الروح من أمره، حتى كانت حورية أو شجرة، أو مسكناً أو ملبوساً، أو ماكولاً أو مشروباً.. أو غير ذلك من نعيم جنانه، ودار رضوانه، فافهم راشداً.

والظِّل الذي ظهر بتلك الاستنارة في خلف الجدار؛ آية المعصية ودليلها من فعل العبد المكلف، أي: أنَّ صورهما من فعل العبد، وإنما فرَّقنا في صورة الطاعة، وقلنا بفعل العبد من قدر الله؛ لأنَّ حقيقتها وجود، والله سُبحانه خلقه أوَّلاً وبالذات، وإذا نسبنا ما من العبد إلى ما من الله؛ كان ما من العبد طريقاً ومجازاً إلى ما من الله، كما إذا نسبنا ما من الجدار في حصول الاستنارة إلى ما من الشَّمس؛ كان طريقاً ومجازاً إلى ما من الشَّمس.

ألا ترى أنها إذا غربت الشَّمس لحقت بها، فلذا نقول أنها من الشَّمس وإليها تعود، وقد قال الله تعالى: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[(١)]، وفي الدعاء: «**الْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[(٢)].

وقلنا في المعصية من فعل العبد بقدر الله؛ لأنَّ حقيقتها عدميَّة، إذ هي مخلوقة من نفس النور من حيث نفسه وإنيته لا من حيث المنير، فهي ظلمة، فكانت صورة المعصية من فعل العبد؛ لأنها -أي: صورة المعصية- لم تصدر من فعل الله أوَّلاً وبالذات، إذ لم تكن مرادة لنفسها، وإنما أُريدت لغيرها، فهي مخلوقة ثانياً وبالعرض، وما يُنسب إلى قدر الله منها ليس لذاتها، وإنما هو لتحقق الطاعة كما مرَّ ويأتي، فهو عن القدر ثانٍ وبالعرض.

فلذا قلنا: (بقدر الله)، ولم نَقُل: (من قدر الله)؛ لأنها بعكس الحسنة، فلذا قال تعالى في الحديث القدسي الآتي: «**وَذَلِكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ**

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) رواه الْحَلَبِيّ في دعاء طويل عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «**إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؛ فَارْفَعْ كَفَّيْكَ، ثُمَّ ابْسُطْهُمَا بَسْطاً، ثُمَّ كَبِّرْ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ قُلْ..**». [الكافي، ج: ٣، ص: ٣١٠. من لا يحضره الفقيه، ج: ١، ص: ٣٠٣. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ٦٧. وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٢٤. البلد الأمين، ص: ٧. فلاح السائل، ص: ١٣٢. مصباح المتهجد، ص: ٣٦. مفتاح الفلاح، ص: ٤٩. المقنعة، ص: ١٠٤. مهج الدعوات، ص: ٣٢٧].

مِنكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتكَ مِنِّي»[1]، كما لو خاطبت الشَّمسُ الجدارَ قالتْ: (أنا أولى باستنارتك منك، وأنت أولى بظلّك منِّي)، فافهم.

[بيان الله تعالى للمنزلة بين منزلتين]:

قلتُ: (وَالثَّاني: قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الحَدِيْثِ القُدْسِيِّ: «وَذَلِكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتكَ مِنكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتكَ مِنِّي»[2]، وَهُوَ مَعْنَى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، أَي: أَنَا أَوْلَى بِهَا، ﴿وَمَا أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[3]، أَي: أَنْتَ أَوْلَى بِهَا.

(١) ورد بطرق متعدِّده، وبألفاظ مختلفه، منها ما عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ؛ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: «قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! بِمَشِيئَتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ، وَبِقُوَّتِي أَدَّيْتَ فَرَائِضِي، وَبِنِعْمَتِي قَوِيتَ عَلَى مَعْصِيَتِي، جَعَلْتُكَ سَمِيعاً بَصِيراً قَوِيّاً، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، وَذَاكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي، وَذَاكَ أَنَّنِي لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ».[الكافي، ج: ١، ص: ١٥٢. تفسير العياشي، ج: ١، ص: ٢٥٨. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٢١٠. التوحيد، ص: ٣٣٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٣. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩-٣٥٠. قرب الإسناد، ص: ١٥١. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩].

(٢) سبق ذكر مصادره في التهميش السابق.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.

كَمَا فِي المِثَالِ تَقُوْلُ الشَّمْسُ: يَاجِدَارُ! أَنَا أَوْلَى بِالاسْتِضَاءَةِ مِنْكَ؛ لِأَنَّهَا مِنْ نُوْرِي، وَإِنْ كَانَتْ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِالظِّلِّ مِنِّي؛ لِأَنَّهُ مِنْكَ، وَإِنْ كَانَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِي).

أقول: المراد بالثاني؛ البيان المذكور مع المثال.

والمراد بالبيان: بيان الله تعالى للمنْزلة بين منْزلتين؛ لأنه تعالى خلق النور والظِّل مثَلاً وآيةً للخير والشر، أي: الطاعة والمعصية، وقد قال تعالى: **﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ﴾**[1]، **﴿يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ﴾**[3].

وفي قوله تعالى في الحديث القدسي بيانٌ أنَّ الحسنة منه تعالى، أي: مددها ومادها من قدره الذي هو شعاع أمره، الذي هو الحقيقة المحمدية ﷺ، وتكوينها من قدره الذي هو فعله بفعل العبد، وهو صورها.

كما أنَّ أحداث استضاءة الجدار من تجلِّي الشَّمس، ومادها من شعاعها المنفصل، وصورها من كثافة الجدار؛ فلذَا قال تعالى: «**أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ**»؛ لأنَّ مادها من قدره تعالى، وليس من العبد في الحقيقة إلا صورها، وصورها وإن كانت جزء ماهيَّة الحسنة، لكنها -أي:

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠، وهذه الآية وما قبلها وردت في المصدر بنص واحدٍ، وهو من خطأ النُّسَّاخ.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

الصُّورة- جزء صوري مقداري، والمادِّي أقوى من الصُّوري، فلذا قلنا: هي من ذي المادِّي وبذي الصُّوري، إشارة إلى أنَّ الصُّورة هي قابليتها للإيجاد، وبالعكس في المعصية.

فمن هنا قال: «**وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي**»؛ لأنَّ مادها من مخالفته للأمر، وصورها من فعله، والمخالفة استدعت الخذلان منه سبحانه، فلذا كانت به مادَّة للمعصية؛ لأنَّ المراد بالمخالفة ليس نفس معاكسة الأمر، لأنَّ تلك الصُّورة هي التي هي فعل العبد، وإنما المراد منها: الأمر المخالف.

ونريد بكون مادَّة الحسنة من موافقة الأمر: أنها نور الأمر المعمول به، أي: وجوده، ومادَّة السَّيئة ظلمة الأمر المخالف، أي: ماهيته، فافهم.

۞[الحسنة من الله والسيئة من العبد، تفصيل ذلك]:

قلتُ: (فَالحَسَنَةُ مِنَ اللهِ أَوَّلاً وَبِالذَّات، بِمَعْنَى: رَاجِحيَّة جِهَة الوُجُوْدِ فِيْهَا؛ لِرُجُوْعِهَا مِنْ جِهَةِ قَدَرِ اللهِ إِلَى فِعْلِه، وَبِالعَبْدِ ثَانياً وَبِالذَّات أَيْضاً؛ لِأَنَّهَا مِنْ وُجُوْدِه بِاللهِ، فَهِي مِنْ جِهَةِ فِعْلِ العَبْدِ، يَرْجِع إِلَى وُجُوْدِهِ الرَّاجِح إِلَى فِعْلِ اللهِ تَعَالَى.

وَالسَّيِّئَةُ مِنَ العَبْدِ أَوَّلاً وَبِالذَّات، بِمَعْنَى: رَاجِحيَّة مَاهِيَّتِه فِيْهَا، وَبِاللهِ ثَانياً وَبِالعَرَضِ، بِمَعْنَى: المُسَاوَقَةِ فِي الوُجُوْدِ، وَتَحَقّق المَاهِيَّة بِالوُجُوْدِ المُتَقَوّمِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى).

أقول: إنما قِيْل (الحسنة من الله) مع أنهـــا فعل العبد؛ لأنَّ جهة وجودها -أعني: جهة مادها- راجحة على جهة ماهيتها -أي: صورها-؛

لرجوع جهة مادتها بتقدير الله سُبحانه إلى فعله ﷻ، فهي أثر فعله الصَّادر عنه.

وأمَّا صورتها: فهي فعل العبد المكلَّف الواقع باختياره، وهو وإن كان راجعاً إلى الوجود؛ لأنه من بعث العقل بطلب الوجود، إلا أنه منسوب إلى العبد المركب من وجود وماهيَّة، فقد صدر ذلك الفعل عن داعيين: ذاتي وعرضي، فلا يُساوي الذاتي المحض لِمَا في العرضي من الكراهة الملابسة، فلذا رجَّحت جهة مادَّة الحسنة على صورتها من وجوه:

منهـــا: جهة الذكورية؛ لأنَّ المادَّة هي أب الحسنة، والصُّورة أُمّها.

ومنها: خلوص ذاتية المادَّة، وشوب الصُّورة.

ومنها: سبق المادَّة، وأقربيتها.

ومنها: أنَّ المادَّة روح الحسنة، والصُّورة جسدها، كما يُشير إليه حديث سيِّد الساجدين عليه السلام[١].

ومنها: أنَّ مادَّة الحسنة من أمر الله وقدره أوَّلاً وبالذات، وصورتها ثانياً وبالذات؛ لكونها من العبد من جهة وجوده المتقوِّم بأمر الله وقدره تقوُّم صدور وتقوُّم ركني، فلأجل ذلك كان ثانياً وإن كان بالذات، ولأجل ما ذُكر ونحوه قال تعالى: «**أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ**»[٢].

وأمَّا السَّيئة فهي من العبد أوَّلاً وبالذات، وإنما قلنا: (أوَّلاً وبالذات) مع كونها بقدر الله من جهة راجحية جهة ماهيته فيها؛ لأنَّ ما في السَّيئة

(١) حديث طول ورد عن الزهري سيأتي ذكره في الصفحات التالية.

(٢) سبق ذكر مصادره فراجع.

من جهة ماهيَّة العبد ذاتي في السَّيئة، لأنها كانت برجحان دواعي النفس الأمَّارة بطلب الماهيَّة، فكان ميل ماهيَّة العبد في السَّيئة أقوى من ميل الوجود فيها بعكس الحسنة، وميل الوجود فيها بالعرض والتبعية، وهو قولنا: (وبالله ثانياً وبالعرض)؛ لأنَّ ما في السَّيئة من فعل الله التكويني هو أن أوجدها بمقتضى عمل العبد وإنكاره وتركه الحق، ومن قدر الله أنه خذله ووكله إلى نفسه، ومن مفعوله الذاتي، أعني: الوجود وهو ميله مع ماهيته بالعرض والتبعية، فكل ما فيها من فعل الله سُبحانه ومن قدره، ومن مفعوله الذاتي المستمد من النور، أعني: الوجود بالعرض وثانياً، وما فيها من جهة ماهيَّة العبد وميولاتها ودواعيها بالذات وأوَّلاً.

ومعنى كونها في كل ما كان من فعل الله وقدره ومفعوله -أي: الوجود بالعرض- أنها: -أي: ماهيَّة العبد الفاعل للسيئة- مساوقة في الظهور للوجود، بمعنى: أنها خُلقت من نفسه من حيث هو لا من حيث النور، كما خلق الظِّل مساوقاً لإشراق الشَّمس بنورها من نفس النور من حيث هو لا من حيث الشَّمس، وإلا لكان نوراً.

فالماهيَّة راجعة إلى نفس الوجود من حيث هو، والوجود راجع إلى نور الله الذي هو أمره، الذي به قام كلّ شيء.

قلتُ: (فَمَشيْئَةُ العَبْد للحَسَنَة بالذَّات منْ مَشيْئَة الله لَهَا بالذَّات، وَمَشيْئَةُ العَبْدِ للسَّيِّئَة بِالذَّاتِ مِنْ مَشيْئَةِ الله لَهَا بِالعَرَضِ، عَلَى نَحْوِ مَا أَشَرْنَا لَكَ إِلَيْه.

وَاسْلُكْ طَرِيْقاً بَيْنَ هَذِهِ الحُدُوْدِ جَامِعاً لَهَا عَلَى نَحْوِ مَا يَأْتِي، وَهَذَا الطَّرِيْقُ الجَامِعُ هُوَ سَبِيْلُ اللهِ، ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾[1]).

أقول: يعني؛ أنَّ مشيئة العبد للحسنة هي من ميل الوجود، الذي هو حقيقة العبد من ربه، فهي مشيئة ذاتية له وللحسنة أيضاً؛ لأنَّ الحسنة أيضاً يرجّح فيها جهة النور كما تقدَّم، وهي من مشيئة الله للحسنة بالذات؛ لأنها هي المطلوبة من المكلف، ومشيئة العبد للسيئة أيضاً بالذات؛ لأنَّ هذه المشيئة من ميل الماهيَّة التي هي حقيقة العبد من نفسه وإنيته، فهي ذاتية له وللسيئة؛ لأنَّ السَّيئة يرجح فيها جهة الظُّلمة كما مَرَّ.

فمشيئته لها بالذات من مشيئة الله لها -أي: السَّيئة- بالعرض؛ لأنَّ السَّيئة ليست مطلوبة من العبد، وإنما مُكِّن من فعلها بأن جُعلت مشيئته وآلات فعله صالحة لها، وإن كانت إنما خلقت للطاعة ليتمكن من فعل الطاعة، إذ لو فعل الحسنة ولم يقدر على السَّيئة لم يكن محسناً، ولا يكون محسناً حتى يتمكن من السَّيئة ويتركها ويفعل الحسنة، فكانت السَّيئة والتمكين منها مطلوباً لله تعالى ثانياً وبالعرض لِتُتمَّ الحسنة، فافهم.

۞ [اسلك سُبل ربِّك ذُللاً]:

وقولي: (واسلُك طريقاً بين هذه الحدود..إلخ)؛ أريد به أنك إذا عرفت أنَّ الحسنة من فعل الله -يعني: بمحبَّته وتأييده- ومن وجود العبد،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦٩.

وأنَّ السَّيئة من فعل العبد بتمكين الله له منها؛ لِتَتُم له الطاعة، وأنَّ الحسنة كانت من فعل العبد وبقدر الله، يعني: بتمكين الله تعالى للعبد منها؛ لأجل أن يتمكن من الحسنة.

وعرفتَ أنَّ قدر الله الذي قام به كل شيء؛ هو الحافظ للعبد ولأفعاله: الخير والشر، كما ذكرنا سابقاً، على نحو ما تحفظ المادَّة صورة السَّرير وصورة الصَّنم، فكما أنَّ خلق الله الخشب لمنافع العباد لا يكون به فاعلاً لِصَنَم، ولا مُعِيناً لِعَامليْه وعَابديْه، كذلك خَلْقَهُ للقدر المادي لمنافع الخلق لا يلزم منه كونه فاعلاً لأفعال العباد، بل هم الفاعلون لأفعالهم، لم يُشاركهم فيها، ولم يُهمل العباد في ملكه.

وسَلكتَ بين ذلك، خارجاً عن كِلَا الطَّرفين عن الإجبار والتَّفويض؛ فقد سَلكتَ سُبُل ربِّك ذُلُلاً، أي: مُنقاداً لِمَا أشار إليك في آياته، وعلى ألسن أوليائه؛ من أنَّ الله لا يظلم العباد، ولا يُهملهم في ملكه، ففي التَّوسط بين هذين؛ «**مَنزِلَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا العَالِمُ عليه السلام، أَوْ مَنْ عَلَّمَهُ إِيَّاهَا العَالِمُ**»، كما في رواية التَّوحيد عن سيد السَّاجدين(١).

---

(١) عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِه، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام سُئِلَ عَنِ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ فَقَالَ: «**لَا جَبْرَ وَلَا قَدَرَ، وَلَكِنْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَهُمَا، فِيهَا الْحَقُّ الَّتِي بَيْنَهُمَا، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالِمُ، أَوْ مَنْ عَلَّمَهَا إِيَّاهُ الْعَالِمُ**».[الكافي، ج: ١، ص: ١٥٩].

۞[بيان كيفية قيام الأشياء بأمر الله]:

قلتُ: (وَأَصْلُ المَسْأَلَة: هُوَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الشَّيْءَ يَتَحقَّقُ بِوُجُوْدِه وَمَاهِيَّتِه، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا قِيَامَ لَهُ بِنَفْسِه، لَا فِي أَفْرَادِه وَلَا فِي المَجْمُوْعِ، وَإِنَّمَا يَتَقَوَّمُ بِأَمْرِ اللهِ قِيَامَ صُدُوْرٍ، فَهُوَ قَائِمٌ بِهِ قِيَامَ صُدُوْر، فَهُوَ طَرِيّ أَبَداً.

وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾[١]، وَفِي دُعَاءِ يَوْمِ السَّبْتِ -رَوَاهُ فِي المِصْبَاحِ- قَالَ عليه السلام: «كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ»[٢]).

أقول: في هذا الكلام إشارة إلى بيان كيفية قيام الأشياء بأمر الله؛ لاحتياجها في صدورها وفي بقائها إلى الإمداد والمدد، وذلك لتعلم أنَّ الشيء لا يتحقّق إلا بوجوده وماهيته، فهو متقوِّم بهما قياماً ركنياً، فإنَّه ليس مستقلاً، وإنما هو متقوِّم بغيره، سواءً اعتبر ذلك في نفسه، أم في أفراده إن كان ذا أفراد، أم في أجزاء[٣]، بل وفي لوازمه وإشراقاته.

واعلم أنَّا قد أشرنا؛ أنَّ أمر الله الذي به تقوَّمت الأشياء يطلق على شيئين:

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٥.

(٢) مصباح المتهجد، ص: ٤٣١. البلد الأمين، ص: ٩٧. بحار الأنـوار، ج: ٨٧، ص: ١٤٨.

(٣) هكذا ورد في المخطوطة.

أحدهما: فعل الله، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾(١)، وهذا تتقوَّم به الأشياء تقوُّم صدور، فكل شيء من فعل الله في حال صدوره وبقائه طريّ أبداً، فأول آناته كآخره، إذ وجوده إنما هو شيء بفعل الله، فلا تحقُّق له في البروز في عالم الأكوان إلا بالفعل، فهو منه كالنهر الجاري من الينبوع.

والآخر: أول مفعول صدر عن الفعل، وهذا تتقوَّم به الأشياء تقوُّماً رُكنياً، كتقوُّم السَّرير وأبناء نوعه بالخشب، والمراد بهذا الوجود: هو الماء الذي جعل منه كل شيء حي، وهو الحقيقة المحمدية (صلى الله عليه وآله)؛ فإنَّ الأشياء كلها موادها، التي تتقوَّم بها من أشعتها أو أشعة أشعتها.

والآية المذكورة والدُّعاء يحتمل الأمر منهما على الوجهين؛ بأن يكون المراد بالأمر العلَّة الفاعلية، أو العلَّة الماديَّة.

قلتُ: (**إِلَّا أَنَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ نَهْرٌ يَجْرِي مُسْتَدِيْراً اسْتِدَارَةً صَحِيْحَةً.**

وَلَيْسَ قَوْلُنَا: "أَنَّهُ نَهْرٌ يَجْرِي"؛ أَنَّهُ دَائِرَةٌ، بَلْ هُوَ كُرَةٌ مُجَوَّفَةٌ، وَأَفْعَالُهُ أَيْضاً قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ مِنْ جِهَةِ مَا تَقَوَّمَتْ بِهِ ذَاتُهُ تَقَوُّماً تَبَعِيّاً عَلَى نَحْوِ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ سَابِقاً.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

وَالْمُرَادُ بِالتَّبَعِيِّ: أَنْ يَكُوْنَ نِسْبَةُ مَا تَقَوَّمَتْ بِهِ الأَفْعَالُ إِلَى مَا تَقَوَّمَتْ بِهِ الذَّاتُ نِسْبَةُ الشُّعَاعِ إِلَى الْمُنِيْرِ نِسبَة وَاحِد مِنْ سَبْعِيْن).

أقول: يعني؛ أنّك إذا اعتبرت حال استمداد الشيء في حال جريان المدد عليه من فوّارة القدر، وأنّه لا يمد إلا بماله، وأنَّ ما انفصل عنه عائد إليه؛ كان كالنهر الجاري على الاستدارة، بأن يكون آخره مُتَّصلاً بأوَّله، بمعنى: أنَّ ما يأتيه إنما مما له، وأنَّ ما ذهب منه بعد استمداده به عائدٌ إليه مدداً جديداً، سواءً رجع في انفصاله عنه وذهابه منه إلى غيب الأكوان، أم إلى غيب الإمكان، فإنَّه لا يأتيه ما ليس له ولا منه، ولا يأتيه إلا مدد جديد من جهة ينبوع استغنائه، التي هي مبدء فيض إمداده.

وتلك الينبوع ليست في جهة ولا مكان ولا وقت، بل تظهر الإفاضة عليه من كل جهة، فيكون في استمداده كرة صحيحة الاستدارة مجوَّفة؛ لأنها تدور على نقطةٍ هي علّتها لا إلى جهة.

۞[تصحيح لاعتقاد بعض الواصلين]:

واعلم؛ أنَّ بعض من وصل إلى ساحل هذه اللُّجَّة قال: (بأنَّ الشيء لا يُوجد بعينه في آنَيْن، بل يتبدل في كل لحظة تبدُّلاً سيَّالاً، فهو في كل آنٍ غير ما قبله وما بعده مغايرة حقيقية؛ لأنه نهرٌ يجري، والنهر في كل لحظة هو غير ما قبل ذلك وما بعده، فالذاهب منه لا يعود أبداً، والآتي إليه لا ينقطع أبداً).

وقد أخطاؤا وغلطوا؛ لأنه لو كان كما يقولون لكان في جميع أحواله جديداً طريّاً، فلا تتصف ذاته بطاعة ولا معصية؛ لأنها كلها تذهب، ولم يبق شيء منها له ولا عليه، فيأتي يوم القيامة لا ثواب له ولا عقاب عليه؛ لِذَهاب كل جارحة مع ما كسبت، وفناء كل طبيعة بما اقتضت، وليس كذلك، بل قوله تعالى: **﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾**[1]، وقوله: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾**[2]، وقوله: **﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾**[3]، وقوله: **﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾**[4]، **﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾**[5]، وأمثال ذلك؛ تنادي بعدم فناء شيء منهم ولا من أعمالهم.

فلمَّا دلَّ الدليل على عدم الاستقرار والثَّبات، وعلى عدم الاستغناء عن الإمدادات؛ ظهر بأنَّ أعمالهم لازمة لهم، وليس إلا لبقائهم، وقد قال عليه السلام: «**وَإِنَّمَا خُلِقْتُم لِلبَقَاءِ، وَإِنَّمَا تُنْقَلُوْنَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ**»[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٨-٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٥) سورة الدخان، الآية: ٥٠.

(٦) قال النبي صلى الله عليه وآله: «**مَا خُلِقْتُم لِلفَنَاء، بَلْ خُلِقْتُم لِلبَقَاءِ، وَإِنَّمَا تُنْقَلُوْنَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ**».[غرر الحكم، ص: ١٣٣. بحار الأنوار، ج: ٦، ص: ٢٤٩، وَج: ٥٨، ص: ٧٨].

وهذا كلُّه مترتب على ما أشرنا إليه: من أنه نهرٌ يجري مستديراً، ويستمد أوَّله من آخره، وعائده من ذاهبه، وأنه لا يمد إلا مما له، فإنَّ ما ذهب عنه ولحق بغيب كونه أو بإمكانه هو ما يمد به.

وفائدة هذا -مع ماذكرنا من لزوم الأوصاف والأعمال-: أنه إذا تكرَّر في أطوار الكسر والصَّوغ، والحلّ والعقد؛ نعمت أجزاؤه، وتلزَّزت ذرَّاته، وقويت بنيته، وصفت طينته، وترقَّت بتكرار الحل والعقد والكسر والصوغ إلى غايات كمالاته، لِتَردُّده في مراتب أطواره.

وهذا ظاهر لِمَن عرف كيفية تكوين الأشياء في مراتب أطوارها، فإنَّ الياقوت إنما عَزَّ وتميَّز عن أصله الذي هو التراب بكثرة السَّحق والحل، والعقد والطبخ على النَّظم الطبيعي، حتى تخلَّص عن الأوساخ والأعراض، وزالت عنه الغرائب، ونضج بكسر الكواكب عليه، فكذلك جميع الأشياء، فلذا تنتهي إلى غاية كمالاتها من غايات الخيرات والشرور.

وقولي: (وأفعاله أيضاً قائمة بأمر الله تعالى..إلخ)، أُريد به: أنَّ أفعال المكلف من حيث كونها محفوظة بأمر الله؛ أنها قائمة بأمر الله الذي هو فعله، والذي هو مفعوله الأول من جهة ما تقوَّمت به ذاته، يعني: ما تقوَّمت به الأفعال مطلقاً -أي: صُدوراً وإمداداً- هو ما تقوَّمت به الذات، فنسبته إلى ما تقوَّمت به الذات نسبة الأفعال إلى الذات.

فكما أنَّ الأفعال صفات فعلية للذات؛ كذلك الأمر الذي تقوَّمت به الأفعال صفات فعلية، كذلك لما تقوَّمت به، وهي نسبة الشعاع إلى المنير ورتبته في الشِّدَّة والضَّعف نسبة الواحد من السَّبعين، وهو جار في الأفعال

كجريان أصله في الذوات، بمعنى: أنَّ الذوات قائمة بالأمر الفعلي قيام صدور، وبالأمر المفعولي قياماً ركنياً، كذلك الأفعال قائمة بالأمر الفعلي الذي تقوَّمت به الذوات قيام صدور كأصله، وبالأمر المفعولي الذي تقوَّمت به الذوات قيام تحقق أي: قياماً ركنياً.

۞[تنبيهٌ لتفادي الاشتباه]:

ولكن لا يشتبه عليك من كلامنا أنَّا نريد: أنَّ الأفعال صادرة بأمر الله ليكون المكلف مجبوراً، وإنَّما نريد به: أنَّ هذه هي الحافظة للأفعال، وفاعلها المكلَّف، كما قلنا سَابقاً: أنَّ الحافظ للصورة التي في المرآة من حيث التقوُّم الصُّدوري والرُّكني هو مقابلة الشخص لها، ومع هذا فهي -أي: المرآة- مستقلّة بتحريكها وتسكينها مما هو من جهتها، كما أنَّ أمر الله تعالى مُستقل بتحركيها وتسكينها مما هو من جهته.

فأفعال المكلَّف الاختيارية مستندة في صدورها إليه على جهة الاستقلال، لا إلى حافظها، كما توهمه كثير من أهل المعرفة، كالملا محسن وشيخه الشيرازي وأضرابهما، فإنَّهم كثيراً ما يقولون: بأنَّ المنْزلة التي بين المنْزلتين لا يعثر عليها أهل الظاهر، ولا يعرفها إلا أهل الكشف والشُّهود.

وربما بيَّنوها فقال الملا محسن في كتابه قرة العيون -ما معناه-: (كما أنَّ خلق الموصوفات متفرد به الباري سُبحانه، لا يُشاركه في صنع شيء منها أحد من خلقه، كذلك خلق الصِّفات والأفعال).

ومعلوم عند كل من نظر عبارته وفهم مقصوده منها؛ أنه قولُ المُجبِّرة، بأنَّ أفعال العباد من الله، إذ لا مؤثِّر في الوجود إلا الله.

ونحن نتبرَّء إلى الله من هذا القول، بل أفعال العباد منهم وهم لها فاعلون، كما قال سُبحانه: **﴿وَلَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلِكَ هُمْ لَها عامِلُونَ﴾**[1]، وإن كُنَّا نقول: بأنَّ الله حافظ للمكلف ولأفعاله بأمره، بمعنى: أنه تعالى سبق لهم ولأفعالهم بأمره تعالى، إلا أنَّ أفعالهم صادرة منهم باختيارهم، هم لها فاعلون على الاستقلال، لم يُشاركهم سُبحانه فيها، ولم يكن فاعلاً لها.

۞[تكريرٌ لبيان كون أمر الله حافظاً للعبد المكلَّف ولأفعاله]:

قلتُ: (فَالذَّاتُ قَامَتْ بِأَمْرِ اللهِ، وَأَفْعَالها قَامَتْ بِنُوْرِ ذَلِكَ الأَمْرِ، وَاخْتِلَافُهَا عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِ مِنْ ذَلِكَ الأَمْرِ، فَالأَمْرِ هُوَ الحَفِيْظُ لَهَا كَمَا ذَكَرْنَا، وَالفِعْلُ المَحْفُوْظُ مُسْتَنِدٌ إِلَى فَاعِلِهِ المَحْفُوْظِ، وَحفظ الاسْتِنَاد مِنْ ذَلِك الأَمْر أَيْضاً.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦٣.

وَإِلَى هَذَا المَعْنَى إِشَارَةٌ بِقَوْلِ الرِّضَا عليه السلام: «هُوَ المَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُم، وَالقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُم عَلَيْه»[1]).

أقول: هذا الكلام تكريرٌ لبيان كون أمر الله حافظاً للعبد المكلَّف ولأفعاله، والمكلَّف المحفوظ بهذا الأمر فاعل لأفعاله المحفوظة بنور ذلك الأمر، إذ لو لم يحفظ المكلف لم يكن شيئاً بحيث يفعل أو لا يفعل، ولو لم يحفظ له فعله لما قدر أن يفعل شيئاً لم يحفظ له وعليه، فقلت:

الذات قامت بأمر الله؛ الذي هو فعله قيام صدور، وبأمر الله الذي هو مفعوله الأول قيام تحقق، يعني: قياماً ركنيّاً، فكان أمر الله الفعلي

---

(١) عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ذُكر عنده الجبر والتَّفويض فقال: «**أَ لَا أُعْطِيْكُم فِي هَذَا أَصْلاً لَا تَخْتَلِفُوْنَ فِيْه، وَلَا تُخَاصِمُوْنَ عَلَيْه أَحَداً إِلَّا كَسَرْتُمُوْهُ.** قلنا: إن رأيت ذلك.

فقال: إِنَّ اللهَ عز وجل لَمْ يُطَعْ بِإِكْرَاه، وَلَمْ يُعْصَ بِغَلَبَة، وَلَمْ يُهْمِلِ العِبَادَ فِي مُلْكِه، هُوَ المَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُم، وَالقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُم عَلَيْه، فَإِنْ ائْتَمَرَ العِبَادُ بِطَاعَته لَمْ يَكُن اللهُ عَنْهَا صَادّاً، وَلَا مِنْهَا مَانِعاً، وَإِنْ ائتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِه، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَحُوْلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوْهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيْه.

ثُمَّ قالَ عليه السلام: مَنْ يَضْبِط حُدُوْدَ هَذَا الكَلَام فَقَدْ خَصَمَ مَنْ خَالَفَهُ». [التوحيد، ص: ٣٦١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤١٤. الاختصاص، ص: ١٩٨. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٦٣. تحف العقول، ص: ٣٧. العدد القوية، ص: ٣٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٤. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩].

حافظاً لها بالإيجاد، وأمر الله المفعولي كان حافظاً لها بالإمداد، فبالوجهين كنت شيئاً يصح التكليف لها ويقع منها الفعل.

وأفعالها -أي: أفعال الذّات- قامت بنور ذلك الأمر الذي قامت به الذات، وذلك النُّور هو صفة الأمرِ؛ لأنه أمرٌ من أمر الله، وهو شيئان كالأمر، فصفة فعل الله قامت بها أفعال الذات قيام صدور، وصفة مفعول الله قامت بها أفعال الذات قياماً ركنياً، وهذا مثل ما في الذات.

[سرٌّ لا تجده في غير هذا الكتاب]:

واعلم؛ أنِّي قد كشفت لك من سرِّ القدر ما لا تجده في غير هذا الكتاب إلا فيما كتبناه في غيره، وذلك من أسرار أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، وليس من الانتحال، ولا من التَّوهم والخيال، ولم أبق عنك في هذا إلا ما لا يسعه في المقال، وأنا أوقفك على ما كتمته، فإن وَصلْتَ إلى حدِّه من مصدره فهمته، وإلا فلا تفهمه، وإيَّاك أن تخرج عن حدود الحق الذي ذكرته.

وأنا أذكره وأقول: أنَّ أفعال المكلف صورها صادرة منه باختياره على الاستقلال بالله، أي: أنَّ موادها من أمر الله الفعلي إيجاداً، ومن أمر الله المفعولي إمداداً.

فلا يشتبه عليك من قولي: (أنها قائمة بصفة أمر الله الفعلي قيام صدور وبصفة أمر الله المفعولي قياماً ركنياً)؛ أنَّ الأفعال ليست صادرة من

المكلّف على جهة الاستقلال، بل هي صادرة من المكلف على الاستقلال، إذ جميع صورها منه على النحو الذي ذكرناه.

وهذا الذي ذكرته لك هو الذي كتمته عنك، فإن بيّنه لك صاحبه عليه السلام فأنت تفهمه، وإن وقفت على حدود ظاهر كلامي فأنت تسلم، مع أنك تفوز بالسّهم الأوفى من النّصيب، بالمعلّى والرّقيب، وإن أردت أن تتخطى إلى قعره بغير تبيين صاحبه عليه السلام قلتَ بالإجبار، وإن تنزّلت عن حدود ظاهر كلامي قلتَ بالتفويض.

واعلم؛ أنّ «**فِي قَعْرِهِ شَمْسٌ تُضِيْءُ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا إِلَّا الوَاحِدُ الفَرْدُ، فَمَنْ تَطَلَّعَ عَلَيْهَا فَقَدْ ضَادَّ اللهَ فِي حُكْمِهِ، وَنَازَعَهُ فِي سُلْطَانِهِ، وَكَشَفَ عَنْ سِتْرِهِ وَسِرِّهِ، وَبَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وَمَأْوَاه جَهَنَّم وَبِئْس المَصِيْر**»(١)، ومن منازعته في سلطانه تعالى أن تخطّ عن حدود ظاهر كلامي، فإنّه قولٌ بالتفويض فافهم.

---

(١) مقتبس مما روي عن الأصبغ بن نباتة قال؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر: «**إِنَّ القَدَرَ سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ، وَسِتْرٌ مِنْ سِتْرِ اللهِ، وَحِرْزٌ مِنْ حِرْزِ اللهِ، وَأَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ، مَرْفُوْعٌ فِي حِجَابِ اللهِ، مَطْوِيٌّ عَنْ خَلْقِ اللهِ، مَخْتُوْمٌ بِخَاتَمِ اللهِ، سَابِقٌ فِي عِلْمِ اللهِ، مَوْضُوْعٌ عَنِ العِبَادِ عِلْمُهُ، وَرَفَعَهُ فَوْقَ شَهَادَاتِهِم، وَمَبْلَغ عُقُوْلِهِم؛ لِأَنَّهُم لَا يَنَالُوْنَه بِحَقِيْقَةِ الرَّبَانِيَّةِ، وَلَا بِقُدْرَةِ الصَّمَدَانِيَّةِ، وَلَا بِعَظَمَةِ النَّورَانِيَّةِ، وَلَا بِعِزَّةِ الوَحْدَانِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ بَحْرٌ عَمِيْقٌ زَاخِرٌ، خَالِصٌ للهِ تَعَالَى، عُمْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، عَرْضُهُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، أَسْوَدُ مُظْلِمٌ، كَاللَّيْلِ الدَّامِسِ، كَثِيْرُ الحَيَّاتِ وَالحِيْتَانِ، يَعْلُو مَرَّةً وَيَسْفُلُ أُخْرَى، فِي قَعْرِهِ شَمْسٌ تُضِيْءُ، لَا يَنْبَغِي أَنْ**

←....

وقولي: (وحفظ الاستناد من ذلك الأمر أيضاً)، أريد به: أن الاستناد نفسه -أعني: استناد الفعل إلى فعله- من ذلك الأمر، لكنه من نوره، فهو نور نوره، وصفة صفته على ما قرَّرنا.

وقول الرِّضا عليه السلام: «**هُوَ المَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُم**»، نفى التفويض بقوله: «**هُوَ المَالِكُ**»، ونفي الجبر بقوله: «**لِمَا مَلَّكَهُم**»، ولم يقل: (لِمَا ملكوا)، وكذا قوله عليه السلام: «**عَلَى مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْه**»؛ لأنه عليه السلام يُشير إلى الدقيقة التي فيها أنِّي كتمتها عنك، وإن كنتُ بيَّنتها لك؛ لأنَّ فهمك لها موقوف على تعليم العالم عليه السلام، فتفهَّم هذا الكلام المكرَّر المردَّد، والله سُبحانه ولي التوفيق.

۞[اختيار العبد نشأ من اقتضاء ضدَّين]:

قلتُ: (وَالاخْتِيَارُ الَّذي فِي العَبْدِ نَشَأَ من اقْتضَاء الضِّدَّيْن: الوُجُوْد وَالمَاهِيَّة؛ لاقْتضَاء مَا لَهُمَا كَمَا مَرَّ، وَمِنْ خَلْقِ الآلَة الصَّالحَة لِلمُتَضَادّيْن، وَمِنَ الاسْتِطَاعَة لِلفِعْلِ فِي الفِعْلِ، وَمِن إمْكَانِهَا قَبْل الفِعْلِ

...←
يَطَّلِعَ عَلَيْهَا؛ إلَّا اللهُ الوَاحِدُ الفَرْدُ.

فَمَنْ تَطَلَّعَ عَلَيْهَا فَقَدْ ضَادَّ اللهَ فِي حُكْمِه، وَنَازَعَهُ فِي سُلْطَانه، وَكَشَفَ عَنْ سِتْرِه وَسِرِّه، وَ﴿بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[سورة الأنفال، الآية:١٦]..».[التوحيد، ص: ٣٨٣-٣٨٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٩٧].

-أَيْ: الصِّحَّة- وَهِي الَّتِي يَكُوْنُ العَبْدُ بِهَا مُتَحَرِّكاً مُسْتَطِيْعاً لِلْفِعْلِ؛ وَلِأَنَّهُ أَثَرُ المُخْتَارِ فَيَكُوْنُ مُخْتَاراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[1]).

أقول: إنَّا قد أشرنا في الشرح إلى بيان منشأ الاختيار، وهنا ذكرناه في المتن، والضِّدان: هو الوجود والماهيَّة، والمكلَّف مركب منهما، وكل منهما بسبب افتقاره يقتضي الميل إلى ما هو من نوعه؛ للاستمداد منه ما له مما تقوّم به.

فاختيار المكلَّف نشأ من تركيبه من اقتضاء كل من الضدين اللذين تركب منهما، ومن الآله المخلوقة لتحصيل ما يقتضيه كل واحد من الضدين، حيث خلقت صالحة لكل من الميلين، ومن الاستطاعة لما يشاء من أفعاله، فإنَّه تعالى خلق فيه: استطاعة إمكانية، سابقة على الفعل، جائزة الحصول له، واستطاعة فعلية واجبة الحصول مع الفعل، لا قبله ولا بعده، وهي المفسَّرة في الأخبار بأنها الصِّحة التي بها يكون العبد متحركاً مستطيعاً للفعل.

ومما دلَّ عليه قوله تعالى: **﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾**[2]، أي: مختاراً يعرف الخير والشر، والجيِّد والرَّديء؛ لأنه أثر فعل المختار، والأثر يُشابه صفة مؤثره التي هي منشأ الأثر.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢.

۞[إشارة إلى سرّ الأمر بين الأمرين]:

قلتُ: (فَإِذَا فَعَلَ العَبْدُ المُخْتَارُ المُتقَوّم بِأَمْرِ الله فِعْله المُتقَوِّم بِنُوْرِ أَمْرِ الله وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَرْكِه، كَانَ قَدْ فَعَلَ فِعْلَه وَحْدَه بِقَدَرِ الله؛ لأَنَّ الفِعْلَ المَحْفُوْظ مُسْتَنِدٌ إِلَى فِعْلِه المَحْفُوْظ وَحْدَه، فَبِقَدرِ الله تَقَوَّمَ الفَاعِلُ وَالفِعْلُ، وَتَقَوَّم اسْتِنَادُهُ إِلَى فَاعِله.

وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيْرُ تَأوِيْل قَوْلِه تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً﴾[1]، فَقَدر الله رُوْح فِعْلِ العَبْدِ، وَفِعْل العَبْدِ جَسَدُهُ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُوْن، وَهُوَ سِرُّ الأَمْرِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ).

أقول: إذا فعل العبد المختار من جهة تركّبه من شيئين متضادين، لكل واحد منهما داعٍ يبعثه على خلاف داعي الآخر؛ كان قادراً على فعل ذلك الفعل المأمور به أو المنهي عنه بباعث أحد جزئي ذاته، وعلى تركه بباعث الجزء الآخر، وتركّبه من الباعثين المختلفين هو منشأ الاختيار.

وقد قدَّمنا أنَّ انبعاث الداعيين لا يكون دفعة؛ لاستلزام ذلك انفكاك كل عن الآخر، المستلزم لفناء المركَّب منهما، وإنما ينبعثان على التعاقب، وقد سبق أنَّ كل شيء فهو محفوظ، فما دامت شيئيته محفوظة عليه فهو

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٦.

شيء تنسب إليه الأفعال، وإلا ليس شيئاً أصلاً، وهو المراد بقولنا: (المتقوّم بأمر الله).

والفعل كذلك؛ فإنّ فعله إنما هو شيء في نفسه ومنه إنما هو بحفظ نور أمر الله، كما بيَّنا سابقاً، فالعبد فاعل وتارك بقدر الله، أي: بأمره الفعلي إيجاداً، وبأمره المفعولي إمداداً، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَما تَشاؤُنَ إلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ﴾[1].

هذا هو المراد في قولنا: بأنّ العبد مستقل بإيجاد فعله وإحداثه؛ لأنه إنما كان فاعلاً بقدر من الله، وهو الأمر الفعلي والأمر المفعولي، وهو معنى قولنا: (فبقدر الله تقوَّم الفاعل والفعل، وتقوّم استناده إلى فاعله).

ومعنى الإشارة بتأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسيراً﴾[2]؛ أنّ الظّل مددناه وقبضناه بعد مدة قبضاً يسيراً بالتّدريج، مسائرين له -من المساءرة، بمعنى: المصاحبة- يعني: أنّا قبضناه ولم نُخلّه من أيدينا، وهو من ظاهر الظاهر.

والظّل آية فعل المكلّف، فإنّه وإن كان بفعل المكلف مستقلاً به، لكنّا حافظون له بالإيجاد والإمداد، ليتمكن المكلّف من إحداثه، وإلا لم يكن شيئاً، فلا يحدث المكلّف ما ليس بشيء.

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣٠، وسورة التكوير، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٦.

[تمثيل القدر والعمل بالروح والجسد]:

وقولي: (فقدر الله روح فعل العبد، وفعل العبد جسده)، أريد به ما ذكره علي بن الحسين عليهما السلام من أنّ: «**القَدَر وَالعَمَل كَالرُّوْحِ وَالجَسَد، فكَمَا أَنَّ الرُّوْحَ بِدُوْنِ الجَسَد لَا تَحسّ، وَالجَسَدُ بِدُوْنِ الرُّوْحِ لَا حرَاكَ فيْهَا، كَذَلكَ القَدَر وَالعَمَل، فَلَوْ لَمْ يَكُن القَدَر بمُوَافقَة منَ العَمَلِ؛ لَمْ يُعْرَفُ الخَالقُ مِنَ المَخْلُوْق، وَكَانَ القَدَر شَيْئاً لَا يَحسّ، وَلَوْ لَمْ يَكن العَمَل بِمُوَافقَة مِنَ القَدَرِ؛ لَمْ يَتم وَلَمْ يَمْضِ، وَلله فَيْه العَوْن لِعِبَاده الصَّالِحِيْن**»، نقلته بالمعنى، أو بما يقرب من اللفظ[1].

---

(١) ورد نصه في حديث طويل ننقله بتمامه لما فيه من فوائد، فعن الزهري قال؛ قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلني الله فداك، أ بقدر يصيب الناس ما أصابهم، أم بعمل؟.

فقال عليه السلام: «**إنَّ القَدَرَ وَالعَمَلَ بمَنْزِلَة الرُّوْحِ وَالجَسَد، فَالرُّوْحُ بِغَيْرِ جَسَد لَا تَحسّ، وَالجَسَدُ بِغَيْرِ رُوْحٍ صُوْرَةٌ لَا حرَاكَ بِهَا، فَإذَا اجْتَمَعَا قَوِيَا وَصَلُحَا، كَذَلكَ العَمَلُ وَالقَدَرُ، فَلَوْ لَمْ يَكُن القَدَرُ وَاقعاً عَلَى العَمَلِ لَمْ يُعْرَف الخَالقُ منَ المَخْلُوْق، وَكَانَ القَدَرُ شَيْئاً لَا يَحسّ، وَلَوْ لَمْ يَكُن العَمَلُ بِمُوَافقَة منَ القَدرِ لَمْ يَمْضِ وَلَمْ يَتم، وَلَكنَّهُمَا باجْتمَاعهمَا قَوِيّاً، وَلله فيْه العَوْنُ لعبَاده الصَّالحيْن.**

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: أَلَا إنَّ منْ أَجْوَرِ النَّاسِ مَنْ رَأَى جَوْرَه عَدْلاً، وَعَدْلَ المُهْتَدي جَوْراً، أَلَا إنَّ للعَبْد أَرْبَعَة أَعْيُن؛ عَيْنَانِ يُبْصرُ بِهِمَا أَمْرَ آخرَته، وَعَيْنَان يُبْصرُ بِهِمَا

←...

والمعنى في تمثيله عليه السلام بالرُّوح والجسد: ماذكرناه مكرَّراً من أنَّ كل شيء فإيجاده من فعل الله، وإمداده من أمر الله، وأنَّ المكلَّف وأفعاله من هذه المقولة، إلا أن صورة الأفعال هو محدثها باختياره.

كما مثَّلنا سابقاً بالصُّورة التي في المرآة؛ من أنَّ مادهّا من صورة المقابل القائمة به، أعني: ظلها المنفصل القائم بها قيام صدور، والقائم بالمرآة قيام عروض وحلول، والقائم بصقالتها وهيئتها قيام ظهور، وصورة الصُّورة من صقالة المرآة وهيئتها.

فما من صورة المقابل حافظ للصورة في المرآة عن التَّهافت والفناء والاضمحلال؛ لأنَّ صورة المقابل المتصلة به حافظة للصورة في المرآة بظلها الذي هو مادَّة الصُّورة في المرآة، وهو بمنْزلة قدر الله في فعل المكلَّف، وما من المرآة من صقالةٍ واعتدال واعوجاج، أو كبر أو صغر، أو بياض أو سواد، أو طول أو عرض؛ هو صورة الصُّورة التي فيها من المقابلة، وذلك شيء أحدثه المرآة، فهي مستقلة به إحداثه، أعني: صورة الصُّورة، كما أنها مستقلة بتحريك الصُّورة المحفوظة.

←...

أَمْرَ دُنْيَاه، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ عزّ وجلّ بِعَبْدٍ خَيْراً فَتحَ لَهُ العَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي قَلْبِهِ، فَأَبْصَرَ بِهِمَا العَيْبَ، وَإِذَا أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ تَرَكَ القَلْب بِمَا فِيْه.

ثُمَّ الْتَفتَ إِلَى السَّائِلِ عَن القَدَرِ فقَالَ: هَذَا مِنْهُ، هَذَا مِنْهُ». [التوحيد، ص: ٣٦٦-٣٦٧. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٢-١١٣].

فكذلك المكلّف مستقل بإحداث صورة فعله، وبتحريك مجموع الفعل، أعني: ما من القدر من مادته، وما منه من صورته كما مَرَّ، وكل حركة وسكون فقدر الله حافظاً له كما قلنا: من أنه روحه، والحركة والسُّكون جسده، فافهم فإنّ هذا هو سر الأمر بين الأمرين.

۞[مثالٌ على تقوُّم حسنات العبد وطاعاته بقدر الله]:

ومن هنا قلتُ: (وَمِثَالُ ذَلِكَ التَّقَوُّم: كَمَا تَقَوَّمَتْ الاسْتِضَاءَة فِي الجِدَارِ بِنُوْرِ الشَّمْسِ، فَالأَمْرُ: وَجْهُ الشَّمْسِ.

وَالنُّوْرُ الَّذي هُوَ المَاء: نُوْرُ الشَّمْسِ المُنْبَثّ.

وَالاسْتِضَاءَةُ فِي الجِدَارِ: وُجُوْدُ الإِنْسَانِ.

وَالجِدَارُ الَّذي أَشَرْنَا إِلَيْه، وَهُوَ نَفْسُ الاسْتِضَاءَة مِنْ حَيْث هِيَ هِيَ مَاهِيَّته وَفعْله المَنْسُوْب إِلَيْه؛ هُوَ مَثَلُ الانْعِكَاسِ عَن الاسْتِضَافَة، وَهُوَ نَوْعَان: فَمَا انعْكَسَ عَنْهَا مِنْ جِهَةِ نُوْرِ الشَّمْسِ؛ فَهُوَ خَيْرٌ وَنُوْرٌ، وَحَسَنَةٌ وَطَاعَةٌ. وَمَا انْعَكَسَ عَنْهَا مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا؛ فَهُوَ شَرٌّ وَظُلْمَةٌ، وَسَيِّئَةٌ وَمَعْصِيَةٌ.

فَالنَّوْعُ الأَوَّلُ: فِعْلُ العَقْلِ عَن الوُجُوْد.

وَالثَّانِي: فِعْلُ النَّفْسِ عَن المَاهِيَّة، فَتَفَهَّم).

أقول: قولي: (ومثال ذلك التقوُّم..إلخ)؛ مبني على قاعدتي من تكريري لمَا أذكره، فإنّي أُكرِّره مراراً كثيراً ليتفهمه الطالب بكثرة ذكره مرّةً بعد أُخرى؛ وذلك لعدم أُنس الأذهان بمثل هذه المعاني، وبُعدها عن

مدارك الأفهام، حيث لم تُذكر في كتاب، ولم تجر في خطاب، وإنما أشارت إليه الأخبار إشارة خفية لأولي الأبصار.

وذلك أنّ تقوُّم حسنات العبد وطاعاته بقدر الله، مع أنها منسوبة إلى العبد، وحادثة بفعله، كتقوُّم الاستضاءة التي ظهرت في وجه الجدار بنور الشَّمس؛ لأنها هي انعكاس نور الشَّمس، إلا أنها لا تظهر إلا بالجدار، فكان الجدار هو المحدث لها في الظهور، وإن كانت من نور الشَّمس؛ لأنها قائمة بنورها الفعلي قيام صدور، وبنورها المفعولي قياماً ركنياً، لكنها لا تتحقق في الأعيان الكونية إلا بالجدار.

كذلك الطاعة؛ فإنَّها وإن كانت من نور الوجود الأوَّلي المفعولي، وبنور الوجود الأوَّلي الفعلي كما مرَّ، إلا أنها لا تتحقق في رتبة كونها إلا بفعل العبد، وكذلك تقوُّم سيئاته ومعاصيه بقدر الله العرضي، المعبَّر عنه بالتخلية والخذلان في ظاهر الشريعة.

فأمر الله الذي تقوَّمت به الطاعة أوَّلاً وبالذات مثله: وجه الشَّمس، وهو المرئي المضيء؛ لأنه بمنْزلة الأمر الفعلي، والأمر الذي منه مادَّة الطاعة، أعني: النور الذي هو الماء، يعني: الذي جعل منه كل شيء حي، أعني: المفعول الأوَّلي مثل نور الشَّمس المنبثّ من فعلها، وهو الذي كانت منه استضاءة الجدار بالانعكاس، والاستضاءة في الجدار: مثل وجود الإنسان في تكوينه، والجدار: نعني به نفس الاستضاءة التي هي وجود المكلّف.

وهذه النفس هي ماهيَّة المكلَّف؛ لأنَّ الماهيَّة نفس الوجود من حيث هو هو، وفعل المكلَّف للطاعة المنسوب إليه على الاستقلال: مثل انعكاس النور عن الاستضاءة التي هي مثل الوجود، والمنعكس عنها هو النور الممازج للظل.

هذا إذا جعلت الاستضاءة مثلاً للوجود، ولو جعلتها مثلاً للحسنة كان الظِّل مثلاً للسيئة، فما انعكس عن الاستضاءة إن جعلتها مثلاً للوجود من جهة نور الشَّمس؛ فهو مثل للطاعة الصادرة عن دواعي العقل بطلب الوجود، وهو خير ونور، وحسنة وطاعة، وما انعكس عن الاستضاءة إن جعلتها مثلاً للوجود أيضاً من جهة نفسها لا من جهة نور الشَّمس؛ فهو مثل للمعصية الصادرة عن دواعي النفس الأمَّارة بطلب الماهيَّة، وهو شر وظلمة ومعصية.

فالنوع الأول -أعني: الخير والنور، والحسنة والطاعة-: فعل العبد من جهة دواعي عقله، والعقل انبعث إلى هذه الخيرات من جهة ميل الوجود إليها، وطلبه من العقل أن يسخر الأركان في تحصيلها، وكل ذلك بمؤنة من الله بمدده من قضاء الخير.

والنوع الثاني -أعني: الشَّر والظلمة، والسَّيئة والمعصية-: فعل العبد من جهة دواعي نفسه الأمَّارة، وهي انبعثت إلي هذه الشرور من جهة ميل الماهيَّة إليها، وطلبها من النفس أن تسخر الأركان في تحصيل هذه

الخبائث، وكل ذلك من تخليته وخذلان من الله، وذلك مقتضى قضاء الله بسوء فعل العبد، وخُبث نيَّته، ﴿وَما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[1].

۞[الماهيَّة موجودة بوجود الوجود]:

قلتُ: (وَاعْلَم أَنَّ المَاهِيَّةَ مَوْجُوْدَةٌ بِوُجُوْدِ الوُجُوْد مَا دَامَ مَوْجُوْداً، وَإِذَا لَم تُوْجَد لَمْ يُوْجَد الوُجُوْدُ؛ لِأَنَّهَا شَرْط لِإِيْجَادهِ، وَتَمَام القَابِلِيَّة لِلإِيْجَادِ كَالعَكْسِ.

وَإِنَّمَا قَالُوْا: "أَنَّهَا عَدَمٌ مَا شَمَّتْ رَائحَةَ الوُجُوْد"؛ لِأَنَّهُمْ يُرِيْدُوْنَ أَنَّهَا لَمْ تُوْجَد أَوَّلاً وَبِالذَّات قَطْ؛ لَا أَنَّهَا لَمْ تُوْجَد أَصْلاً، بَلْ هِيَ مَوْجُوْدَةٌ بِفَاضِلِ إِيْجَاد الوُجُوْد كَمَا قُلْنَا آنفاً.

وَذَلِكَ الفَاضِلُ إِذَا نُسِبَ إِلَى إِيْجَادِ الوُجُوْد كَانَ نِسْبَةُ الوَاحِدِ مِنْ سَبْعِيْن، كَمَا هُوَ شَأْنُ الآثَارِ وَالصِّفَات، هَذَا فِي الظَّاهِرِ).

أقول: أنَّ الماهيَّة موجودة بوجود الوجود ما دام موجوداً؛ لأنها هي هويته من نفسه، والشيء لا يكون شيئاً إلا بهويَّته، فهي دعامته التي لا يتقوّم إلا بها، وهي كذلك بمعنى: أنها إذا كانت هي هوية الوجود لا تتحقق بدونه؛ لأنه إذا لم يكن فلا هوية، فهو شرط كونها وتحقُّقها، وهي شرط ظهوره وقابليته.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

وأمَّا قولهم: (أنها ما شمّت رائحة الوجود)؛ فهي عبارة متلقاة من كلام المتقدِّمين، وهم يريدون بها: أنها موجودة ثانياً وبالعرض؛ لأنها لم تكن مقصودة لنفسها، وإنما طلبت لوقفت ظهور المقصود عليها، أعني: الوجود، الذي هو المراد أوَّلاً وبالذات.

۞[علة اختلاف الحكماء حول الماهيات]:

إلا أنَّ المتأخرين من الحكماء كثيراً منهم لم يفهموا مرادهم من ذلك؛ لأنهم غلطوا في كثير من مرادات المتقدمين، وكانت الحكمة محفوظة بالوحي النازل على الأنبياء (صلوات الله عليهم)، وتلقَّوها الحكماء المتقدمون عنهم، فلمَّا انفردوا عن الأخذ منهم كما جرى للمشائين والرَّواقيّين فإنَّهم ربما فهموا من تلقاء أنفسهم أشياء لا تجري على قواعد وحي الله سبحانه، وخصوصاً حكماء الإسلام لتلك العلَّة؛ ولأنَّ المترجمين لكلامهم المكتوب في كتبهم باليونانية ربما ترجموا كل لفظة على حدة، فيقع الغلط والخطأ، إذ قد يكون المعنى لا يتأدَّى إلا بالمجموع، كما لو ترجمت قول الفارسي: (قسم بخور)، فقلت: (قسم) بمعنى: اليمين، و(بخور) بمعنى: كل؛ فإنَّه يبطل المعنى، ويكون غير مراد الفارسي؛ لأنَّ مراده: (إحلف)، وعلى ترجمتك يكون المعنى: (كلّ اليمين).

فلما كَثُرَ الخطأ من اجتهاد الحكماء من أنفسهم من غير أخذه من قواعد الوحي كما نزل، بل ربما فرَّعوا عليه ما لا يدخل تحت قواعده، ومن الخطأ في الترجمة، ومن تجويز سوء الفهم؛ اختلف رأي المتقدمين مع المتأخِّرين.

وبرهان هذا: ما نصَّ عليه حُفَّاظ الشريعة، محمد وآله عليهم السلام؛ فإنَّهم قد بيَّنوا عن الله تعالى دقيق الحكمة وجليَّها، بما يُطابق العقول، ويُطابق قواعد التوحيد، ويُطابق القرآن المجيد.

۞[تعداد أقول الحكماء في الماهيات]:

وهؤلاء المختلفون في الماهيات، فقالوا فيها بالأقوال المتعدِّدة، فمنهم من قال: أنها مجعولة مطلقاً.

وبعضهم لم يقل، بل قال: بعدم كونها مجعولة.

وبعضهم فرَّق بين مرتبتها في الأعيان ومرتبتها في العين، فقال به في الثانية دون الأولى.

وبعضهم قال: جَعله تعالى متعلّق أوَّلاً وبالذات بها، وبالوجود ثانياً وبالعرض، فجَعل الوجود تابعاً لجعل الماهيَّة، على معنى أنه لا يحتاج لجعل جديد.

وبعضهم على العكس من ذلك؛ فجعل الماهيَّة تابعة لجعل الوجود، على أنها لا يحتاج إلى جعل جديد.

وبعضهم قال: بجعلها بمعنى أنها فائضة من الله سُبحانه في الأعيان دون العين.

وبعضهم قال: أنَّ الجعل تعلَّق بها، وأطلق.

وبعضهم قال: تعلّق الجعل بها، بمعنى: أنها فائضة منه سُبحانه بتجلياته الثانية بصور شؤونه المستجنة في غيب هوية ذاته، بلا تخلّل إرادة واختيار، بل بالإيجاب المحض.

وبعضهم قال: أنها ليست مجعولة، بل هي صورة علية للأسماء الإلهية، التي لا تأخر لها عن الحق إلا بالذات لا بالزمان -أي: بالوقت- بمعنى: أنّ ظهورها مساوق لأزليته، وإنْ كانت بعده في الرتبة، فهي أزلية أبدية، غير متغيرة ولا متبدلة.

وبعضهم قال: والمراد بالإفاضة؛ التَّأخر بحسب الذات لا غير.

وبعضهم قال: بجعل استعداداتها أيضاً، وأطلق.

وبعضهم قال: بمعنى أنها فائضة من الحق سبحانه..إلخ، من غير طلب منها بلسان حالها إليه.

وبعضهم قال: بطلب منها بلسان حالها إليه.

وبعضهم لم يقل بإفاضاتها، بل قال: بعدمه.

وبعضهم قال: أنها من مقتضاياتها، ومقتضى الذات لا يتخلف عنها.

إلى غير ذلك مما تضمَّنته تلك العبارات عنهم[1].

---

(١) لمصادر هذه الأقول راجع: نقد النصوص، ص: ٤٣-١١٩-١٢٠-٤٥٠. الشواهد الربوبية، ص: ٧١. المشاعر، ص: ٨٣. نقد المحصل، ص: ٨٢. نهاية المرام، ج: ١، ص: ١٦٨. مطلع خصوص الكلم، ج: ١، ص: ٣٩-٤٥-٤٧. شرح المنظومة (للسبزواري)، ص: ٢٢٣-٢٢٤-٢٣١. الخلسة الملكوتية، ص: ١٠٨. الإسفار عن رسالة الأنوار، ص: ١٢. مفاتيح الغيب، ص: ٤١٥. الأسفار، ج: ٦، ص: ٢٨٢.

وقد نقل المصنف هذه الأقوال في كتابه شرح المشاعر، ص: ٣٧-٣٨. ونقلها وناقشها -أيضاً- الشيخ محمد أبو خمسين في مفاتيح الأنوار، ج: ٢، ص: ٩٧.

وهذه الأقوال الخمسة عشر ربما تداخل بعضها في بعض، ومنشأ تكثُّرها ما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**العِلْمُ نُقْطَةٌ كَثَّرَهَا الجَاهِلُوْن**»، أو«**الجُهَّال**»، على اختلاف الرِّوايتين[١].

۞[القول الحق في الماهيات]:

وبالجملة: الماهيَّة إن كانت شيئاً فالله سبحانه خالقها، وإلا فهي تكون قديمة غيره تعالى، أو تكون هي الله؛ إذ الشيء لا يخرج عن ذلك:

فإن كانت مخلوقة؛ تمّ المطلوب.

وإن كانت قديمة غيره؛ تعدَّدت القدماء.

وإن كانت هي الله -العياذ بالله- لم يجز أن تكون ماهيَّة لزيد وعمرو، إلا على الآراء الباطلة، المبنيَّة على القول بوحدة الوجود، التي ثبت الإجماع على كفر قائلها.

وإن لم تكن شيئاً؛ فلا معنى للاستناد إليها بجعل أو عدمه.

والحق أنها شيء مُحْدث، خلقها الله من نفس الوجود من حيث نفسه، فكل محدث مركب من وجود وماهيَّة، أي: من مادَّة وصورة، وهو قول الحكماء الإلهيين الأولين: كل ممكن زوج تركيبي، يعني: أنَّ

---

(١) ورد قوله عليه السلام: «**الجاهِلُوْنَ**»، في: عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٢٩. نـور البراهين، ج: ١، ص: ٣١٤. ينابيع المودة، ج: ١، ص: ٢١٣. وورد قوله عليه السلام: «**الجُهَّالُ**»، في سبل السلام، ج: ٤، ص: ١٧٨.

كل ممكن مركب من شيئين حادثين، وهذا هو الذي يجري على قواعد الإسلام وضوابط التوحيد، وبراهين العقول وتبيان الوحي.

وقولي: (أنها موجودة بفاضل إيجاد الوجود)؛ قد تقدَّم الكلام في بيانه، وأنَّ المراد بهذا الفاضل: هو نور الفعل المحدث للوجود، وهذا النور: فعل مشتق من فعل الله، الذي صدر عنه الوجود، فراجع هناك.

وقولي: (وذلك الفاضل إذا نُسب إلى إيجاد الوجود؛ كان نسبة الواحد من سبعين، كما هو شأن الآثار والصفات)؛ إذا نُسبت إلى المؤثِّرات وإلى الموصوفات.

وقد أشرنا في تأليفاتنا إلى وجه ذلك العدد، من أنَّ كل شيء فهو مربَّع الكيفيات مثلث الكيان؛ لأنَّه حرارة ورطوبة، وبرودة ويبوسة، وجسم ونفس وروح، فكل شيء جوهر أو موصوف ذو سبعة، فإذا نُسب إلى الصفة والعرض الذين في الرتبة الثانية كان سبعين؛ لأنَّ السَّبعة في المرتبة الثانية سبعون، والصفة والأثر واحد منها لأنه عرض، ولو كان من نوع موصوفه كان واحداً من عشرة، فافهم.

۞[الماهيَّة في الواقع وفي نفس الأمر؛ موجودة بوجودٍ آخر]:

قلتُ: (أَمَّا فِي الحَقِيْقَةِ المُطَابِقَةِ للوَاقِعِ: فَهِي مَوْجُوْدَةٌ بِوُجُوْدٍ آخَر، مُسْتَقِلٌّ فِي نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ مُتَرَتِّباً عَلَى الأَوَّلِ، فَإِنَّ نِسْبَةَ وُجُوْدِه إِلَى الأَوَّلِ كَنِسْبَةِ وُجُوْدِ الانْكِسَارِ إِلَى وُجُوْدِ الكَسْرِ، وَذَلِكَ لأَنَّ الأَوَّلَ مِنْ

تَمَامِ قَابلِيَّةِ وُجُوْدِهَا لِلإِيْجَادِ، فَالوُجُوْدُ فِي الأَوَّلِ مَوْجُوْدٌ بِالإِيْجَادِ الَّذِي هُوَ الفِعْلُ، أَوْجَدَهُ بِنَفْسِهِ، لَا بِوُجُوْدٍ مُغَايِرٍ لِنَفْسِهِ).

أقول: إنَّ الماهيَّة في الواقع، وهو الذي خلق الله عليه خلقه، وفي نفس الأمر، وهو الذي قام عليه الدليل القطعي؛ موجودة بوجودٍ آخر، أي: إيجاد آخر غير مابه إيجاد الوجود، وإن كان مترتباً عليه؛ لأنه من نوره وشعاعه كما تقدَّم.

فإنَّ نسبة إيجادها إلى إيجاد الوجود كنسبتها إليه، وهو نسبة وجود الانكسار إلى وجود الكسر، وذلك لأنَّ وجود الوجود من تمام قابلية الماهيَّة للإيجاد، فهو لها كالجوهر للعرض، فالوجود أحدثه الفعل بنفسه، لا بوجود آخر؛ لأنه هو المادَّة، والمادَّة لم تكن موجودة بمادَّة أخرى بل بنفسها، بخلاف الماهيَّة فإنَّها موجودة بالوجود.

هكذا قالوا، وأنا أبيِّن لك ما هو الواقع: وهو أنَّ الماهيَّة موجودة بنفسها كما في الوجود، لكن لَمَّا كان الوجود في الحقيقة هو المادَّة؛ كان مادتها نفسها، فيكون وجودها مادتها، وهي نفسها، وهي ماهيته.

فإن قلتَ: أنها موجودة بالوجود.

فهو صحيح، بمعنى: أنَّ مادتها موجودة به، وهي ماهيته.

وإن قلتَ: أنها موجودة بنفسها كما في الوجود.

فهو صحيح، بمعنى: أنَّ ماهيتها بنفسها.

فقولي: (فالوجود في الأوَّل)، أي: في الوجود وهو نفسه؛ لأنه هو المادَّة، وهو محدث بالإيجاد الذي هو فعل الله، والوجود في الثاني كما يأتي، أي: في الماهيَّة وهو نفسها.

۞[الوجود والماهية كرتان]:

قلتُ: (إنَّ إيْجَادَهُ بنفْسه إدَارَته بنفْسه كُرَة تَدُوْر عَلَى نُقْطَةٍ هِيَ الحَرَكَة الكَوْنيَّة منَ الفعْلِ، وَالكُرَةُ الظَّاهِرَة تَدُوْرُ عَلَى خلَاف التَّوَالي، وَالبَاطنَةُ عَلَى التَّوَالي، وَفي الثَّاني مَوْجُوْد بنُوْرِ إيْجَادِ الأَوَّل منَ الفعْلِ، وَهُوَ نُقْطَةٌ تَدُوْرُ نَفْس المَاهيَّة عَلَيْهَا عَلَى خلَاف التَّوَالي، وَالمَاهيَّةُ تَدُوْرُ عَلَى نَفْسهَا عَلَى خلَاف هَيْئَتهَا، وَخلَاف التَّوَالي، وَعَلَى الوُجُوْدِ في جهَةِ غَيْرِ جهَتهِ).

أقول: يعني؛ أنَّ إيجاده بنفسه عبارة عن إدارته في إحداثه على نفسه كرة تدور في استمدادها من علتها على كرة هي علتها، وهذه العلَّة في استمدادها من علتها تدور على علتها التي هي علَّة العلَّة، وهي نقطة، وهي الحركة الكونية، أي: التكوينية من الفعل، وهي الفعل الخاص بها من الفعل الكلِّي.

والكرة الظاهرة -أعني: الوجود-: يدور على التَّوالي من جهة كونه مطيعاً في رتبة المعلولية، وعلى خلاف التَّوالي بالنسبة إلى رتبة العلَّة؛ لأن العلَّة تدور بمعلولها على التَّوالي.

والكرة الباطنة -أي: العلّة-: وهي نفس الوجود تدور على التّوالي بالنسبة إلى معلولها، وهي الكرة الظاهرة والكرة الباطنة بالنسبة إلى علتها، أعني: الحركة التكوينية تدور في استمدادها منها على خلاف التّوالي؛ لأنها مفعول، والحركة التكوينية فاعل.

وأمّا من حيث المطابقة -أي: مطابقة المعلول لعلّته-: فالظاهرة مطابقة للباطنة، والباطنة مطابقة للحركة التكوينية، وكلها جارية على التّوالي، فخلاف التّوالي فيهما -أعني: الظاهرة والباطنة- إضافي.

والمراد بالتّوالي: ما جرى على مقتضى طبيعة مؤثّره، فإنّه حينئذٍ جارٍ على النظام الطبيعي، ولا ريب أنّ الوجود ونفسه الاعتبارية اللّذان ليسا شيئاً غيره والحركة الإيجادية؛ كلها جارية على كمال النّظم الطبيعي.

وقولي: (وفي الثاني)، أي: وفي الماهيَّة، (أنها موجودة بنور إيجاد الأول)، أي: الوجود (من الفعل)، وهذا النور تدور نفس الماهيَّة الاعتبارية التي هي الماهيَّة في نفس الأمر عليه على خلاف التّوالي؛ لأنها على خلاف مقتضى ذلك النور، فجرت على غير النظم الطبيعي.

والماهيَّة في استمدادها من نفسها تدور على خلاف التّوالي، وعلى خلاف هيئتها، أي: هيئة نفسها، فتخالف هيئتها، وتخالف علّتها، وتخالف التّوالي، وتدور على الوجود في جهة غير جهته؛ لأنها خلقت من نفسه من حيث النفس لا من حيث جهته التي هي جهة إلى فعل الله.

فاستدارتها معوجَّة لا تنطبق على شيء من الحق، حتى الفعل الذي حدثت به؛ لأنّ استدارته -أي: الفعل- على إيجاد المستقيم والمعوج

مستقيمة، فإذا دار على المستقيم كالوجود كانت استدارته عليه مستقيمة؛ لانطباقها على مقتضى الوجود، وإذا دار على المعوج كالماهيَّة كانت استدارته عليها مستقيمة؛ لانطابقها على ما اقتضته من الاعوجاج من غير زيادة ولا نقيصة، بل لو جرت على خلاف مقتضى الماهيَّة بحيث تكون جارية على مقتضى الماهيَّة بحيث تكون جارية على مقتضى نفس الفعل -أي: ذاته- حال إيجاد الماهيَّة؛ لكانت استدارة الفعل في نفسها معوجَّة، حيث تعلَّقت على خلاف ما تعلقت به.

قلتُ: (فَحَصَلَ مِنَ الوُجُوْدِ وَالَمَاهِيَّةِ كُرَتَان مُتَدَاخِلَتَان فِي الأَجْزَاء، مُتَمَازِجَتَانِ فِي الذَّرَّات، مُتَقَابِلَتَانِ فِي السُّطُوْحِ، مُخْتَلِفَتَان فِي الدَّوَرَان، وَتَمَازُجِهِمَا مِنْ غَيْرِ اسْتِهْلَاكِ شَيْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِمَا وَذَرَّاتِهِمَا فِي الآخَر، وَلا اسْتِبَانَةَ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا فِي الاعْتِبَارِ وَالأَفْعَالِ وَالَمِيْلِ؛ لِاخْتِلَافِ الشَّهْوَتَيْن، لِتَعَانُدِ الذَّاتَيْن).

أقول: قد تقدَّم فيما ذكرنا ما يدل على هذا الكلام، فتمامه: أنَّ كُلّاً من الوجود والماهيَّة كرة، ولمَّا كان الشيء مركباً منهما، وكان وجود كل واحد منهما شرطاً لتحقق الآخر وظهوره؛ كانا متداخلين في الأجزاء، لتحقق الوحدة في المركب منهما، وإن كان كل واحدة من هاتين الكرتين متمازجتان في الذرات؛ لأنَّ كل واحدة قد ملأت محل ظهورها، فإذا ملأت واحدة ذلك المحل في جميع ذرات أجزائه، والمفروض أنها جزء شيء واحد؛ وجب أن تكون الكرة الثانية تحل في ذلك المحل

وتملؤه كما تملؤه على فرض الاستقلال، فيجب أن تتداخل أجزاؤهما؛ لأنّ كل واحدة قد ملأت جميع أجزاء ذلك المكان.

ولمّا كانتا مختلفتين متضادتين في المبدء والكنه؛ كانت أجزاء كل واحدة منهما متوجهة إلى مبدئهما، كالسِّراج إذا شعَّلته في الشَّمس، فإنّ المحل الذي هو الهواء من الكرة البخارية كان جميع أجزائه مملؤة من نور الشَّمس، بحيث لم يبق جزء منه إلا وهو مشغول بشعاع الشَّمس، ومملؤ من نور السِّراج، بحيث لم يبق جزء منه إلا وهو مشغول بنور السِّراج، إلا أنّ جميع أجزاء نور الشَّمس متوجهة إلى جرم الشَّمس المنير، وجميع أجزاء نور السِّراج متوجِّهةٌ إلى جُرم السِّراج، ولابد أن تكونا متقابلتي السُّطوح، مختلفين في الدَّوران؛ لأنّ هاتين الصفتين من لوازم التضاد، ولابد أن تكونا متمازجتين في الأجزاء؛ لأنّ ذلك من لوازم وحدة المركب منهما، وأن تكون التمازج من غير استهلاك شيء منهما في آخر؛ لأنّ ذلك من لوازم تباين المبدء وتمايزه، إذا كانت الأجزاء قائمة بذلك المبدء قيام صدور، وأن يكون ذلك التَّمازج من غير استبانة شيء من شيء، ولا استهلاك شيء من شيء؛ لأنّ ذلك من لوازم ملء المحل بكل واحد من شيئين متبايني المبدء، بحيث قد قام كل واحد بمبدئه قيام صدور.

وقولي: (إلا في الاعتبار)، يعني: عند ملاحظة كون كل واحد قائماً بمبدأه قيام صدور.

(وفي الأفعال)؛ فإنَّها تصدر متميزة، بحيث أنّ كل فعل لا يصح أن يصدر عن الآخر، فيكون مستبينة بعضها من بعض.

(وفي الميول)، جمع: ميل، فإنَّها تتمايز لتمايز مبدئها، فإنَّ الوجود خير ويميل إلى كل خير، والماهيَّة شرٌّ وتميل إلى كلِّ شر؛ لأنَّ كل واحد منهما شهوته فيما هو من نوعه فيميل إليه، فتختلف الميول لاختلاف الشهوتين.

ولهذا قلتُ: (لتعاند الذَّاتين)، أي: تضادهما.

[كرتي الوجود والماهية على هيئة مخروط]:

قلتُ: (وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنَ النُّقْطَةِ الكَوْنِيَّةِ كَانَ أَنْوَر؛ لِغَلَبَةِ الوُجُوْدِ، وَكُلَّمَا بَعُدَ كَانَ أَشَدَّ ظُلْمَةً؛ لِغَلَبَةِ المَاهِيَّةِ، حَتَّى تَنْتَهِي الشِّدَّة وَالضَّعْف إِلَى نُقطَةِ الحَرَكَةِ الكَوْنِيَّة، وَإِلَى مُحَدَّب الكُرَة، فَتَنْتَهِي الظُّلْمَة فِي جِهَةِ الحَرَكَة الكَوْنِيَّة إِلَى نُقطَة عِنْد وَجْه الحَرَكَة الكَوْنِيَّة، فَتَبْعُد مُنْفَرِجَة عَلَى هَيْئَة مُخْرُوْطَة قَاعِدَته مُحَدَّب الكُرَة الظَّاهِرَة، وَيَنْتَهِي النُّوْر فِي جِهَةِ مُحَدَّبِ الكُرَةِ إِلَى نُقطَة عَلَى هَيْئَة مَخْرُوْط قَاعِدَتِه عِنْد وَجْه الحَرَكَة الكَوْنِيَّة).

أقول: أنَّ الوجود الذي هو النور كرة، والماهيَّة التي هي الظلمة كرة، وكل منهما بنسبة بعض أجزائهما إلى بعض في الشِّدَّة والضَّعف على هيئة مخروط، والوجود قاعدة مخروطته عند وجه علته، أعني: الحركة الكونية، فكلَّما قرب من أجزائه من الحركة الكونية كان أشد نوراً؛ لغلبة الوجود، أعني: الإفاضة من الفعل، الذي هو الحركة الكونية، ونعني بها: الحركة التكوينية كما مرَّ، وكلَّما بعد عنها كان أضعف، حتى ينتهي إلى

نقطة، وهذا في الشِّدَّة والضَّعف لا في الحجم، بل الأمر في الحجم على العكس في الظاهر.

ومثاله: مثل أشعة السِّراج، فإنّ نور السِّراج كهيئة مخروط قاعدته عند شُعلة السِّراج، وكلّما بَعُدَ ضعف، حتى ينتهي إلى نقطة فيعدم، وفي الظاهر على العكس، فإنّ التي عند السِّراج هي الصغيرة الحجم، وكلّما بعدت الأشعة اتَّسعت دائرة كرها.

وفي الحقيقة: لو جمعت آخره وهو أعظم دائرة كرته وأوسعها حتى يكون مُساوياً للأشعة التي عند شعلة السِّراج في شدة الإضاءة؛ كان جميع ما جمعت نقطة لا تنقسم بالنسبة إلى ما عند الشعلة، فكانت ماهيَّة مخروط قاعدته عند شعلة السِّراج ورأسه المنتهي إلى نقطة هي ما تنتهي إليه في جهة البعد.

والماهيَّة كهيئة مخروط في الشِّدَّة والضَّعف كما ذكرنا في الوجود، وفي مثاله من أشعة السِّراج، لا في الحجم الظاهر؛ لأنهما في الظاهر كرتان متداخلتان، وأمَّا في الشِّدَّة والضَّعف فهما مخروطان متقابلان، فمخروط الوجود والنور قاعدته عند مبدئه، وينتهي إلى نقطة هي غاية بعده عن المبدء، ومخروط الماهيَّة والظلمة قاعدته عند غاية بعد الوجود والنور عن المبدء، ورأسه ينتهي إلى نقطة هي غاية قربه من مبدء الوجود والنور، فمخروط النور ينتهي ضعفه إلى محدَّب كرة الظلمة التي هي قاعدة مخروطها بنقطة، ومخروط الظلمة ينتهي ضعفه إلى محدَّب كرة النور التي هي قاعدة مخروطه بنقطة، ومبدء الوجود هو الحركة التكوينية.

فقولي: (إلى نقطة الحركة الكونية، وإلى محدَّب الكرة)، أُريد به: أنَّ الماهيَّة على هيئة مخروط ينتهي رأسه إلى نقطة عند نقطة الحركة الكونية، وإن كانت بالعرض، وإلى محدَّب الكرة، أي: كرة الوجود، أعني: قاعدة مخروطه.

وكل ذلك في الشِّدَّة والضَّعف لا في الحجم، إذ هما في الحجم متساويان؛ لأنَّ صورهما عند اجتماعهما في الشيء المركب منهما صورة كرة واحدة، فأقوى النور في تلك الكرة غاية باطنها التي هي عند الحركة التكوينية؛ لأنَّ المحدَّب كرة مجوَّفة ونقطة قطبه وسطه، وهو عند علته التي هي الحركة التكوينية، وكلَّما بَعُدَ النور عن باطنها ضعف، حتى ينتهي إلى محدَّب الكرة بنقطة منه، وأضعف الظلمة نقطة منها عند أقوى النور يتقوَّم بها، وكلَّما بعدت قويت بعكس النور، حتى تنتهي إلى ظاهر الكرة ومحدَّبها فتقوى الظلمة.

وهو قولي: (قاعدته محدَّب الكرة الظاهرة).

۞[الكرتان الممتزجتان تدوران في الخلق بثلاث حركات]:

قلتُ: (فَتَدُوْرُ الكُرَتَان المُمْتَزِجَتَان عَلَى وَجْهِ الحَرَكَةِ الكَوْنِيَّةِ فِي الخَلْقِ تَحْتَ الحِجَابِ الأَحْمَرِ بِثَلَاثِ حَرَكَات أَبَداً:

حَرَكَةُ الوُجُوْدِ الذَّاتِيَّة عَلَى التَّوَالِي.

وَحَرَكَةُ المَاهِيَّةِ الذَّاتِيَّة عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي.

وَالحَرَكَة الثَّالثَة عَرَضيَّة؛ فَفِي حَالِ الطَّاعَة تَدُوْرُ المَاهيَّة بِالحَرَكَة العَرَضيَّة عَلَى التَّوَالِي، وَبِحَرَكَتِهَا الذَّاتيَّة عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَفِي حَال المَعْصيَة يَدُوْرُ الوُجُوْدُ بِالحَرَكَةِ العَرَضِيَّة عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَبِحَرَكَتِهِ الذَّاتيَّةِ عَلَى التَّوَالِي).

أقول: الكراتان الممتزجتان، يعني: في تركيب المكلّف مثلاً؛ وهما الوجود والماهيَّة، وهما يدوران على الحركة الكونية، أعني: علتها في الخلق، أي: في قابليتهما للفعل الإيجادي، وهو الخلق الثاني تحت الحجاب الأحمر، وهو الرُّوح الذي على ملائكة الحجب، وهو ركن العرش الأيسر الأسفل -أي: الظاهر- وهو يؤدي إلى جبرائيل، وجبرائيل يخدمه فيما يتلقى منه في جميع إيجادات الغيب والشهادة؛ بثلاث حركات أبداً، يعني: أنَّ الكرتين، أعني: وجود الشيء وماهيته يقبلان الإمدادات والتكونات من الحركة الكونية بواسطة حاملها وهو جبرائيل عليه السلام وأعوانه بثلاث حركات، وهي بيان لكيفية القبول من العلة، فإنَّهما في القبول منهما يدوران عليها بثلاث حركات دائماً في كل تكوُّن، سواء كان في إيجاد ذات أو صفة لازمة أو غير لازمة، كالأعمال والأقوال.

الأولى: حركة الوجود الذاتية على التَّوالي في تكوُّن سائر الخيرات من الأفعال والأقوال، والاعتقادات وغيرها، من الذوات التي هي ثمرتها.

والثانية: حركة الماهيَّة حينئذ الذاتية على خلاف التَّوالي، كما هو مقتضى ذاتها.

والثالثة: حركة عرضيَّة، ففي الخيرات تكون العرضيَّة من الماهيَّة؛ لأنها لذاتها لا تدور على الخيرات، ولكن إذا ترجح جانب الوجود في طلبه للخيرات والطاعات وجب عليها متابعته بالعرض، إذ لو لم تتبعه انفكَّ التركيب الذي به تقوّم المكلَّف، وإذا انفكَّ بطل المركب -أعني: المكلَّف- ويفنى ويضمحل، وإذا ترجَّح جانب الماهيَّة في طلبها للشرور والمعاصي؛ وجب على الوجود متابعتها بالعرض، إذ لو لم يتبعها انفكَّ التركيب كما ذكرنا.

ففي حال الطَّاعة تدور الماهيَّة عليها بالعرض على التَّوالي، وتدور بحركتها الذاتية على خلاف التَّوالي على نفسها، بمعنى: أنها غير قابلة للطاعة برضاها، بل مكرهة، أكرهها على الطاعة الوجود وجنوده من العقل والملائكة، فتابعته على الطاعة بالعرض، وفي حال المعصية يدور الوجود عليها بالعرض على خلاف التَّوالي، ويدور بحركتها الذاتية على التَّوالي على ربه، أي: على أمر ربه، بمعنى: أنه غير قابل للمعصية برضاه، وإنما أكرهته على المعصية الماهيَّة وجنودها من النفس الأمَّارة والشياطين، فتابعها على المعصية بالعرض.

ولا يزال يقوى الغالب منهما حتى ينعدم اعتبار المغلوب، فإذا استقرَّ على ذلك تغيَّرت حقيقته، فكان أخاً للغالب يدور معه حيث ما دار، فإنَّ كان الغالب الوجود؛ كانت الماهيَّة أُختاً له، تحبُّ ما يحبُّ وتكره ما يكره، فحينئذٍ تدور على التَّوالي برضاها، وإن كان الغالب هو الماهيَّة؛ كان الوجود أخاً لها، يحبُّ ماتحبُّ من المعاصي، ويُكره ما تكره من

الطاعات، فحينئذٍ يدور على خلاف التَّوالي بمحبته ورضاه، فتكون الماهيَّة في الأول نوراً ليس فيها من الظلمة إلا ما يمسك حقيقتها، وإليه الإشارة بقول الصادق عليه السلام على ما رواه في الكافي في حديث معراج النبي صلى الله عليه وآله قال: «**فَكَانَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ يَتَلَأْلَأُ بِخَفْق**»، ولا أعلمه إلا وقد قال: «**زَبَرْجَد**»[1].

(١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ؛ سَأَلَ أَبُو بَصِيرٍ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَنَا حَاضِرٌ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، كَمْ عُرِجَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟.

فَقَالَ: «**مَرَّتَيْنِ، فَأَوْقَفَهُ جَبْرَئِيلُ مَوْقِفاً فَقَالَ لَهُ: مَكَانَكَ يَا مُحَمَّدُ، فَلَقَدْ وَقَفْتَ مَوْقِفاً مَا وَقَفَهُ مَلَكٌ قَطُّ وَلَا نَبِيٌّ، إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّي.**

فَقَالَ: يَا جَبْرَئِيلُ!، وَكَيْفَ يُصَلِّي.

قَالَ: يَقُولُ "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، أَنَا رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي".

فَقَالَ: اللَّهُمَّ عَفْوَكَ عَفْوَكَ.

قَالَ: وَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[سورة النجم، الآية: ٩].

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَصِيرٍ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى؟.

قَالَ: مَا بَيْنَ سِيَتِهَا إِلَى رَأْسِهَا، فَقَالَ: كَانَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ يَتَلَأْلَأُ يَخْفِقُ.

وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا وَقَدْ قَالَ: زَبَرْجَدٌ، **فَنَظَرَ فِي مِثْلِ سَمِّ الْإِبْرَةِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ نُورِ الْعَظَمَةِ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: لَبَّيْكَ رَبِّي.**

قَالَ: مَنْ لِأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ؟. قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ.

←....

وهذا الحجاب: هو ما بقي فيه من الماهيَّة، فإنَّها لمَّا استولت عليها الأنوار تلاشت ظلمتها، حتى لم يبق منها إلا كالزرقة السَّماوية، وذلك حين استولى النور على ظلمة ذاتها بقي من الظلمة ما يُمسك كنهها، فكان من بقية الظلمة مع النور زرقة عبَّر عن قلة الظلمة بقوله عليه السلام: «**يَتَلَألَأ بِخَفْق**»، أي: باضطراب، يكاد تفنى، ويكون الوجود في الثاني ظلمة، ليس فيه من النور إلا ما يمسك كنهه، ويأتي تتمَّة هذا الكلام.

۞[سرعة وبطء تلك الحركات]:

قلتُ: (فَإِذَا تَتَابَعَت الطَّاعَات ضَعُفَتْ حَرَكَة المَاهِيَّة الذَّاتيَّة وَأَبْطَأَتْ، وَأَسْرَعَتْ عَرَضِيَّتهَا، وَإِذَا تَتَابَعَتْ المَعَاصِي ضَعُفَت حَرَكَة الوُجُوْدِ الذَّاتيَّة وَأَبْطَأَتْ، وَأَسْرَعَتْ عَرَضِيَّته؛ وَلِأَجْلِ أَنَّ الحَرَكَةَ الذَّاتيَّة لَا تَتْبَع الذَّاتيَّة أَبداً، وَإِنَّمَا تَتْبَع بِالعَرَضِيَّة؛ ثَقُلَت الطَّاعَة وَالمَعْصِيَة لِحُصُوْلِ التَّعَاكُسِ، حَتَّى يَفْنَى اعْتِبَارُ أَحَدِهِمَا لِمَيْلِه، فَيَخُفّ مُقْتَضَى المَوْجُوْد المَيْل).

←...

قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبو عَبْد اللَّه عليه السلام لِأَبِي بَصِيرٍ: يَا أَبَا مُحَمَّد، وَاللَّه مَا جَاءَتْ وَلَايَةُ عَلِيٍّ عليه السلام مِنَ الْأَرْضِ، وَلَكِنْ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ مُشَافَهَةً». [الكافي، ج: ١، ص: ٤٤٢-٤٤٣. بحار الأنوار، ج: ١٨، ص: ٣٠٦].

أقول: فإذا تتابعت الطاعات من المكلّف ضعفت حركة الماهيَّة الذاتية، أعني: ميلها الذاتي على خلاف التَّوالي؛ لِعَدم استمدادها من نوعها، وأبطأت في استدارتها على نفسها؛ لضعف ذاتيتها، وأسرعت عرضيتها؛ لأنها تدور مع الوجود على التَّوالي تبعاً له؛ لأنها حينئذٍ من الكلاب المعلَّمة؛ لأنَّ الوجود علَّمها مما علَّمه الله، وإذا تتابعت المعاصي ضعفت حركة الوجود الذاتية، التي هي ميله الذاتي، ودورانه على ربه، وذلك لعدم استمدادها من نوعه من أنواع الخيرات والطاعات، وأبطأت في استدارته على ربِّه، وأسرعت عرضيته، وهي حركته واستدارته مع الماهيَّة على خلاف التَّوالي؛ لوجود ميل الماهيَّة وقوته، فيتبعه ميل الوجود لضعفه، وهذا ظاهر.

ولأجل أنَّ الحركة الذاتية سواء كانت من الوجود أو الماهيَّة لا تتبع ذاتية الآخر أبداً؛ لعدم انقلابه إلى نوع الآخر، إذ لو انقلبت الوجود عند استيلاء الماهيَّة بدوام الماعصي إلى الماهيَّة، أو انقلبت الماهيَّة عند استيلاء الوجود بدوام الطاعات إلى الوجود؛ لم يبق في الشيء الذي هو المكلَّف تركيب، وهو مُوجب لفنائه لِمَا ذكرنا مراراً.

فوجب أن يكون الميل الذتي من كل واحد منهما جارياً على طبيعته، وإن كان قد يضعف ويبطى عند قوة ضده وغلبته عليه؛ لأنه لابد من بقاء شيء من الضد الضعيف، به يحفظ الضد القوي عن الاضمحلال، ويبقى لذلك الميل الضعيف حركة على وجهه، ولو بأقل قليل، فلا تتبع

الحركة الذاتية حركة الضد الذاتية أبداً، أي: ما دام المركَّب من الضدين شيئاً موجوداً، وإنما تتبع حركة التابع العرضيَّة حركة المتبوع الذاتية.

ولأجل أنَّ الذاتية لا تتبع ذاتية الضد؛ كان ميل الماهيَّة الذاتي في كل حال لم يعدم أصلاً عند غلبة الوجود واستيلائه بدوام الطاعات، وميل الوجود الذاتي كذلك لم يعدم أصلاً عند غلبة الماهيَّة واستيلائها بدوام المعاصي.

ولأجل بقاء الميل التابع لذاته حال متابعته لضده؛ ثقلت الطاعة والمعصية، فثقلت الطاعة لوجود حركة الماهيَّة الذاتية على خلاف الطاعة في حال الطاعة، وثقلت المعصية لوجود حركة الوجود الذاتية على خلاف المعصية في حال المعصية لحصول التعاكس في الجملة، وإن ضعف المعاكس ولا يزال حكمها كذلك، أعني: ثقل المعصية على المطيع والعاصي، وثقل الطاعة على العاصي والمطيع؛ حتى يفنى اعتبار كل واحد من الوجود والماهيَّة لميله عند غلبة الآخر، فيفنى اعتبار ميل الماهيَّة عند استقرار غلبة الوجود بطاعات الله سبحانه، ويفنى اعتبار ميل الوجود عند استقرار الماهيَّة بمعاصي الله عز وجل فيخف مقتضى الموجود الميل أي: يخف حينئذٍ مقتضى الذي يكون ميله موجوداً.

فإن كان هو الوجود، خَفّ مقتضاه من الطاعات؛ لوجود ميله التام إليها، وعدم ميل الماهيَّة في عكسه، وإنما بقي من ميلها لنفسها قدر ما يحفظ وجودها عن الاضمحلال، وليس لها منه استمداد، وإنما يستمد من دواعي الوجود ومطالبه.

وإن كان الموجود ميله هو الماهيَّة، خَفَّ مقتضاها من المعاصي؛ لوجود ميلها التام إليها، مع عدم ميل الوجود في عكسها، إذ لم يبق له من الميل إلا قدر ما يحفظ به نفسه عن الاضمحلال، وليس له منه استمداد، وإنما استمداده حينئذٍ من دواعي الماهيَّة ومطالبها القبيحة.

۞[الكرتان الممتزجتان تدوران في الرِّزق بثلاث حركات]:

قلتُ: (**وَتَدُوْرُ الكُرَتَانِ عَلَى وَجْهِ الحَرَكَةِ الكَوْنِيَّةِ فِي الرِّزْقِ تَحْتَ الحِجَابِ الأَبْيَضِ بِثَلَاثِ حَرَكَاتٍ:**

حَرَكَةُ الوُجُوْدِ الذَّاتِيَّةِ لِمَدَدِ الرِّزْقِ عَلَى التَّوَالِي.

وَحَرَكَةُ المَاهِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ لِمَدَدِ الحِرْمَانِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي.

وَالحَرَكَةُ الثَّالِثَةُ عَرَضِيَّةٌ؛ فَفِي حَالِ الرِّزْقِ تَدُوْرُ المَاهِيَّةُ بِالحَرَكَاتِ العَرَضِيَّةِ عَلَى التَّوَالِي، وَبِالذَّاتِيَّةِ بِالعَكْسِ، وَفِي حَالِ الحِرْمَانِ يَدُوْرُ الوُجُوْدُ بِالعَرَضِيَّةِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي، وَبِالذَّاتِيَّةِ بِالعَكْسِ).

أقول: أيضاً تدور الكرتان؛ كرة الوجود، وكرة الماهيَّة، بحركة ميل كل منهما على وجه الحركة الكونية؛ لاستمدادها منه في الرِّزق، كل واحد من نوع رزقه.

فرزق الوجود: إمدادٌ وجودي، كأنوار المعارف الإلهية، والمعاني العقلية، والصُّور العلمية، والقوى الحيوانية، كروح الشهوة، وروح المدرج، وروح القوَّة، وكالأرزاق الجسمانية.

ورزق الماهيَّة: مدد عدمي، بمعنى: أنَّ أصله من المخلوق، وذلك كمدد الإنكارات بعد البيان القطعي، والدَّعاوى الباطلة من الجهل المركب، والأوهام السِّجِّينيَّة؛ لأنها من كتاب الفجار سجين، والقوى النَّفسانية، والأرزاق المحرَّمة.

وذلك هو ما قُسِّم لهما، فقُسِّم للوجود وأعوانه أرزاقاً محتومة بمقتضى فطرته، وأرزاقاً مشروطة بوجود قابليته، بما أمر به هو وأعوانه، وقُسِّم للماهيَّة مدداً لها ولأعوانها بمقتضى قابليتها، ومدداً بمقتضى أعمالها الصُّورية، وصورها الوهمية، وأوهامها الإنكارية.

وذلك تحت الحجاب الأبيض، الذي هو ركن العرش الأيمن النَّوراني الأعلى الباطني؛ لأنه مصدر الأرزاق، وهو على صراطٍ مستقيم، ويقتضي لذاته الخيرات، وتختلف تعلقاته باختلاف متعلقاتها، ويجري فيه قضاء السُّوء، بسبب قابلية المتعلق السَّيء، فيدور كل قابل منه على وجه استمداده منه مطلقاً -أي: سواء كان القابل الوجود أو الماهيَّة- بثلاث حركات:

حركة الوجود الذاتية لمدد الرِّزق، أي: طلب الإمداد، وهو استمداده من وجه الحجاب الأبيض على التَّوالي.

وحركة الماهيَّة الذاتية لمدد الحرمان على وجه استمدادها، على خلاف التَّوالي.

والحركة الثالثة عرضيَّة كما مَرَّ، ففي حال الرِّزق باستمداد الوجود تدور حركة الماهيَّة العرضيَّة على التَّوالي لتبعية الوجود؛ لغلبته لها، فتتبعه وتدور بالذاتية على خلاف التَّوالي لمقتضى طبعها.

وفي حال الحرمان من الرِّزق المذكور سابقاً في شيء من أنواعه، أو في فرد من نوع من أنواعه؛ تدور على خلاف التَّوالي لموافقة طبعها، ويدور الوجود حينئذٍ -أي: حين كونه مغلوباً بحركة العرضيَّة- على خلاف التَّوالي؛ لأنه تابع، وعلى التَّوالي بحركته الذاتية بمقتضى طبعه كما مَرَّ، واستمداد كل تابع حال التابعية من كسب المتبوع.

وفي هذه الدَّواعي والمطالب والحركات من الطرفين أسرارٌ يطول بذكر تفصيلها الكلام، والله يرزق من يشاء بغير حساب، وقد ذكرنا كثيراً منها في هذا الشرح مُفرِّقاً، فتفقَّده تجده في محلِّه، وذلك ما يترتب في الخلق والرِّزق، والحياة والممات، ويتوقَّف بعض منها على بعض، وينشأ بعض من بعض، كالشرعيات الوجودية، والوجودات الشَّرعيَّة.

۞[الكرتان الممتزجتان تدوران في الموت بثلاث حركات]:

قلتُ: (وَتَدُوْرُ الكُرَتَانِ عَلَى وَجْهِ الحَرَكَةِ الكَوْنِيَّةِ تَحْتَ الحِجَابِ الأَخْضَرِ بِثَلَاثِ حَرَكَاتٍ فِي المَوْتِ:

حَرَكَةُ الوُجُوْدِ الذَّاتِيَّةِ عَلَى خِلَافِ التَّوَالِي.

وَحَرَكَةُ المَاهِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ عَلَى التَّوَالِي.

وَعَرَضِيَّتِهِمَا عَلَى العَكْسِ).

أقول: إنَّ الكرتين -أعني: الوجود والماهيَّة- تدوران على وجه الحركة الكونية، الذي هو مصدر مددهما، وخزانة إمدادهما تحت الحجاب الأخضر، الذي هو اللَّوح المحفوظ، وهو ركن العرش الأيسر الجسماني الأعلى الباطني عند موت كل كلِّي أو جزئي، أو كل أو جزء بثلاث حركات:

حركة الوجود الذاتية على خلاف التَّوالي؛ لأنَّ الموت خلاف الحياة.

وحركة الماهيَّة الذاتية على التَّوالي؛ لتوافق الماهيَّة للموت في الأصل العدمي.

وعرضيَّتهما -أي: عرضيَّة حركة الوجود والماهيَّة- على العكس.

فعرضيَّة حركة الوجود على التَّوالي لمتابعتها لذاتية الماهيَّة، وعرضيَّة حركة الماهيَّة على خلاف التَّوالي لمتابعتها لذاتية الوجود.

۞[الكرتان الممتزجتان تدوران في الحياة بثلاث حركات]:

قلتُ: (وَتَدُوْرُ الكُرَتَانِ عَلَى وَجْهِ الحَرَكَةِ الكَوْنِيَّةِ فِي الحَيَاة، تَحْتَ الحِجَابِ الأَصْفَرِ بِثَلَاثِ حَرَكَاتٍ، كَلٌّ وَاحِدَةٍ بِعَكْسِهَا فِي المَوْتِ فِي الذَّاتِيَّةِ وَالعَرَضِيَّةِ).

أقول: أنَّ الكرتين -أعني: الوجود والماهيَّة- تدوران في كلِّ كلِّي أو جزئي، أو كلّ أو جزء على وجه الحركة الكونية في قبولهما منها في الحياة، التي هي ضد الموت تحت الحجاب الأصفر، أي: الرُّكن الأيمن النَّوراني الأسفل الظاهري من العرش، وهو الروح من أمر الله، التي قال

تعالى في الإشارة إلى ذكره: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[١]، بثلاث حركات -كما مَرَّ في نظائره-:

فيدور الوجود على علته في قبول الحياة بحركته الذاتية عليها على التَّوالي.

وتدور الماهيَّة عليها بعكس دوران الوجود عليها في الذاتيات والعرضيات، وهذا يُعرف مما تقدَّم.

[اثنتا عشرة حركة للوجود والماهية]:

قلتُ: (فَكَانَ لِلوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّةِ فِي مَرَاتِبِ الوُجُوْدِ الأَرْبَعَةِ الَّتِي بَنَى اللهُ عَلَيْهَا العَرْش، وَتَجَلَّى الرَّحْمَن بِأَفْعَاله عَلَى العَرْشِ بِهَا، وَهِيَ: الخَلْقُ وَالرِّزْقُ، وَالمَوْتُ وَالحَيَاةُ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[٢]؛ اثْنَتَا عَشَرَةَ حَرَكَة، ثَمَان ذَاتِيَّات، وَأَرْبَع عَرَضِيَّات فِي عَالَمِ المَعَانِي عَالَم الجَبَرُوْت).

أقول: هذا مجمل ما تقدَّم ذكره من الإشارة إلى الحركات الصادرة من الوجود والماهيَّة في قبول آثار مصادر الخلق والرِّزق والحياة والممات، وهو أنَّ الحركات الصَّادرة من الوجود والماهيَّة في تلقيهما من المبدء الفياض وقبولهما منه في الأركان الأربعة: الخلق والرِّزق، والموت والحياة؛

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٩، وسورة ص، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٠.

اثنتا عشرة حركة، في كل ركن من أركان الكون ثلاث حركات، اثنتان ذاتيَّتان، وواحدة عرضيَّة، وذلك في كل ذرَّة من ذارته.

۞[المجموع في العوالم الخمسة ستّين حركة]:

فإذا نسبت هذه الأركان إلى كلّ واحد من العوالم الثلاثة؛ الجبروت، والملكوت، والملك، والبرزخين الذين بينهما، أعني: عالم الرَّقائق، وعالم المثال، إذ في كلّ واحد منهما خلق ورزق وموت وحياة؛ كان مجموع حركاتهما في العوالم الخمسة ستِّين حركة.

وتفصيلها: أنّ لهما في خلق الجبروت -أعني: العقول- ثلاث حركات، وفي رزقها ثلاث، وفي موتها ثلاث، وفي حياتها ثلاث، فهذه اثنتا عشرة حركة، ثمان ذاتيات، وأربع عرضيَّات.

وفي خلق الملكوت -أعني: النُّفوس- ورزقها وموتها وحياتها اثنتا عشرة حركة كذلك.

وفي خلق البرزخ بين هذين العالمين، أعني: عالم الرَّقائق وهي عالم الأرواح ورزقها وموتها وحياتها اثنتي عشرة حركة كذلك.

وفي خلق المُلك -أعني: الأجسام- ورزقها وموتها وحياتها اثني عشر حركة كذلك.

وفي خلق البرزخ بين الأجسام والنُّفوس، وهو عالم المثال، ورزقه وموته وحياته اثنتي عشرة حركة.

فهذه ستُّون حركة، أربعون منها ذاتيات، وعشرون منها عرضيَّات.

وهو معنى ما قلتُ: (وَاثْنَتَا عَشْرَة حَرَكَة كَذَلِكَ فِي عَالَمِ الصُّوَرِ عَالَم المَلَكُوْت اثْنَتَا عَشْرَةَ حَرَكَة كَذَلِكَ فِي عَالَمِ الأَجْسَامِ عَالَم المُلْك، وَفِي عَالَمِ الرَّقَائِقِ عَالَم الأَظِلَّة كَذَلِكَ، وَفِي عَالَمِ الأَشْكَالِ عَالَم المِثَال كَذَلِك، إِلَّا أَنَّ عَرَضِيَّتهمَا فِي عَالَمِ الجَبَرُوْتِ بِالقُوَّةِ، وَفِي عَالَمِ الأَظِلَّةِ بِالتَّهَيُّؤِ، وَفِي مَا دُوْنَ ذَلِكَ بِالفِعْلِ.

فَهَذِهِ سُتُّوْنَ حَرَكَةٍ لِلوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّةِ، مِنْهَا أَرْبَعُوْنَ ذَاتِيَّة، وَعِشْرُوْن عَرَضِيَّة).

أقول: وقد تقدَّم بيان هذه في تفصيل الحركات.

[بيان بعض الألفاظ السابقة]:

بقي فيه بعض الألفاظ ربما يحتاج الناظر فيها إلى بعض البيان، وهي قولنا: (عالم الصُّور عالم الملكوت)، والمراد بالصُّور هنا: الصُّور الجوهرية، وهي المتقوِّمة في تعلُّقها ووجودها بالمادَّة، بخلاف الصُّورة المثالية، فإنَّها في تعلقها لا تحتاج إلى المادَّة، وإن كانت في وجودها تحتاج إلى المادَّة فالصُّور الجوهرية ذوات قائمة بنفسها في الظاهر يعني: أنها متقومة بمادها وصورها، وأمَّا الصُّور المثالية: فهي صفات وأظلة وأشعة للذوات قائمة بغيرها، كما هو شأن الأظلَّة.

وقولنا: (إلا أنَّ عرضيتهما)، أي: الوجود والماهيَّة، (في عالم الجبروت بالقوة وفي عالم الأظلَّة بالتهيؤ..إلخ)، معناه: إذا نسبنا إلى واحد منهما الحركة العرضيَّة إذا كان تابعاً لضده لا تتحقق -أي: العرضيَّة- من

واحد منهما في الحسِّ والتَّميُّز بالفعل في شيء من العالمين، عالم الجبروت، وفي عالم الأظلَّة؛ لشدَّة بساطة عالم الجبروت، فالمغايرة فيه خفية، إلا أنها في الحقيقة منشأ للمغايرة الظاهرة.

فإذن؛ هي عند التعبير عنها مغايرة بالقوة، وفي عالم الأظلَّة الذي هو عالم الأرواح وعالم النفوس بالتهيؤ، يعني: متميِّزة تميُّزاً إجمالياً ضِمْنيّاً؛ لأنَّ المغايرة التي في النفوس والأرواح لم يتميز تميزاً تفصيلياً كما في الأجسام، فإنَّ المغايرة في الأجسام بالفعل ظاهرة متميِّزة، فيكون تميُّز الذاتية من العرضيَّة بحسب ظهور المغايرة وخفائها.

۞[كلٌّ متوجه إلى مبدئه]:

قلتُ: (وَاعْلَم؛ أَنَّ للوُجُوْدِ وَالمَاهِيَّة باعْتبَارِ ذَرَّاتِهِمَا حَرَكَة دَهْرِيَّة غَيْر حَرَكَةِ الكُلِّ، فَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنَ الوُجُوْدِ تَدُوْرُ عَلَى وَجْهِهَا لَا إِلَى جِهَةٍ، وَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنَ المَاهِيَّةِ تَدُوْرُ عَلَى وَجْهِهَا لَا إِلَى جِهَةٍ، وَكَذَلِكَ نِهَايَاتِ كُلٍّ مِنْهُمَا.

وَلِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى المَجْمُوْعِ حُكْمُ فَلَك التَّدْوِيْرِ فِي الحَامِلِ مِنَ الإِسْرَاعِ وَالإِبْطَاء، وَالإِقَامَة وَالرُّجُوْعِ، وَحُكْمُ المَجْمُوْعِ فِي الحَاجَة وَالاسْتِمْدَادِ وَالكُرَوِيَّة، فَكُلٌّ مُتَوَجِّهٌ إِلَى مَبْدَئِه، وَاقِفٌ بِمَسْأَلَته بِبَاب رَبِّه، لَائِذٌ فِي فَقْرِه بِجَنَاب غِنَاه).

أقول: أريد أنَّ لكلِّ واحدٍ من الوجود والماهيَّة هذا الحكم إذا نسب إلى ذرَّة من ذراته من جزء أو جزئي بالنسبة إلى واحد منهما، فإنَّه كلِّي

بالنسبة إلى جزئياته، وذلك مثل وجود زيد بالنسبة إلى عقله ونفسه، وتعقُّله وعلمه، ووهمه وخياله، وفكره وحياته، فإنّ كلّ واحد منها جزئي منه، وباعتبار جزء منه، ومن تلك الذرات جزء الجزء..وهكذا.

فإذا نُسب وجوده إلى واحد من تلك الذرّات، بأن لُوحظ حاله معها، وحالها معه؛ كان له على ذلك الجزء حركة دهرية عقلية، أو روحية أو نفسية، أو طبيعية أو هبائية، وهي حركة الكلّي على جزئيّاته، والكلّ على أجزائه، حركة تقوّمية ركنية، إذ الكلُّ متقوّم بأجزائه، والكلّي كذلك على الأصح.

وكذلك لكلّ ذرَّة من ذراته حركة تدور بها على وجهها منه، وهذا الوجه هو الذي يدور به على هذه الذرَّة؛ لأنّ الوجه هو باب الوجود إلى تلك الذرَّة، وبابها إليه، وكذلك الماهيَّة بالنسبة إلى ذراتها.

وهذه الحركات كلّها دهرية، وذلك كدورة الكلّ على الجزء وبالعكس، والشرط على المشروط وبالعكس، والصِّفة على الموصوف وبالعكس، والفعل على الفاعل وعلى المفعول وبالعكس، والكلّي على الجزئي وبالعكس، وكذلك كلّ منهما كنور النور وصفة الصفة وهكذا وبالعكس، والمثل على نظيره وبالعكس، والضِّد على ضدِّه وبالعكس.. وما أشبه ذلك، سبحانه من **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[1].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

ولكلّ ذرَّة من ذرات الوجود والماهيَّة بالنسبة إلى ما تنسب إليه حكم فلك التدوير الحامل للكوكب في حامل فلك التدوير بالنسبة إلى بادي الرأي، فإنَّه إذا توافقت الحركتان أسرع سير الكواكب؛ وذلك لأنَّ الفلك الأعظم يدور إلى ناحية المغرب، وتداوير المتحيرة أعلاها يدور إلى المشرق، وأسفلها إلى المغرب، فإذا تلاقت حركات أعاليها في نقطة أوجاها[1] مشرقة مع حركة الفلك المحدد مغربة أقامت المتحيرة في بادىء رأي البصر لتعاكس الحركتين وهي الإقامة، وإذا أخذت في دورانها إلى جهة المشرق بحركة تداويرها عرض لها الرجوع والإبطاء؛ لأنَّ الفلك يردها إلى جهة المغرب، وإذا أخذت في دورانها إلى نقطة حضيضها أو إلى نقطة المغرب استقامت واسرعت؛ لموافقة حركتها لحركة الفلك الأعظم.

وهذا مثال حركات ذرَّات كلّ من الوجود والماهيَّة إليه؛ لأنَّ حركة الذرَّة والجزء إذا كانت في نقطة أوجها وهو أعلى أطوار تشخصها وَقَفَتْ وأقامت؛ لأنها قد خرَّت ساجدة بين يدي مبدئها تعالى، وإذا شرعت في التعين رجعت وأبطأت، وإذا كانت في غاية عبوديتها أو توجهت إلى حكم محض تبعيتها استقامت واسرعت؛ لموافقتها لحكم جملتها ومجموعها.

---

(١) من الأوج؛ وهو الارتفاع (مراجعة).

وأيضاً لكلّ ذرَّة من كلّ واحد من الوجود والماهيَّة حكم الكلّ في الحاجة إلى الإمداد، وإلى قيومية علته في التقوُّم وحكم الكروية في استدارها لا إلى جهة كالمجموع.

فكلٌّ -أي: كلُّ واحد من الوجود والماهيَّة ومن ذراهما وأجزائهما وجزئياهما- متوجهٌ إلى مبدئه على الانفراد والاجتماع، أي: متوجه إلى مبدئه ومبدء مبدئه ومبدء جملته..وهكذا، واقفٌ بمسألته بباب ربِّه، لائذٌ في فقره إلى كلّ شيء -مما أشرنا إليه- بجناب غناه؛ لأنه قائم بأمره الفعلي قيام صدور، وبأمره المفعولي قيامَ تحقُّق، أي: قياماً ركنياً.

۞[عرضية كلّ شيء مما ذُكر هي جهة فقره إلى ضدّه]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَم؛ أَنَّ عَرَضِيَّةَ كُلّ شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرْنَا هِيَ جِهَةُ فَقْرِهِ إِلَى ضِدِّهِ، فَعَرَضِيَّةُ الوُجُوْدِ جِهَةُ فَقْرِهِ إِلَى المَاهِيَّةِ فِي الظُّهُوْرِ، وَعَرَضِيَّتُهَا جِهَةُ فَقْرِهَا إِلَى الوُجُوْدِ فِي التَّحَقُّقِ، فَلِهَذَا تَتْبَعُ عَرَضِيَّةُ كُلّ وَاحِدٍ ذَاتِيَّةَ الآخَرِ).

أقول: قد ذكرنا أنَّ الوجود والماهيَّة وذرَّات كلّ واحد بالنسبة إلى ذرَّات الآخر لا ينفك الشيء عن التركيب من ضدين منهما، بأن يتركب بعض الأشياء من وجود وماهيَّة، وبعض الأشياء من جزءيهما، وبعض الأشياء من ذواتين منهما، سواء كان المركب من جوهرين، أم من جوهر وصورة، أم من صورتين.

وذكرنا أنَّ المركَّب مكلَّف، وأنَّ كلَّ مكلَّف لا ينفك في كلِّ فعل أو قول أو عمل عن ثلاث حركات: ذاتيتان، وعرضيَّة.

وهنا ذكرنا: أنَّ عرضيَّة كلّ واحد هي جهة فقره إلى ضده، فلهذا يدور على خلاف مقتضى ذاته، فعرضيَّة الوجود جهة فقره إلى الماهيَّة في الظهور؛ لتوقف ظهوره في عالم الأكوان على الماهيَّة؛ لأنها صورته، ولا يقوم الشيء بدون صورته، وعرضيَّة الماهيَّة جهة فقرها إلى الوجود في التَّحقُّق؛ لتوقف تحققها في الأكوان على الوجود، ومن ثم تتبع عرضيَّة كلّ واحد من الوجود والماهيَّة ذاتية الآخر؛ لِمَا بينهما من التلازم، بحيث لا يستغني أحدهما عن الآخر، لأنه شرطٌ له.

شرح الفائدة الثانية عشر

فِي بَيَانِ ثُبُوْتِ الاخْتِيَارِ



قلتُ:

(الفَائدَةُ الثّانيَة عَشَر
فِي بَيَانِ ثُبُوْتِ الاخْتِيَارِ

اعْلَمْ أَنَّ الاخْتِيَارَ نَشَأَ مِنْ مَيْلِ الوُجُوْدِ إِلَى مَا يُنَاسبُهُ، وَمِنْ مَيْلِ المَاهِيَّةِ إِلَى مَا يُنَاسِبُهَا كَمَا ذَكَرْنَا مِرَاراً، وَهُوَ ذَاتِيٌّ وَفِعْلِيٌّ.

فَالأَوَّلُ: هُوَ اسْتِدَارَةُ الشَّيْءِ بِوَجْهِ افْتِقَارِهِ عَلَى قُطْبِ اسْتِغْنَائِهِ، أَيْ: مَا يطْلب مِنْهُ الاسْتِغْنَاء، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى هَذَا فِيمَا سَبَقَ مِنْ حَرَكَتِهِ عَلَى قُطْبِهِ.

وَالثَّانِي: اسْتِدَارَتُهُ بِآلَاتِهِ عَلَى جِهَةِ قُطْبِهِ لِحَاجَةٍ مِنْ أَحَدِهِمَا).

۞[كل شيء مكلّف، والاختيار شرطٌ لصحة التكليف]:

أقول: إنَّ الاختيار المنسوب إلى المحدثين من المكلّفين، أي: مما يتوجَّه إليه التَّكليف؛ لأنَّ التَّكليف شرط صحته الاختيار، وهو أي: التَّكليف شرطٌ لصحة الإيجاد، فلو لم يكن مختاراً لم يحسن تكليفه، ولو لم يحسن تكليفه لم يحسن إيجاده.

وحيث دلَّ النقل من الكتاب والسُّنة: بأنَّ كل شيء مكلّف، وكل شيء يُسبِّح بحمد الله؛ إلا أنَّ مراتب تكاليفها مختلفة، فكل شيء تكليفه

بحسب تنبُّه العقل بِنَصٍّ الكتاب والسُّنة، فطلب بيانه فوجده كما نص عليه النقل، واستدل بذلك على ثبوت الاختيار لكلٍّ موجود.

ونشير إلى ذلك: وهو أنَّه قد ثبت أن كل شيء مركَّب من وجود وماهيَّة، وقد تقدَّم أنَّ هذا الكلام عبارة عن المادة والصُّورة كما هو المذهب الحق، وأنَّ الوجود هو حقيقة الشَّيء من ربه؛ لأنَّه أثر فعله ﷻ، وأنَّ الماهيَّة هي حقيقته من نفسه، وأنَّ كل واحد مخالف بحقيقته لحقيقة الآخر، وأنَّ كُلّاً منهما لا يستغني في بقائه عن المدد، وأنَّه لا يطلب الاستمداد إلا من نوعه، وأنَّهما في الشَّيء المركَّب منهما غير متمازجين تمازج استهلاك، وأنَّ ميل كل منهما مخالف لميل الآخر، وأنَّ المركَّب منهما يحصل له الميلان المتعاكسان، بواحد منهما يطلب، وبالآخر يترك، فحصل له الاختيار من حصول الميلين له، المنسوبين إليه بواسطة جزئي ذاته.

فإذا أمر بالصَّلاة مثلاً مال إليها الوجود؛ لأنَّها من نوعه، وطلب فعلها ليتقوَّى بها؛ لأنَّها صالحة لكونها مدداً له، يحصل بها بقاؤه، إلَّا أنَّها خلاف مدد الماهيَّة وتضعف بفعلها، فتميل إلى تركها؛ لأنَّ ترك الصَّلاة من نوعها وتتقوَّى به، والميلان صَدَرَا من الشَّيء من جزئي ذاته.

۞[الاختيار لازمٌ لكل مخلوق]:

وهذا الاختيار لازمٌ لكلٍّ مركَّب من الوجود والماهيَّة، وكل مخلوق فهو مركَّب منهما، لا فرق في ذلك بين الإنسان والحيوان، والنبات

والجماد، ولذا قال الله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾**(١)، أخبر عنهم بضمير العقلاء، ولم يقل: (يسبحن)، أو (تسبح)، وقال تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾**(٢)، ولم يقل: (تسبيحها)، وقال تعالى: **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ﴾**(٣)، ولم يقل: (وهُنَّ داخرات)، أو (وهي داخرة).

فإن قلتَ: إنَّما استعمل ضمير العقلاء للتغليب.

قلتُ: فلِمَ لم يُغلّب في قوله: **﴿إِلى مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾**؟!، فإنَّه لم يقل: (إلى من خلق الله)، على أنَّه أتى بضمير العقلاء مع عدم من يُغلَّب به، كما قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾**(٤)، لأنَّهم مكلّفون، والمكلّف يلزم أنْ يكون عاقلاً لِمَا يُكلّف به، وإنْ كان كلّ شيء كان له عقل بحسبه، قال تعالى: **﴿فَقالَ**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.

﴿لَها وَلِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾[١]، ولم تقولا: (طائعة).

وبالجملة: فحيث كان الوُجود في تنَزُّله بمراتبه بمنْزلة شعاع السِّراج، كلّما قرب من السِّراج كان أنور، وكلّما بعد من السِّراج كان أضعف نوراً، وهو -أي: الوجود- في نفسه إدراك وفهم وشعور وما أشبه ذلك، من أسباب التَّكليف وشرائطه، وكلّما قرب من المبدأ؛ قويت فيه جهات المدارك، وكلّما بَعُدَ من المبدأ ضعفت فيه تلك الجهات.

والتَّكليف يتعلق بالمكلّف بنسبة تلك الجهات، وأقوى مراتب التَّكليف ما توجَّه إلى الإنسان؛ لأنَّ أقوى تلك الجهات ما وجدت فيه، وأضعف مراتب التَّكليف ما توجَّه إلى الجماد؛ لأنَّ أضعف تلك الجهات ما وجدت فيه وما بينهما من العوالم تكليفه بنسبة قوة الجهات وضعفها، وهذا ظاهر لمن نظر ببصيرته طالباً للحقِّ.

۞[ميل الوجود والماهية من كل شيء على قسمين]:

ثم أنَّ الميل المذكور من كل شيء على قسمين:

الأوَّل: الميل الذاتي، وهو استدارة الشَّيء، أي: طلب الشَّيء بوجه افتقاره، يعني: بميل افتقاره حال تكونه، وحال استمراره في بقائه على قطب استغنائه، وهو أمر الله الفعلي صاحب القيُّوميَّة له، وأمر الله المفعولي

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.

الحافظ له، فيستغني من فعل الله في صدوره وقبوله للتكوين، ومن أمر الله المفعولي الّذي هو الماء المسمى بالحقيقة المحمَّدية في بقائه ودوامه؛ لتقوُّم الشَّيء به تقوُّماً ركنيّاً، إذ مادة كل شيء حصة منه.

وهذا معنى قولي: (أي: ما يطلب منه الاستغناء)، فإنَّ كلَّ شيء يطلب الاستغناء من أمر الله، كما فصَّلنا.

والثاني: الميل الفعلي، وهو استدارة الشَّيء بآلاته التي بها يعمل ويتسبَّب على جهة قطبه، يعني: قطب استدارته، وهذه الجهة التي يدور عليها بآلاته هي آثار ذلك القطب، فإنَّ هذا القطب الّذي هو أمر الله الفعلي وأمر الله المفعوليّ كما ذكرنا، يتلقَّى الشَّيء من آثاره، وبها تقوُّمه صُدوراً وتحقُّقاً.

وقولي: (لحاجته من أحدهما)، أريد به: أنَّه إنَّما يميل لفقره وحاجته إلى الاستمداد، فإنْ كان المستمد -أعني: الوجود أو الماهيَّة- استمدَّ من نوعه، كما لو استمد الوجود من الطاعات، والماهيَّة من المعاصي؛ قوى وغلب الآخر، واستولى عليه، وإن لم يستمد من نوعه.

وإنَّما تبع المستمد من نوعه ضعف وغلبة الآخر واستولى عليه؛ لأنَّه إنَّما ينتفع بمتابعته لضده في حفظ أصل نفسه؛ ولهذا يتخلَّق بأخلاقه، ويتَّصف بصفاته، ويتابعه في مطالبه، فله من مدد متبوعه مدد عرضي، وهو جزء من سبعين جزءاً؛ لأنَّ ميله مع متبوعه عرضيٌّ فِعْليٌّ ناقصٌ في

أصل اقتضائه للمدد، وإنَّما تم اقتضاؤه بجزء من سبعين من صفة[1] متبوعه بفضل ميله الذّاتيّ، وهذا الفضل شعاع من الميل الذّاتي، فاستفاد من كل تابعيَّته حفظ أصل نفسه عن الفناء والتلاشي.

۞[الاختيار في الميل الفعلي والميل الذاتي]:

قلتُ: (وَحَيْثُ كَانَ لِلشَّيْءِ مَيْلَانِ مُتَعَاكِسَانِ يكْتَفِي بِمُتَعَلّقِ أَحَدِهِمَا؛ جَاءَ الاخْتِيَارُ، فَهُوَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، هَذَا فِي المَيْلِ الفِعْلِي.

وَأَمَّا المَيْلُ الذَّاتِي: فَهُوَ مُخْتَارٌ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ شقَّيْهِ، أَيْ: مُخْتَارٌ فِي مَيْلِ الوُجُوْدِ نَفْسِهِ إِلَى مَا يَقْتَضِيْهِ، وَفِي مَيْلِ المَاهِيَّةِ نَفْسِهَا إِلَى مَا تَقْتَضِيْهِ).

أقول: لَمَّا كان للشيء ميلان متعاكسان؛ ميل من وجوده إلى أنواع الخيرات والطاعات، وميل من ماهيته بعكس ميل الوجود، يعني: أنَّ الشرور والمعاصي يكتفي بمتعلّق أحدهما، يعني: أنَّ الشَّيء المركَّب منهما -وهو المكلَّف- يكتفي في سَدِّ فاقته وبقائه بمتعلق أحدهما من الطاعات أو المعاصي على الإنفراد، أو على التعاقب؛ لأنَّ متعلق كل منهما عام لكلِّ ما يحتاج إليه، بحيث لا يحتاج في طلب الطاعات والخيرات إلى شيء لا يوجد في متعلق ميل الوجود إلّا في متعلق ميل الماهيَّة، وفي طلب المعاصي

---

(١) في بعض النُّسخ: (من الصِّفة).

والشّرور لا يحتاج إلى شيء لا يوجد في متعلّق ميل الماهيَّة إلّا في متعلّق ميل الوجود، بل كل شأن من شؤون أحدهما يوجد في متعلق ميله؛ لأنَّه سُبحانه خلق جميع ما خلق لعباده، صالحاً لأحد السُّلطانين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**(١).

ولَمَّا كان له الميلان المتعاكسان -كما سمعتَ- جاء الاختيار، أي: ثبت له الاختيار، بمعنى: أنَّه إن شاء فعل بأحد الميلين، وإن شاء ترك بالميل الآخر.

وقولي: (يكتفي بمتعلّق أحدهما)؛ جملة فعلية وقعت صفة لقولنا: (ميلان)، ولو جَعلتها حاليَّة؛ جاز على بُعدٍ، وهذا الكلام بيانٌ للميلين الفعليين.

وأمَّا الميلان الذاتيَّان لهما: فالشَّيء المركَّب من المائلين -الوجود، والماهيَّة- مختار فيهما، بمعنى: أنَّ ميل كلٍّ بذاته إلى قطب استغنائه بقابليته عن اختيار مساوق لكونه، وهذا المعنى من أسرار القدر التي تسافلت عنها أفهام الفحول من العلماء، ووُفِّق لها من سبقت له العناية، و**﴿اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**(٢).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٢، وسورة النور، الآية: ٣٨.

فإنَّ الشَّيء مختار في ميل كلٍّ من شقّيه الوجود والماهيَّة، فيميل وجوده إلى الطاعات باختيار الشَّيء لحصول ميل ضده عنده، وباختيار الوجود نفسه لحصول ميل ضده معه، وتميل ماهيته إلى المعاصي باختيار الماهيَّة نفسها لحصول ميل ضدها معها كلٌّ إلى ما يقتضيه.

وميل الجزء باختياره أيضاً لحصول الموجب للاختيار، وهو وجود الضِّدّ، فإنَّ الشَّيء إنَّما كان مختاراً لتقوُّمه بتركُّبه من الضّدّين كذلك[1]، يعني: إنَّما كان مختاراً لتقوُّمه في نفسه بانضمام ضدّه إليه، كما تقدَّم من أنَّ كل واحد من الوجود والماهيَّة يعتبر في وجوده وتحققه وجود الآخر، إذ كلّ ممكن زوج تركيبي، وكل منهما ممكن، فالشَّيء مركَّب منهما.

والوجود مادته نفسه، وصورته انضمام الماهيَّة إليه، والماهيَّة مادتها نفسها، وصورتها ضمُّ الوجود إليها، فكما كان الشَّيء مختاراً لتركُّبه من الضِّدين المائلين على التعاكس، كذلك جزؤه كان مختاراً لتركُّبه من نفسه، وانضمام ضدِّه إليه، وهما المائلان على التعاكس.

۞[بيانٌ لنفس الميل]:

قلتُ: (وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ الوُجُوْدَ لَا يَشْتَهِي إِلَّا النُّوْر، وَلَا يَشْتَهِي لِذَاتِهِ الظُّلْمَة، وَإِنْ اشْتَهَاهَا بِالعَرَضِ وَالاعْتِبَار الَّذِي هُوَ عَرَضِيّ.

(١) في بعض النُّسخ: (من الضِّدين واحد الضدين كذلك).

وَلَا يُمْكنُ فِي ذَاته منْ حَيْث صُدُوْره بفعْلِ الله أَنْ يَشَاءَ الظُّلْمَة لأَنَّهَا جهَةُ المَاهيَّة منْهُ، فَلَا يُمْكِنُ أَنَّ يَشَاءَ أَلَّا يَشَاءَ مَا يَشَاؤُهُ، إذْ المَشيْئَةُ وَاحدَةٌ، فَلَا تَنْبَعث حَيْث لَا تَنْبَعث.

وَكَذَا الكَلَامُ فِي المَاهيَّة نَفْسهَا منْ حَيْث هيَ).

أقول: هذا بيانٌ لنفس الميل: بأنَّ أصل منشئه الشهوة وطلب الملائم، وهو المراد بالاستمداد من النوع كما مرَّ؛ لأنَّ الميل الذاتي لا يكون من الشَّيء لِمَا يُنافي طبيعته[1]، فلذا قلنا: أنَّ الوجود لا يشتهي إلا النُّور، وكذا الماهيَّة.

وأمَّا إذا مال الوجود إلى الظُّلمة في حال كونه مغلوباً؛ فإنَّه ميلٌ بالعرض والاعتبار الَّذي هو بالعرض لا بالذات، الَّذي هو شأن صدوره بفعل الله، فإنَّه لا يشتهي لذاته عنه إلا النُّور، فإذا كان كذلك لا يشتهي من ذاته الظُّلمة، إذ لا يُمكن أن يشاء من ذاته عدم مشيئته لما يشاء من ذاته، فإنَّه إذا كان يشاء من ذاته النُّور لا يشاء عدمه، إذ يلزم أن يشاء ما لا يشاء؛ لأنَّ المشيئة واحدة، فلا تنبعث لغير موجب انبعاثها؛ لأنَّه ضدٌّ[2]، فيكون انبعاثه بموجب عدم انبعاثه، وهو محال، وأمَّا بالعرض فلا باس به كما قلنا، وكذا الكلام في الماهيَّة.

---

(١) في بعض النُّسخ: (لما يُنافر طبيعته).

(٢) في بعض النُّسخ: (لأنها ضدّ).

۞[لا جبر في جميع الأشياء]:

قلتُ: (وَلَا تَظُنّ أَنَّ هَذَا مُنَاف لِمَا نَذْكُرُهُ؛ مِنْ أَنَّهُ لَا يَكُوْنُ شَيْء مِنْ شَيْء إِلَّا بِاخْتِيَار، وَلَا جَبْرَ فِي جَمِيْعِ الأَشْيَاء، لَا لَهَا وَلَا مِنْهَا؛ لِأَنَّ الوُجُوْدَ لَا شَيْئِيَّةَ لَهُ إِلَّا فِي المَاهِيَّة، وَالمَاهِيَّةُ لَا شَيْئِيَّةَ لَهَا إِلَّا بِالوُجُوْد، وَمَا لَيْسَ لَهُ فِي حَقِيْقَتِهِ حَقِيْقَةٌ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ إِلَّا جِهَة وَاحِدَة لَا يُمْكِنُ فِيْهِ تَعَدُّدُ مَيْل أَوْ اخْتِلَافُ انْبِعَاث.

وَلَيْس هَذَا جَبْراً؛ لِأَنَّ الجَبْرَ: أَنْ يميل الشَّيْء غَيْرَه عَلَى خِلَاف مُقْتَضَى ذَاته بِغَيْرِ مَيْل ذَاتِه، وَهَذَا بِمَيْلِ ذَاتِه، فَلَيْسَ جَبْراً، فَهُو اخْتِيَارٌ، إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا).

أقول: لا تظن أنَّ هذا؛ وهو أنَّ كل واحد من الوجود والماهيَّة إذا كان مغلوباً يكون له ميل عرضي إلى خلاف ما يقتضيه ذاته، فإنَّه إذا كان مغلوباً فهو مجبور على خلاف ما يقتضيه، ولا يُراد من الجبر غير هذا، فلا يكون مُنافياً لِمَا تذكرونه بعد هذا؛ من أنَّه لا يكون شيء من شيء -أي: لا يصدر من شيء- حركة أو سكون في غيبه أو في شهادته إلا باختيار منه، وأنَّ جميع الأشياء من الناطق والصامت، والحيوان أو النبات أو الجماد، من الذّوات أو الصِّفات لا جبر فيها، لا لها -أي: لا يجبرها غيرها-، ولا منها -أي: ولا تجبر غيرها-؛ لِمَا سنُبيِّنه من أنَّ ما ترونه في كون الشَّيء يسلك به غيره غير ما يكون من شأنه.

مثلاً: إذا رميت الحجر إلى جهة العلوِّ، فإنَّ صعود الحجر بغير اختياره، إذ شأنه النُّزول، ولا نريد بالجبر إلا هذا، وليس هذا جبراً؛ لأنَّ الرامي للحجر ليس قاسراً له، وإنَّما هو معين له؛ لأنَّ في الحجر إمكاناً ناقصاً للصعود، فكان دفع الرَّامي له إلى جهة العلو متمِّماً لِمَا يُمكن منه كما يأتي، ومضى بعض الإشارة إلى هذا فراجع.

وأيضاً إنَّما قلنا: (أنَّ الوجود لا يشتهي إلَّا النُّور، وإنْ مال مع الماهيَّة في فعلها للظلمة، ليس لذاته وإنَّما هو ميل عرضي)؛ لأنَّ الوجود في ذاته بسيط لا شيْئيَّة له ولا تحقُّق من حيث نفسه إلا في الماهيَّة التي لا تشتهي إلا الظُّلمة، وذلك لأنَّه لما كان في ذاته بسيطا؛ لأنَّه نور، وبه[1] امتنع تعدُّد ميله من ذاته، وإنَّما يميل إلى النُّور خاصة الَّذي هو من نوعه.

وأمَّا اعتبار شيئيَّته من نفسه ليلزم تعدُّده في ذاته فيتعدد ميله فيميل إلى الظُّلمة كما يميل إلى النُّور؛ فلأنَّ ملاحظة شيئيَّته هي ملاحظة ضده، أعني: الماهيَّة، إذ لا شيْئيَّة له إلا بالماهيَّة[2] التي ميلها عكس ميله، فليس فيه لِذَاته تعدُّد، فلا يميل إلى الظُّلمة بذاته قط.

وأمَّا انضمام الماهيَّة إليه، الَّذي قلنا أنَّه صورته التي يتقوَّم بها؛ فحاصل ميله إنَّما هو إلى الظُّلمة، إذ ليس الانضمام جزء لذاته من جهة

(١) في بعض النُّسخ: (لأنه نور ربِّه).

(٢) في بعض النُّسخ: (إلا بانضمام الماهية).

محدثه، وكذلك الماهيَّة لا تشتهي النُّور لبساطة ذاها، فلا يكون لها ميلان ذاتيان.

وأمَّا شيئيَّتها من رها؛ ليس إلا ضمُّ الوجود إليها وميله إلى النُّور، فليس ذات أحدهما مركَّبة؛ لأنَّ التركيب المعتبر في كلِّ ممكن بحيث تكون مركَّبة[١]، إنَّما هو في الشَّيء الممكن، لا في أجزائه.

وأمَّا فيما كان حصة من مركَّب كحصة الحيوان للإنسان؛ فهي مركَّب، ويجوز أن يكون له ميلان، فإنَّ الحيوان جسم متحرِّك بالإرادة، فللحصة منه ميل الجسميَّة، وميل التَّحرك بالإرادة الَّذي هو الفصل الإضافي، وما كان حصة من بسيط فليس له إلا ميل واحد، كالحصة من الوجود والماهيَّة.

والفارق بينهما: أنَّ البسيط هو الَّذي لا يظهر إلا مع انضمام فصل، والحصة المأخوذة منه كذلك، والمركَّب هو الموجود قبل أخذ الحصة، كالخشب فإنَّه موجود قبل حصة السَّرير، وكالحيوان في مثالنا.

والمايز بين الحصَّتين: أنَّ المأخوذ من نفس المادة بسيط له ميل واحد، وهذا لا يدخل في الأكوان إلا مع صورته التي هي فصله، والمأخوذة من المادة والصُّورة النوعيتين مركَّب له ميلان، فافهم.

وقولي: (لأنَّ الجبر أنْ يميل.. الخ)؛ هو ما قلتُ لك: أنَّ الجبر أن يُمَيِّل المُجْبِر المجْبُوْرَ إلى غير ما يمكن في ذاته، لا بالفعل ولا بالقوة.

---

(١) في بعض النُّسخ: (بحيث تكون ذاته مركبة).

وأمَّا إذا مَالَه بما في قوَّته؛ فهو مما يمكن في ذاته، إلا أنَّـــه نـــاقص لا يقتضي الميل بدون مُعين، والمُجبِر مُتمِّم لنقصه، فعلى هذا لا يمكن الإجبار أصلاً، وإنَّما [الممكن][1] القلب لحقيقته، ثم بعد القلب يقتضي الميل بنفسه أو بمتمِّم، والقلب أيضاً لا يكون إلا فيما يمكن كـــذلك، فالإجبـــار في الحقيقة -أي: الإجبار الحقيقي- ممتنع فافهم، ويأتي تمام هذا الكلام.

۞[الاختيار الناقص ونظيره]:

قلتُ: (إِلَّا أَنْ يُقَالَ عَلَيْه: أَنَّهُ جُزْءُ اختيَارٍ؛ لـــأَنَّ المَعْـــرُوْفَ مِـــنَ الاخْتيَارِ: هُوَ المَيْلُ إِلَى جهَتَيْنِ مُخْتَلفَتَيْنِ، لدَاعِيَيْنِ مُخْتَلفَيْن عَنِ الإِرَادَة المُرَكَّبَةِ مِنْ ذَلكَ الشَّيْءِ المُرَكَّب، فَهَذَا الاخْتيَارُ هُوَ الاخْتيَارُ النَّاقص.

وَنَظِيْرُهُ: المَعْنَى الَّذي هُوَ فِي الحَرْف، فَإِنَّهُ إِذَا ضُمَّ إِلَى غَيْرِه تَـــمَّ المَعْنَى.

وَلَا يُقَالُ: أَنَّ هَذَا هُوَ اختِيَارُ الوَاجب لبَسَاطَة ذَاته، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّـــا اختِيَار جهَة، كَمَا قَالَهُ كَثيْرُوْنَ؛ منْ أَنَّ وِحْدَةَ مَشيْئَته تُنَافي الاخْتيَـــارَ، وَإِنَّ أَمْرَ "إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ"؛ فَحُكْمٌ رَاجعٌ إِلَى المُمْكنِ مِـــنْ حَيْث هُوَ).

أقول: قولي؛ (إلا أنَّ يُقال عليه.. إلخ) أريد به: أنَّ كـــون اختيـــار الوجود أو الماهيَّة متحققّاً مع أنَّه ليس له ميلان، يُمكن أن يُقال عليه: أنَّه

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

جزء اختيار، ويُراد من جزء اختيار أنّه اختيار ناقص؛ لا أنّه أحد شِقّي الاختيار[١]، فإنّ أحد شِقّي الاختيار موجب؛ لأنّ المعروف من الاختيار عند الإطلاق هو الميل إلى جهتين مختلفتين، بميلين مختلفين، لداعيين مختلفين عن الإرادة المركّبة الاختيارية؛ لأنّها مركّبة من إرادتين على التعاقب، منبعثين من ذلك الشّيء المركّب، وليس المعروف من الاختيار عند الإطلاق الميل الطبيعي الجبلّي ليمكن أن يُراد من جزء الاختيار أحد ميل شِقّي المركّب؛ لأنّ هذا على الظاهر من نوع الإيجاب، بل معناه يرجع إلى الاختيار الناقص.

والمراد بهذا النقص: ملازمة المائل بشيء واحد غالباً؛ لضعف اعتبار ميل الجهة الضدية، حتى يضم إليه الضِّد كما في الشّيء المركّب.

ونظيره: المعنى الّذي في الحرف، فإنّه معنى ناقص، ولهذا قيْل: (الحرف ما دلّ على معنى في غيره)، ومثله قول أمير المؤمنين عليه السلام لأبي الأسود الدُّؤلي: «**وَالحَرْفُ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنَى لَيسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ**»[٢]، فإذا ضُمَّ إلى ذلك المعنى معنى آخر فإنّ المعنى حينئذٍ يتم.

---

(١) في بعض النُّسخ: (لأنّه أحد شِقّي الاختيار).

(٢) عن محمد بن سلام الجمحي: أنّ أبا الأسود الدؤلي دخل على أمير المؤمنين عليه السلام، فرمى إليه رقعة فيها: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْم، الكَلَامُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاء: اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنَى، فَالاسْمُ مَا أَنْبَأَ عَنِ المُسَمَّى، وَالفِعْلُ مَا أَنْبَأَ عَنْ حَرَكَةِ المُسَمَّى، وَالحَرْفُ مَا أَوْجَدَ مَعْنَى فِي غَيْرِهِ**».

←....

۞[اختيار الباري عَجَلَّ ليس هو جزء اختيار]:

ولا يُقال: أنَّ هذا يعني جزء الاختيار، وهو اختيار الواجب تعالى لكمال بساطته سُبحانه، فليس له إلا ميلٌ واحد، فليس إلا اختيار جهة واحدة؛ لأنَّ التعدُّد يلزم منه التركيب كما قاله كثيرون، مثل الملا صدرا، وداماده الملا محسن كما صرَّح به في الوافي، وهو عبارة عبد الرَّزاق الكاشي في شرح فصوص ابن عربي: (من أنَّ وحدة مشيئته تنافي الاختيار؛ لأنَّ المشيئة نسبة تابعة للعلم، والعلم نسبة تابعة للمعلوم، والعلم والمعلوم أنت وأحوالك.

وأمَّا حكم: "إن شاء فعل وإن شاء ترك" فحكمٌ راجعٌ إلى الممكن من حيث هو، بمعنى: أنَّ أيّ الطرفين وقع فهو الَّذي عليه الممكن في نفس الأمر)، نقلت بعض كلامه في الوافي بالمعنى.

...←
فقال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين! هذا كلامٌ حسن، فما تأمرني أن أصنع به، فإنَّني لا أدري ما أردت بإيقافي عليه؟.
فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إِنّي سَمِعْتُ فِي بَلَدِكُم هَذَا لَحْناً كَثِيْراً فَاحِشاً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْسِمَ كِتَاباً؛ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ مَيَّزَ بَيْنَ كَلَامِ العَرَبِ وَكَلَامِ هَؤُلَاء، فَابْنِ عَلَى ذَلِكَ»**. فقال أبو الأسود: وفّقنا الله بك يا أمير المؤمنين للصواب.[الفصول المختارة، ص: ٩١. المناقب، ج: ٢، ص: ٤٧. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٢].

وصرَّح الملا صدرا في كُتُبه -منها شواهد الرُّبوبيَّة-: (أنَّ الاختيار الَّذي يوصف به الواجب ويُنسب إليه؛ هو القصد إلى الفعل والرِّضا به، لا أنَّه إن شاء فعل، وإن شاء ترك)، حتى أنَّ الملا محسن رحمه الله في الوافي قال: (فليس للحق إلا وجه واحد، وهو الَّذي يليق لشأن الحق سُبحانه).

وهذا كلُّه غلط، بل هو سُبحانه مختار، بمعنى: إن شاء فعل، وإن شاء ترك، ولا يلزم من هذا تغير علمه كما توهَّموا؛ لأنَّه يعلم أنَّ هذا يكون متحرِّكاً إن شاء ذلك، ويكون ساكناً إن شاءه، فإذا غيَّر شيئاً غيَّر ما علم أنَّه يغيِّر إلى ما علم، فلا يلزم تغيُّر علمه تعالى، وإنَّما يلزم ثبات علمه.

قلتُ: (لِأَنَّ هَذَا بَاطِلٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الاخْتِيَار المَنسُوْب إِلَى المُمْكِن بحَيْث إنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ فَإِنَّمَا ذَلِكَ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَثَرٍ مُشَابِهٌ لِصِفَةِ مُؤَثِّرِهِ، وَهُوَ مَا فِي المَشِيْئَةِ فِي نَفْسِهَا، إِذْ جَمِيْعُ مَا يُمْكِن أَنْ يُنْسَب إِلَى المُمْكِن مِنْ فِعْلٍ وَانْفِعَالٍ وَإِضَافَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ صِفَةٌ لِذَاتِ ذَلِكَ المُمْكِن.

فَمَا لَا يُمْكِنُ فِي تِلْكَ الذَّات لَا يُمْكِن أَنْ يَكُوْنَ مِنْه أَوْ يُنْسَب إِلَيْه بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَلَا يُمْكِنُ فِي ذَاتِه إِلَّا مَا يُمْكِنُ فِي المَشِيْئَة، وَلَا يُمْكِن فِي المَشِيْئَة إِلَّا مَا يُمْكِنُ فِي العِلْمِ، وَهُوَ الذَّاتُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَاخْتِيَارُ المُمْكِن أَثَرٌ لِاخْتِيَارِ المَشِيْئَة، وَاخْتِيَارُ المَشِيْئَة أَثَرٌ لِاخْتِيَارِ الوَاجِبِ).

أقول: قولي؛ (ولأنَّ هذا باطل) أريد به: أنَّ الاختيار الجزئي الَّذي في البسيط الممكن كالوجود ليس كاختيار الواجب لشدة بساطته؛ لأنَّ هذا -أي: نسبة اختيار الواجب تعالى إلى الجزئي- باطل، من جهة أنَّ الاختيار التام الَّذي في الممكن الكلي المركَّب إنَّما هو أثر لاختيار فعل الله، أعني: المشيئة؛ لأنَّ جميع هيئات الممكن وصفاته الذاتية بل والفعلية أثر هيئات المشيئة التي هي فعل الله، لِمَا تقرَّر من أنَّ كل أثر يشابه صفة مؤثره التي هي مبدأ تأثيره، وذلك هو ما في المشيئة في نفسها، أي: هو ما اختص بالمشيئة في نفسها من صفاتها الفعلية، ومن آثار صفاتها الذاتية المنفصلة، أعني: عنواناتها التي هي ذوات تلك الآثار، إذ جميع ما يمكن في الممكن ويُنسب إليه من فعل الَّذي هو آية فعل مؤثره، وانفعال الَّذي هو آية قابلية الأثر للتأثير، وإضافة التي هي آية التقييد والتشخيص؛ كلها وأشباهها صفات ذلك الشَّيء.

وقولي: (صفة لذات ذلك الممكن)، أُريد: أنَّ هذه صفات لذاته في الجملة، بمعنى: أنَّها مشابهة لِمَا منه أو به أو له أو عنه، لا أنَّها صفات المحض ذاته، بل لِمَا يُنسب إلى جهة ذاته، فالمشابه لِمَا منه: كالدواعي وميولات وجوده وماهيته، فإنَّها مشابهة لوجوده أو ماهيته؛ لأنَّها جهة فقره من إحدى حقيقتيه، حقيقته من ربه كالوجود، أو حقيقته من نفسه كالماهيَّة.

والمشابه لِمَا به: كالنسب والإضافات، كالعلم الإشـراقي، مثـل: علمه بزيد عند حضوره، إذ هذه النسبة إنَّما تحصل بحصول زيد وتذهب بذهابه، فهي في الحقيقة ما حصل به من العلم بزيد مما انكشف له منه.

والمشابه لِمَا له: كالأعمال الصادرة منه، فإنَّها مشابهة لِمَا له؛ لأنَّها من مشخصات ذاته.

والمشابهة لِمَا عنه: كالأفعال الاختيارية، فإنَّها مشابهة لِمَـا عنـه، كإرادته وميولاته.

وبالجملة: فالمُراد بالمشابهة للذات المشابهة لما ينسب إليها بوجه؛ لأنَّ الآثار صفة للأفعال، وإنَّما نمنع من قول: (أنَّ الآثار صفة للذات)؛ حذراً من أن تتوهم أنَّ الآثار راجعة إلى الذَّات، ومنتهية إليها، وهي إنَّما تنتهي إلى الأفعال، والأفعال إلى أنفسها التي هي مبادئها من أنَّها -أي: الآثـار والأفعال- يُقال عليها أنَّها صفات الفاعل، إلا أنَّها صفات إشراقية، وهي في الحقيقة حدود للأغيار لا للذات[1].

وإذا أردت أن تفهم هذا المعنى؛ فافهم قول الرِّضا عليه السلام: «**كُنْهُـهُ تَفْرِيْقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَغُيُوْرُهُ تَحْدِيْدٌ لِمَا سِوَاهُ**»[2]، فـافهم معـنى:

(١) في بعض النُّسخ: (لا للذوات).

(٢) رواه محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عـن أبي الحـسن الرضا عليه السلام، راجع: عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٨. وورد في بعض المصادر قوله عليه السلام: «**وَغُبُوْرُهُ تَحْدِيْدٌ لِمَا سِوَاهُ**»، راجع: التوحيد، ص: ٣٦.

«غُيُوْرُهُ تَحْدِيْدٌ لِمَا سِوَاهُ»، فإنّ قولك: (أنّه تعالى ليس بجسم) مثلاً، أنّ هذه الصفة السلبية صفة غيره، وتحديد للجسم.

والحاصل: أنّه لا يمكن في ذات الممكن بل ولا فيما ينسب إليه إلا ما يمكن في المشيئة، أي: يصح عنها، إذ كل ما لا يكون ممكناً كالواجب لا يصح في الممكن، ولا عنه ولا به، ولا له ولا منه، وكل ممكن فهو بالمشيئة أو عنها، فيكون مشابهاً لصفة المشيئة على نحو ما ذكرنا في الممكن بالنسبة إلى ما ينسب إليه، ولا يمكن في المشيئة إلا ما يمكن في العلم الّذي هو الذات الحق[1] تعالى.

ومعنى الإمكان في المشيئة: الإمكان الرَّاجح، والإمكان المعبر عنه في الذات الحق، فهو حكاية التعريف، حيث قِيْل: يمكن في حقِّ الحق، ويمكن في حقِّ الواجب تعالى، فصحَّ التعبير بالإمكان إجراءً للعبارة على نمط واحد، وإلا فلا يصح استعمال الإمكان في حق الواجب تعالى، حتى الإمكان بالمعنى العام، أعني: سلب الضرورة من الطرف المخالف، فإنَّ هذه وأمثالها حدود الحوادث حتى الوجوب المعروف، ولكن لا مناص عن التعبير به؛ لأنَّ الحادث لا يقدر إلا على ما هو من نوعه.

والمعنى في قولنا: (إلا ما يمكن في العلم)، أي: ما يصح، يعني: يجب.

ومعنى: كون المشيئة مشابهة لصفة الحق تعالى؛ على نحو ما ذكرنا في الممكن.

(١) في بعض النُّسخ: (هو ذات الحق).

فإذا فهمت ذلك في حق الممكن؛ فاعلم أنّه آية ودليل على التعبير في التعريف لعنوان الواجب الحق، المُسمَّى بـ: (مقاماته وعلاماته التي لا تعطيل لها في كلِّ مكان)[1]، قال عليه السلام:

اعْتِصَامُ الوَرَى بِمَغْفِرَتِكَ عَجِزَ الوَاصِفُوْنَ عَنْ صِفَتِكَ
تُبْ عَلَيْنَا فَإِنَّنَا بَشَرٌ مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ[2]

والحاصل: اختيار الممكن أثر اختيار المشيّئة؛ لأنَّه أثر إحداثها له على قابليَّته، واختيار المشيئة أثر اختيار الواجب؛ لأنَّها أثر إحداثه تعالى لها بها حين شاء بها ما شاء من خلقه، ولله المثل الأعلى.

---

(١) إشارة إلى ما في دعاء الإمام الحجة عليه السلام في كل يوم من رجب، حيث يقول: «**وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَان، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ..**»، راجع: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٩٣.

(٢) حق اليقين، ج: ١، ص: ٤٦، بدون نسبة. مطلع خصوص الكلم، ج: ١، ص: ١٥٨، نسبه لأبي علي. علم اليقين، ج: ١، ص: ٩٦، نسبه إلى بعض. قرة العيون، ص: ٣٤٢. وفي نور البراهين، ص: ٣٥، نسب البيت الثاني للرسول الأعظم وأولاده عليهم السلام، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «**مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَمَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ**».[عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٣٢. بحار الأنوار، ج: ٦٨، ص: ٢٣].

وقال الصَّادق عليه السلام في الدُّعاء عقيب الوتيرة بعد العشاء على ما رواه الشَّيخ في المصباح: «**بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْد هَيْئة يَا سَيِّدي، فَشَبَّهُوْكَ وَاتَّخَذُوْا بَعْضَ آيَاتِكَ أَرْبَاباً يَا إِلَهِي، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوْكَ..**»(١).

وإلى ما ذكرنا من التَّرتيب الإشارة بقوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾(٢)، وهو القائل عزّ وجلّ في كتابه في وصف نفسه لعباده: ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(٣)، فافهم.

[منشأ دخولهم في الخطأ]:

قلتُ: (فَإِنْ قِيْلَ: هَلْ يَعْلَمُ فِي الأَزَلِ زَيْداً فِي الْحُدُوْثِ أَنَّهُ حَيْوَانٌ نَاطِقٌ، أَمْ لَا؟، فَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ؛ لَمْ يَجُزْ أَلَّا يَخْلقَهُ، أَوْ يَخْلقَهُ فَرَساً، وَإِلَّا انْقَلَبَ عِلْمُهُ جَهْلاً، وَإِنْ لَمْ يَعْلَم؛ لَزِمَ الْجَهْلُ بِمَا سَيَكُوْن، وَهُوَ بَاطِلٌ بِالضَّرُوْرَةِ، فَوَجَبَ أَنْ يَعْلَم أَنَّهُ حَيْوَانٌ نَاطِقٌ.

---

(١) ورد باختلافات يسيرة، وجاء في بعض المصادر بالنص التالي: «**بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْد هَيْئَته [هَيْئَتُكَ]، فَشَبَّهُوْكَ يَا سَيِّدي وَاتَّخَذُوْا بَعْضَ أَنْبِيَائِكَ [آيَاتِكَ] أَرْبَاباً، ثُمَّ لَمْ يَعْرِفُوْكَ يَا إِلَهِي**».[مصباح المتهجد، ص: ١١٦. فلاح السائل، ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١١٠].

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

وَالَمَشِيْئَةُ صِفَةٌ تَابِعَةٌ للعِلْمِ، فَيَجِبُ أَنْ يَخْلقَهُ كَذَلِكَ، وَلَا يُمْكِنُ فِي حَقِّهِ غَيْرُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ زَيْدٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ حَيْث هُوَ مُمْكِناً فِي حَقِّهِ التَّغْيِيْر).

أقول: هذا السُّؤال هو الَّذي أدخلهم في الخطأ، حتَّى قالوا بما يلزمهم القول بالإيجاب، كما سمعت من قولهم: (أنَّه ليس للحقِّ تعالى إلاّ وجهٌ واحد، وأنَّ الاختيار المنسوب إليه تعالى تنافيه وحدة المشيئة؛ لأنَّ المشيئة نسبة تابعة للعلم، والعلم نسبة تابعة للمعلوم، والمعلوم أنت وأحوالك)، كما نقلناه من الملا محسن في الوافي، وهو كلام عبد الرَّزاق في شرح الفصُوص.

ومرادهم ما أفادهم إمامهم مميت الدِّين: (من أنَّ علمه تعالى مستفاد من المعلوم)، حتَّى أنَّه في الوافي نقله، ثمَّ اعترض على نفسه: (بأنَّ هذا يلزم منه الافتقار في علمه إلى الغير).

ثمَّ أجاب بتوجيه هذا الكلام وردِّه، ثمَّ بعد الرَّدِّ بقليل قال به في قوله السَّابق: (والعلم نسبة تابعة للمعلوم، والمعلوم أنت وأحوالك).

وتحرير شبهتهم: أنَّه تعالى عالم في الأزل بأنَّ زيداً حيوان ناطق، فلو لم يخلقه أصلاً أو يخلقه فرساً -حيواناً صاهلاً- انقلب علمه جهلاً؛ لعدم مطابقته، ولو لم يعلم به في الأزل لزم كونه جاهلاً؛ لعدم علمه بما سيكون قبل أن يكون، وكلا الفرضين باطل، وهذا ظاهر.

فوَجَب أن يكون عالماً بأنَّ زيداً حيوان ناطق، فيجب أن يخلقه كما عَلِمَه؛ لأنَّ فعله كذلك من أثر مشيئته لذلك، ومشيئته من علمه، وعند

خصوص أتباع ابن عربي: وعلمه من المعلوم، حصلت لهم هذه؛ لأنَّ المعلوم عنده يُعطي العالِم العلم به، فعلمه مستفاد من المعلوم.

وأمَّا جواز كون الممكن في نفسه قابلاً للشَّيء ونقيضه؛ فأمرٌ راجع إلى تجويز العقل بكون الممكن قابلاً للشّيء ونقيضه، وأيُّ الأمرين وقع عليه الممكن فهو ما هو عليه في نفس الأمر لا غيره.

هذا في الجملة؛ تحرير شبهتهم، وما يتفرَّع عليها.

والجواب عن هذه بحيث يرتفع عمَّن قال بها إذا كان طالباً للحق مُنصفاً؛ يتوقَّف على تطويل، بتقديم مقدِّمات، وإيراد شبهات تعارض شبهتهم، حتَّى تنسلَّ من القلوب الَّتي أُشربت حبَّ هذه الأوهام، وقد ذكرنا كثيراً منها في شرح رسالة العلم للملا محسن، من أرادها طلبها، إلا أنَّا نذكر شيئاً يكفي العارف المنصف إذا ساعده التَّوفيق.

۞ [الإجابة على شبهتهم]:

قلت: (قُلْنَا: هُوَ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ مَا يَكُوْن، وَمَا يَشَاء أَنْ يُغَيِّرَ إِلَى مَا شَاءَ، فَكُلُّ طَوْرٍ يُمْكِن أَنْ يَكُوْنَ الْمُمْكِن عَلَيْه فَهُوَ يَعْلَمُهُ، وَكُلُّ احْتِمَالٍ فِيْمَا يَشَاء فَهُوَ يَعْلَمُهُ، وَيَعْلَمُ مَا يَكُوْن مِمَّا يَشَاء، حِيْنَ يَشَاء، كَيْفَ يَشَاء.

فَإِذَا عَلِمَ زَيْداً أَنَّهُ سَيَكُوْنُ حَيْوَاناً نَاطِقاً فَهُوَ فِي عِلْمِه، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُغَيِّرَ إِلَى مَا يَشَاء فَهُوَ فِي عِلْمِه، فَإِذَا أَرَادَ غَيَّرَ مَا شَاءَ كَيْفَ يَشَاء، وَفِي كُلّ تَغْيِيْر وَتَقْرِيْر، وَمَحْو وَإِثْبَات، فَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا هُوَ عَلَيْه فِي

عِلْمِه، فَتَغْيِيْرُ مَا عَلِمَ إِذاً تَقْرِيْرٌ لِمَا عَلِمَ؛ لأَنَّهُ شَاءَ مَا عَلِمَ، فَإِذَا شَاءَ تَغْيِيْرَهُ كَانَ شَائِياً لِمَا عَلِمَ، سُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ، لَا يَقْدِر الوَاصِفُوْنَ وَصْفَهُ).

أقول: والإشارة إلى الجواب: أنَّه يعلم ما يكونُ، ويعلم ما يشاء أن يغيِّره إلى ما شاء، قبل أن يكون، أو بعد أن يكون.

وأمَّا تغيير ما علم أنَّه يكون قبل أن يكون هو عنده سُبحانه من نوع تغيير[1] ما علم أنه يغيّره بعد أن يكون؛ لأنَّه تعالى إذا علم أنَّه يغيِّر ما علم أنَّه يكون قبل أن يكون؛ كان معنى كونه الَّذي علم تغييره أنَّه يتحقَّق في رتبة أو رتبتين مثلاً من مراتب أكوانه، وأنَّه يُغيِّره بعد ذلك، كما لو علم تحقُّق معناه في العقول، ثمَّ يُغيِّره بعد ذلك، أو في العقول والنّفوس، ثمَّ يغيِّره إلى ما شاء من حكم قوله: **﴿يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِت﴾**[2]، وهكذا.

وليس معنَاه: أنَّه علم أنَّه يكون وأنَّه يُغيِّره قبل أن يكون؛ لأنَّ هذا مستحيل، إذ ليس علمه زمانيًّا، وليس فيه استقبال، كما قال عليه السلام: «**لَيسَ عِنْدَ رَبِّكَ زَمَان**»، وإنَّما تعلَّق علمه بكونه حين كان في وقت وجوده، ومكان حدوده، قبل أن يكون عند الخلق وعند نفس المكوَّن؛ لأنَّ الكون والتحقُّق عند الخلق فيما سيكون مستقبل، فإذا وقع في وقته

---

(١) في بعض النُّسخ: (من نوع التغيير).

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

الخاصُّ به في مكان تكوُّنه انتهى الاستقبال والانتظار عند سائر الخلائق، وعند نفس المكوّن، وليس عند الله ﷻ انتظار ولا استقبال، فيتعلَّق علمه بكونه حين كونه لا قبل كونه، وإن كان عند الخلق قبل كونه.

فإذا علم أنَّه يكون؛ فمعنَاه أنَّه تعالى علم أنَّه كان، فلا يَصحُّ أن يُقال: علم أنَّه سيكون، وعلم تغييره قبل أن يكون، إلا على معنى كونه في بعض مراتب وجوداته، وعلم تغييره في غير ذلك البعض، هذا حكم الكون.

وأمَّا الإمكان؛ فإنَّ الشَّيء عند الله يمكن فيه ما لا يتناهى من الأكوان، فإذا ألبسه كوناً منها بقيت سائر أكوانه الغير المتناهية في إمكاناها من مشيئته تعالى، وأزِمَّتها بيده، ما شاء منها كان، وما لم يشاء لم يكن، والعلم بها إشراقي، سواء كان إمكانيّاً أو كونياً.

أمَّا الإمكاني: فقد تعلّق بها أزلاً أبداً، وأحصاها عدداً.

وأمَّا الكونيّ: فهو ما كان منها لا غير، سواء استمرَّ، أم غيَّر، فإنَّه ﷻ لا يفقد شيئاً من ملكه من المكان الّذي أقامه فيه، ووقته الّذي كوَّنه فيه.

۞[هو تعالى مختار في صنعه بكلِّ معنى للاختيار]:

والحاصل: أنَّ كلَّ شيء فقد أحصاه في كتبه، وهو عالم بما يمكن فيها، وبما يكون منها، وبما يُغيِّره بعد كونه، وبما يُغيِّره إذا شاء، كيف يشاء، فكلُّ طورٍ يمكن أن يكون الممكن عليه فهو يعلمه سُبحانه، ففي

علمه ما كوّن، وفي علمه ما غيّر، وفي علمه ما لا غيّر[1] وما لا يكـــوّن، وفي علمه أن يغيَّر ما لم يغيّر وما لا يغيّر إذا شاء ذلك كيف شاء.

فإذا علم زيداً أنَّه سيكون حيواناً ناطقاً، فهو ما في علمه؛ لأنَّه كان عنده، وإنْ لم يكن عند نفسه، ولا عند أحد من خلقه؛ لأنَّـــه تعـــالى لا ينتظر شيئاً من ملكه، وإذا شاء أن يغيِّره إلى ما شاء فهو -أي: التَّغيير- في علمه؛ لأنَّه كان في ملكه، إذ ليس معه استقبال، فإذا كان ما في كـــون علمه[2] زيد حيواناً ناطقاً في عالم الأجسام، وأراد تغييره؛ فهو في ملكه، إن شاء جعله صاهلاً مثلاً قبل وقت كونه ناطقاً أو بعـــده، أو في حـــال كونه ناطقاً؛ بأنْ يجعل ظاهره ناطقاً، وباطنه صاهلاً، أو ناهقاً أو نابحـــاً، فكلُّ ذلك من ملكه الّذي لم يكن منتظراً لشيء منه.

فهو تعالى مختار في صنعه بكلِّ معنى للاختيار، ولم يتجدَّد له شيء؛ لِمَا قلنا من أنَّ كلَّ محتمل ففي علمه بما يمكن لها يلبس منها ما شاء مـــن ملابس أكوانها، فهو لم يفقد شيئاً من ملكه، فكلُّ ما يحتمل ويمكن فيمـــا يشاء فهو يعلمه ويفعله بعلمه، ويعلم ما يكون في بقائه واستمراره كمـــا أُجّل له، وفي تغييره حين انتهى أجل بقائه ممَّا يكون حين يـــشاء كيـــف يشاء، وفي كلِّ تغيير فهو في علمه وعن علمه كيف يشاء، وفي كلِّ تقرير فهو في علمه وعن علمه، وفي كلِّ محوٍ وإثبات ففي علمه وعـــن علمـــه،

---

(١) في بعض النُّسخ: (ما لا يغيّر).

(٢) في بعض النُّسخ: (ما في علمه كون).

فكلُّ شيء فهو من علمه إلى علمه، وكل شيء فهو مطابق لِمَا هو عليه في علمه.

فتغيُّر ما علم إذاً تقرير لما علم؛ لأنَّه علم أن أجَّل ما علم قد انقضى، وإذا انقضى يكون منتهياً إلى ما يقتضيه حاله من علمه تعالى، فإذا غيَّره فقد سبق علمه بتغييره، فتغييره ما علم تقرير لِمَا علم، وهو معنى قولي: (لأنَّه شاء ما علم فإذا شاء ما علم تغييره كان شائياً لما علم).

سُبحانه وتعالى عما نسبوه إليه من عدم الاختيار، والتَّصرُّف في ملكه متى شاء كيف يشاء، وسُبحانه لا يقدر الواصفون وصفه، سُبحان ربِّك ربَّ العزَّة عمَّا يصفون تسبيحاً عظيماً، وتَعالى علوّاً كبيراً.

۞[تكرير للبيان مرَّة بعد أخرى]:

قلتُ: (وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ مَا يُمْكِن فِي المُمْكِن فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مَشِيْئَتِه، وَمَا فِي مَشِيْئَتِه فِي عِلْمِه، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ زَيْداً يَكُوْن فِي الوَقْت المَخْصُوْص، فِي المَكَان المَخْصُوْص، ثُمَّ انْتَقَلَ زَيْدٌ عَن المَكَان؛ كَانَتْ الحَالَةُ الأُوْلَى فِي عِلْمِه، وَالحَالَةُ الثَّانِيَة فِي عِلْمِه مِنْ غَيْر تَغْيِيْر، بَلْ هُوَ الثَّبَات، إِلَّا أَنَّهُ فِي المَكَان الأَوَّل فِي عِلْمِه فِي المَكَانَيْن، فَإِذَا كَانَ فِي الأَوَّل وَقَعَ غَيْبُهُ عَلَى شَهَادَتِه، فَإِذَا انْتَقَلَ إِلَى الثَّانِي؛ فَارَقَتْ شَهَادَته غَيْبه، وَوَقَعَ غَيْبُ الثَّانِي عَلَى شَهَادَتِه بِغَيْرِ تَغَيُّرٍ فِي العِلْمِ عَلَى الحَالَيْنِ، وَإِنَّمَا تَغَيَّرَ زَيْدٌ بِتَغَيُّرِه).

أقول: هذا تكرير للبيان مرَّة بعد أخرى، وهو أنَّ جميع ما يمكن في حقِّ الممكن فإنَّما هو من مشيئته، وإن كان ذلك بقابليّة الممكن؛ لأنَّ اقتضاء القابليّة لا يكون موجباً للإيجاد، وإنَّما هو استعداد لقبول المقبول، والمقبول من إفاضة الفاعل كَرَماً وجُوداً، إذ لا يجب عليه شيء، وكلّ ما يقع على الممكن من آثار مشيئته، وأمَّا تغيُّرها إلى الخير والشَّر فمن القابليَّة، وما يمكن أن يصدر من المشيئة فهو في علمه الإمكاني أو الذَّاتيّ، الَّذي هو الله ﷻ.

أمَّا الإمكانيُّ؛ فظاهر.

وأمَّا الذَّاتيُّ؛ فلا بُدَّ من ارتكاب المجاز، ليعود إلى الإمكان بتقدير التَّعلُّق والوقوع، الَّذي هو المعنى الفعلي، أو بإرادة العنوان الَّذي هو المقامات والعلامات، الَّتي لا تعطيل لها في كلّ مكان.

والحاصل: إذا كان الممكن في حالةٍ، ثمَّ تغيَّر إلى أخرى؛ ففي علمه الحالة الأوْلى والثَّانية من غير تغيير، بل هو الثَّبات، أنِّي إذا علمت بأنّك الآن هنا، وبعد ساعة تنتقل إلى المكان الآخر؛ فإذا مضت ساعة وانتقلت فليس هذا تغييراً، وإنَّما هو الثَّبات الباتّ.

هذا بخلاف ما لو لم يكن في علمي الحالة الأولى كما توهَّم من قال: (بأنّه تعالى لا يعلم الجزئيَّات الزَّمانيَّة إلا بعلم كلّي، وإلا لزم انقلاب علمه جهلاً، وحصل التغيير فيه)، فهو غلطٌ وجهلٌ.

بل الحق: أنَّ العلم الحق الَّذي لا جهل فيه، والثَّبات الَّذي لا تغيُّر فيه؛ هو أنْ يعلم الشيء في الحالة الأوْلى، وأنه ينتقل عنها إلى كذا، فالأُولى

والثانية في علمه، لا تخرج الأولى عنه بحدوث الثانية، ولا تفقد منه الثانية قبل حدوثها، فالممكن في المكان الأول هو في علمه تعالى، وفي المكـــان الثاني هو في علمه، ففي علمه في المكانين، فإذا كان الممكـــن في المكـــان الأوَّل؛ وقع غيبه -أي: صورته- في الكتاب الحفيظ على شهادته المدركة بالحواس، وانطبق عليها.

فإذا انتقل بشهادته إلى المكان الثاني فارقت شهادته غيبه الأول، أي: السابق على شهادته، ولبقي غيبه -أي: مثاله العلمي- القائم في الكتاب الحفيظ في غيب المكان الأول، وفي غيب الوقت الأول، ووقع غيب المكان الثاني وغيب الوقت الثاني بمثاله الثاني على شهادته بغير تغير في العلم على الحالين، بل حصلت مطابقته للمعلوم في الحالين، وإنَّما التغير المتـــوهم في تغير حالتي زيد حين تغيّرَ من حالة إلى أخرى من غير تغير في العلـــم، ولا تجدُّد ولا اختلاف أصلاً.

۞[بيان بعد بيان، وترديد لِمَا كان]:

قلتُ: (وَذَلِكَ لِأَنَّكَ إِذَا عَلِمْتَ زَيْداً فِي مَكَان فِي وَقْت، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى آخَرٍ؛ لَا يَتَغَيَّر عِلْمُكَ إِذَا انْتَقَلَ كَمَا عَلِمْتَ، بَلْ كَانَ عِلْمُكَ ثَابِتاً، وَعِلْمُكَ بِه أَوَّلاً لَمْ يَتَغَيَّر بِتَغَيُّرِ حَالِ زَيْد، بَلْ لَمْ تَزَلْ تَعْلَم أَنَّهُ كَانَ فِي الأَوَّل، وَالصُّوْرَة العِلْمِيَّة مِنْ حَالَته الأُوْلَى بَاقِيَـــة عِنْـــدَك، وَالثَّانِيَةُ الَّتِي طَابَقَهَا زَيْدٌ بِانْتِقَالِه بَاقِيَةٌ لَمْ تَتَغَيَّر، وَإِنَّمَا انْطَبَقَتْ وَوَقَعَتْ عَلَى المَعْلُوْمِ حِيْنَ انْتَقَلَ، فَافْهَم.

ثُمَّ إِنَّكَ تَقُوْلُ بِالبَدَآء، وَأَنَّ اللهَ يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثْبت[١]، وَهَـذَا شَرْحُ مَا نَحْنُ فِيْهِ، وَتَفْصِيْلُ الأَشْيَاء يَطُوْلُ بِهِ الكَلَامُ، فَلَا فَائدَةَ فِيْه مَعَ ظُهُوْرِ المرَامِ).

أقول: هذا بيان بعد بيان، وترديد لِمَا كان؛ ليحصل لك بالعيان، وهو ظاهر لا يحتاج إلى بيان.

وقولي: (ثم إنَّك تقول بالبداء.. إلخ)، فإذا اعترفت بأنَّ البدآء ثابتٌ في خلق الله؛ لأنَّه سُبحانه أجرى حكمته على إحداث الأشياء على حسب قوابلها، وحصرها بآجالها، فجعل آجالها مقوِّمة لها، فإذا انتهى أجل بقائها في عالم الأكوان الّذي أُجِّلَ لها؛ محى عنها ما يترتب على آجالها التي انقضت، وأثبت لها ما اقتضته حكمته فيما يتقوَّم به من الآجال، وهذا مما لا إشكال فيه.

فإذا اعترفت بهذا؛ لزمك أن تقول بأنَّ علمه لا يتغير من خلقه[٢]، على أن كلامنا هذا جارٍ على الظاهر، وإلَّا ففي الحقيقة فبيان هذا الَّذي تنكشف به كل شبهة متوقف على القول الحق: من أن العلم عين المعلوم في كل رتبة من مراتب ما يطلق الوجود، من قديم وحادث.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِت**﴾، راجع: سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٢) في بعض النُّسخ: (لا يتغير بما يتغير من خلقه).

فإذا وجدت هذا؛ ظهر لك أن علمه بخلقه إشراقيٌّ، وهـو وقـوع علمه الذاتي على ما وجد من الحوادث في أمكنة حدوده، وأزمنة وجوده، وهو الَّذي أشار إليه الصَّادق عليه السلام في قوله: «**كَانَ رَبُّنَا عزّ وجلّ وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ وَلَا مَعْلُومَ، وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلَا مَسْمُوعَ، وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلَا مُبْصَرَ، وَالْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلَا مَقْدُورَ، فَلَمَّا أَحْدَثَ الْأَشْيَاءَ وَكَانَ الْمَعْلُومُ وَقَعَ الْعِلْمُ مِنْهُ عَلَى الْمَعْلُومِ، وَالسَّمْعُ عَلَى الْمَسْمُوعِ، وَالْبَصَرُ عَلَى الْمُبْصَرِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْمَقْدُورِ**»(١).

فالعلم الذاتي الَّذي هو ذاته التي لم تقترن بمعلوم ولا تطابقه ولا تقع عليه، والوقوع الحادث بحدوث المعلوم هو العلم الإشراقي، يُوجد بوجود المعلوم، ويتغيَّر بتغير المعلوم؛ لأنَّه المعلوم، فتغير المعلوم لا يلزم منه شـيء

---

(١) عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ؛ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «**لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عزّ وجلّ رَبَّنَا وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ وَلَا مَعْلُومَ، وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلَا مَسْمُوعَ، وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلَا مُبْصَرَ، وَالْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلَا مَقْدُورَ، فَلَمَّا أَحْدَثَ الْأَشْيَاءَ وَكَانَ الْمَعْلُومُ وَقَعَ الْعِلْمُ مِنْهُ عَلَى الْمَعْلُومِ، وَالسَّمْعُ عَلَى الْمَسْمُوعِ، وَالْبَصَرُ عَلَى الْمُبْصَرِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْمَقْدُورِ**. قَالَ؛ قُلْتُ: فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَحَرِّكاً؟.

قَالَ؛ فَقَالَ: **تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، إِنَّ الْحَرَكَةَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ بِالْفِعْلِ**.

قَالَ؛ قُلْتُ: فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّماً؟.

قَالَ؛ فَقَالَ: **إِنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ لَيْسَتْ بِأَزَلِيَّةٍ، كَانَ اللَّهُ عزّ وجلّ وَلَا مُتَكَلِّمَ**».

[الكافي، ج: ١، ص: ١٠٧. التوحيد، ص: ١٣٩. بحـار الأنـوار، ج: ٤، ص: ٧١-٧٢، وَج: ٥٤، ص: ١٦١].

غير نفسه، فإن بقي فهو العلم، وإن تغير فهو العلم، ولو فرضت أنه غير العلم، وإلا يلزم تغير العلم عند تغيره، قلنا لك إن تغير المعلوم وبقي العلم على الحالة الأوْلى لم يكن العلم مطابقاً له، وهو باطل.

بل العلم هو الّذي يتغير بتغير المعلوم، ألا ترى أنك إذا علمت أن زيداً قاعداً، فإذا قام و لم يتغير ما عندك من النسبة لم تكن عالماً، ولهذا دخلت الشبه على القوم، حيث وجدوا هذا، و لم يجدوا أن العلم عين المعلوم، وإذا وجدوا أن العلم عين المعلوم و لم يجدوا أن العلم الذاتي هو ذاته، وأنه تعلى عالم لذاته ولا معلوم؛ لأنّ ذاته لا تطابق شيئاً، ولا تقترن بشيء، ولا تقع على شيء، وليس بينه وبين شيء غير ذاته نسبة بوجه، وإنّما التعلق والاقتران والارتباط والمطابقة إنّما هو في العلم الإشراقي.

ولا يلزم من كلامنا هذا: أنّه قولٌ بأنه لا يعلم لذاته؛ لأنّا نقول:

إن قلتَ: هو عالم بها في الأزل.

فهو باطل؛ إذ لا شيء معه في الأزل.

وإن قلتَ: أنّه عالم في الأزل بها في الحدوث.

فهو حق؛ لأنّه تعالى لا يفقد شيء من ملكه في الإمكان، كل شيء في مكانه الّذي وصفه فيه[1]، ووقته الّذي حصره فيه، فهو تعالى في الأزل الّذي هو ذاته المقدسة لا يفقد شيئاً من ملكه في أماكنها ورُتبها من الإمكان، على أنّ الّذي يلزم منه الجهل هو قولك: هو عالم بها في الأزل،

---

(١) في بعض النُّسخ: (الذي وضعه فيه).

بأنك تعتقد أنَّه ليس في الأزل من الحوادث شيء، فما معنى أنَّه عالم بها هناك؟.

بل الحق أن يُقال: هو عالم هناك بما ها هنا؛ لأنَّه تعالى ما أوجدها في الأزل، فكيف يعلم ما ليس بشيء، وقد قال في كتابه: **﴿أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بما لا يَعْلَمُ فِي السَّماوات وَلا فِي الأَرْضِ﴾**[1]، وحيث قال: **﴿لَا يَعْلَمُ﴾**، يلزم منه نفي علمه؛ لأنَّه لو علم أنَّ له شريكاً ولم يكن له شريكاً كان علمه جهلاً، وإذا قال: (لا يعلم له شريكاً)؛ كان ذلك علماً، فعدم علمه بها في الأزل لا يلزم منه الجهل، بل هو العلم، فافهم.

ومثال الإشراقي: إذا حضر عندك زيد عن يمينك فإنَّ كونه عن يمينك إنَّما يوجد بقعوده عن يمينك، فإذا ذهب زالت هذه النسبة، ولم يحصل تغير بوجوده ولا بذهابه، فإنَّ يمينك يمينك، وأنت أنت، قبل مجيئه وبعد ذهابه، وإنَّما التغيير في نسبة زيد إليك، ولا ينسب إليك إلا كونه عن يمينك، وهي نسبة الإشراقي إلى المشرق، والتعلق الحادث بحدوث الحادث، والحادث الذاهب بذهابه هو العلم الإشراقي المشار إليه.

۞[الباري ﷻ إن شاء فعل وإن شاء ترك]:

قلتُ: (فَهُوَ سُبْحَانَهُ مُخْتَارٌ، بِمَعْنَى: إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، وَلَيْسَ عَلَى حَدِّ اخْتِيَارِ مَا ذَكَرْنَا فِي الوُجُوْدِ البَسِيْطِ.

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

وَلَا يُقَالُ: أَنَّ العلّة فِي الوُجُوْدِ إِنَّمَا كَانَتْ لبَساطَته، وَذَاتُ اللهِ سُبْحَانَهُ أَشَدُّ بَسَاطَةً مِنْ كُلِّ شَيْء، فَيَجْرِي فِيْه ذَلِكَ بالطَّرِيْقِ الأَوْلَى، فَيَكُوْنُ مَعْنَى أَنَّهُ مُخْتَار: أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء بِقَصْد وَرِضَاء بِمَا فَعَلَ؛ لأَنَّهُ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ؛ لِأَنَّ هَذَا مُقْتَضَى الْمُرَكَّب مِنَ الضِّدَّيْن كَمَا قَرَّرْتُمْ سَابِقاً).

أقول: إن الاختيار إذا فُسِّر بمعنى: إن شاء فعل، وإن شاء ترك؛ كان المصوف به أشدُّ تصرُّفاً، وأقوى تسلطاً.

وإن فُسِّر بمعنى: القصد والرضا؛ كان الموصوف به محصوراً في جهة واحدة، فيكون أوهن تصرُّفاً، وأضعف تسلطاً، والموافق بل الواجب أن يكون الاختيار الموصوف به الحق ﷻ؛ ما يكون المتصف به أشدُّ تصرُّفاً وأقوى تسلُّطاً، وهو أنَّه إن شاء فعل وإن شاء ترك، ولا ريب أنَّه أولى، بل يجب.

وإنَّما عدلوا عن تفسيره في حقه تعالى بذلك إلى أنَّه بمعنى القصد والرِّضا؛ لتوهم لزوم تغير علمه تعالى، وهذا جهل بمقام الجبَّار تعالى، وقد أشرنا إلى عدم لزوم ما توهَّمُوه، على أنَّ عظمة الله ﷻ لا تُقدَّر بعقول البشر، فهو مختار بمعنى أكمل مَعنَيَيْه.

وتوهمُّ منافاة وحدة المشيئة للاختيار ومعارضتها له، غلطٌ فاحش؛ لأنَّا لا نُسلِّم وحدة المشيئة له، لدلالة العقل والنقل على تعدُّدها.

أمَّا العقل: فلأنَّ ما كان من نوع البدوات التي هي مورد النفي والإثبات، مثل: (ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن) مع ما يُشاهد من

الأمور المتجدِّدة والمتغيِّرة على الاستمرار لا يكون مُتحداً، وما نُسب إليها من الاتحاد مثل: ﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ﴾(٢)، فيُراد منه الكلية، والأمر الكلي، وما أشار إليه من الوحدة يُريدون به ما يتعلق بكل جزئي.

وأمَّا النَّقل: فلا يكاد يُحصى من الكتاب والسُّنة، مثل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ﴾(٣)، الشَّامل لكلِّ شيء، حتى الأحوال والحركات، وهذا ظاهر.

على أنَّا إذا نظرنا الآيات التي جعلها سُبحانه دليلاً على كل غائب عنَّا، مثل: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتنا فِي الآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(٤)، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ﴾(٥)، ومثل قول الصَّادق عليه السلام: «العُبُوْدِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوْبِيَّة، فَمَا فُقِدَ فِي العُبُوْدِيَّةِ وُجِدَ فِي الرُّبُوْبِيَّةِ، وَمَا خَفِي فِي الرُّبُوْبِيَّة أُصِيبَ فِي العُبُوْدِيَّة..»(٦)، ومثل قول الرِّضا عليه السلام: «قَدْ عَلِمَ أُوْلُوْا الأَلْبَابِ؛ أَنَّ [الاسْتِدْلَالَ عَلَى] مَا

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٨.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

(٦) مصباح الشريعة، ص: ٧.

هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَا هُنَا»(١)؛ وجدنا أنَّ مشيئتنا لا تُنافي وحدها اختيارنا، بل لا وحدة لها أصلاً إلا في نفسها، لا في تعلقها بل تعلقها متعددة بتعدُّد شؤوناتنا؛ **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾**(٢).

وإنَّما نسبناه إلى الوجود من الاختيار الناقص لبساطته؛ فلأنَّه إذا نُسب إلى ما يتركب منه ومن ضده يكون ناقصاً، فلا يكون له ميلان متغايران في المتعلَّق، كالنُّور والظُّلمة، بل ولا ميل واحد يختلف تعلقه بنور وظلمة، بل مع ما نثبت له من الاختيار لا يميل بطبعه إلى ضد نوعه، وإن مال إلى أصناف متعددة من نوعه خاصة.

والواجب ﷻ ليس من نحو ما ندركه حتى نحكم عليه بأحكام مدركاتنا؛ بأنَّ البسيط يكون أثره بسيطاً كما توهمه المشبِّهون، حيث قالوا: (أنَّ الواحد لا يصدر منه إلا واحد)، فأحالوا جواز تعدُّد العقل الكلي قياساً على أحوال خلقه، فهو قياس مع الفارق، ومع عدم معرفة الخلق أيضاً؛ لأنَّ الصادر من الواحد إن كان من ذاته فتلك الولادة، وإن كان من فعله فالصادر من الفعل متعدِّد باختلاف الكمِّ والكيف، والمكان والوقت، والرتبة والجهة، بل الَّذي أظهر سُبحانه لنا من آثار أفعاله هو الجمع بين الاضداد؛ ليُعلم أنْ لا ضد له، وكثرة الشؤون، وكثرة اختلاف

---

(١) عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦. وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٢.

خلقه ليُعلم أنّ عظمته لا تُقدَّر على مقدار عقول خلقه، فقد تعرَّف لنا بأنّه تعالى يُنسب إليه ما هو عندنا جمع بين الأضداد وارتفاعها، وأنّ ارتفاعها عين اجتماعها في وصف تعرُّفه.

فهو الأوَّل في آخريته، والآخر في أوَّليته، والظاهر في بطونه، والباطن في ظهوره، بعيدٌ في قربه، قريبٌ في بُعده، دَانٍ في علوه، عالٍ في دُنوِّه..وأمثال ذلك كلها في حال واحدة، بجهة واحدة في حقه تعالى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا؛ فَيَكُونَ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً**»(١).

وعرَّف صنايعه لنا فقال: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾(٢)، فكل ما يصدق عليه اسم الشَّيء، وكل ما يُسمَّى باسمٍ -ما خلا الله- فقد خلقه الله، من كل ما هو ظاهر، أو ما يجري في الضمائر، وتُكنُّه السَّرائر، إمَّا بالذات أو بالعرض، بمقتضى أوهام الملحدين والغافلين.

ولقد روى الصَّدوق في أوَّل كتابه علل الشرائع بإسناده إلى أبي الحسن الرِّضا عليه السلام قال؛ قلت له: لِمَ خلق الله سُبحانه الخلق على أنواعٍ شتَّى، و لم يخلقه نوعاً واحداً؟.

---

(١) من خطبة له عليه السلام، وفيها مباحث لطيفة من العلم الإلهي، راجع: نهج البلاغة، ص: ٩٦. أعلام الدين، ص: ٦٥. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٥٨. شرح نهج البلاغة، ج: ٥، ص: ١٥٣. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٠٩.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢١.

فقال عليه السلام: «**لِئَلَّا يَقع فِي الأَوْهَامِ عَلَى أَنَّهُ عَاجِزٌ، وَلَا تَقَع صُوْرَةٌ فِي وَهْمِ أَحَدٍ [مُلْحِدٍ] إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا خَلْقاً، لِئلَّا يَقُولَ قَائِلٌ: هَلْ يَقْدِرُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ صُوْرَةَ كَذَا وَكَذا؟، لِأَنَّهُ لَا يَقوْلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً إِلَّا وَهُوَ مَوْجُوْدٌ فِي خَلْقِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَعْلَمَ بِالنَّظَرِ إِلَى أَنْوَاعِ خَلْقِهِ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر**»(١).

فيكون القياس على بساطة الوجود غليظاً، والأوَّلوية ممنوعه، فيكون معنى كونه تعالى مختاراً: خصوص أنَّه يفعل ما يشاء بقصد ورضاء، بل يكون مع هذا إن شاء فعل، وإن شاء ترك.

وأمَّا جعل معنى "إن شاء الله فعل، وإن شاء ترك": مقتضى المركَّب من الضدين؛ فهو ما ذكرنا من قياسهم الباطل حكم الربوبية على حكم العبودية، وليس هذا إلا حيث لم تظهر لهم هيئة من الربوبية، فقاسوها على حكم أنفسهم، كما قال الصَّادق في الدعاء -المذكور سابقاً-: «**بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْد هَيْئَة يَا سَيِّدِي، فَشَبَّهُوْكَ وَاتَّخَذُوْا بَعْضَ آيَاتِكَ أَرْبَاباً يَا إِلَهِي، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوْكَ..**»(٢).

---

(١) رواه علي بن فضال عن أبيه، راجع: علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٧٥. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٤١، ج: ٥٩، ص: ٥٩. وما بين المعقوفتين من المصدر.

(٢) ورد باختلافات يسيرة، راجع: مصباح المتهجد، ص: ١١٦. فلاح السائل، ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١١٠.

۞[كلُّ ما يمكن في غيره عَجَلَّ يمتنع له]:

قلتُ: (لأَنَّا نَقُوْلُ: قَدْ قَرَّرْنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَّصِفُ بِجِهَتِي النَّقِيْضَيْن، وَبِجِهَتِي ارْتِفَاعِهِمَا، وَبِجِهَةِ المُرَكَّبِ مِنْ حَيْث بَسَاطَتِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا يُمْكِن فِي غَيْرِهِ يَمْتَنِع عَلَيْه، وَكُلَّمَا يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِهِ يَجِبُ لَهُ.

وَلِهَذَا قَالَ الرِّضَا عليه السلام: «كُنْهُهُ تَفْرِيْقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِه، وَغُيُوْرُهُ تَحْدِيْدٌ لِمَا سِوَاه»[1]، فَالبَسِيْطُ مِنْ حَيْث بَسَاطَتِهِ لَا تَصْدُرُ عَنْهُ آثَارُ المُرَكَّبِ وَبِالعَكْسِ، هَذَا فِي الخَلْقِ.

وَأَمَّا فِي ذَاتِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَذَلِكَ بِخِلَاف مَا يُمْكِنُ فِي الخَلْقِ، فَهُوَ العَالِي فِي دُنُوِّهِ، وَالدَّانِي فِي عُلُوِّهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَة، الظَّاهِرُ بِبُطُوْنِه، البَاطِنُ بِظُهُوْرِهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَة، القَرِيْبُ فِي بُعْدِه، وَالبَعِيْدُ فِي قُرْبِهِ بِجِهَةٍ وَاحِدَة، الأَوَّل بِآخِرِيَّتِه، الآخِرُ بِأَوَّلِيَّتِه بِجِهَةٍ وَاحِدَة، وَلَا يَجْرِي ذَلِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ فِيْمَا سِوَاهُ وَيَجِبُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ.

---

(١) رواه محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، راجع: عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٨. وورد في بعض المصادر قوله عليه السلام: «وَغبُوْرُهُ تَحْدِيْدٌ لِمَا سِوَاهُ». راجع: التوحيد، ص: ٣٦.

فَهُوَ فِي بَسَاطَتِه أَحَدِيُّ المَعْنَى، فَلَا تَكَثُّرَ فِي ذَاتِه وَلَا تَعَدُّدَ، وَلَا حَيْث وَحَيْث، وَلَا جِهَة وَجِهَة، وَلَا اخْتِلَاف فِي ذَاتِه بِكُلِّ اعْتِبَار، لَا فِي الإِمْكَانِ وَلَا فِي الفَرْضِ وَالتَّوَهُّمِ، وَلَا فِي الوَاقِعِ).

أقول: قد قرَّرنا مما عرفناه سُبحانه من صفات أفعاله على لسان نبيه ﷺ، وألسن خلفائه (صلى الله عليهم أجمعين) أنَّه يتَّصف -أي: يُوصف- بجهتي النقيضين، وبجهتي ارتفاعهما، وبجهتي المركَّب من حيث بساطته.

أمَّا أنَّ قولي: (يتَّصف)، يعني: يُوصف؛ فلأنَّه ﷻ أكرم وأجل من ذلك، ومما تتوهمه الأوهام ولو في التَّنْزيه الإمكاني.

وأمَّا أنَّه تعالى يُوصف بجهتي النقيضين.. إلخ، بأنْ يُوصف بمعنى اجتماعهما في وصفه؛ لأنَّ امتناع اجتماعهما وارتفاعهما من حدود الحوادث، فيكون وجوب اجتماعهما الَّذي هو عين ارتفاعهما وصفاً للقديم، إذ ما يمتنع على خلقه يجب له، وما يجوز عليهم يمتنع منه تعالى.

فكون اجتماعهما عين ارتفاعهما؛ أنَّ قولك: (عالٍ دانٍ)، معناه: ليس بعالٍ ولا دانٍ؛ لأنَّ قولك: (عالٍ) يدل على الجهة العليا، والداني عكسه، والمعنيان محالان عليه تعالى؛ لأنَّ هذا معنى حادث، وإنَّما الواجب له سُبحانه ما يراد منه أنَّه ليس بعالم، إمَّا بمعناه، أي: يراد منه معنى لا يدل على علو الجهة أو بمعنى ضدِّه وهو دانٍ، يعني: إذا قلنا في معنى عالٍ نريد أنَّه بمعنى دانٍ، ودانٍ معنى عالٍ.

وكذا معنى أوَّل؛ هو آخر وليس بذي بدء.. وهكذا، فالأوَّل الآخر ليس بأوَّل ولا آخر، والظاهر الباطن ليس بظاهر ولا باطن، والعالي الدَّاني ليس بعالٍ ولا دانٍ، والقريب البعيد ليس بقريب ولا بعيد.. وهكذا، وليس ما بين كل ضدين، يعني: ليس بعالٍ ولا دانٍ، ولا ما بينهما، وهكذا باقي الصِّفات.

والحاصل: هو ﷻ لِذَاته لا يُعرف بشيء ولا ضده، ولا اجتماعهما ولا ارتفاعهما، بل باجتماعهما بمعنى ارتفاعهما، وبارتفاعهما بمعنى اجتماعهما، ويتَّصف بجهتي المركَّب أيضاً من حيث بساطته، بمعنى: إن شاء فعل، وإن شاء ترك؛ لأنَّ هذا لا يكون لذات شيء إلا إذا كان مركَّباً، وهذا حكم الحادث.

وأمَّا القديم؛ فيصح منه إن شاء فعل وإن شاء ترك من حيث بساطته، بخلاف الحادث؛ لأنَّ كل ما يمكن في غيره يمتنع عليه، وكل ما يمتنع في غيره يجب له، لا بمعنى العكس، إذ الوصف بمعنى العكس من أحكام الحوادث.

وهو المراد بقول الرِّضا عليه السلام: «**كُنْهُهُ تَفْرِيْقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَغُيُوْرُهُ تَحْدِيْدٌ لِمَا سِوَاهُ**»[1]، إذ لا يعرف تعالى بشيء ولا بضده؛ لأنَّ

---

(١) رواه محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، راجع: عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٨.

كلا الوجهين من أحكام الخلق، إذ كل منهما غير معنى القديم سُبحانه، وما هو غيره فهو حَدٌّ لخلقه، أي: حَدٌّ لذلك الغير، وجهة الارتفاع غير جهة الاجتماع[١] في وصف الحق تعالى نفسه لخلقه، واتحاد الجهة في كل حال عنوان معرفته، فهو في بساطته أحديٌّ المعنى في نفس الأمر، وفي الخارج، وفي جميع احتمالات الأوهام، فلا تكثُّر في كنه ذاته، ولا فيما تعرَّف به، ولا حيث وحيث، ولا جهة وجهة.

ولا اختلاف في ذاته، ولا فيما تعرَّف به بكل اعتبار، لا بالإمكان؛ إذ لا إمكان في ذاته، ولا يعتبر إمكان فيما تعرَّف به لخلقه، وإلا لَمَا عرف به، إذ لا يُعرف بالإمكان ولا بالفرض فإنه إمكان، ولا بالتوهم فإنَّه إمكان، ولا في الواقع كثرة في ذاته ولا في صفات ذاته؛ لأنَّها ذاته، وإنَّما تكثَّرت المفاهيم من ألفاظها، وتعدُّد ألفاظهما باعتبار إرادة صفات أفعاله، وإنَّما تعدَّدت صفات أفعاله باعتبار تعدُّد متعلقاها، ولا فيما تعرَّف به كذلك، كما ذكرنا مكرَّراً.

(١) في بعض النُّسخ: (وجهة الارتفاع عين جهة الاجتماع).

۞[فعل الشيء وتركه بالنسبة إلى مشيئته ﷻ سواء]:

قلت: (فـ«كُلُّ مَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم فِي أَدَقِّ مَعَانِيْهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوْعٌ] مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم»[١]، يَعْنِي: مِنْكُم إِلَيْكُم، ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[٢].

وَمَعَ هَذَا فَهُوَ الْمُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمُتَعَادِيَات، وَالْجَامِعُ بَيْنَ الْمُعَانِدَات، وَتَصْدُرُ عَنْهُ الأَفْعَالُ الْمُتَضَادَّة، فَلَيْسَ بَيْنَ فِعْلِه وَبَيْنَ مَا سِوَاهُ مُوَافَقَة وَلَا مُخَالَفَة؛ لِأَنَّهُ أَثَرُ ذَاتِهِ الَّتِي لَا يُضَادُّهَا شَيْء، وَلَا يُنَادُّهَا شَيْء، هُوَ هُوَ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

إِنَّمَا الشَّيْء مِنْ مَشِيْئَتِه، فَفِعْلُ الشَّيْء وَتَرْكِه بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَشِيْئَتِه سَوَاء، فَهُوَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، بِجِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمَشِيْئَةٍ وَاحِدَةٍ، كَذَلِكَ اللهُ رَبِّي، كَذَلِكَ اللهُ رَبِّي).

أقول: (فكل ما ميزتموه.. إلخ)؛ من كلام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ومعناه: كل شيء ميزتموه من غيره بنوع من أنواع التَّمييز،

---

(١) روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «**كُلّمَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم، وَأَدْرَكْتُمُوْهُ مُمَثّلاً فِي نُفُوْسِكُم، وَمُصَوَّراً فِي أَذْهَانِكُم؛ فَهُوَ مُحْدَثٌ مَصْنُوْعٌ مِثْلُكُم**».[إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢].

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

جسماني أو نفساني أو عقلاني، بحيث يتميَّز بالمائز أنَّه هو لا غيره، بمعنى: التعيُّن بالتَّعيين، والتَّميُّز بالتمييز، بأوهامكم مما تتوهموه بخيالاتكم وعقولكم، في أدق ما يحتمل من معانيه؛ فهو مخلوق، يعني: خلقه الله الَّذي خلقكم، مثلكم، أي: كما أنَّكم مخلوقون، أو مثلكم، أي: أنَّه خلق بمقتضى مدارككم، فهو مَثَلٌ لكم، يعني: صفة من صفات أنفسكم، أو من صفات أفعالكم، فهو صورة أفعالكم، مردودٌ إليكم أو عليكم، على نُسخ الحديث.

والمعنى: أنَّ ما ميَّزتموه بأوهامكم في أدقِّ معانيه؛ فهو غير المعبود تعالى، فلا تُقبل منكم هذه المعرفة والتوحيد، بل هو مردود عليكم، وإنَّه من أمثال ذواتكم يُردُّ إليها، لأنَّه من صفاتها، صدر منها وإليها يرجع، والله سُبحانه مستغن عن معرفتكم إياه، وأنتم محتاجون إلى معرفته بما تعرَّف به لكم.

ومع هذا -أعني: ما وصفنا مما عرَّفنا من نفسه سُبحانه من عدم التعدُّد والتَّكثُّر، البالغ فوق الإدراك من البساطة- فهو المؤلِّف بين المتعاديات؛ لعموم قدرته، وإحاطة علمه، **﴿لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[1].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

والجامع بين المتعاندات كالأضداد؛ ليُعلم عباده أن لا ضدَّ له، وأبرز من فعله القدير على ما يشاء من أمره الأفعال المتضادة بمفاعيلها المتعاندة؛ ليُعلم أنَّه ليس بين فعله وبين شيء من خلقه مخالفة ولا موافقة، إذ لو وافقها لشابهها، ولو خالفها لَمَا صدرت عنه؛ لأنَّ فعله أثر ذاته التي ليس لها ضدٌّ فيضادها، ولا ندٌّ فيشابهها، هو هو، لا إله إلا هو.

وقولي: (هو هو)؛ ليس ما يكشف عنه كنه ذاته؛ لأنَّ ذلك إشارات إلى الخلق، وهو قول سيد الوصيين عليه السلام في خطبته المسماة بالدُّرة اليتيمية قال عليه السلام: «**وَإِنْ قُلْتَ: مِمَّ؟ فَقَدْ بَايَنَ الأَشْيَاء كُلّهَا، فَهُوَ هُوَ. وَإِنْ قُلْتَ: فَهُوَ هُوَ، فَالهَاء وَالوَاو كَلَامُهُ صِفَةُ اسْتِدْلَال عَلَيْه، لَا صِفَةٌ تَكْشِفُ لَهُ..إِلَى آخِرِه**»[1]، إنَّما الشَّيء من مشيئته، فلا يكون ضداً له، ولا نداً له؛ لأنَّ الشَّيء لو كان ضداً لَمَا صدر عن المشيئة، ولو كان ندّاً له لاستغنى عنه.

وقولي: (إنَّما الشَّيء من مشيئته)، مقتبس من قول علي عليه السلام في خطبة يوم الجمعة والغدير: «**وَهُوَ مُنْشِئ الشَّيْء حِيْنَ لَا شَيْء، إِذْ كَانَ الشَّيْء مِنْ مَشِيْئَتِهِ**»[2]، فهو إنَّما سمي شيئاً لأنَّه مشاء.

---

(١) رواها الشيخ المؤلف في كشكوله المسمى بـ(المجموع)، ج: ٢، ص: ٣٥٩.

(٢) في هذه المقطوعة حصل دمجٌ بين خطبتين:

الأولى: من خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم، قال: «**..لَا مِثْلُهُ شَيْء، وَهُوَ مُنْشِئ الشَّيْء حِيْنَ لَا شَيْء، دَائِمٌ قَائِمٌ بِالقِسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الْحَكِيْم**».[الاحتجاج، ج: ١، ص: ٥٨. التحصين لابن طاوس، ص: ٥٧٩.

...←

وأمَّا إطلاق الشَّيء عليه ﷻ؛ فمن باب التسمية، إذ لا بُدَّ من التعبير عمَّا يُعيِّنه من صفاته التعرفية بما يدل عليها من الألفاظ، ولأجل أنَّا إنَّما نعرف مما وصف به نفسه ما هو من نوع الخلق، قال الرضا عليه السلام: «**وَأَسْمَائه تَعْبِيْر، وَصِفَاته تَفْهِيْم**»[1].

فإذا فهمت ما أشرنا إليه؛ ظهر لك أنَّ فعل الشَّيء وتركه بالنسبة إلى مشيئته سواء، فهو إن شاء فعل، وإن شاء ترك بجهة واحدة، ومشيئة واحدة، سُبحانه وتعالى.

←...

روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٩١. العدد القوية، ص: ١٧٠. اليقين، ص: ٣٤٧. بحار الأنوار، ج: ٣٧، ص: ٢٠].

والثانية: من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير، قال: «..**لَهُ الأَسْمَاء الحُسْنَى، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء؛ إِذْ كَانَ الشَّيْء مِنْ مَشِيْئَتِهِ، فَكَانَ لَا يُشْبِهُهُ مُكوّنه**..».[مصباح المتهجد، ص: ٧٥٣. إقبال الأعمال، ص: ٤٦١، المصباح للكفعمي، ص: ٦٩٦].

(١) التوحيد، ص: ٣٦. الأمالي للمفيد، ص: ٢٥٥. الأمالي للطوسي، ص: ٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. العدد القوية، ص: ٢٩٥. تحف العقول، ص: ٦٣. أعلام الدين، ص: ٦٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٩.

❁[الرب لا يُعرف بخلقه، بل الخلق يُعرفون به]:

قلتُ: (وَالتَّنْظِيْرُ بالخَلْقِ تَشْبِيْهٌ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ، وَفِي الدُّعَاء: «بَـدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْد هَيْئة يَا سَيِّدِي، فَشَبَّهُوْكَ وَاتَّخذُوْا بَعْضَ آيَاتكَ أَرْبَاباً يَا إِلَهِي، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوْكَ يَا إِلَهِي»[1]، فَهَذَا حَالُ مَنْ عَـرَفَ نَفْسَهُ هيئة فَعَرَفَ بِهَا رَبَّهُ، وَالرَّبُّ لَا يُعْرَفُ بِخَلْقِهِ، بَلْ الخَلْقُ يعْرفُـوْنَ بِـهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَنَا عَالِمٌ وَهُوَ عَالِمٌ، وَأَنَا حَيٌّ وَهُوَ حَيٌّ، أَنَـا مَوْجُـوْدٌ وَهُوَ مَوْجُوْدٌ، وَلَا يستَدل عَلَى شَيْء مِنْ وَصْفِهِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ إِلَّا بِمَـا نَجِدُهُ).

أقول: أنَّ التَّنظير بخلقه في شيء مما عرَّف به نفسه يعرفوه به؛ تشبيهٌ له تعالى بخلقه على أي فرض كان، والواجب على العباد: أنهم إذا وجدوا شيئاً في أنفسهم وفي الآفاق، فإنْ كان بنحوِ معرفتهم، وطريق تمييـزهم؛ نزَّهو مقامه ﷻ أن يُعرف به، وإنْ كان بنحو ما علَّمهم علـى ألـسن أوليائه؛ عرفوا بأن ذلك من آياته التي يُعرف بها، وعلى الوجهين يُنَزِّهون ذاته المقدسة عن كل شيء.

---

(١) ورد باختلافات يسيرة، راجع: مصباح المتهجد، ص: ١١٦. فلاح الـسائل، ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١١٠.

قال سيِّد العارفين، وجمال الموحِّدين، جعفر بن محمد (صلوات الله عليهما) في الدُّعاء عُقيب الوُتيرة: «**بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْدُ هَيْئَة**»(١)، يعني: بَدَت قُدرتك بآثارها التي انحطّت دون معرفة أدناها عقول خلقه، و لم تُبد هيئة لها ليصفوها بتلك الهيئة، إذ لو بدت هيئتها لفني جميع خلقه.

وفي الحديث النَّبوي: «**إِنَّ للهِ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُوْرٍ وَظُلْمَة، لَوْ كُشِفَ حِجَابٌ مِنْهَا لَاحْتَرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِ جَمِيْع مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرِه مِنْ خَلْقِه**»(٢).

وروى ابن إدريس في مستطرفات السَّرائر عن الصادق عليه السلام وقد سُئل عن الكروبيين فقال عليه السلام: «**قَوْمٌ مِنْ شِيْعَتِنَا مِنَ الخَلْقِ الأَوَّل؛ جَعَلَهُمُ اللهُ خَلْفَ العَرْشِ، لَوْ قُسِّمَ نُوْرُ وَاحِدٍ مِنْهُم عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ**

---

(١) سبق تخريج مصادره.

(٢) قال ابن أبي جمهور الأحسائي في عواليه: رُوي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إِنَّ للهِ سَبْعِيْنَ حِجَاباً**»، وفي رواية أخرى: «**سَبْعمَائة حِجَاب**»، وفي أخرى: «**سَبْعِيْنَ أَلْف حِجَاباً مِنْ نُوْرٍ وَظُلْمَة، لَوْ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ لَاحْتَرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهه مَا أَدْرَكَه بَصَره مِنْ خَلْقِهِ**».[عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٦].

ونقل العلامة المجلسي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَبْعِيْنَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُوْرٍ وَظُلْمَةٍ، لَوْ كُشِفَتْ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا دُوْنَهُ**».[بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٤٥].

لَكَفَاهُم، وَلَمَّا سَأَلَ مُوْسَى رَبَّهُ مَا سَأَلَ؛ أَمَرَ رَجُلاً مِـنَ الكَـرُوْبِيِّين، فَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ، فَجَعَلَهُ دَكّاً»[١].

ولَمَّا لم تبد هيئة، ولم يَقِفُوا على حَدٍّ لهم من معرفته على بيانـه في كتابه، وفيما أوحى إلى أوليائه عليه السلام؛ فشبَّهُوه بخلقه، واتَّخـذوا بعـض آياته أرباباً، كالصُّوفية الَّذين قالوا: (إن الله عز وجل هو وجود كلِّ شـيء، فكل شيء من خلقه مركَّب من وجود، وهو الوجود الحق تعالى، ومـن [ماهية هي][٢] حدود موهومة، فإذا زالت حدود الخلق ظهـر الوجـود الحق)، وقد قال شاعرهم:

وما الناس في التمثال إلا كثلجـة وأنت لها الماء الَّذي هـو نـابع
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمـه ويوضع حكم الماء والأمر واقع[٣]

ويقول أحدهم: (أنـا الله بلا أنـا)، يعني: إذا تجرَّدتُ عن حدود الماهيَّة فأنـا الله.

والله سُبحانه علَّمهم في كتابه: أنَّه إذا تجرَّد عن حدود الماهيَّة؛ كان آية الله، أي: دليل معرفته، وحقيقة وصفه نفسه لهم، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ

---

(١) مستطرفات السرائر، ص: ٥٦٩. بصائر الدرجات، ص: ٦٩. بحار الأنـوار، ج: ١٣، ص: ٢٢٤. وَج: ٢٦، ص: ٣٤٢.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد إلا في بعض النُّسخ.

(٣) الأبيات لعبد الكريم الجيلاني، ذكرها في كتابه الإنسان الكامل، ص: ٧.

آياتِنَا فِي الآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(١)، ولم يَقل تعالى: (سنريهم ذاتنا).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»**(٢)، بمعنى: أنَّه تعالى خَلق نفسَ عبده وصفاته وصف استدلال عليه، لا وصف كشف له؛ لأنَّه تعالى وصف نفسه، فلمَّا خلق ذلك الوصف جعله حقيقة عبده، فإذا عَرَف العبد حقيقته عرف ربَّه؛ لأنَّ حقيقته وصف ربه لعبده، والشَّيء إنَّما يُعرف بوصفه، وهذا الوصف حادث؛ لأنَّه عز وجل كان ولم يوصف وصف لا موصوف له، فخلق وصفاً يُعرف به، وجعله نفس عبده الَّذي تعرَّف له به، وهو وصفٌ دالٌّ، لا وصفٌ كاشفٌ؛ لأنَّه كالدُّخان، فإنَّه يدلُّ بوجوده على وجود النار، ولله المثل الأعلى، وهو العزيز الحكيم.

والقوم: طلبوا معرفته عز وجل من نحو ذاتهم، فشبَّهوه بخلقه، واتَّخذوا بعض آياته أرباباً، فمن ثمَّ لم يعرفوه.

۞ [إشكل وجوابه حول علمه عز وجل وعلمنا]:

فإنْ قلتَ: أنا عالمٌ وهو عالم، كما توهَّمه بعضهم، حيث أستدلَّ بمفهوم وحدة الوجود، قال: إني موجود، يعني: (هستم)، وهو موجود،

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) مصباح الشريعة، ص: ١٣. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٢.

يعني: (هست)، وإذا أمرنا بالاستدلال على معرفته بمعرفتنا دلَّ على الاتحاد، فقاسوا صفاته على صفاهم، وهو ظاهر الفساد.

قلتُ: **(هَذَا مَعْنَى قَوْلِه عليه السلام: «بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْد هَيْئة..إلخ»[1]، إِنَّمَا وَصَفْنَاهُ بِالعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَ فِيْنَا العِلْمَ، وَبِالحَيَاةِ لِخَلْقِه فِيْنَا الحَيَاة، وَبَالوُجُوْدِ لِإِيْجَادِنَا.**

وَلَيْسَ هَذَا كَمِثْلِ مَا هُوَ عَلَيْه، وَإِنَّمَا قَبِلَ مِنْكُمْ هَذِهِ التَّوْصِيْفَات وَتَعَبَّدَكَم بِهَا؛ لِأَنَّهَا مَبْلَغ وُسْعِكُم، وَحَقِيْقَة ذَوَاتِكُم، الَّتِي تَعَرَّفَ لَكُم بِهَا، بِمَا هُوَ كَمَالٌ عِنْدَكُم، وَأَنَّ الذَّرَّةَ لَتَزْعَم أَنَّ لله زَبَانَيْن؛ لِأَنَّ كَمَالَهَا فِي وُجُوْدِهِمَا لَهَا[2]، وَلِهَذَا قَالَ الرِّضَا عليه السلام: «وَأَسْمَاؤُهُ تَعْبِيْرٌ، وَصِفَاتُهُ تَفْهِيْمٌ»[3]، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4]).

أقول: هذا جواب قول من أعترض بقوله: أنا عالم، وهو عالم.

وتقرير الجواب: أنَّ قولكم هذا هو قول الصَّادق عليه السلام، إخباراً عمَّن شبَّه صفاته تعالى بصفات خلقه، بقوله عليه السلام: **«بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا**

---

(١) سبق ذكر مصادره فراجع.

(٢) سيأتي الاستدلال على ذلك في كلام المصنِّف ونقل مصادره.

(٣) التوحيد، ص: ٣٦. الأمالي للمفيد، ص: ٢٥٥. الأمالي للطوسي، ص: ٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. العدد القوية، ص: ٢٩٥. تحف العقول، ص: ٦٣. أعلام الدين، ص: ٦٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٩.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

إِلَهِي»[١]، فإنَّهم كما ذكرنا لَمَّا لم يفهموا قول الله سُبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا﴾[٢]؛ توهَّموا أنَّ ما يرونه في أنفسهم هو الله وصفاته الذاتية، ولو فهموا أنَّ ما يرونه آية معرفة الله سُبحانه بما تعرَّف لهم به من الوصف الحادث؛ لنَزَّهوه عن مشابهة مخلوقاته.

وشُبهتهم: (بأنَّا إنَّما نعرف ذاته وصفات ذاته بما خلق فينا من صفاتنا) غلط؛ لأنَّ معرفة ذاته وصفاته بخلقه تشبيه، وإنَّما تُعرف صفاته بما أظهر لنا من صفات فعله، فنعرف صفات أفعاله بآثارها، والأثر يُشابه صفة مؤثِّرة.

وأمَّا ذاته: فليس لنا طريقٌ إلى معرفتها وصفاها عينها، ولا يمكن معرفتها بالكُنه، وإنَّما نعرفه بصفات أفعاله إذا نظرنا إلى آثارها، فنعلم أنَّه تعالى عالمٌ؛ لأنَّه خلق العلم والعالم، فلَمَّا خلق فينا العلم علَّمنا أنَّ الجاهل لا يصنع العالم، وعرفنا أنَّه تعالى حي؛ لأنَّه أحدث الحياة فينا، إذ الميِّت لا يُحدث الحي، وعَرفنا أنَّه تعالى موجود؛ لأنَّه أوجدنا، لأنَّ المعدوم لا يُوجد شيئاً.

وليس هذا الَّذي عرفنا من صفات أفعاله بآثارها كمثل ما هو عليه في كنه ذاته؛ لأنَّ الأفعال لا تدل إلا على الصِّفات الفعلية، كما إذا رأينا الكتابة، فإنَّها إنَّما تدل على صفة الفعل، أمَّا أها تدل على صفات الفاعل

---

(١) سبق ذكر مصادره فراجع.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

الذاتية فلا تدل على قوته أو ضعفه، أو بياضه أو سَواده، أو طوله أو قصره، أو حُسنه أو قبحه.

وإنَّما قَبِلَ منكم هذه الصِّفات، التي لا تدل إلا على صفات الأفعال، وتعبَّدَكم بها؛ لأنَّها مبلغ وسعكم، وغاية طاقتكم، وحقيقة ذواتكم، التي تعرَّف لكم بها، إذ لا تعرفون كمالاً إلا على ما عندكم، وما تجدونه كمالاً فهو كمال عندكم، فما معرفتكم وتوحيدكم بالنسبة إليه إلا كمعرفة النَّملة، كما رُوي عن الصَّادق عليه السلام: **«أَنَّ الذَّرَّةَ تَزْعُمُ أَنَّ للهِ زَبَانَيْن»**(١)، يعني: أن النملة الصَّغيرة الحمراء تزعم أنَّ لله سُبحانه زبانين، أي: قرنين؛ لأنَّ الكمال في وجودهما عندها، وفي عدمها نقص، فتصف الله بما هو كمال عندها.

والخلق كلُّهم بالنسبة إلى ذاته المقدسة كمثل الذَّرة، فإنَّهم يصفونه بما هو كمال عندهم، وهو سُبحانه مُنَزَّه عن جميع ما وُصف به خلقه، وإنَّما تعرَّف لهم على حسب ما يمكن منهم، وهو أكبر وأجل من أن يُوصف بذلك.

---

(١) عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: **«كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم فِي أَدَقِّ مَعَانِيْه؛ مَخْلُوْقٌ مَصْنُوْعٌ مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم، وَلَعَلَّ النَّمْلَ الصِّغَارَ تَتَوَهَّم أَنَّ للهِ تَعَالَى زَبَانِيَتَيْن، فَإِنَّ ذَلِكَ كَمَالُهَا، وَتَتَوَهَّم أَنَّ عَدَمَهَا نُقْصَان لِمَنْ لَا يَتَّصِفْ بِهِمَا، وَهَذَا حَالُ العُقَلَاءِ فِيْمَا يَصِفُوْنَ اللهَ تَعَالَى بِهِ»**. [كلمات مكنونة، ص: ١٩. بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢-٢٩٣].

ولهذا قال الرِّضا عليه السلام: «وَأَسْمَاؤُهُ تَعْبِيرٌ، وَصِفَاتُهُ تَفْهِيمٌ»[١]، يعني: أمورًا عبَّر بها لهم؛ ليفهموا بها، وكلُّها حادثة، وهو متعال عنها، وهنا قال عز وجل: ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[٢].

وإنَّما قال: ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾؛ لأنَّه لَمَّا نزَّه نفسه تعالى عما نسبوه إليه من قولهم: أن الملائكة بنات الله، بقوله سُبحانه: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ۞ إلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[٣]، يعني بهم: المرسلين الّذين نزهوه عن تلك النسبة، فإنَّهم وصفوه بما أمرهم به، وعلَّمهم إياه، فاستثناهم من المشركين، بمعنى: استثنى وصفهم من وصف المشركين.

فربَّما يتوهم: أنَّ وصف المرسلين الّذين نزَّهوه عن جميع النقائص يليق بعزِّه، فبيَّن لعباده أنَّ وصف النبيين إنَّما قَبلَه منهم؛ لأنَّه علَّمهم إياه، ووصف نفسه بذلك لهم؛ لأنَّه مبلغ علمهم، وغاية إمكانهم، وإلا فهو أجلُّ وأكبر من ذلك.

---

(١) التوحيد، ص: ٣٦. الأمالي للمفيد، ص: ٢٥٥. الأمالي للطوسي، ص: ٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. العدد القوية، ص: ٢٩٥. تحف العقول، ص: ٦٣. أعلام الدين، ص: ٦٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٩.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٨٠-١٨١.

(٣) سورة الصافات، الآيتان: ١٥٩-١٦٠.

فبيَّن هذا في آخر السُّورة؛ إشعاراً بأنه هو نهاية النــهايات، فقــال: ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، هم والمرسلون[١]، ﴿وَسَــلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾؛ حيث فعلوا مــا أُمــروا، فقــال: ﴿وَسَــلامٌ عَلَــى الْمُرْسَلِينَ﴾[٢]، أي: السَّلام المؤمن، حَفِظَهُم من كل ما لا يحب، وحَفِظَ عليهم رضاه؛ لإبلاغهم وتبليغهم، وقيامهم بما أمروا به، ثم أثنى على نفسه لتنْزيهه ذاته المقدسة بالاختصاص بالحمد على ما خلق وعلم ورزق.

۞[كلُّ ذرة من الوجود مختارةٌ، وكلٌّ بحسبه]:

قلتُ: (ثُمَّ اعْلَم أَنَّ مَا نَجدُ مِنَ الاخْتِيَارِ التَّام فَهُوَ أَثَرُ اخْتِيَارِ فعْله، وَاخْتِيَارُ فِعْله أَثَرُ اخْتِيَارِ ذَاته، وَالوُجُوْدُ بأَثَرِهِ لَيْسَ فِــي شَــيْء منْــهُ اضْطِرَارٌ مَحْضٌ، وَلَا جَبْرٌ خَالِصٌ، بَلْ كُلُّهُ مُخْتَــارٌ، وَكُــلُّ ذَرَّةٍ مِــنَ الوُجُوْدِ مُخْتَارَةٌ؛ لأَنَّ أَثَرَ المُخْتَارِ مُخْتَارٌ.

وَهَذه الحَقيْقَة اشْتَرَكَ فيْهَا جَميْعُ مَا خُلقَ؛ الإنْسَانُ وَغَيْره، إلَّا أَنَّهُ كُلَّمَا قَرُبَ مِنَ الفعْلِ كَانَ أَقْوَى اخْتيَاراً وَأَظْهَر، وَكُلَّمَا بَعُــدَ كَــانَ أَضْعَفَ اخْتيَاراً وَأَخْفَى، كَالنُّوْرِ المُتَشَعْشِعِ مِنَ المُنِيْر، كُلَّمَا قَرُبَ منْــهُ كَانَ أَشَدّ نُوْراً، وَأَقْوَى إظْهَاراً أَوْ ظُهُوْراً، وَكُلَّمَا بَعُدَ كَــانَ أَضْــعَفَ

---

(١) في بعض النُّسخ: (هم المرسلون).

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٨٠-١٨١.

وَأَخْفَى، حَتَّى يَنْتَهِي الوُجُوْدُ، فَيَفْنَى الاخْتِيَار حَيْث يَفْنَى الوُجُوْد، سَوَاء كَانَ ذَاتِيّاً أَمْ عَرَضِيّاً، كُلٌّ بِحَسَبِه).

أقول: اعلم أنَّ الاختيار التَّام المشار إليه بأن معناه: "إن شاء فعل، وإن شاء ترك"، وهو المنسوب إلى المكلَّفين، هو أثر اختيار فعل الله؛ لأنَّ المنسوب إلى فعل الله هو الَّذي معناه: "إن شاء فعل، وإن شاء ترك"، واختيار فعل الله أثر اختيار ذاته تعالى، واختيار ذاته هو ما يُنسب إلى فعله بلا مغايرة بكل اعتبار.

أمَّا الاختيار الواجب: فهو ذاته تعالى، ولا كلام للخلق فيه، وإنَّما الكلام في الاختيار المنسوب إلى فعله، ومعناه -على ما قرَّرنا سَابقاً-: أنه إن شاء فعل، وإن شاء ترك، وأمَّا تفسيره بمعنى: "القصد إلى الفعل، والرِّضا بما يفعل"؛ فقد أشرنا سابقاً إلى بطلانه.

واعلم أنَّ الوجود الممكن بأسره ليس في شيء منه اضطرار ولا جبر، إلا ما نعني به[1] من رجحان الفعل عند الفاعل، بحيث يتعيَّن عنده الفعل، بحيث لا يتركه، إلا أنَّه قادر على تركه، ولكنه لا يشتهيه، فمن ثم عين الفعل على نفسه، وذلك لغلبة شهوته على جهة الفعل[2]، وكذا كلُّ ذرَّةٍ من ذرَّات الوجود، من كلِّي أو جُزئي، إذ كلّ أو جزء، من ذات أو فعل،

---

(١) في بعض النُّسخ: (إلا ما نفي به).

(٢) في بعض النُّسخ: (على جهة العقل).

أو صفة أو موصوف، أو عرض أو معروض مختارة؛ لأنّها أثر المختار، وأثر المختار مختار؛ لأنّه مشابه لصفة مؤثّره.

وهذه الحقيقة -أعني: الاختيار بمعنى "إن شاء فعل، وإن شاء ترك"- اشترك فيها جميع ما خلق الإنسان والجماد، وما بينهما من أنواع الحيوانات والنباتات والمعادن، وما بين جميعها من البرازخ، إلا أنّه كلّما قرب من الفعل الّذي هو أمر الله الفعلي، وأمر الله المفعولي؛ كان أقوى اختياراً، لأجل قرب مشابهته لصفة مؤثره وأظهر، بمعنى: ظهور اختياره.

كما ترى في الإنسان، فإنّ الاختيار فيه أقوى منه في الحيوان، وفي الحيوان أقوى منه في النبات.. وهكذا، حتى يتوهّم من لم يقف بسرّه على هذه الحقيقة، ولم يعثر بلطيف حسّه على هذه الدّقيقة: أنّ النبات والجماد غير مختارة، بل الحيوانات العجم، مع أنّه يسمع كلام الله ينطق باختيارها، كما قال في السّماء والأرض: **﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾**[1]، وقال: **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ﴾**[2]، ومثل ذكر الضمائر العائدة إليهم بمضمرات العقلاء، وقد تقدّم بعض بيان ذلك، وكذلك يسمع ألسنة المسنون[3] ناطقة بتكليف الجمادات والنباتات،

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٣) في بعض النُّسخ: (السنة المنورة).

ومعاقباها على المخالفة، وما أعجب حال من يُنكر ذلك، ولا يَقبل التّعريف مِمَّن يعرف، وما هو إلا كما عنى الشّاعر بقوله:

إذا كنت ما تدري ولا أنت بالّذي تطيع الّذي يدري هلكت ولا تدري
وأعجب من هذا بأنك ما تدري وأنك ما تدري بأنك ما تدري

وكلّما بَعُد من الفعل كذلك كان أضعف اختياراً، وذلك مثل الجمادات، وأخفى اختياراً، حتى أنّ من لا يعرف يدري بأنها ليست مختارة أصلاً، فإنّه يدري أن الإنسان يتصرّف في الجمادات والنباتات كيف يشاء، ولا يمتنع عليه منها شيء، ولم يتفطّن في نفسه، مع أنّه لا ينكر كونه مختاراً، مع أنّ القدر يجري عليه وهو لا يشعر، ويفعل الله به ما يشاء، وهو لا يعلم، كما قال عزَّ من قائل: **﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾**[1]، فهو مع اختياره بالنسبة إلى من فوقه بحكم الجماد، فلَيعْتَبَر بهذا في اختيار الجماد بالنسبة إلى اختياره.

ومثال ذلك: كالنُّور المتشعشع عن المنير، هو شيء واحد، ولكن أجزاؤه متفاوتة، فكلّما قرب من المُنير كالسِّراج مع أشعته كان أشد نوراً، وأقوى إظهاراً لغيره وظهوراً في نفسه، وكلّما بعد من السِّراج كان أضعف إظهاراً لغيره، وأضعف ظهوراً في نفسه، أي: أخفى.

وهذا مثلٌ؛ خلقه الله للوجود الكوني وانبساطه في مراتبه من الفعل، فإنّ وجود الإنسان ووجود الجماد وما بينهما كلّه فائض عن الفعل، مثل

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٢.

نور السِّراج، فإنه فائض عن السِّراج، فكما أنَّ نور السِّراج متساوي، والأجزاء في مطلق النُّورية في الطبيعة، وإنَّما اختلفت في الشِّدة والضَّعف من جهة قربها من السِّراج وبُعدها، والقرب والبُعد هو من متمِّمات قابليتها للاستنارة من المنير، وتختلف باختلاف قوة المتمِّم وضعفه.

كذلك أجزاء الوجود الكوني؛ فإنَّ اختلاف مراتبه من متمِّمات قابليات أجزائه، فتختلف الأجزاء باختلاف قوتها وضعفها، مع تساويها في مطلق قابلية صفاته، من النُّوريَّة والاختيار، والشُّعور والإدراك، واختلاف هذه الصفات فيها باختلاف القرب والبُعد من الفعل.

وهكذا حكم تفاوت مراتب الوجود؛ حتى ينتهي في انبعاثه من الفعل، فيفنى الاختيار بفناء وجودها، فما دام شيء من التَّحقق ثابت فالإدراك والشعور والاختيار ثابت بنسبة تحققه، بل هي مقتضى الكون، فلا يُوجد ما لم يُوجد، بل حيثما عُدِمَ عُدم الاختيار وبالعكس، وهكذا كل ذاتي أوعرضي، كلٌّ بحسبه.

۞[كيف يكون الحجرُ مُختاراً في نزوله وصعوده؟]:

قلتُ: (وَمَا تَرَى مِنَ المَجْبُوْلِ؛ كَنُزُوْلِ الحَجَرِ الَّذي لَا يَقْوَى ظَاهِراً عَلَى الصُّعُوْدِ، فَاعْلَم أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَكَّلَ بِهِ مَلَكاً يَضَعُهُ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ، وَذَلِكَ مِمَّا يُمْكِنُ فِي الحَجَرِ مِنَ النُّزُوْلِ.

وَمَا تَرَى مِنَ المَجْبُوْرِ ظَاهِراً؛ كَالحَجَرِ الَّذي يَدْفَعُهُ الشَّخْصُ إِلَى جِهَةِ العُلُوِّ فَيَصْعَد، مَعَ أَنَّ شَأْنَهُ النُّزُوْل، فَاعْلَم أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَكَّلَ بِهِ

مَلَكاً مُوَكَّلاً بِعُضْوِ الشَّخْصِ الدَّافِعِ، هُوَ أَقْوَى مِنَ المَلَكِ المُوَكَّلِ بِالنُّزُوْلِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ المَلَكَ المُوَكَّلَ بِالنُّزُوْلِ أَنْ يَمْتَثِلَ أَمْرَ المَلَك المُوَكَّلِ بِالدَّفْعِ إِلَى انْتِهَاء شُعَاعِ ذَلِكَ المَلَك، وَشَهْوَة الحَجَر فِي شَهْوَةِ المَلَك المُوَكَّلِ بِالنُّزُوْلِ).

أقول: اعلم أنَّ الحجر إذا تُرك ونفسه نزل ولم يصعد، ويُقال: (هو مجبول على النُّزول)، ويُريدون: أنَّه خلق على طبيعةٍ لا تقتضي إلا النُّزول، وإنَّما لم يقولوا: (هو مجبور)؛ لأنَّ الإجبار لا يكون للشيء من نفسه، وهذا طريقة العوامِّ فيما يُدركون من الأشياء.

والعلماء عليهم السلام والمتعلِّمون منهم عليهم السلام يُشاهدون الأشياء كلَّها مختارة، وذلك أنَّ الله عزّ وجلّ وَكَّل بكل شيء مَلَكاً يُقدِّره حيث يُريد الله منه، ممَّا هو مقتضى نظام الكون، فوكَّل بالحجر مَلَكاً ينْزل به؛ لأنَّه عزّ وجلّ لَمَّا خلق الإنسان على أكمل وجه يحتمل الكون جعله في وسط العالم، وهو كرة الهواء، وقدَّر المكونات فوقه وتحته، فجعل النار فوقه، والماء والسَّماوات فوقها، والأرض تحته، فوكل بالحجر مَلَكاً ينْزل به إلى قراره، وليس أنَّه مجبول ينْزل بطبيعته، بل موكَّل به من ينْزل به، وليس على نحو الإجبار، ولكنه جعل شهوته في متابعة المَلَك، فإن صَعد المَلَك صعد الحجر، وإن نَزلَ نَزَل، فإذا ترك المَلَك المنْزل وما وُكِّل به والحجر وشهوته نزل بالحجر لا يُريد الصُّعود.

وقد وكَّل الله سُبحانه مَلَكا بِعُضو الشخص الدافع، وقد جعله أقوى من المَلَك المنْزل للحجر مثلاً، وأمر الله عزّ وجلّ المَلَك المنْزل للحجر بطاعة

المَلَك الدَّافع، وجعل شهوته في طاعته في خلاف ما وُكِّل بـه، بمقدار شعاع الدَّافع وسعة أجنحته.

فإذا أخذ الشَّخص الحجر وزخَّه في الهواء؛ تولى المَلَك الدافع قـوة عضو الشخص الرَّامي بمقدار ما أمره الله سُبحانه وقدَّر له مـن مسافة الصُّعود، واشتهى المَلَك المنْزل متابعة المَلَك الدافع فيما أمر به من الصُّعود، واشتهى الحجر متابعة المَلَك المنْزل في شهوته التَّكليفية كما اشتهى متابعته في شهوته الطبيعية، إلى أن ينتهي شعاع المَلَك الدافع.

والمراد من شعاعه: نهاية قوة دفعه للحجر إلى جهة العلو، فإذا انتهى شعاعه أوحى إليه مُدبِّر الأمور ومُقدِّرها بأن يكف عن الدافع[1]، ويمنع العضو الدافع، فيرجع المَلَك المنْزل بعد انقضاء مدة سلطان الدافع إلى مقتضى طبيعته من النُّزول بالحجر؛ لأنَّه هو تكليفه بما يشتهيه، فيرجع معه الحجر إلى النُّزول.

وصعود الحجر بالدفع ذاتي له، إلا أنَّه ناقص، والمَلَك الدافع له بالعضو متمِّم لنقصه، فمع المتمِّم يتساوى عنده الصُّعود والنُّزول، إذ كل منهما ممكن له، وكل ممكن له إذا تمَّت شرائطه مال إليه بشهوته.

(١) في بعض النُّسخ: (يكف عن الدفع).

وقولي: (بشهوته)؛ أنّه كالجائع إذا حضر بين يديه الطعام المتمكّن من الأكل بدون مانع، فإنّه لابُدَّ أن يأكل، مع أنّه لو شاء لم يأكل وإن مات جوعاً، فهو مع نفيه للأكل[١] مختار فيه، كذلك الحجر.

ولو قلتُ لك: هل يمكن في الحجر الصُّعود؟.

قلتَ: نعم، إلا أنّه بدافع ومعين، وهذا هو مرادنا من اختياره، إذ لو لم يكن منه الصُّعود كان متعذّراً، فإمكان النُّزول والصُّعود بالنسبة إليه كل منها بشرائطه على حدٍّ سواء، ولا نعني بالاختيار إلا هذا.

وإنّما كان نزوله وصعوده بميل شهوته؛ لأنّه هو باب استعداده[٢] الّذي به بقاؤه وقوامه، والشّيء لا يُلائمه ما به بقائه وقوامه، وهو معنى الشّهوة؛ ولأنّه هو تكليفه الّذي هو علّة إيجاده، فافهم.

فشهوة الحجر فيما يكون من المَلَك في نزول أو صعود، وشهوة المَلَك المنْزل إذا خُلّي ونفسه في النُّزول بالحجر إلى ما يمسكه على مركزه، وإذا حضر المَلَك الموكل بالعضو الدافع للحجر إلى غير جهة السفل مثلاً؛ كانت شهوة المَلَك المنْزل في متابعته مادام حكم سُلطانه، ثم ترجع شهوته إلى ميل طبيعته.

---

(١) في بعض النُّسخ: (فهو مع تعينه للأكل).

(٢) في بعض النُّسخ: (هو باب استمداده).

۞[الإنسان لا يعرف اختيار غيره إلا بطورٍ وراء طور العقل]:

قلتُ: (وَإِذَا انْتَهَى شُعَاعُ الدَّافِع اشْتَهَى المُنْزِل النُّزُوْل، وَاشْتَهَى الحَجَر مَا اشْتَهَاهُ المَلَك، وَلَيْسَتْ فِي الحَقِيْقَة قَسْراً، وَإِنَّمَا هِيَ شَهْوَة اخْتِيَار، كَشَهْوَة الجَائِعِ لِلْأَكْلِ، فَإِنَّهُ يَأْكُل لَكِنَّهُ مُخْتَار.

مَعَ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الجَائِعَ الَّذِي يَحْصَل لَه الطَّعَام، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الأَكْلِ مِنْهُ، وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا مِن خَارِج بِكُلِّ فَرْض، لَا بُدَّ أَنْ يَأْكُل، مَعَ أَنَّهُ مُخْتَار قَطْعاً.

هَذَا كَمَثَالِ الحَجَرِ حَرْفاً بِحَرْف، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، وَلَكِنَّ الطَّرَف الآخَر مِنَ اخْتِيَارِ الحَجَرِ -وَهُوَ عَدَمُ النُّزُوْل مِنْهُ بِاخْتِيَارِه- مَخْفِيٌّ جِدّاً؛ لِأَنَّ الاخْتِيَارَ مِنَ الجَمَادَات وَالنَّبَاتَات لَا يَعْرِفُهُ الإِنْسَانُ، إِلَّا بِطَوْرٍ وَرَاءَ طَوْرِ العَقْلِ، وَذَلِكَ لِأُنْسِه بِأَبْنَاء نَوْعِه وَجِنْسِه، فَلَا يَعْرِف مِن الاخْتِيَار إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَوْعِه كَالإِنْسَان، وَمِنْ جِنْسِه كَالحَيْوَان، وَإِذَا كَانَ مِمَّنْ لَهُ طَوْرٌ مِنَ المَشَاعِرِ وَرَاءَ العَقْلِ؛ عَرَفَ اخْتِيَارَ النَّبَاتَات وَالجَمَادَات).

أقول: إذا انتهى شعاع الدافع -أي: قوة دفعه، فإنَّ القوة الفعلية شعاع الفاعل- ولم يكن له ميل إلى طبيعته؛ ارتفعت شهوته للصعود كالجائع، إذا شبع ارتفعت شهوته للطعام.

فإذا كان كذلك اشتهى المَلَك المُنْزل النُّزول؛ لأنَّها مقتضى طبيعته، فيميل بشهوته إلى النُّزول؛ لأنَّ شهوته للصعود حين انتهى الدافع الصُّعود ليست بمقتضى طبيعته، وإنَّما ذلك شهوة المتابعة، فإذا اشتهى المنْزل

النُّزول اشتهى الحجر ما اشتهاه المَلَك المُنْزل؛ لأَنّه من نوع طبيعتــه، لأنّ ذلك المَلَك جماديٌّ.

ولست أعني: شهوة الحجر للنُّزول في الحقيقة شهوة قسر، وإنَّما هي شهوة اختيار، كشهوة الجائع للأكل، فإنَّه لابُدَّ أن يأكل، ولا يقدر على ترك الأكل، لكنه مختار، وتُدرك من نفسك أنَّه مختار، وهو يُدرك ذلك من نفسه أنَّه لو شاء ترك وإن مات، مع أنَّك تدري أنّ الجائع إذا حصل لــه الطعام، وهو قادر على الأكل منه، ولا مانع له لا من نفــسه كــبعض الأمراض، أو من خارج على أي حال؛ كان لابُدَّ أن يأكل.

وميل الحجر إلى النُّزول مثل الجائع في الأكل بلا فرق، لكن الطرف الآخر، أي: ما يُقابل ميل الجماد والنبات والحيــوان بــشهوته التَّامــة، والطرف المقابل ناقص الشهوة بدون المتمِّم، أي: جهة صعود الحجر مثلاً خفيٌّ جِدّاً، وخفاؤه على من يطلب منها اختياراً كاختيــار الإنــسان في ظهوره وعدم خفاؤه؛ لأنّ مثل هذا الرجل قد أَنِس بأبناء نوعه وجنــسه، فلا يَعرف من الاختيار إلا ما كان من نوع اختيار نوعــه؛ لأنّ اختيــار الجمادات والنباتات لا يعرفه الإنسان بعقله، وإنَّما يعرفه بطور فوق عقله، كما إذا كان من أهل التَّوسُّم، الَّذين ينظرون بنور الله، أعني: بأفئدهم.

۞ [المعنى الظاهري: مثالٌ وبيان على اختيار النباتات والجمادات]:

قلتُ: (وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ شَيْئَيْن: مِثَالاً، وَبَيَاناً، تَسْتَدِلُّ بِهِمَا عَلَــى إِثْبَاتِ اخْتِيَارِ النَّبَاتَاتِ وَالجَمَادَاتِ وَشُعُوْرِهِمَا.

۞[المثال: (النور الصادر عن السراج)]:

فَالأَوَّل: اعْلَمْ أَنَّ الوُجُوْدَ الصَّادر عَن المَشيْئَة كَالنُّوْرِ الصَّادر عَنْ السِّرَاجِ، وَمَعْلُوْمٌ أَنَّ أَجْزَاءَ النُّوْرِ كُلَّمَا قَرُبَ منَ السِّرَاجِ كَانَ أَقْوَى نُوْراً وَحَرَارَةً وَيُبُوْسَةً ممَّا كَانَ أَبْعَد منه.. وَهَكَذَا، حَتَّى يَكُوْن أَجْزَاء النُّوْرِ أَضْعَف الأَجْزَاء نُوْراً وَحَرَارَةً وَيُبُوْسَةً، فَإِذَا فُقدَ النُّوْرُ فُقدَتْ الحَرَارَة وَاليُبُوْسَة، لَا يُمْكن وُجُوْدُ أَحَد هَذه الأَوْصَاف بدُوْن الآخَرَيْن، بَلْ إِذَا وُجدَ وَاحدٌ وُجدَتْ الثَّلَاثَة، وَإِذَا فُقدَ فُقدَتْ الثَّلَاثَة.

فَكَذَلكَ الوُجُوْدُ الصَّادرُ عَنْ المَشيْئَة؛ كُلَّمَا قَرُبَ منْهَا كَانَ أَقْوَى وُجُوْداً وَشُعُوْراً وَاخْتيَاراً كَالعَقْلِ الأَوَّل، وَكُلَّمَا بَعُدَتْ ضَعُفَتْ الثَّلَاثَة عَلَى حَدٍّ سَوَاء إِلَى الجَمَادَات، فَتَكُوْن الجَمَادَات أَضْعَفُ وُجُوْداً وَشُعُوْراً وَاخْتيَاراً.

كَمَا قُلْنَا في نُوْرِ السِّرَاجِ؛ لأَنَّهُ آيَةُ الله في الآفَاق لهَذَا المَطْلَب، لمَن وَرَدَ هَذَا المَشْرَب، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتنا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1]، فَافْهَم).

أقول: قد ذكرنا هذا فيما سبق، فلا فائدة في ذكره، مع أنَّ العبارة ظاهرة ليس عليها غبار.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

وقد ذكرنا فيما تقدَّم: أنَّ قولنا العقل الأوَّل ليس لأنَّا نـذهب إلى القول بثبوت العقول العشرة، بل نريد به: أوَّل المخلوقات من عالم الغيب والشهادة، ويجري على الألسن، ولا نريد به إلا عقل الكل، أي: عقـل العالم كلّه.

۞[البيان: (اندفاع الحجر إلى العلوّ)]:

قلتُ: (وَالثَّاني: اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْء الجَمَاد مَثَلاً كَـالحَجَرِ إِذَا أَتَـاهُ شَيْءٌ دَفَعَهُ إِلَى العُلُوِّ لَا يَنْدَفِع، إِلَّا إِذَا كَانَ يُمْكِنُهُ الانْدِفَاع، وَلَا يُمْكِنُهُ مَا لَيْسَ فِي حَقِيْقَتِه، بَلْ إِنَّمَا يَنْدَفِعُ إِلَى العُلُوِّ لأَنَّ ذَاتَهُ قَابِلَةٌ لِذَلِكَ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ قَابِلَةٌ لِلنُّزُوْلِ بِنِسْبَةٍ وَاحِدَة، وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ عِلَّةَ النُّزُوْلِ وَشَهْوَته وَاخْتِيَاره رَاجِحَة مُلازِمَة لِلجَمَاد بِتَسْخِيْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ؛ لأَجْـلِ مَنْفَعَة الخَلْقِ، وَأَبَانَ عِلَّةَ الصُّعُوْد وَشَهْوَته وَاخْتِيَاره بِوُجُوْدِ المُقْتَضِي لَهُ، كَمَا أَنَّ عِلَّةَ النُّزُوْلِ وَشَهْوَته بِوُجُوْدِ المُقْتَضِى لَهُ، وَهُوَ الَّذِي يُـسَمُّوْنَهُ العَوَامُّ بِالثِّقْلِ.

وَإِذَا دَفَعَهُ إِلَى العُلُوِّ دَافِعٌ؛ فَلَيْسَ فِي الحَقِيْقَة قَاسِراً، بَلْ هُوَ مُعِيْنٌ لِمَا تَقْتَضِيْه ذَاتُهُ؛ لأَنَّ القَاسِرَ: هُوَ مَا يَسْلُكُ بِالشَّيْء مَا لَا يُمْكِن فِـي ذَاتِه، وَهَذَا مُحَالٌ؛ لأَنَّهُ إِذَا دَفَعَهُ، وَكَانَ الانْدِفَاعُ غَيْرَ مُمْكِن فِي ذَاتِه، فَإِنْ لَمْ يَنْدَفِع لَمْ يَقَع قَسْرٌ، فَإِذَا انْدَفَعَ فَلَيْسَ هُوَ ذَلِكَ، بَـلْ المُنْـدَفِعُ غَيْرُهُ).

أقول: إنَّ هذا الكلام فيه بيان اختيار الجمادات، بمعنى: بيان علَّة الاختيار فيها، مثل: الحجر إذا دفعه دافع إلى العلو فإنَّه يندفع، ولو لم يمكنه الاندفاع لذاته لم يندفع، لكنه إمكان ناقص، فيتم إمكانه، فيساوي إمكان نزوله، ويُرجَّح عليه مادام موجوداً، ولهذا يصعد الحجر الَّذي من شأنه النُّزول ظاهراً.

وإنَّما اندفع إلى العلو؛ لأنَّ ذاته قابلة للنُّزول وللصعود، وإن كان الصُّعود يحتاج إلى شيء آخر يدفعه؛ لإنَّا نقول -أيضاً-: النُّزول يحتاج إلى مُنْزل، فلا ينْزل من ذاته على جهة الجبر، حتى يُقال: أنَّه لا يصعد من ذاته، بل نقول: هو يصعد كما ينْزل، ففي كلا الحالتين قدَّر الله معه مَلَكاً بنسبة واحدة، إلا أنَّه -أي: المَلَك المُنْزل- ملازم للحجر، لأجل منفعة الخلق؛ لأنَّ ذلك هو علَّة إقلالهم، لأنَّ الأرض إنَّما تقلُّهم بكونهم فوقها وهي تحتهم، فجعل بلطيف حكمته المَلَك المنْزل للحجر ملازماً لَه.

۞[توهم باطلٌ، ودليل دفعه]:

وربَّما سمَّوه العوام بالثقل، حتى أنَّ كثيراً من قشرية الحكماء؛ جعلوا الملائكة صفات الأشياء، فقالوا: المَلَك المنْزل للحجر هو ثقله، والمَلَك الصَّادم من الحجر هو صلابته.. وهكذا، بحيث لو أخذت الملائكة من الحجر ما بقي منه شيء؛ لأنَّها عبارة عن صفاته.

وهذا غلط وباطل، بل الملائكة حيوانات متحرِّكة بالإرادة، موكَّلون بكل شيء، وهم مُفارقون لصفات الحجر مثلاً، وإن كان كل صفة موكل بها مَلَك وهو غيرها.

والملائكة: أنْفسٌ طيِّبة طاهرة، مفارقة بذاتها للأشياء الموكَّلة بها، مقارنة لها بأفعالها مُدبرة لها، وهي مغايرة للأشياء ولصفاتها، وجميع ما يجري من الأشياء فبالملائكة الموكَّلين بها؛ لأنَّ الملائكة هي المدبرات أمراً[1]، والملائكة النَّفسانية فما دونها من الطَّبيعية والمادِّية والصُّورية والجسمانيَّة لها أجسام لطيفة شفَّافة، على اختلاف أنواعها وأصنافها.

والحاصل: إنَّما ذكرت هذه الإشارة دفعاً[2] لِمَا عسى أن يَتوهَّم متوهم، أنَّا نُريد بالملائكة: هذه الصفات المنسوبة إلى الأشياء؛ ولأنك إذا عرفت أنَّ جميع أحوال الأشياء إنَّما تصدر عنها بواسطة الملائكة الموكَّلين بها، عرفتَ أنَّ نزول الحجر وصعوده بالنسبة إلى ذاته سواء، باعتبار كون كل منهما ممكن الوقوع منه، وإن رجَّح النُّزول في حالة عدم وجود الدافع، فإنَّما هو لِمُرجح غلبة شهوة الحجر، لأجل ميل المَلَك المنْزل، كما يترجح الصُّعود حالة الدفع، فيكون الدافع مُعيناً لا قاسراً.

والدليل عليه: أنَّه إذا دفعه إلى جهة العلو، وكان الدَّافع أقوى من المُنْزل، فإنْ اندفع فقد كان الاندفاع ممكناً، وإنْ كان لم يندفع لعدم

---

(١) إشارة لقوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾، سورة النازعات، الآية: ٥.

(٢) في بعض النُّسخ: (هذه الإشارة رفعاً).

إمكان ذلك في ذاته لم يتحقّق القسر، وإنْ اندفع حيث لم يكن في حقه فقد ظهر أن المندفع غيره؛ لأنّه لا يمكن فيه الاندفاع، وهذا المندفع ممكن فيه الاندفاع فهو غيره، فلم يتحقّق القسر أصلاً، فـــافهم إن شـــاء الله تعالى.

۞[هذا اختيارٌ لمن يفهم]:

قلتُ: (لِأَنَّهُ إِذَا أَمْكَنَ فِيْه مَا لَا يُمْكِنُ فِيْه؛ لَا يَكُوْنُ حَتَّى تَتَغَيَّــر حَقِيْقَتُهُ إِلَى مَا يُمْكِن فِيْه، فَلَا يَكُوْنُ هُوَ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّ مَا لَا يُمْكِنُ فِيْــهِ لَــا يُمْكِنُ أَنْ يُمْكِن فِيْه.

فَإِذَا دَفَعَهُ فَانْدَفَعَ كَانَ الانْدِفَاعُ مُمْكِناً فِيْه، وَلَكِن لَطِيْفَتُــهُ مِــنَ الوُجُوْدِ قَصُرَتْ عَمَّا يُمْكِنُ فِيْه أَنْ يَكُوْنَ بِنَفْسِه، فَكَانَ هَذَا الدَّافِعُ مُعِيْناً لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْدَفِعَ، وَمُتَمِّماً لَهُ، فَكَانَ بِهِ الانْدِفَاعُ مُمْكِناً فِي ذَاتِــهِ، وَهُوَ مُطَاوَعَةٌ، وَهُوَ اخْتِيَارٌ لِمَنْ يَفْهَم).

أقول: هذا الكلام ظاهر بمعونة ما ذكرنا قبله، وكرَّرنا معناه.

وقولي: (فلا يكون هو إيَّاه)؛ أُشير به إلى ما ذكرت قبله من قولي: (لأنَّ القاسر: هو ما يسلك بالشَّيء ما لا يمكن في ذاته)؛ وذلك لأنَّــه إن سلك به ما يمكن في ذاته فهو مطاوع للسَّالك، والسَّالك متمِّم لِمَا نقص من المطاوع، والمطاوع لا يكون مجبوراً، وإن سلك ما لا يمكن في ذاتــه فقد صيَّره ممَّا يمكن في ذاته، وهو شيء غير الأوَّل.

بخلاف ما إذا كان ممكناً في ذاته، فإنه مطاوع، ولكن لطيفته من وجوده نقصت، فتمَّمها الدافع، ولطيفة الشَّيء من وجوده هي كنه حقيقته الإمكانية، التي أُلبست حلّة الكون، فلمَّا تمّمها الدافع بفاضل لطيفته صعد الحجر، فكان الدافع معيناً ومتمِّماً، وكان الحجر مُندفعاً، والمُندفع مطاوع مختار.

وهو قولي: (وهو مطاوعة، وهو اختيار لمن يفهم).

۞[كمال الشيء أن يكون التابع تابعاً باختياره]:

قلتُ: (فَالاخْتِيَارُ لَازِمٌ لِجَمِيْعِ ذَرَّاتِ الوُجُوْد، وَلَكِنَّ الأَمْرَ المُحْكَم: أَنْ يَكُوْنَ الشَّيْء عَلَى كَمَالِ مَا يَنْبَغِي، وَكَمَالُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ التَّابِعُ تَابعاً باخْتِيَارِهِ لِأَحْوَالِ المَتْبُوْعِ من حَيْث المَتْبُوْعِيَّة، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ التَّابِعُ تَابعاً، وَلَا المَتْبُوْعُ مَتْبُوْعاً، إذ التَّابعيَّةُ وَالمَتْبُوْعيَّةُ نِسْبَةُ ارْتِبَاط بَيْنَهُمَا، وَمُشَابَهَةٌ فِي الذَّوَاتِ تَقْتَضِي المُجَانَسَةُ، المُقْتَضِيَةٌ للمَيْلِ الذَّاتِيِّ، المُقْتَضِي لِلاخْتِيَارِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ جِهَةِ كُلٍّ مِنْهُمَا، كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِرَاراً).

أقول: يتفرَّع على ما ذكرنا سابقاً؛ أنَّ الاختيار لازم لجميع ذرَّات الوجود، فلا يتحقَّق شيء من ذرَّات الوجود، من ذات أوصفة عارض، أو معروض عين أو معنى، إلا مع الاختيار لِمَا بيَّنا أولاً؛ لأنَّ الاختيار شرط التَّكليف، والتَّكليف شرط الإيجاد؛ لأنَّ التَّكليف إرشاد إلى القابلية وتحصيلها وحصولها، فلو لم يكن مختاراً لَقبُح إيجاده قطعاً، والحكيم لا

يفعل القبيح، فلا بد أن يكون مختاراً؛ لأنَّ صحة الاختيار مترتِّبة على صحة الإيجاد.

[بين التَّابعية والمتبوعية نسبة ارتباط بشرط الرِّضا]:

ولكن الأمر المحكم المطابق للحكمة الجاري بمقتضى صنع الحكيم العليم القدير على ما يريد أن يكون الشَّيء على كمال ما ينبغي؛ لأنَّه هو مقتضى صنع الحكيم العليم القدير على ما يشاء، ومن كون الشَّيء جارياً على كمال ما ينبغي أن يكون التابع من حيث هو تابع تَابعاً باختياره لأحوال المتبوع؛ لأنَّه لو لم يكن تَابعاً باختياره لم يكن تَابعاً في الحقيقة، إذ مفهوم التابع أن يكون تَابعاً باختياره؛ لأنَّه لو لم يكن تَابعاً باختياره لكانت التابعية ليست من فعل التابع، وإنَّما هي من فعل المتبوع.

وكذلك حكم المتبوع في أمر الاختيار، فإنَّه من حيث المتبوعية مختار، وإلَّا يسقط حكم متبوعيته، كما في قصَّة عيسى عليه السلام مع من عَبَدَه من دون الله سُبحانه، غير راضٍ بذلك، إذ التَّابعية والمتبوعية نسبة ارتباط بشرط الرِّضا، وهو الاختيار هنا، إذ بدون الرِّضا لا يتحقّق التابعية والمتبوعية.

ولهذا سقط اعتراض عبد الله بن الزبعرى على قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَها وارِدُونَ﴾(١)، بقوله:

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٨.

(نرضى أن نكون نحن وآلهتنا وعيسى بن مريم عليه السلام في جهنم؛ لأنّه عليه السلام عُبد من دون الله)(١).

---

(١) في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ وَجَدَ منهَا أَهْلُ مَكَّةَ وَجْداً شَديْداً، فَدخَلَ عَلَيْهُم عَبْدُ الله بن الزِّبَعْرَى وَكُفَّارُ قُرَيْشٍ يَخُوْضُوْنَ فِي هَذه الآيَة، فَقَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى: أَ مُحَمَّدٌ تَكَلَّمَ بِهَذه الآيَة؟.**

قَالُوْا: نَعَم. قَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى: إِنْ اعْتَرَفَ بِهَا لَأَخْصمَنَّهُ.

فَجُمِعَ بَيْنهمَا فَقَالَ: يَا مُحَمَّد! أَ رَأَيْتَ الآيَةَ الَّتِي قَرَأْتَ آنفاً، أَ فِيْنَا وَفِي آلِهَتِنَا، أَمْ فِي الأُمَمِ المَاضيَة وَآلِهَتِهِم.

قَالَ صلى الله عليه وآله: بَلْ فِيْكُم وَفِي آلِهَتِكُم وَفِي الأُمَمِ المَاضيَة، إِلَّا مَنْ اسْتَثْنَى اللهُ.

فَقَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى: خَاصَمْتُكَ وَالله، أَ لَسْتَ تُثْنِي عَلَى عِيسَى خَيْراً، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ النَّصَارَى يَعْبُدُوْنَ عِيسَى وَأُمَّهُ، وَإِنَّ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ يَعْبُدُوْنَ المَلَائِكَةَ، أَ فَلَيْسَ هَؤُلَاء مَعَ الآلِهَةِ فِي النَّارِ. فَقَالَ رَسُوْلُ الله صلى الله عليه وآله: لَا.

فَضَحِكَتْ قُرَيْشٌ وَضَحِكَ، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: خَصَمَكَ ابْنُ الزِّبَعْرَى.

فَقَالَ رَسُوْلُ الله صلى الله عليه وآله: قُلْتُم البَاطِل، أَ مَا قُلْتُ إِلَّا مَنْ اسْتَثْنَى اللهُ». [تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٧٦].

وقد رواه المجلسي بشكل آخر فقال: «**لَمَّا نَزَلَتْ هَذه الآيَةُ أَتَى عَبْدُ الله بْن الزِّبَعْرَى إِلَى رَسُوْلِ الله صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا مُحَمَّد! أَ لَسْتَ تَزْعُم أَنَّ عُزَيْراً رَجُلٌ صَالِحٌ، وَأَنَّ عِيْسَى رَجُلٌ صَالِحٌ، وَأَنَّ مَرْيَمَ امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ؟. قَالَ: بَلَى.**

قَالَ: فَإِنَّ هَؤُلَاء يُعْبَدُوْنَ منْ دُوْنِ الله، فَهُمْ فِي النَّار.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾[سورة الأنبياء، الآية:١٠١]، **أَيْ: المَوْعدَة**». [بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٢٥١].

فسقط اعتراضه لعدم تحقُّق نسبة التابعية والمتبوعية؛ لأنَّ ذلك بغير اختيار عيسى بن مريم عليه السلام وبغير رضاه.

وأيضاً التابعية والمتبوعية مشابهة في الذوات، مقتضية للمجانسة، ولو لا المجانسة في الجملة لما حصلت المشابهة، ولو لا المشابهة لَمَا حصلت التابعية والمتبوعية، وإنَّما حصلت لوجود المجانسة، والمجانسة تقتضي الميل الذاتي من كلِّ واحد من المتجانسين[1] إلى الآخر، وهذا مُوجب للاختيار، بسبب أنَّ جهة التابعية مخالفة لمتبوعيته، فميل الموافق إلى المخالفة، والمخالف إلى الموافقة لا يكون إلا عن اختيار، كما ذكرنا ذلك مراراً، فافهم.

والمخالفة في التابعية والمتبوعية، والموافقة في المتجانسة.

۞ [جميع الأكوان تابعة للإنسان]:

قلتُ: (وَلَوْ كَانَ تَابعاً بِغَيْرِ اخْتِيَارِه لَمْ يَكُنْ تَابعاً؛ لمَا قُلنا.

وَالنَّبَاتُ وَالجَمَادُ فِي الوُجُوْد تَابِعَان لِلْحَيْوَان؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ فَاضِلِ طِيْنَته، فَيَجبُ أَنْ يَكُوْنَ تَابعاً فِي تِلْكَ الأَحْوَال، فَيَجبُ فِي الحِكْمَة -لانْتِظَامِ الوُجُوْد- أَنْ يَكُوْنَ تَابِعٌ يَحْمِلُهُ وَيُقِلُّه؛ كَالمَاءِ وَالتُّرَاب، وَتَابِعٌ يُظِلُّه؛ كَالنَّارِ وَالسَّمَاءِ، وَتَابِعٌ يُحِيْطُ بِهِ؛ كَالهَوَاءِ، لِأَنَّ جَمِيْعَ الأَكْوَانِ

(١) في بعض النُّسخ: (من المجانسين).

تَابِعٌ لِلإِنْسَانِ، فَعِلَّةُ الصُّعُوْدِ وَالنُّزُوْلِ لِتَسْخَيْرِ وَلِيِّ التَّدْبِيْرِ؛ لِأَنَّهُ إِعَانَةٌ مِنْهُ لَهَا فِيْمَا أَرَادَ مِنْهَا).

أقول: قد ثبت أنَّ التابع تابع باختياره؛ لأنَّه لو كان تَابعاً بغير اختياره لم يكن تَابعاً، بل هو مجبور، والمجبور قاده المجبر له بغير اختياره، فلا يكون تَابعاً، ولما ثبت أنَّ النباتات والجمَادات كلها تابعة في الوجود للإنسان؛ لأنَّ الحيوانات والنباتات والجمادات كلها خُلقت من فاضل طينته، أي: من شعاع وجوده لأجله، أي: لِينتفع بها في نفسه وفي شؤونه؛ وجب في الحكمة أن تكون كلها تابعة لأحواله، لكونها من فاضل طينته خُلقت، ولِمَنافعه كُوِّنت، فكان الإنسان هو علتها المادية والغائية.

فيجب في الحكمة أن تجري في جميع أحوالها وصفاتها على متابعة علّتها وأصلها فيما يوافقها، وما يوافق العلّة التي في الإنسان لانتظام وجوده، فيكون بعضها -أعني: تلك التَّوابع- تَابعاً يحمله ويُقلّه؛ كالماء والتراب، ويكون بعضها تَابعاً يظله من فوقه؛ كالنار والسَّماء، ويكون بعضها تَابعاً يحيط به؛ كالهواء، لأنَّ الهواء به استنشاق روحه، ودوام حياته ومادتها بحرارته ورطوبته؛ ولأنَّه وسط التوابع، إذ فوقه النار وسبع سماوات، وفلك المنازل، وفلك البروج، والكرسي، والعرش، وجسم الكل، والمثال، وجوهر الهباء، والطبيعة، والنَّفس، والرُّوح، والعقل؛ فهذه تسعة عشر، بعدد حروف (بسم الله الرحمن الرحيم).

وتحت الماء، وسبع أرضين، والمَلَك الحامل لها، والصَّخرة سـجِّين، والثور، والحوت، والبحر، والرِّيح العقيم، وجهنَّم، والطِّمطام، والثَّـرى، وما تحت الثَّرى، والجهل؛ فهذه تسعة عشر أشياء، بعدد زبانية سقر[1].

فالإنسان هو القائم بين الطَّتنجين، والمتوسِّط بين البحرين؛ لأنَّ هذه الأكوان العلوية والسفلية كلها تابعة للإنسان، فتكون علَّة صعود بعضها وهبوط بعضها من تسخير الله سُبحانه، بتدبيره لمنافع الإنسان ببقائهـا، وعلَّة بقائها بتكليفها، **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾**[2].

وعلَّة تكليفها بكونها مختارة، وعلَّة اختيارها صنع كل شيء منـهما مركَّبا من شيئين مختلفين كما مرَّ، وأوجدها على ما تكون مختارة؛ لـئلا تكون للنَّاس ولسائر خلقه عليه تعالى حجة، وإعانة منه سُبحانه لها على ما يُريد منها، وله الحمد أوَّلاً وآخراً، وباطناً وظاهراً.

۞ [التابع والمتبوع؛ يختار كل منهما الآخر ويريده]:

قلتُ: (**فَكَمَالُ التَّابِعِ عَلَى مَا يَنْبَغِي، وَكَمَالُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَـارَ المَتْبُوْعُ مَتْبُوْعِيَّةَ التَّابِعِ وَيُرِيْدُهَا، وَيَخْتَارُ التَّابِعُ تَبَعِيَّةَ المَتْبُوْعِ وَيُرِيْـدُهَا، وَهُوَ المُرَادُ مِنَ الاخْتِيَارِ، وَسَخَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ كُلّاً مِنْهُمَا مَعُوْنَةً مِنْهُ لِمَـا**

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾**، سورة المدثر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

أَحَبَّا، وَإِلَّا لَمْ يَكُوْنَا إِيَّاهُمَا، إِذْ لَا يَكُوْنُ الشَّيْءُ إِيَّاهُ إِلَّا بِمَا يُمْكِنُ لَـهُ، فَافْهَم مَا كَرَّرْنَا لَكَ).

أقول: هذا من تمام ما تقدَّم، وهو أنَّه قد ثبت أن كمال الصنع أن يكون على كمال ما ينبغي، وكمال صنع الشَّيء أن يكون المصنوع وصنع الشَّيء على كمال ما ينبغي أن يكون مختاراً في كل شيء من أحواله، ومن ذلك أن يختار المتبوع متبوعيَّة التابع، بمعنى: أن يكون مختاراً في المتبوعيَّة، إذ لو لم يختر ذلك لم يكن متبوعاً للتابع.

ولو فرض أن التابع اتَّبعه؛ لأنَّه إذا كان بإجباره لم يكن متبوعاً له، وإن تبعه فلا تترتب عليه أحكام المتبوعية، إذ لا تترتب إلا مع الرِّضا بالمتبوعية عن اختيار، كما حكى سُبحانه عمَّن رضوا بالمتبوعية عن اختيار، في ترتُّب الأحكام على متبوعيَّتهم، قال تعالى: ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ**﴾[1]، وكذلك التابع، فإنَّ كمال إيجاده أن يختار تبعية المتبوع، كما ذكرنا.

وإنَّما جعل الله ذلك في كلٍّ من التابع والمتبوع؛ لِمَا في حقيقة كونهما، وإعانة منه سُبحانه لهما على ما أراد منهما، من وقوع التَّضايف لِمَا يترتَّب عليه من الأحكام، وإنَّما هما كذلك بما جعل لهما من خصوص هذا الميل الاختياري وأمثاله، ولو لم يجعل لهما ذلك لم يكونا إيَّاهما، أي: تَابعاً ومتبوعا، بل كانا شيئاً وشيئاً آخر، فافهم.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٣.

۞[تسخير الله ﷻ ليس قسراً]:

قلتُ: (وَلَيْسَ تَسْخِيْرُهُ تَعَالَى قَسْراً، وَإِنَّمَا خَلَقَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْه، وَمَا هِيَ عَلَيْهِ إِلَّا سَأَلَتْهُ، وَلَمْ يُجْبِرْهَا عَلَى السُّؤَال، بَلْ سَأَلَهَا بِاخْتِيَارِهَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]، اسْتِخْبَاراً وَتَقْرِيْراً لِمَا عَلِمُوْا، فَآتَاهُمْ بِذِكْرِهِم، وَمَا انْطَوَوْا عَلَيْه، وَرَضُوْا بِه.

فَلَمَّا آتَاهُمْ بِالاخْتِيَارِ وَخَيَّرَهُم؛ أَقَرَّ مَنْ أَقَرَّ، وَجَحَدَ مَنْ جَحَدَ، وَلَوْ قَسَرَهُمْ لَمْ يَمْتَنِع مِنهُمْ أَحَدٌ.

وَهَذَا المَثَالُ وَالبَيَانُ، إِنَّمَا هُوَ بِاللِّسَانِ الظَّاهِرِي).

أقول: قد ذكرنا أنَّ تسخير الله سُبحانه للأشياء على التلازم والانضمام والاقتران ليس قسراً، بأن يكون ﷻ أجبرهم على ذلك، لِمَا قرَّرنا سابقاً: من أنَّ المحدث من ذات أو صفة أو عين، أو معنى مادي أو مجرد، حيوان أو غيره، مركَّب أو بسيط، لا يمكن أن يكون حتَّى يكون له اعتبار من ربه؛ وهو وجوده، واعتبار من نفسه؛ وهو ماهيَّته، فخلق على ما هي عليه من كونها لا تتحقق إلا بالاعتبارين المذكورين، ولا تكون مخلوقه على ما هي عليه حتى تخلق على مقتضى قابليتها باختيارها، ولا يكون ذلك حتى تجري عليها الإيجاد، ويُوجَّه الصنع بسؤالها ذلك منه تعالى.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

ومع هذا؛ لم يجبرها[1] في الصنع على محض السؤال، إذ مقتضى محض السؤال: أن يخلق على مقتضى الفعل، سواء كان على نحو الاختيار، أم على نحو الاضطرار؛ إلا أنَّه لو خلقها على نحو الاضطرار لم تكن على كمال ما ينبغي، وإن لم تكن على كمال ما ينبغي لم يكن الصنع على كمال ما ينبغي، بل يكون مُخالفاً للكمال والحكمة، وذلك صنع العاجز الجاهل.

وأمَّا صنع القدير العليم؛ فيجب أن يكون عل كمال ما ينبغي، وذلك مقتضى للإيجاد على جهة الاختيار، والإيجاد على جهة الاختيار اقتضى أن يتوجَّه طلب قبول التكوين على جهة السُّؤال، ولهذا قال تعالى: ﴿أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[2]، استخباراً لهم في الرِّضا، بالاستجابة فيما طلب منهم، وتقريراً لهم على ما طلبوا منه بإجابته لهم، بأن خلقهم على ما قبلوا من تكوينه إياهم، فآتاهم من أمره الفعلي والمفعول بما ذكرهم به حين ذكرهم في خلقه، وجعله لهم على ما ذكرهم به في صنعه، وما انطووا عليه من حقائق ذواتهم وقوابلهم، ممَّا رضوا به كما ذكرنا.

فلمَّا آتاهم بذكرهم على نحو الاختيار؛ أقر من أقر باختياره، وجحد من جحد بإنكاره، بعد اعترافه وإصراره، ولو قسرهم وأجبرهم لم يمتنع منهم أحد، ولا أنكر منكر منهم ولا جحد.

---

(١) في بعض النُّسخ: (لم يجرها).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

وهذا البيان والمثال كلّه باللّسان الظاهري، أعني: طريقة المشّائين؛ لأنّهم إنّما يعرفون من المعانِ ما دلّت عليه العبارة الظاهرة العاميّة.

۞[المعنى الباطني؛ الصعود والنزول من الملائكة]:

قلتُ: (وَأَمَّا المَعْنَى البَاطِنِيُّ؛ فَهُوَ مَا ذَكَرْنَا لَكَ، مِنْ أَنَّهُ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَكَمَالُ البَيَانِ يَطُوْلُ بِهِ الكَلَامُ، لِمَا فِي المَقَامِ مِنَ الدَّقَائِقِ الخَفِيَّةِ، وَلَكِن هَذَا تَلْوِيْحٌ وَتَمْثِيْلٌ وَإِشَارَةٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا التِّكْرَارُ فِي العِبَارَاتِ وَالتَّرْدِيْدُ؛ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّفَهُّمِ، وَلَوْ هَذَّبْتُ العِبَارَةَ، وَاقْتَصَرْتُ عَلَى الإِشَارَةِ، لَكَلَّتِ البَصَائِرُ، وَانْسَدَّتِ المَذَاهِبُ إِلَى هَذِهِ المَطَالِبِ.

وَمَعَ هَذَا فَإِنْ عَرَفْتَ فَأَنْتَ أَنْتَ، وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيْقِ).

أقول: هذا آخر ما كتبت من الفوائد، وبيانه آخر ما أردت من البيان والتّعليق على هذه الفوائد، حيث أنها لا تُعرف إلا بتعريف منّي؛ لبُعدها عن إدراك الأوهام، وبنائها على معاريض الكلام، من حكمة الأئمّة الأعلام (عليهم أفضل الصّلاة والسّلام).

وقولي: (المعنى الباطني)، فهو ما أشرنا إليه: من ذكر أنّ الإنزال والإصعاد في النبات والجماد من الملائكة الموكّلين به، كما أشرنا إليه قبل هذا، إلا أنّه هو لسان أهل الشرع عليهم السلام.

۞[هذه الفوائد: مستنبطة من معاني كلام العيون الصّافية]:

وإيَّاك ثم إيَّاك أن تطلب فهم هذه المطالب بنمط ما ذكروه في كتبهم، فإنَّ طريقهم وفهمهم كما قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): **«ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى غَيْرِنَا إِلَى عُيُوْنٍ كَدِرَةٍ، يَفْرُغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُوْنٍ صَافِيَةٍ، تَجْرِي بِأَمْرِ اللهِ، لَا نَفَادَ لَهَا»**(١).

---

(١) ورد ضمن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى، ننقله بتمامه للفائدة، فعَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ مُقَرِّنٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: «جَاءَ ابْنُ الْكَوَّاءِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾[سورة الأعراف، الآية:٤٦]؟.

فَقَالَ: نَحْنُ عَلَى الْأَعْرَافِ، نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسِيمَاهُمْ، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِي لَا يُعْرَفُ اللَّهُ عز وجل إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ يُعَرِّفُنَا اللَّهُ عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ، فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَنَا وَعَرَفْنَاهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَنَا وَأَنْكَرْنَاهُ.

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ شَاءَ لَعَرَّفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ، وَلَكِنْ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ، وَسَبِيلَهُ وَالْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، فَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَايَتِنَا أَوْ فَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَإِنَّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ، فَلَا سَوَاءٌ مَنِ اعْتَصَمَ النَّاسُ بِهِ، وَلَا سَوَاءٌ حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يَفْرَغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونٍ صَافِيَةٍ، تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا، لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ».[الكافي، ج: ١، ص: ١٨٤.

←....

وهذه المطالب المشار إليها في هذه الفوائد؛ مستنبطة من معاني كلام العيون الصَّافية، التي تجري بأمر الله، لا نفاد لها، وإيَّاك أن تقول:

وكلٌّ يـــدَّعي وصـــلاً بليلـــى ... وليلى لا تُقِــرُّ لهــم بـــذاكا

فإنِّي أقول لك:

إذا انبجست الدموع في خدودٍ ... تبيَّن من بَكَى مِمَّــن تبــاكى

وإنَّما كرَّرت الألفاظ، وردَّدت المعاني؛ رجاء أن تفهم المـــراد، ولا تظن أنَّ هذا عن عجزي عن تهذيب العبارة، فإنَّه أمرٌ سهل على كلِّ أحد، ولكنِّي رأيت هذه المقاصد بعيدة عن تناوُل الأفهـــام، فـــردَّدت لـــك، وكرَّرت عليك.

والله سُبحانه ولي التَّوفيق

←...

بصائر الدرجات، ص: ٤٩٧. تفسير فـــرات الكـــوفي، ص: ١٤٢-١٤٣. بحـــار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٢٤٩-٢٥٠].

[خاتمة شرح الفوائد الاثني عشر]

إلى هنا انتهى شرح هـذه الفوائـد؛ في الليلـة التَّاسعة، من شهر شوال، سنة: (١٢٣٣هـ)؛ ثلاثـة وثلاثين بعد المائتين والألف، من الهجرة النبويَّة، علـى مُهاجرها وآله أفضل الصَّلاة وأزكى الـسَّلام، بقلـم المؤلِّف لها، العبد المسكين؛ أحمد بن زين الـدين بـن إبراهيم بن داغر الأحسائي المُطيرَفي.

(غفر الله له ولهم أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين)

فهارس

المجلّد الثاني من هذا الكتاب

١) فهرس الآيات الكريمـــة.

٢) فهرس الروايات الشريفة.

٣) فهـــرس المـــوضوعـــات.



فهرس الآيات الكريمة

(ج: ٢)

يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.			
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ.	البقرة	٧٩	٢٦٧
(حرف القاف)			
قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى.	النجم	٩	٣٨٥
قالَ أَلْقِها يا مُوسى ۞ فَأَلْقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعى.	طه	١٩-٢٠	٢١٩
قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَ لا يَنْسى.	طه	٥٢-٥١	٢٩٨
قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظٌ.	ق	٤	٢٩٨
قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ.	الرعد	١٦	٢٦٢ ٢٦٦
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.	التوحيد	١	٤٥ ٤٦
قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ.	النساء	١٥٥	٢٧٣ ٣٣٥
(حرف الكاف)			
كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ..	البقرة	٢١٣	١٥٥
كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُم	الجاثية	٢٨-٢٩	٢٣٤

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
بالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.			
كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ.	المطففين	١٨ إلى ٢١	٢٩ ٩٩ ١٥٩
كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۞ كِتَابٌ مَرْقُومٌ.	المطففين	٧-٨-٩	٩٩ ١٥٩
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كَانُوا يَكْسِبُونَ.	المطففين	١٤	٣٣١
كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ.	الأعراف	٢٩	٢٣٣

(حرف اللام)

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.	التوبة	٣١	٢٠١
لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ.	التوبة	١١٠	١٩٩
لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.	الأنبياء	٢٣	٢٢٤
لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.	الأنبياء	٢٧	٢٢٧
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ.	الأنبياء	١٩-٢٠	٢٢٩
لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ.	الحجر	٤٤	٣٦
لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.	ق	٣٧	١٣٢
اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.	فاطر	٩	١٠٧
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا	الروم	٤٠	١٢

فهرس الروايات الشريفة

(ج: ٢)

نصُّ الرِّواية الشَّريفة	ص

(حرف الألف)

(**اتقوا**): قوله عليه السلام: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ**». ٢١١

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٢١٨. الاختصاص، ص: ٣٠٧. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٣٠. الأمالي للطوسي، ص: ٢٩٤. بصائر الدرجات، ص: ٣٥٥. تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٢٨١. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٢٤٧. شواهد التنزيل، ج: ١، ص: ٤٢٢. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٧٤. المسائل العكبرية، ص: ٩٣-٩٤. معاني الأخبار، ص: ٣٥٠. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٢٠٠.

(**اتقوا**): لِقَوْلِ الصَّادق عليه السلام فِي تَفْسِيرِ قَوْلِه عليه السلام: «**اتَّقُوْا فَرَاسَةَ الْمُؤْمِن، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ**»، قال عليه السلام: «**يَعْنِي بِنُوْرِهِ الَّذي خُلِقَ مِنْهُ**». ٦٦

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٨٠. فضائل الشيعة، ص: ٢٧. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧.

(**إذا**): رواه الْحَلَبِيّ في دعاء طويل عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: ٣٤٢

«إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؛ فَارْفَعْ كَفَّيْكَ، ثُمَّ ابْسُطْهُمَا بَسْطاً، ثُمَّ كَبِّرْ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ قُل..».

المصادر: الكافي، ج: ٣، ص: ٣١٠. من لا يحضره الفقيه، ج: ١، ص: ٣٠٣. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ٦٧. وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٢٤. البلد الأمين، ص: ٧. فلاح السائل، ص: ١٣٢. مصباح المتهجد، ص: ٣٦. مفتاح الفلاح، ص: ٤٩. المقنعة، ص: ١٠٤. مهج الدعوات، ص: ٣٢٧.

(اعرفوا): عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ؛ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ، فَجَرَى ذِكْرُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: **«اعْرِفُوا الْعَقْلَ وَجُنْدَهُ، وَالْجَهْلَ وَجُنْدَهُ تَهْتَدُوا»**. ٩٨

قَالَ؛ سَمَاعَةُ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، لَا نَعْرِفُ إِلَّا مَا عَرَّفْتَنَا.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: **«إِنَّ اللَّهَ عز وجل خَلَقَ الْعَقْلَ، وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: خَلَقْتُكَ خَلْقاً عَظِيماً، وَكَرَّمْتُكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي..»**.

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٢١. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٠٩.

(اعلم): إشارة إلى قوله عليه السلام: **«..اعْلَمْ أَنَّ الإِبْدَاعَ وَالْمَشِيئَةَ وَالإِرَادَةَ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ، وَأَسْمَاؤُهَا ثَلَاثَةٌ..»**. ١١

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٣. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(ألا): عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا ٣٥٧

عليه السلام ذُكر عنده الجبر والتَّفويض فقال: «**أَ لَا أُعْطِيْكُم فِي هَـــذَا أَصْلاً لَا تَخْتَلِفُوْنَ فِيْه، وَلَا تُخَاصِمُوْنَ عَلَيْه أَحَداً إِلَّا كَسَرْتُمُوْهُ.**

قلنا: إن رأيت ذلك.

فقال: إنَّ اللهَ عزّ وجلّ لَمْ يُطَعْ بِإِكْرَاه، وَلَمْ يُعْصَ بِغَلَبَة، وَلَمْ يُهْمِــل العِبَادَ فِي مُلْكِه، هُوَ المَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُم، وَالقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُم عَلَيْه، فَإِنْ ائْتَمَرَ العِبَادُ بِطَاعَتِه لَمْ يَكُن اللهُ عَنْهَا صَادّاً، وَلَا مِنْهَا مَانِعاً، وَإِنْ ائْتَمَرُوا بِمَعْصِيَتِه، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَحُوْلَ بَيْــنَهُمْ وَبَــيْنَ ذَلِكَ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَحُلْ وَفَعَلُوْهُ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَدْخَلَهُمْ فِيْه.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: مَنْ يَضْبِط حُدُوْدَ هَذَا الكَلَام فَقَدْ خَــصَمَ مَــنْ خَالَفَهُ».

المــــصادر: التوحيـــــد، ص: ٣٦١. الاحتجــــاج، ج: ٢، ص: ٤١٤. الاختصاص، ص: ١٩٨. إرشـــاد القلـــوب، ج: ١، ص: ١٦٣. تحـــف العقول، ص: ٣٧. العدد القوية، ص: ٣٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٤. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(الأرواح): قَالَ عليه السلام: «**الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَــارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**». ٢٤٢ ٢٤٦

المصادر: من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ٣٨٠. الأمالي للصدوق، ص: ١٤٥. جامع الأخبار، ص: ١٧١. علل الشرائع، ج: ١، ص: ٨٤. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٢٨٨. المسائل السروية، ص: ٣٧. مصباح الشريعة، ص: ١٥٦.

(الخير): وفي الدعاء: «**الْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**». ٣٤٢

المصادر: الكافي، ج: ٣، ص: ٣١٠. من لا يحضره الفقيـــه، ج: ١، ص:

٣٠٣. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ٦٧. وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٢٤. البلد الأمين، ص: ٧. فلاح السائل، ص: ١٣٢. مصباح المتهجد، ص: ٣٦. مفتاح الفلاح، ص: ٤٩. المقنعة، ص: ١٠٤. مهج الدعوات، ص: ٣٢٧.

(السعيد): قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«السَّعِيْدُ مَنْ سَعُدَ فِي بَطْنِ أُمِّه وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّه».** ٥٧ ٥٨ ٦١ ٦٢ ١٦٧

المصادر: تفسيرالقمي، ج: ١، ص: ٢٢٧. عوالي اللآلي، ج: ١، ص: ٣٥. الزهد، ص: ١٤. التوحيد، ص: ٣٥٦. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١٥.

(العبودية): بيَّن هذا الصَّادق عليه السلام بقوله: **«العُبُوْدِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوْبِيَّةُ، فَمَا خَفِي فِي العُبُوْدِيَةِ وُجِدَ فِي الرُّبُوْبِيَةِ، فَمَا فُقِدَ فِي الرُّبُوْبِيَّةِ أُصِيْبَ فِي العُبُوْدِيَّة..».** ١٠٢

المصادر: مصباح الشريعة، ص: ٧.

(العبودية): قول الصَّادق عليه السلام: **«العُبُوْدِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوْبِيَّة، فَمَا فُقِدَ فِي العُبُوْدِيَّةِ وُجِدَ فِي الرُّبُوْبِيَّةِ، وَمَا خَفِي فِي الرُّبُوْبِيَّةِ أُصِيْبَ فِي العُبُوْدِيَّة..».** ٥٣ ١٢٨ ٤٣٧

المصادر: مصباح الشريعة، ص: ٧.

(العلم): عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: **«الْعِلْمُ مَقْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ، وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ».** ٣٠٣

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٤٤. نهج البلاغة، ص: ٥٣٩. عدة الداعي، ص: ٧٨. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٦٦-٦٧. غرر الحكم، ص: ٤٥.

القَدَرِ؛ لَمْ يَتُم وَلَمْ يَمْضِ، وَللهِ فَيْهِ العَوْن لعِبَاده الصَّالحِيْن»

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦٦-٣٦٧. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٢-١١٣.

(**أما**): ورد عن أبي محمد العسكري عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال؛ سأل ابن صوريا النبي صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني يا محمد! الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟. فقال النبي صلى الله عليه وآله: **«أَمَّا العظَامُ وَالعَصَبُ وَالعُرُوْقُ فَمِنَ الرَّجُلِ، وَأَمَّا اللَّحْمُ وَالدَّمُ وَالشَّعْرُ فَمِنَ المَرْأَة..»**. ٦٠

المصادر: الاحتجاج، ج: ١، ص: ٤٣. تفسير الإمام العسكري، ص: ٤٥٣. بحار الأنوار، ج: ٩، ص: ٢٨٦-٢٨٧.

(**أن**): أشار الرِّضا عليه السلام بقوه: **«أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً فَرْداً قَائماً بِذَاته دُوْنَ غَيْرِه للَّذي أَرَادَ منَ الدِّلَالَة عَلَيْه»**. ١٤٧

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(**أن**): إنَّ صاحب الشَّريعة أخبر تبعاً لمَا أنزل الله تعالى إليه صلى الله عليه وآله: **«أَنَّ أَهْلَ الجَنَّة خَالدُوْنَ فيْهَا أَبَداً بلَا نهَايَة، وَأَنَّ أَهْلَ النَّارِ خَالدُوْنَ فيْهَا أَبَداً بلَا نهَايَةَ، وَأَنَّ المَوْتَ يُؤْتَى به في صُوْرَة كَبْشٍ أَمْلَحٍ، وَيُذْبَحُ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّار، وَيُنَادي مُنَاد بِأَمْرِ الله عز وجل: يَا أَهْلَ الجَنَّة خُلُوْدٌ وَلَا مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّار خُلُوْدٌ وَلَا مَوْتٌ»**. ٢١٥

المصادر: تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٥٠. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٤٤-٣٤٥.

(**إن**): روي عن الأصبغ بن نباتة قال؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام في ٣٥٩

القدر: «إِنَّ القَدَرَ سرٌّ مِنْ سرِّ اللهِ، وَسِتْرٌ مِنْ سِتْرِ اللهِ، وَحِرْزٌ مِنْ حِرْزِ اللهِ، وَأَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ، مَرْفُوْعٌ فِي حِجَابِ اللهِ، مَطْوِيٌّ عَنْ خَلْقِ اللهِ، مَخْتُوْمٌ بِخَاتَمِ اللهِ، سَابِقٌ فِي عِلْمِ اللهِ، مَوْضُوْعٌ عَنِ العِبَادِ عِلْمُهُ، وَرَفَعَهُ فَوْقَ شَهَادَاتِهِم، وَمَبْلَغ عُقُوْلِهِم؛ لِأَنَّهُم لَا يَنَالُوْنَه بِحَقِيْقَةِ الرَّبَّانِيَّة، وَلَا بِقُدْرَةِ الصَّمَدَانِيَّة، وَلَا بِعَظَمَةِ النَّورَانِيَّة، وَلَا بِعِزَّةِ الوَحْدَانِيَّة؛ لِأَنَّهُ بَحْرٌ عَمِيْقٌ زَاخِرٌ، خَالِصٌ للهِ تَعَالَى، عُمْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، عَرْضُهُ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، أَسْوَدٌ مُظْلِمٌ، كَاللَّيْلِي الدَّامِسِ، كَثِيْرُ الحَيَّاتِ وَالحِيْتَانِ، يَعْلُو مَرَّةً وَيَسْفُلُ أُخْرَى، فِي قَعْرِهِ شَمْسٌ تُضِيْءُ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا؛ إِلَّا اللهُ الوَاحِدُ الفَرْدُ.

فَمَنْ تَطَلَّعَ عَلَيْهَا فَقَدْ ضَادَّ اللهَ فِي حُكْمِهِ، وَنَازَعَهُ فِي سُلْطَانِه، وَكَشَفَ عَنْ سِتْرِهِ وَسِرِّهِ، وَ﴿بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[سورة الأنفال، الآية:١٦]..».

المصادر: التوحيد، ص: ٣٨٣-٣٨٤. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٩٧.

---

٦٠ (أن): رُوِيَ عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِب عليه السلام -مَا مَعْنَاهُ-: «أَنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ مِنْ أَرْبَعَة عَشَرَ شَيْئاً، أَرْبَعَة مِنْ أَبِيْهِ، وَأَرْبَعَة مِنْ أُمِّهِ، وَسِتَّة مِنَ اللهِ، فَالَّتِي مِنَ الأَبِ: العَظْمُ، وَالمُخُّ، وَالعَصَبُ، وَالعُرُوْقُ.

وَالَّتِي مِنَ الأُمِّ: الدَّمُّ، وَاللَّحْمُ، وَالجِلْدُ، وَالشَّعْرُ.

والَّتِي مِنَ اللهِ: الحَوَاسُّ الخَمْسِ، وَالنَّفْسُ».

المصادر: ورد ما يُشبهه في الاحتجاج، ج: ١، ص: ٤٣. تفسير الإمام

العسكري، ص: ٤٥٣. بحار الأنوار، ج: ٩، ص: ٢٨٦-٢٨٧.

(أن): رُوي عن الصَّادق عليه السلام: «**أَنَّ الذَّرَّةَ تَزْعُمُ أَنَّ للهِ زَبَانَيْن**». ٤٥٥

المصادر: كلمات مكنونة، ص: ١٩. بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢-٢٩٣.

(إن): رُوي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إِنَّ للهِ سَبْعِيْنَ حِجَاباً**» ٤٥٠

المصادر: عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٦.

(أن): روينا: «**أَنَّ اللهَ عزّ وجلّ خَلَقَ العَقْلَ، وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ مِنَ الرَّوْحَانِيِّيْنَ عَنْ يَمِيْنِ العَرْشِ..**». ٩٨

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٢١. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٠٩.

(إن): عن أبي حمزة الثمالي قال؛ سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَالطَّيِّبِيْنَ مِنْ نُوْرِ عَظَمَتِهِ، وَأَقَامَهُم أَشْبَاحاً قَبْلَ المَخْلُوْقَات. ثُمَّ قَالَ: أَ تَظُنّ أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقاً سِوَاكُم، بَلَى وَاللهِ، لَقَد خَلَقَ اللهُ أَلْفَ أَلْفَ آدَم، وَأَلْفَ أَلْفَ عَالَم، وَأَنْتَ وَاللهِ فِي آخِرِ تِلْكَ العَوَالِم**». ٨

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٢٥، ص: ٢٥. وَج: ٥٤، ص: ٣٣٦.

(إن): عَنْ أَبِي عَبْد اللَّه عليه السلام قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ كَانَ إِذْ لَا كَانَ، فَخَلَقَ الْكَانَ وَالْمَكَانَ، وَخَلَقَ نُورَ الْأَنْوَارِ، الَّذي نُوِّرَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ، وَأَجْرَى فِيه مِنْ نُورِه الَّذي نُوِّرَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ، وَهُوَ النُّورُ الَّذي خَلَقَ مِنْهُ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً، فَلَمْ يَزَالَا نُورَيْنِ أَوَّلَيْنِ، إِذْ لَا شَيْءَ كُوِّنَ قَبْلَهُمَا.** ٤٤

فَلَمْ يَزَالَا يَجْرِيَانِ طَاهِرَيْنِ مُطَهَّرَيْنِ فِي الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ، حَتَّى

افْتَرَقَا فِي أَطْهَرِ طَاهِرَيْنِ، فِي عَبدِ اللَّه وَأَبِي طَالِب عليهما السلام».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٤٤٢. بحار الأنوار، ج: ١٥، ص: ٢٤.

٣٦٤ (إن): عن الزهري قال؛ قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلني الله فداك، أ بقدر يصيب الناس ما أصابهم، أم بعمل؟.

فقال عليه السلام: «إنَّ القَدَرَ وَالعَمَلَ بمَنْزِلَة الرُّوْحِ وَالجَسَد، فَالرُّوْحُ بغَيْرِ جَسَد لَا تَحَسّ، وَالجَسَدُ بغَيْرِ رُوْحِ صُوْرَةٌ لَا حرَاكَ بهَا، فَإذَا اجْتَمَعَا قَوِيَا وَصَلُحَا، كَذَلكَ العَمَلُ وَالقَدَرُ، فَلَوْ لَمْ يَكُن القَدَرُ وَاقعاً عَلَى العَمَلِ لَمْ يُعْرَف الخَالقُ منَ المَخْلُوْق، وَكَانَ القَدَرُ شَيْئاً لَا يَحسّ، وَلَوْ لَمْ يَكُن العَمَلُ بمُوَافَقَة منَ القَدَرِ لَمْ يَمْضِ وَلَمْ يَتم، وَلَكنَّهُمَا باجْتمَاعهمَا قَوِيّاً، وَللهِ فَيْه العَوْنُ لعبَاده الصَّالحيْن.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: أَلا إنَّ منْ أَجْوَرِ النَّاسِ مَنْ رَأَى جَوْرَه عَدْلاً، وَعَدْلَ المُهْتَدي جَوْراً، أَلا إنَّ للعَبْد أَرْبَعَةَ أَعْيُن؛ عَيْنَان يُبْصرُ بهِمَا أَمْرَ آخرَته، وَعَيْنَان يُبْصرُ بهِمَا أَمْرَ دُنْيَاه، فَإذَا أَرَادَ اللهُ عز وجل بعَبْد خَيْراً فَتَحَ لَهُ العَيْنَيْن اللَّتَيْنِ فِي قَلْبِه، فَأَبْصَرَ بِهِمَا العَيْبَ، وَإذَا أَرَادَ غَيْرَ ذَلكَ تَرَكَ القَلْبَ بمَا فيْه.

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى السَّائلِ عَن القَدَرِ فَقَال: هَذَا منْهُ، هَذَا منْهُ».

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦٦-٣٦٧. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ١١٢-١١٣.

٥٦ ٦٤ (إن): عن الصَّادق عليه السلام من قوله: «إنَّ اللهَ خَلَقَ المُؤْمنِيْنَ منْ نُوْرِه، وَصَبَغَهُم منْ رَحْمَته، [وَأَخَذَ ميْثَاقَهُم لَنَا بالوِلَايَة عَلَى

مَعْرِفَتِهِ يَوْمَ عَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ]، فَالْمُؤْمِنُ أَخُ الْمُؤْمِنِ لِأَبِيْهِ وَأُمِّهِ، أَبُوْهُ النُّوْرُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَةُ».

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٨٠. المحاسن، ج: ١، ص: ١٣١. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧٣، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر.

٤٢١ (إن): عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَبْعِيْنَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، لَوْ كُشِفَتْ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا دُوْنَهُ**».

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٤٥.

١٧٢ (إن): عَنْ حَبِيبٍ السِّجِسْتَانِيِّ قَالَ؛ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ عزّ وجلّ لَمَّا أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ عليه السلام مِنْ ظَهْرِهِ لِيَأْخُذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِالرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَبِالنُّبُوَّةِ لِكُلِّ نَبِيٍّ..قال عزّ وجلّ: إِنَّمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِيَعْبُدُونِ، وَخَلَقْتُ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَبَدَنِي مِنْهُمْ، وَاتَّبَعَ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي، وَخَلَقْتُ النَّارَ لِمَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي وَلَمْ يَتَّبِعْ رُسُلِي وَلَا أُبَالِي..**».

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٩. الاختصاص، ص: ٣٣٢-٣٣٣. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٠-١١. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٢٦.

٢٨٣ (إن): عن حنان بن سدير قال؛ سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال: «**إِنَّ لِلْعَرْشِ صِفَاتٍ كَثِيْرَةً مُخْتَلِفَةً لَهُ فِي كُلِّ سَبَبٍ وضع فِي الْقُرْآنِ صِفَةٌ عَلَى حِدَةٍ، فَقَوْلُهُ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾**[سورة التوبة، الآية:١٢٩]، **يَقُوْلُ: الْمُلْكُ الْعَظِيْمُ. وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾**[سورة طه، الآية:٥]،

يَقُوْلُ: عَلَى المُلْك احْتَوَى، وَهَذَا مُلْكُ الكَيْفُوْفيَّة في الأَشْيَاء.

ثُمَّ العَرْشُ في الوَصْل مُتَفرِّدٌ منَ الكُرْسي؛ لأَنَّهُمَا بَابَان منْ أَكْبَرِ أَبْوَاب الغُيُوْب، وَهُمَا جَميْعاً غَيْبَان، وَهُمَا في الغَيْب مَقْرُوْنَان؛ لأَنَّ الكُرْسيّ هُوَ البَابُ الظَّاهرُ منَ الغَيْب الَّذي منْهُ مَطْلَع البدع، وَمنْهُ الأَشْيَاء كُلّها، وَالعَرْشُ هُوَ البَابُ البَاطنُ، الَّذي يُوْجَدُ فيْه علْمُ الكَيْف وَالكَوْن، وَالقَدَر وَالحَدِّ، وَالأَيْن وَالمَشيْئَة، وَصفَةُ الإرَادَة، وَعلْمُ الأَلْفَاظ، وَالحَرَكَات وَالتَّرْك، وَعلْمُ العَوْد وَالبَدْء.

فَهُمَا في العلْم بَابَان مَقْرُوْنَان؛ لأَنَّ ملك العَرْش سوى ملك الكُرْسي، وَعلْمُهُ أَغْيَب منْ علْم الكُرْسي، فَمنْ ذَلكَ قَال: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ﴾، أَيْ: صفَتُهُ أَعْظَمُ منْ صفَة الكُرْسي، وَهُمَا في ذَلكَ مَقْرُوْنَان.

قلتُ: جُعلت فداك، فلم صار في الفضل جار الكرسي؟.

قالَ: إنَّهُ صَارَ جَارَهُ؛ لأَنَّ علْمَ الكَيْفُوْفيَّة فيْه، وَفيْه الظَّاهر منْ أَبْوَاب البَدَاء، وَأَيْنيَّتها وَحَدّ رَتْقهَا وَفَتْقهَا..».

المصادر: التوحيد، ص: ٣٢١-٣٢٢. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٣٠.

٢٢ (إن): عن عمر بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه سُئل: ممَّا خلق الله الذَّر الذي يدخل في كوة البيت؟. فقال عليه السلام: «إنَّ مُوْسَى عليه السلام لَمَّا قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِني أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٤٣]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: إنْ اسْتَقَرَّ الجَبَلُ لنُوْري فَإنَّكَ سَتَقْوَى عَلَى أَنْ تَنْظُرَ إلَيَّ، وَإنْ لَمْ يَسْتَقرّ فَلا

تُطيْقُ إبْصَارِي لضَعْفكَ.
فَلَمَّا تَجلَّى اللهُ تَبارَكَ وتَعَالَى للْجبَلِ تَقَطَّعَ ثَلاثَ قطَع، فَقطْعَةٌ ارْتَفعَتْ فِي السَّمَاء، وَقطْعَة غَاصَتْ تَحْتَ الأَرْض، وَقطْعَة تَفتَّتَتْ؛ فَهَذَا الذّرُ منْ ذَلكَ الغُبَار، غُبَارُ الجَبَلِ».
المصادر: علل الشرائع، ج: ٢، ص: ٤٩٧. بحار الأنوار، ج: ٥٧، ص: ٢٠

(إن): في الحديث النَّبوي: «**إنَّ لله سَبْعيْنَ أَلْفَ حجَاب منْ نُورٍ وَظُلْمَة، لَوْ كُشفَ حجَابٌ منْهَا لَاحْتَرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِ جَمِيْع مَا انْتَهَى إلَيْه بَصَره منْ خَلْقه**». ٤٥٠
المصادر: بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٤٥.

(إن): في الحديث: «**إنَّ نَبيّاً منْ أَنْبيَاءِ الله تَعَالَى نَاجَى رَبَّهُ فَقَالَ: يَا رَبِّ! كَيْفَ الوُصُوْلِ إِلَيْكَ. فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْه: أَلْقِ نَفْسَكَ وَتَعَالَ إِلَيَّ**». ٢١٩

(أن): في روايته عن الباقر عليه السلام، فإنَّه عليه السلام ذكر في قوله تعالى: **﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيد﴾**؛ «**أنَّ اللهَ قَدْ خَلَقَ أَلْفَ أَلْفَ عَالَم، وَأَلْفَ أَلْفَ آدَمَ، أَنْتَ فِي آخرِ العَوَالِمِ، وَالآدَميِّيْن**». ٤٩
المصادر: الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. التوحيد، ص: ٢٧٧. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٥.

(إن): قال أبو بصير؛ قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الذر حيث أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى، وأسرَّ بعضهم خلاف ما أظهر، فقلت: كيف علموا القول حيث قيل ١٥٨

لهم: (أ لست بربكم)؟.

قال: **«إِنَّ اللهَ جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ»**.

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ١٢. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٤٢. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٥٧، وَج: ٦٤، ص: ١٠٢.

(إن): قوله عليه السلام: **«إِنَّ للهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَة عَسَاكِر، عَسْكَرٌ يَنْزُلُوْنَ منْ الأَصْلَاب إِلَى الأَرْحَام، وَعَسْكَرٌ يَخْرُجُوْنَ مِنَ الأَرْحَامِ إِلَى الدُّنْيَا، وَعَسْكَرٌ يَرْتَحِلُوْنَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَة»**. ٨

المصادر: روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٤٩. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٨٩. بحار الأنوار، ج: ٨٧، ص: ٢٤٣. شرح نهج البلاغة، ج: ٢٠، ص: ٣١٨.

(أنا): قال تعالى: **«أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ»**. ٣٤٦

المصادر: سبق ذكر مصادره فراجع.

(أنا): وعن ابن نباتة قال؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **«أَنَا سَيِّدُ وُلْد آدَمَ، وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ وَالأَئِمَّةُ مِنْ بَعْدكَ سَادَاتُ أُمَّتي، مَنْ أَحَبَّنَا فَقَدْ أَحبَّ اللهَ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا فَقَدْ أَبْغَضَ اللهَ، وَمَنْ وَالَانَا فَقَدْ وَالَى اللهَ، وَمَنْ عَادَانَا فَقَدْ عَادَى اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَنَا فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانَا فَقَدْ عَصَى اللهَ..»**. ٢٢٧

المصادر: الأمالي للصدوق، ص: ٤٧٦. بشارة المصطفى، ص: ١٥١. دعائم الإسلام، ج: ١، ص: ٥٧. الزهد، ص: ١٠٤. بحار الأنوار، ج: ٢٧، ص: ٨٨.

(إنما): قال عليه السلام: **«إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا»**. ١٥٢

المصادر: مقتبس من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، راجع: نهج البلاغة، ص: ٢٧٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥٢. التوحيد، ص: ٣٩. تحف العقول، ص: ٦١. أعلام الدين، ص: ٥٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٠. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٩.

(أهم): رُوي: **«أَنَّهُم مُسَاوُوْنَ لَهُم؛ لاشْتِرَاكِهِم فِيْهَا فِي الأَرْوَاحِ الثَّلَاثَة: رُوْحُ المُدرَج، وَرُوْحُ القُوَّة، وَرُوْحُ الشَّهْوَة»**. ٣٧

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٢٨٣. بصائر الدرجات، ص: ٤٤٨. تحف العقول، ص: ١٩٠-١٩١.

(اهدنا): في الدعاء: **«اهْدِنَا مِنْ عِنْدِكَ، وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ، وَانْشِرِ عَلَيْنَا مِنْ رَحْمَتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ»**. ٤٧

المصادر: من أدعية تعقيبات صلاة الصبح، راجع: مصباح المتهجِّد، ص: ٢١٦. بحار الأنوار، ج: ٨٣، ص: ١٥٥.

(أول): رووا عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ عَقْلِي»**. ٩٨

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٢١. بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٠٩.

(أول): روي عنهم عليهم السلام في روايات متعددة: **«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ»**. ١٢ ٩٨ ١٩١

المصادر: عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ٩٩. بحار الأنوار، ج: ١، ص: ٩٧. شرح نهج البلاغة، ج: ١٨، ص: ١٢٨.

(أول): قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ رُوْحِي»**. ١٠٠

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٥٤، ص: ٣٠٧.

(أي): عن الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام في قول الله تبارك وتعالى: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**، قال: **«﴿قُلْ﴾، أَيْ: أَظْهِرِ مَا** ٤٥

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَنَبَّأْنَاكَ به، بتَأْلِيف الحُرُوْف الَّتي قَرأْنَاهَا لَكَ؛ لِيَهْتَدي بِهَا مَنْ ألقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيْدٌ، وَهُوَ اسْمٌ مُكَنًّى مُشَارٌ إِلَى غَائِب، فَـ(الهَاء): تَنْبِيْهٌ عَلَى مَعْنَى ثَابتٌ، وَ(الوَاو): إِشَارَةٌ إِلَى الغَائِب عَنِ الحَوَاسِّ، كَمَا أَنَّ قَوْلَكَ: هَذَا، إِشَارَةٌ إِلَى الشَّاهد عنْدَ الحَوَاسِّ.

وَذَلكَ أَنَّ الكُفَّارَ نَبَّهُوْا عَنْ آلِهَتِهِم بِحَرْف إِشَارَةِ الشَّاهد المُدْرَك، فَقَالُوْا: هَذه آلِهَتُنَا المَحْسُوْسَة المُدْرَكَة بِالأَبْصَار، فَأَشِرْ أَنْتَ يَا مُحَمَّد إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ؛ حَتَّى نَرَاهُ وَنُدْرِكَهُ، وَلَا نأله فيْه.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَـ(الهَاءُ): تَثْبِيْتٌ للثَّابت، وَ(الوَاوُ): إِشَارَةٌ إِلَى الغَائِبِ عَنْ دَرْك الأَبْصَار، وَلَمْسِ الحَوَاسِّ، وَأَنَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلكَ، بَلْ هُوَ مُدْرِك الأَبْصَار، وَمُبْدِع الحَوَاسِّ».

المصادر: التوحيد، ص: ٨٨-٨٩. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٢٢١-٢٢٢.

٣٩ (أيكون): عناهم سَيِّد الشُّهداء عليه السلام في بيان حال طريقهم بقوله عليه السلام: «أَ يَكُوْنُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُوْرِ مَا لَيس لَكَ؛ حَتَّى يَكُوْنَ هُوَ المُظْهِرَ لَك، مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيْلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُوْنَ الآثَارُ هِيَ الَّتى تُوْصِلُ إِلَيْكَ، عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ، وَلَا تَزَالُ عَلَيْهَا رَقِيْباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَل لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيْباً».

المصادر: ورد باختلافات يسيرة في: إقبال الأعمال، ص: ٣٤٩. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٢٢.

(أيها): فِي الإِنْجِيْلِ: «**أَيُّهَا الإِنْسَانُ!، اعْرِف نَفْسَكَ تَعْرِفُ رَبَّكَ، ظَاهِرُكَ لِلفَنَاء، وَبَاطِنُكَ أَنَا**». ٢٣٢

(حرف الباء)

(بدت): وَفِي الدُّعَاء: «**بَدَتْ قُدْرَتُكَ يَا إِلَهِي وَلَمْ تَبْد هَيْئَة يَا سَيِّدي، فَشَبَّهُوْكَ وَاتَّخذُوْا بَعْضَ آيَاتِكَ أَرْبَاباً يَا إِلَهْي، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفُوْكَ يَا إِلَهي**». ٤٢٣ ٤٤٠ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥٣

المصادر: ورد باختلافات يسيرة، راجع: مصباح المتهجد، ص: ١١٦. فلاح السائل، ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١١٠.

(بسم): عن محمد بن سلام الجمحي: أنَّ أبا الأسود الدؤلي دخل على أمير المؤمنين عليه السلام، فرمى إليه رقعة فيها: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، الكَلَامُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاء: اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنَى، فَالاسْمُ مَا أَنْبَأَ عَنِ المُسَمَّى، وَالفِعْلُ مَا أَنْبَأَ عَن حَرَكَةِ المُسَمَّى، وَالحَرْفُ مَا أَوْجَدَ مَعْنَى فِي غَيْرِه**». ٤١٦

فقال أبو الأسود: يا أمير المؤمنين! هذا كلامٌ حسن، فما تأمرني أن أصنع به، فإنَّني لا أدري ما أردت بإيقافي عليه؟.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنِّي سَمِعْتُ فِي بَلَدِكُم هَـذَا لَحْناً كَثِيْراً فَاحِشاً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْسِمَ كِتَاباً؛ مَنْ نَظَرَ إِلَيْه مَيَّزَ بَيْنَ كَلَامِ العَرَبِ وَكَلَامِ هَؤُلَاء، فَابْنِ عَلَى ذَلِكَ**». فقال أبو الأسود: وفَّقنا الله بك يا أمير المؤمنين للصواب.

المصادر: الفصول المختارة، ص: ٩١. المناقب، ج: ٢، ص: ٤٧. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٢.

(حرف التاء)

(تثبيت): قال عليه السلام في تفسير الهاء من (هو) في **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**: **«تَثْبِيتُ الثَّابِتِ»**. ٤٥

المصادر: التوحيد، ص: ٨٨-٨٩. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٢٢١-٢٢٢.

(تدلج): قَالَ عليه السلام: **«تُدْلِجُ بَيْنَ يَدَي الْمُدْلِجِ مِنْ خَلْقِكَ»**. ٢٢٠

المصادر: من أدعية قيام الليل، مروي عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، ٢٢٢

راجع: الكافي، ج: ٢، ص: ٥٣٨. تهذيب الأحكام، ج: ٢، ص: ١٢٣. ٢٢٩

وسائل الشيعة، ج: ٦، ص: ٣٤. مفتاح الفلاح، ص: ٢٩٣. بحار الأنوار، ج: ٨٤، ص: ١٨٧.

(حرف الجيم)

(جاء): ورد ضمن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى، ننقله بتمامه للفائدة، فعَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ وَاقِد، عَنْ مُقَرِّنٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: **«جَاءَ ابْنُ الْكَوَّاءِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ﴿وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُم﴾**[سورة الأعراف، الآية:٤٦]؟. ٤٨٢

فَقَالَ: نَحْنُ عَلَى الْأَعْرَافِ، نَعْرِفُ أَنْصَارَنَا بِسِيمَاهُمْ، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِي لَا يُعْرَفُ اللَّهُ عزّ وجلّ إِلَّا بِسَبِيلِ مَعْرِفَتِنَا، وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ يُعَرِّفُنَا اللَّهُ عزّ وجلّ يَوْمَ الْقِيَامَة عَلَى الصِّرَاطِ، فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَنَا وَعَرَفْنَاهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَنَا

وَأَنْكَرْنَاهُ.

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ شَاءَ لَعَرَّفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ، وَلَكِنْ جَعَلَنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ، وَسَبِيلَهُ وَالْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، فَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَايَتِنَا أَوْ فَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَإِنَّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ، فَلَا سَوَاءٌ مَنِ اعْتَصَمَ النَّاسُ بِهِ، وَلَا سَوَاءٌ حَيْثُ ذَهَبَ النَّاسُ إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ يَفْرَغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونٍ صَافِيَةٍ، تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَا، لَا نَفَادَ لَهَا وَلَا انْقِطَاعَ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٨٤. بصائر الدرجات، ص: ٤٩٧. تفسير فرات الكوفي، ص: ١٤٢-١٤٣. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٢٤٩-٢٥٠.

(**جعل**): قول الصَّادق عليه السلام حين سُئل عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذرّ؟. فقال: «**جَعَلَ فِيهِم مَا إِذَا سُئِلُوا أَجَابُوا**». ١٥٨

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ١٢. تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ٤٢. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٥٧، وَج: ٦٤، ص: ١٠٢.

(حرف الخاء)

(**خذ**): قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**خُذْ الحِكْمَةَ مِمَّنْ أَتَاكَ بِهَا، وَانْظُر إِلَى مَا قَالَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ**». ٩٣

المصادر: غرر الحكم، ص: ٥٨. فرج المهموم، ص: ٢٢٠.

(**خلق**): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**خُلِقَ الإِنْسَانُ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَةٍ، إِنْ زَكَّاهَا بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ؛ فَقَدْ شَابَهَتْ جَوَاهِرَ أَوَائِلَ عِلَلِهَا، فَإِذَا اعْتَدَلَ مِزَاجُهَا، وَفَارَقَت الأَضْدَادَ؛ فَقَدْ شَارَكَ بِهَا** ٨٠

السَّبْعَ الشِّدَادِ».

المصادر: المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. غرر الحكم، ص: ٢٣١. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥.

(حرف الدال)

٢٧٦ (**دعا**): عَنْ الإمام الباقر عليه السلام عن أَبيه الصَّادق جعْفَر بْنِ مُحَمَّد عَنْ أَبيه عَنْ جدِّه عليه السلام قال: «**دَعَا سَلْمَانُ أَبَا ذَرٍّ (رَحْمَةُ اللَّه عَلَيْهِمَا) إِلَى مَنْزله، فَقَدَّمَ إِلَيْه رَغيفَيْن، فَأَخَذَ أَبُو ذَرٍّ الرَّغيفَيْنِ فَقَلَبَهُمَا، فَقَالَ سَلْمَانُ: يَا أَبَا ذَرٍّ لِأَيِّ شَيْءٍ تَقْلِبُ هَذَيْنِ الرَّغيفَيْنِ؟.**

قَالَ: خفْتُ أَنْ لَا يَكُونَا نَضيجَيْن.

فَغَضبَ سَلْمَانُ منْ ذَلكَ غَضَباً شَديداً ثُمَّ قَالَ: مَا أَجْرَأَكَ حَيْثُ تَقْلبُ هَذَيْنِ الرَّغيفَيْنِ، فَوَ اللَّه لَقَدْ عَملَ في هَذَا الْخُبْزِ الْمَاءُ الَّذي تَحْتَ الْعَرْشِ، وَعَملَتْ فيه الْمَلَائكَةُ حَتَّى أَلْقَوْهُ إِلَى الرِّيحِ، وَعَملَتْ فيه الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ إِلَى السَّحَاب، وَعَملَ فيه السَّحَابُ حَتَّى أَمْطَرَ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَملَ فيه الرَّعْدُ [وَالْبَرْقُ] وَالْمَلَائكَةُ حَتَّى وَضَعُوهُ مَوَاضعَهُ، وَعَملَتْ فيه الْأَرْضُ وَالْخَشَبُ، وَالْحَديدُ وَالْبَهَائمُ، وَالنَّارُ وَالْحَطَبُ وَالْملْحُ، وَمَا لَا أُحْصيهَا لَكَ، فَكَيْفَ لَكَ أَنْ تَقُومَ بِهَذَا الشُّكْرِ؟!.

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: إِلَى اللَّه أَتُوبُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ممَّا أَحْدَثْتُ، وَإِلَيْكَ أَعْتَذرُ ممَّا كَرِهْتَ».

المصادر: الأمالي للصدوق، ص: ٤٤٢-٤٤٣. مستدرك الوسائل، ج:

١٦، ص: ٢٩٤-٢٩٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٥٢-٥٣. بحار الأنوار، ج: ٢٢، ص: ٣٢٠.

(حرف الذال)

٨٤ (ذكر): عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: «**ذَكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ مِنَ الدَّوَابِّ تُوُفِّيَ عُفَيْرٌ سَاعَةَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله، قَطَعَ خِطَامَهُ، ثُمَّ مَرَّ يَرْكُضُ حَتَّى أَتَى بِئْرَ بَنِي خَطْمَةَ بِقُبَا، فَرَمَى بِنَفْسِه فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهُ.**

وَرُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الْحِمَارَ كَلَّمَ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه، عَنْ أَبِيه؛ أَنَّهُ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَة، فَقَامَ إِلَيْه نُوحٌ فَمَسَحَ عَلَى كَفَلِه، ثُمَّ قَالَ: يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا الْحِمَارِ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُهُمْ. فَالْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي جَعَلَنِي ذَلِكَ الْحِمَارَ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٢٣٧. بحار الأنوار، ج: ١٧، ص: ٤٠٤-٤٠٥.

٤٨٢ (ذهب): قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «**ذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَى غَيْرِنَا إِلَى عُيُونٍ كَدِرَةٍ، يَفْرُغُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَذَهَبَ مَنْ ذَهَبَ إِلَيْنَا إِلَى عُيُونٍ صَافِيَةٍ، تَجْرِي بِأَمْرِ الله، لَا نَفَادَ لَهَا**».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٨٤. بصائر الدرجات، ص: ٤٩٧. تفسير فرات الكوفي، ص: ١٤٢-١٤٣. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٢٤٩-٢٥٠.

(حرف السين)

(سبعمئة): في رواية أخرى: «**سَبْعِمَئة حِجَاب**». ٤٥٠

المصادر: عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٦.

(سبعين): في أخرى: «**سَبْعِيْنَ أَلْف حِجَاباً مِنْ نُوْرٍ وَظُلْمَة، لَوْ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ لَاحْتَرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهه مَا أَدْرَكَه بَصَره مِن خَلْقه**». ٤٥٠

المصادر: عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٦.

(حرف الصاد)

(صور): عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد سُئل عن العالم العلوي فقال عليه السلام: «**صُوَرٌ خَالِيَةٌ عَنِ المَوَادِّ، عَارِيَةٌ عَنِ القُوَّةِ وَالاسْتِعْدَاد..**». ١٩

المصادر: غرر الحكم، ص: ٢٣١. المناقب، ج: ٢، ص: ٤٩. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ٢٢٢. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٥.

(حرف العين)

(علمها): قيل لَمَّا دعاه موسى إلى البعث قال: فما بالهم لم يبعثوا؟. ٢٩٨

قال موسى عليه السلام: ﴿**عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي**﴾، أي: أعمالهم محفوظة عند الله، يجازيهم بها، ﴿**فِي كِتَابٍ**﴾، يعني: اللوح، أو ما يكتبه الملائكة، ﴿**لا يَضِلُّ رَبِّي**﴾، أي: لا يذهب عليه شيء، ﴿**وَلا يَنْسى**﴾ ما كان من أمرهم، بل يجازيهم بأعمالهم).

المصادر: بحار الأنوار، ج: ١٣، ص: ٩٤.

٢٦٩ (عنى): ورد عن عبد الله بن غالب، عن أبيه، عن رجل قال؛ سألت علي بن الحسين عليهما السلام عن قول الله: ﴿وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾؟.

قال: «**عَنى بذَلكَ مَنْ خالَفَنا منْ هَذه الأُمَّة، وَكُلُّهُمْ يُخالفُ بَعْضَهُم بَعْضاً في دِيْنِهم، ﴿إلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلذلكَ خَلَقَهُمْ﴾؛ فَأُوْلَئكَ أَوْليَاؤُنا منَ الْمُؤْمنِيْنَ، وَلذَلكَ خَلَقَهُمْ من الطِّيْنَة طيناً، أَ مَا تَسْمَعُ لِقَوْلِ إبْرَاهيْمَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ منَ الثَّمرات مَنْ آمَنَ منْهُمْ باللَّه﴾، قَالَ: إيَّانَا عَنَى وَأَوْلِيَاءَهُ وَشيْعَتَهُ وَشيْعَةَ وَصيِّه، قَالَ: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَليلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إلى عَذاب النَّار﴾**[سورة البقرة، الآية:١٢٦]، **قَالَ: عَنَى بذَلكَ مَنْ جَحَدَ وَصيَّهُ، وَلَمْ يَتْبَعْهُ منْ أُمَّته، وَكَذلكَ وَالله حَالُ هَذه الأُمَّة**».

المصادر: تفسير العياشي، ج: ٢، ص: ١٦٤. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٢٠٤. وراجع ما يُماثله في تفسير القمي، ج: ١، ص: ٣٣٨. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٢٠٤.

(حرف الفاء)

٣٧ (فأما): عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ -في حديث طويل- قَالَ؛ قال أَمِيرَ الْمُؤْمنينَ: «**..فَأَمَّا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَة فَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: ﴿الَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ﴾**[سورة البقرة، الآية:١٤٦]، **يَعْرِفُونَ مُحَمَّداً وَالْوَلَايَةَ فِي التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيلِ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً**

مِنهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أَنَّكَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ، ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[سورة البقرة، الآيتان:١٤٦-١٤٧]، **فَلَمَّا جَحَدُوا مَا عَرَفُوا؛ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، فَسَلَبَهُمْ رُوحَ الْإِيمَانِ، وَأَسْكَنَ أَبْدَانَهُمْ ثَلَاثَةَ أَرْوَاحٍ: رُوحَ الْقُوَّةِ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ، وَرُوحَ الْبَدَنِ.**

ثُمَّ أَضَافَهُمْ إِلَى الْأَنْعَامِ فَقَالَ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾[سورة الفرقان، الآية:٤٤]؛ **لِأَنَّ الدَّابَّةَ إِنَّمَا تَحْمِلُ بِرُوحِ الْقُوَّةِ، وَتَعْتَلِفُ بِرُوحِ الشَّهْوَةِ، وَتَسِيرُ بِرُوحِ الْبَدَنِ..».**

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٢٨٣. بصائر الدرجات، ص: ٤٤٨. تحف العقول، ص: ١٩٠-١٩١.

(**فكان**): الإشارة بقول الصادق عليه السلام على ما رواه في الكافي في حديث معراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**فَكَانَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ يَتَلَأْلَأُ بِخَفْقٍ**»، ولا أعلمه إلا وقد قال: «**زَبَرْجَد**». ٣٨٥

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٤٤٢-٤٤٣. بحار الأنوار، ج: ١٨، ص: ٣٠٦.

(حرف القاف)

(**قال**): عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ؛ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: «**قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! بِمَشِيئَتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ، وَبِقُوَّتِي أَدَّيْتَ فَرَائِضِي، وَبِنِعْمَتِي قَوِيتَ عَلَى مَعْصِيَتِي، جَعَلْتُكَ سَمِيعاً بَصِيراً قَوِيّاً، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، وَذَاكَ أَنِّي أَوْلَى** ٣٤٣

بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي، وَذَاكَ أَنَّنِي لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٢. تفسير العياشي، ج: ١، ص: ٢٥٨. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٢١٠. التوحيد، ص: ٣٣٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٣. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩-٣٥٠. قرب الإسناد، ص: ١٥١. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(قد): أشار الرِّضا عليه السلام إلى نوع مطلق الدَّليل بقوله عليه السلام: **«قَدْ عَلِمَ أُوْلُوْا الأَلْبَابِ؛ أَنَّ الاسْتِدْلَالَ عَلَى مَا هُنَالِكَ لَا يُعْلَمُ إِلَّا بِمَا هَا هُنَا».** ٤١ ٥٣ ١٠٢ ١٢٨ ٣٠٢ ٤٣٨

المصادر: عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٥. التَّوحيد، ص: ٤٣٨. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١٦.

(قوم): روى ابن ادريس في مستطرفات السَّرائر عن الصادق عليه السلام وقد سُئل عن الكروبيين فقال عليه السلام: **«قَوْمٌ مِنْ شِيْعَتِنَا مِنَ الخَلْقِ الأَوَّلِ؛ جَعَلَهُمُ اللهُ خَلْفَ العَرْشِ، لَوْ قُسِّمَ نُوْرُ وَاحِدٍ مِنْهُم عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَكَفَاهُم، وَلَمَّا سَأَلَ مُوْسَى رَبَّهُ مَا سَأَلَ؛ أَمَرَ رَجُلاً مِنَ الكَرُّوْبِيِّين، فَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ، فَجَعَلَهُ دَكّاً».** ٤٥١

المصادر: مستطرفات السرائر، ص: ٥٦٩. بصائر الدرجات، ص: ٦٩. بحار الأنوار، ج: ١٣، ص: ٢٢٤. وَج: ٢٦، ص: ٣٤٢.

(قيمة): عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ».** ٤٣

المصادر: نهج البلاغة، ص: ٤٨٢. غرر الحكم، ص: ٣٨٣. خصائص الأئمة عليهم السلام، ص: ٩٥. الإرشاد، ج: ١، ص: ٣٠.

(حرف الكاف)

(كان): أشار إليه الصَّادق عليه السلام في قوله: «**كَانَ رَبُّنَا عزّ وجلّ وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ وَلَا مَعْلُومَ، وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلَا مَسْمُوعَ، وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلَا مُبْصَرَ، وَالْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلَا مَقْدُورَ، فَلَمَّا أَحْدَثَ الْأَشْيَاءَ وَكَانَ الْمَعْلُومُ وَقَعَ الْعِلْمُ مِنْهُ عَلَى الْمَعْلُومِ، وَالسَّمْعُ عَلَى الْمَسْمُوعِ، وَالْبَصَرُ عَلَى الْمُبْصَرِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْمَقْدُورِ**». المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٠٧. التوحيد، ص: ١٣٩. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٧١-٧٢، وَج: ٥٤، ص: ١٦١.	٤٣٣
(كل): الإشَارَة بِقَوْله عليه السلام: «**كُلّ مَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم فِي أَدَقِّ مَعَانِيْه، فَهُوَ مَخْلُوقٌ [مَصْنُوْعٌ] مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم**». المصادر: روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.	٢٦٤
(كل): وَفِي دُعَاءِ يَوْمِ السَّبْتِ -رَوَاهُ فِي المِصْبَاحِ- قَالَ عليه السلام: «**كُلُّ شَيْءٍ سِوَاكَ قَامَ بِأَمْرِكَ**». المصادر: مصباح المتهجد، ص: ٤٣١. البلد الأمين، ص: ٩٧. بحار الأنوار، ج: ٨٧، ص: ١٤٨.	١٨٢ ٣٥٠
(كلما): عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «**كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم فِي أَدَقِّ مَعَانِيْه؛ مَخْلُوقٌ مَصْنُوْعٌ مِثْلُكُم، مَرْدُوْدٌ إِلَيْكُم، وَلَعَلَّ النَّمْلَ الصِّغَارَ تَتَوَهَّمُ أَنَّ للهِ تَعَالَى زَبَانِيَتَيْنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَمَالُهَا، وَيَتَوَهَّمُ أَنَّ عَدَمَهَا نُقْصَانٌ لِمَنْ لَا يَتَّصِفُ بِهِمَا، وَهَذَا حَالُ الْعُقَلَاءِ فِيمَا يَصِفُوْنَ اللهَ تَعَالَى بِهِ**». المصادر: كلمات مكنونة، ص: ١٩. بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٢-	٨٥ ٤٤٥ ٤٥٥

.٢٩٣

(كلما): قَالَ تَعَالَى فِي الحَدِيْث القُدْسِيِّ -حَدِيْث الأَسْرَارِ-: ٢٢٢
«كُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُمْ عِلْماً، وَضَعْتُ لَهُمْ حِلْماً، وَلَيْس لِمَحَبَّتِي غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ».

المصادر: إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٩٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٢١-٢٢.

(كلما): وفي رواية أخرى قال عليه السلام: **«كُلَّمَا مَيَّزْتُمُوْهُ بِأَوْهَامِكُم، وَأَدْرَكْتُمُوْهُ مُمَثَّلاً فِي نُفُوْسِكُم، وَمُصَوَّراً فِي أَذْهَانِكُم؛ فَهُوَ مُحْدَثٌ مَصْنُوْعٌ مِثْلُكُم»**. ٢٦٤

المصادر: إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٧٢.

(كنهه): قول الرِّضا عليه السلام: **«كُنْهُهُ تَفْرِيْقٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَغُيُوْرُهُ تَحْدِيْدٌ لِمَا سِوَاهُ»**. ٤٢٠ ٤٤١ ٤٤٣

المصادر: رواه محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، راجع: عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٨. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٢٢٨.

(حرف اللام)

(لئلا): روى الصَّدوق في أوَّل كتابه علل الشرائع بإسناده إلى أبي الحسن الرِّضا عليه السلام قال؛ قلت له: لِمَ خلق الله سُبحانه الخلق على أنواعٍ شتَّى، ولم يخلقه نوعاً واحداً؟. ٢٥٧ ٤٤٠

فقال عليه السلام: **«لِئَلَّا يَقَع فِي الأَوْهَامِ عَلَى أَنَّهُ عَاجِزٌ، وَلَا تَقَع صُوْرَةٌ فِي وَهْمِ أَحَد [مُلْحد] إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهَا خَلْقاً، لِئَلَّا يَقُوْلَ قَائِلٌ: هَلْ يَقْدرُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ صُوْرَةَ كَذَا**

وَكَذَا؟، لِأَنَّهُ لَا يَقُوْلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً إِلَّا وَهُوَ مَوْجُوْدٌ فِي خَلْقِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَعْلَمَ بِالنَّظَرِ إِلَى أَنْوَاعِ خَلْقِهِ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٍ».

المصادر: رواه علي بن فضال عن أبيه، راجع: علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ٢، ص: ٧٥. بحار الأنوار، ج: ٣، ص: ٤١، ج: ٥٩، ص: ٥٩. وما بين المعقوفتين من المصدر.

(لا): عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام سُئِلَ عَنِ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ فَقَالَ: **«لَا جَبْرَ وَلَا قَدَرَ، وَلَكِنْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَهُمَا، فِيهَا الْحَقُّ الَّتِي بَيْنَهُمَا، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالِمُ، أَوْ مَنْ عَلَّمَهَا إِيَّاهُ الْعَالِمُ».** ٣٤٩

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٩.

(لا): قَالَ عليه السلام فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ: **«لَا تُحِيْطُ بِهِ الْأَوْهَامَ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا».** ٢٣٠ ٢٣١

المصادر: نهج البلاغة، ص: ٢٦٩. الاحتجاج، ج: ١، ص: ٢٠٤. شرح نهج البلاغة، ج: ١٣، ص: ٤٤. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٦١.

(لا): قال الإمام الصَّادق عليه السلام: **«لَا يَكُوْنُ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْبَهَائِمِ سِوَى حِمَارَةِ بَلْعَمِ بْنِ بَاعُوْرٍ، وَنَاقَةِ صَالِحٍ، وَذِئْبِ يُوْسُفَ، وَكَلْبِ أَهْلِ الْكَهْفِ».** ٨٤

المصادر: تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٣٣. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ١٩٥. بحار الأنوار، ج: ١٤، ص: ٤٢٣.

(لا): من خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم، قال: «..**لَا مِثْلُهُ شَيْءٌ، وَهُوَ مَنْشِئُ الشَّيْءِ حِيْنَ لَا شَيْءَ، دَائِمٌ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا** ١٢٣ ٤٤٧

هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيْم».

المصادر: الاحتجاج، ج: ١، ص: ٥٨. التحصين لابن طاوس، ص: ٥٧٩. روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٩١. العدد القوية، ص: ١٧٠. اليقين، ص: ٣٤٧. بحار الأنوار، ج: ٣٧، ص: ٢٠.

(**لأنها**): قال الرِّضا عليه السلام للمأمون في بيان أنَّ الحروف ليس لها معان إلا أنفسها، قال عليه السلام: **«لأَنَّهَا لَا يُؤَلَّفُ مِنْهَا ثَلَاثَةُ حُرُوْف أَوْ أَرْبَعَة أَوْ أَقَلّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَر إِلَّا لِمَعْنَى مُحْدَثٍ، لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ».** ١٢١

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(**لقد**): أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: **«لَقَد دُوِّرْتُم دَورَات، ثُمَّ كُوِّرْتُم كَورَات».** ٨

(**للجنة**): قَالَ سُبْحَانَهُ: **«لِلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَلِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي».** ١٧٢

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٩. الاختصاص، ص: ٣٣٢-٣٣٣. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٠-١١. بحار الأنوار، ج: ٥، ص: ٢٢٦.

(**لم**): عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ؛ سَمِعْتُ أَبَا عَبْد اللَّه عليه السلام يَقُولُ: **«لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عز وجل رَبَّنَا وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ وَلَا مَعْلُومَ، وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلَا مَسْمُوعَ، وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلَا مُبصَرَ، وَالْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلَا مَقْدُورَ، فَلَمَّا أَحْدَثَ الْأَشْيَاءَ وَكَانَ الْمَعْلُومُ وَقَعَ الْعِلْمُ مِنْهُ عَلَى الْمَعْلُومِ، وَالسَّمْعُ عَلَى الْمَسْمُوعِ، وَالْبَصَرُ عَلَى الْمُبْصَرِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْمَقْدُورِ.** قَالَ؛ قُلْتُ: فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَحَرِّكاً؟. ٤٣٣

قَالَ؛ فَقَالَ: **تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، إِنَّ الْحَرَكَةَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ**

بالْفعْل.

قَالَ؛ قُلْتُ: فَلَمْ يَزَلِ اللّهُ مُتَكَلِّماً؟.

قَالَ؛ فَقَالَ: **إِنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ لَيسَتْ بِأَزَلِيَّةٍ، كَانَ اللّهُ ﷻ وَلَا مُتَكَلِّمَ».**

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٠٧. التوحيد، ص: ١٣٩. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٧١-٧٢، وَج: ٥٤، ص: ١٦١.

(لم): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا؛ فَيَكُونَ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً**». ٤٣٩

المصادر: من خطبة له عليه السلام، وفيها مباحث لطيفة من العلم الإلهي، راجع: نهج البلاغة، ص: ٩٦. أعلام الدين، ص: ٦٥. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٥٨. شرح نهج البلاغة، ج: ٥، ص: ١٥٣. بحار الأنوار، ج: ٤، ص: ٣٠٩.

(لما): رواه المجلسي بشكل آخر فقال: «**لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ أَتَى عَبْدُ اللهِ بْنِ الزِّبَعْرَى إِلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَ لَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ عُزَيْراً رَجُلٌ صَالِحٌ، وَأَنَّ عِيسَى رَجُلٌ صَالِحٌ، وَأَنَّ مَرْيَمَ امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ؟. قَالَ: بَلَى.** ٤٧٤

قَالَ: فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُعْبَدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ، فَهُمْ فِي النَّارِ.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾[سورة الأنبياء، الآية:١٠١]، **أَيْ: الْمَوْعِدَةُ».**

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٢٥١.

(لما): في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَجَدَ مِنْهَا أَهْلُ مَكَّةَ وَجْداً شَدِيْداً، فَدَخَلَ عَلَيْهِم عَبْدُ** ٤٧٤

اللهِ بن الزِّبَعْرَى وَكُفَّارُ قُرَيْشٍ يَخُوْضُوْنَ فِي هَذِهِ الآيَةِ، فَقَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى: أَ مُحَمَّدٌ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الآيَةِ؟.

قَالُوْا: نَعَم. قَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى: إِنْ اعْتَرَفَ بِهَا لَأَخْصِمَنَّهُ.

فَجُمِعَ بَيْنَهما فَقَالَ: يَا مُحَمَّد! أَ رَأَيْتَ الآيَةَ الَّتِي قَرَأْتَ آنفاً، أَ فِيْنَا وَفِي آلِهَتِنَا، أَمْ فِي الأُمَمِ المَاضِيَةِ وَآلِهَتِهِم.

قَالَ ﷺ: بَلْ فِيْكُم وَفِي آلِهَتِكُم وَفِي الأُمَمِ المَاضِيَةِ، إِلَّا مَنْ اسْتَثْنَى اللهُ.

فَقَال ابْنُ الزِّبَعْرَى: خَاصَمْتُكَ وَاللهِ، أَ لَسْتَ تُثْنِي عَلَى عِيْسَى خَيْراً، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ النَّصَارَى يَعْبُدُوْنَ عِيسَى وَأُمَّهُ، وَإِنَّ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ يَعْبُدُوْنَ المَلَائِكَةَ، أَ فَلَيْسَ هَؤُلَاء مَعَ الآلِهَةِ فِي النَّارِ.

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: لَا.

فَضَحِكَتْ قُرَيْشٌ وَضَحِكَ، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: خَصَمَكَ ابْنُ الزِّبَعْرَى.

فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: قُلْتُم البَاطِل، أَ مَا قُلْتُ إِلَّا مَنْ اسْتَثْنَى اللهُ».

المصادر: تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٧٦.

(لنا): قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «لَنَا مَعَ اللهِ حَالَاتٌ نَحْنُ فِيْهَا هُوَ، وَهُوَ نَحْنُ، وَهُوَ هُوَ، وَنَحْنُ نَحْنُ». ٢٢٤

المصادر: اللمعة البيضاء، ص: ٢٨.

(له): من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير، قال: «..لَهُ الأَسْمَاء الحُسْنَى، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ إِذْ كَانَ الشَّيْءُ مِنْ مَشِيئَتِهِ، ١٢٣ ٤٤٨

فكَانَ لَا يُشْبِهُهُ مُكَوّنه..».

المصادر: مصباح المتهجد، ص: ٧٥٣. إقبال الأعمال، ص: ٤٦١، المصباح للكفعمي، ص: ٦٩٦.

(لو): عَنْ أَبي حَمْزَةَ قَالَ؛ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَ تَبْقَى الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ؟. قَالَ: «**لَوْ بَقِيَتِ الْأَرْضُ بِغَيْرِ إِمَامٍ لَسَاخَتْ**». ٢٥٩

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٧٩. بصائر الدرجات، ص: ٤٨٨. علل الشرائع، ج: ١، ص: ١٩٦. الغيبة للنعماني، ص: ١٣٨.

(لو): عن الإمام الباقر عليه السلام: «**لَوْ بَقِيَت الأَرْضُ يَوْماً بِلَا إِمَامٍ؛ لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا، وَلَعَذَّبَهُمُ اللهُ بِأَشَدِّ عَذَابِه، إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَنَا حُجَّةً فِي أَرْضِه، وَأَمَاناً فِي الأَرْضِ لِأَهْلِ الأَرْض، لَمْ يَزَالُوا فِي أَمَانٍ مِنْ أَنْ تَسِيْخَ بِهِم الأَرْضُ مَا دُمْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهُم، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُهْلِكَهُم ثُمَّ لَا يُمْهِلَهُم وَلَا يَنظُرُهُم ذَهَبَ بِنَا مِنْ بَيْنِهِم، ثُمَّ رَفَعَنَا إِلَيْه، ثُمَّ يَفْعَلُ اللهُ مَا شَاءَ وَأَحَبّ**». ٢٦٠

المصادر: منتخب الأنوار المضيئة، ص: ٣٣.

(لو): عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ ابْتِدَاءُ الْخَلْقِ مَا اخْتَلَفَ اثْنَان، إِنَّ اللَّهَ عز وجل قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَالَ: كُنْ مَاءً عَذْباً أَخْلُقْ مِنْكَ جَنَّتِي وَأَهْلَ طَاعَتِي، وَكُنْ مِلْحاً أُجَاجاً أَخْلُقْ مِنْكَ نَارِي وَأَهْلَ مَعْصِيَتِي.** ١٠٠

ثُمَّ أَمَرَهُمَا فَامْتَزَجَا، فَمِنْ ذَلِكَ صَارَ يَلِدُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ، وَالْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ، ثُمَّ أَخَذَ طِيناً مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَهُ عَرْكاً شَدِيداً، فَإِذَا هُمْ كَالذَّرِّ يَدِبُّونَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ، وَقَالَ

لأَصْحَاب الشِّمَالِ إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي».

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٦. بصائر الدرجات، ص: ٧٠. المحاسن، ج: ١، ص: ٢٨٢. بحار الأنوار، ج: ٢٦، ص: ٢٧٩.

(حرف الميم)

(ما): عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ؛ قَالَ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَفِي قَلْبِه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً خَرَجَ فِي النُّكْتَةِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ تَابَ ذَهَبَ ذَلكَ السَّوَادُ، وَإِنْ تَمَادَى فِي الذُّنُوب زَادَ ذَلكَ السَّوَادُ حَتَّى يُغَطِّيَ الْبَيَاضَ، فَإِذَا غَطَّى الْبَيَاضَ لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُهُ إِلَى خَيْرٍ أَبداً، وَهُوَ قَوْلُ اللَّه عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[سورة المطففين، الآية: ١٤]..». ٣٣١

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٢٧٣. وسائل الشيعة، ج: ١٥، ص: ٣٠٣. بحار الأنوار، ج: ٧٠، ص: ٣٣٢.

(ما): قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام -في حق جميع الأمم-: **«مَا اخْتَلَفُوْا فِي اللهِ وَلَا فِيَّ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوْا فِيْكَ يَا عَلِيّ».** ٢٦٩

(ما): قال النبي صلى الله عليه وآله: **«مَا خُلِقْتُم لِلفَنَاء، بَلْ خُلِقْتُم لِلبَقَاءِ، وَإِنَّمَا تُنْقَلُوْنَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ».** ٣٥٣

المصادر: غرر الحكم، ص: ١٣٣. بحار الأنوار، ج: ٦، ص: ٢٤٩، وَج: ٥٨، ص: ٧٨.

(ما): ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: **«مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَمَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ».** ٤٢٢

المصادر: عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٣٢. بحار الأنوار، ج: ٦٨، ص:

.٢٣

(محو): قَالَ عليه السلام لِكُمَيْلٍ رحمه الله: «مَحْوُ المَوْهُومِ، وَصَحْوُ المَعْلُومِ». ٢١٧

المصادر: جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص: ٢٨، وَص: ١٧٠.

(مخلوق): قَوْلُهُ عليه السلام: «مَخْلُوقٌ مِثْلُكُم، مَرْدُودٌ إِلَيْكُم». ٢٦٥

المصادر: روي عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وما بين المعقوفتين نقلناه من المصدر، راجع: بحار الأنوار، ج: ٦٦، ص: ٢٩٣.

(مرتين): عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ؛ سَأَلَ أَبُو بَصِيرٍ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَنَا حَاضِرٌ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، كَمْ عُرِجَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟. ٣٨٥

فَقَالَ: «مَرَّتَيْنِ، فَأَوْقَفَهُ جَبْرَئِيلُ مَوْقِفاً فَقَالَ لَهُ: مَكَانَكَ يَا مُحَمَّدُ، فَلَقَدْ وَقَفْتَ مَوْقِفاً مَا وَقَفَهُ مَلَكٌ قَطُّ وَلَا نَبِيٌّ، إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّي.

فَقَالَ: يَا جَبْرَئِيلُ!، وَكَيْفَ يُصَلِّي.

قَالَ: يَقُولُ "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، أَنَا رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي".

فَقَالَ: اللَّهُمَّ عَفْوَكَ عَفْوَكَ.

قَالَ: وَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[سورة النجم، الآية:٩].

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَصِيرٍ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى؟.

قَالَ: مَا بَيْنَ سِيَتِهَا إِلَى رَأْسِهَا، فَقَالَ: كَانَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ يَتَلَأْلَأُ يَخْفِقُ.

وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا وَقَدْ قَالَ: زَبَرْجَدٌ، فَنَظَرَ فِي مِثْلِ سَمِّ الْإِبْرَةِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ نُورِ الْعَظَمَةِ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ.

قَالَ: لَبَّيْكَ رَبِّي.

قَالَ: مَنْ لِأُمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ؟. قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ.

قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِأَبِي بَصِيرٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ مَا جَاءَتْ وَلَايَةُ عَلِيٍّ عليه السلام مِنَ الْأَرْضِ، وَلَكِنْ جَاءَتْ مِنَ السَّمَاءِ مُشَافَهَةً».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٤٤٢-٤٤٣. بحار الأنوار، ج: ١٨، ص: ٣٠٦.

(من): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ». ٤٤ ١٥٠ ٢١٠ ٢١٧ ٤٥٢

المصادر: مصباح الشريعة، ص: ١٣. متشابه القرآن، ج: ١، ص: ٤٤. غرر الحكم، ص: ٢٣٢. عوالي اللآلي، ج: ٤، ص: ١٠٢. بحار الأنوار، ج: ٢، ص: ٣٢.

(من): قولهم عليهم السلام: «مَنْ عَرَفَنَا فَقَدْ عَرَفَ اللهَ، وَمَنْ جَهِلَنَا فَقَدْ جَهِلَ اللهَ، وَمَنْ أَطَاعَنَا فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانَا فَقَدْ عَصَى اللهَ». ٢٢٧

المصادر: الأمالي للصدوق، ص: ٦٥٧. كمال الدين، ج: ١، ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ١٦، ص: ٣٦.

(منزلة): في التَّوسط بين هذين؛ «مَنْزِلَةٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالِمُ ٣٤٩

عليه السلام، **أَوْ مَنْ عَلَّمَهُ إِيَّاهَا العَالِمُ**»، كما في رواية التَّوحيد عن سيد السَّاجدين.

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٩.

(حرف النون)

(**نحن**): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**نَحْنُ الصَّلَاةُ، وَنَحْنُ الزَّكَاةُ، وَنَحْنُ الأَعْمَالُ، وَنَحْنُ الثَّوَابُ، وَنَحْنُ العِقَابُ**»، نقلته بالمعنى من أقواله عليه السلام. ٣٣٩

المصادر: تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٢١-٢٢. وَص: ٨٠١. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٣٠٣.

(حرف الهاء)

(**هذا**): أشار الرِّضا عليه السلام إلى ذلك في الرَّد على سليمان المروزي، قال عليه السلام: «**هَذَا قَوْلُ ضِرَار وَأَصْحَابِه، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَنَّ المَشِيْئَةَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ، وَتَنْكِحُ وَتَحْيَى وَتَمُوْتُ**»، نقلت بعض معناه. ١٤٠

المصادر: التوحيد، ص: ٤٤٨. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٨٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣٣٣-٣٣٤.

(**هو**): بِقَوْلِ الرِّضَا عليه السلام: «**هُوَ المَالِكُ لِمَا مَلَّكَهُم، وَالقَادِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُم عَلَيْهِ**». ٣٥٧

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦١. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤١٤. الاختصاص، ص: ١٩٨. إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٦٣. تحف العقول، ص: ٣٧. العدد القوية، ص: ٣٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج:

١، ص: ١٤٤. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(حرف الواو)

(**وأسماؤه**): قَالَ الرِّضَا عليه السلام: «**وَأَسْمَاؤُهُ تَعْبِيْرٌ، وَصِفَاتُهُ تَفْهِيْمٌ**». ٤٤٨

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦. الأمالي للمفيد، ص: ٢٥٥. الأمالي للطوسي، ص: ٢٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٥١. العدد القوية، ص: ٢٩٥. تحف العقول، ص: ٦٣. أعلام الدين، ص: ٦٩. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٣٩٩. ٤٥٣ ٤٥٦

(**والحرف**): قول أمير المؤمنين عليه السلام لأبي الأسود الدُّؤلي: «**وَالحَرْفُ مَا دَلَّ عَلَى مَعْنَى لَيْسَ بِاسْمٍ وَلَا فِعْلٍ**». ٤١٦

المصادر: الفصول المختارة، ص: ٩١. المناقب، ج: ٢، ص: ٤٧. بحار الأنوار، ج: ٤٠، ص: ١٦٢.

(**والحروف**): قال الإمام الرضا عليه السلام في احتجاجاته في مجلس المأمون: «..**وَالحُرُوْفُ لَا تَدُلُّ عَلَى غَيْرِ أَنْفُسِهَا**. قال المأمون: وكيف لا تدل على غير أنفسها؟. ١٢١

قال الرِّضا عليه السلام: **لأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَجْمَعُ مِنْهَا شَيْئاً لِغَيْرِ مَعْنَى أَبَداً، فَإِذَا أَلَّفَ مِنْهَا أَحْرُفاً أَرْبَعَة أَوْ خَمْسَة أَوْ سِتَّة، أَوْ أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَقَلَّ، لَمْ يُؤَلِّفهَا لِغَيْرِ مَعْنَى، وَلَمْ يَك إِلَّا لِمَعْنَى مُحْدَثٍ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ شَيْئاً..**».

المصادر: التوحيد، ص: ٤٣٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٧٤. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣١.

(**والكون**): لأنه عليه السلام قال: «**وَالكَوْنُ السَّادِس أَظِلَّةٌ وَذَرٌّ**». ٢٨٠

(**وإن**): قول سيد الوصيين عليه السلام في خطبته المسماة بالدُّرة اليتيمية ٤٤٧

قال عليه السلام: «وَإِنْ قُلْتَ: مِمَّ؟ فَقَدْ بَايَنَ الأَشْيَاء كُلّهَا، فَهُوَ هُوَ. وَإِنْ قُلْتَ: فَهُوَ هُوَ، فَالهَاء وَالوَاو كَلَامُهُ صِفَةُ اسْتِدْلَال عَلَيْه، لَا صِفَةٌ تَكْشِفُ لَهُ..إِلَى آخِره».

(وإنما): قال عليه السلام: «وَإِنَّمَا خُلِقْتُم لِلبَقَاءِ، وَإِنَّمَا تُنْقَلُوْنَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ». ٣٥٣

المصادر: غرر الحكم، ص: ١٣٣. بحار الأنوار، ج: ٦، ص: ٢٤٩، وَج: ٥٨، ص: ٧٨.

(وذلك): قال تعالى في الحديث القدسي الآتي: «وَذَلِكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي». ٣٤٢ ٣٤٣

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ١٥٢. تفسير العياشي، ج: ١، ص: ٢٥٨. تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٢١٠. التوحيد، ص: ٣٣٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٤٣. فقه الرضا عليه السلام، ص: ٣٤٩-٣٥٠. قرب الإسناد، ص: ١٥١. كشف الغمة، ج: ٢، ص: ٢٨٩.

(وغبوره): قوله عليه السلام: «وَغُبُوْرُهُ تَجْدِيْدٌ لِمَا سِوَاهُ». ٤٢٠ ٤٤١

المصادر: التوحيد، ص: ٣٦.

(وما): عن معاوية بن عمار قال؛ قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، هذا الحديث الذي سمعته منك ما تفسيره؟ قال: «وَمَا هُوَ؟». قال: «إِنَّ المُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُوْرِ اللهِ». ٦٥

فقال: «يَا مُعَاوِيَة! إِنَّ اللهَ خَلَقَ المُؤْمِنِيْنَ مِنْ نُوْرِه، وَصَبَغَهُم فِي رَحْمَتِه، وَأَخَذَ مِيْثَاقَهُم لَنَا بالولَايَة عَلَى مَعْرِفَته يَوْمَ عَرَّفَهُم نَفْسَهُ، فَالمُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِن لِأَبِيْه وَأُمِّه، أَبُوْهُ النُّوْرُ، وَأُمُّهُ الرَّحْمَة، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ بِذَلِكَ النُّوْرِ الَّذي خُلِقَ مِنْهُ.

المصادر: بصائر الدرجات، ص: ٨٠. فضائل الشيعة، ص: ٢٧. بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٧.

(ومقاماتك): ذكره الحُجَّة عليه السلام في دعاء كلّ يوم من شهر رجب في قوله: «**وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيْلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ، بَدْؤُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ، أَعْضَادٌ وَأَشْهَادٌ، وَمَنَاةٌ وَأَذْوَادٌ، وَحَفَظَةٌ وَرُوَّادٌ، فَبِهِمْ مَلَأْتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ، حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ..**». ٤٢ ٢٢٤ ٤٢٢

المصادر: إقبال الأعمال، ص: ٦٤٦. البلد الأمين، ص: ١٧٩. المصباح للكفعمي، ص: ٥٢٩. مصباح المتهجد، ص: ٨٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩٥، ص: ٩٣.

(وهم): في أخبار التكليف الأول: «**وَهُمْ كَالذَّرِّ يَدِبُّونَ**». ١٠٠

المصادر: الكافي، ج: ٢، ص: ٦. بصائر الدرجات، ص: ٧٠. المحاسن، ج: ١، ص: ٢٨٢. بحار الأنوار، ج: ٢٦، ص: ٢٧٩.

(وهو): أشار إلى هذا المعنى أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير والجمعة، في الثناء على الله، قال عليه السلام: «**وَهُوَ مُنْشِئُ الشَّيْءِ حِيْنَ لَا شَيْءَ، إِذْ كَانَ الشَّيْءُ مِنْ مَشِيْئَتِه**». ١٢٢ ٤٤٧

المصادر: في هذه المقطوعة حصل دمج بين ألفاظ خطبتين، راجع: الاحتجاج، ج: ١، ص: ٥٨. التحصين لابن طاووس، ص: ٥٧٩. روضة الواعظين، ج: ١، ص: ٩١. العدد القوية، ص: ١٧٠. اليقين، ص: ٣٤٧. بحار الأنوار، ج: ٣٧، ص: ٢٠. مصباح المتهجد، ص: ٧٥٣. إقبال الأعمال، ص: ٤٦١، المصباح للكفعمي، ص: ٦٩٦.

(وهو): قول الإمام الصَّادق عليه السلام: «وَهُوَ مِنَ الْمَلَكُوْتِ».	١٨

(حرف الياء)

(يا): إشارة إلى ما روي عن كميل بن زياد أنه قال: سألت مولانا أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين! أريد أن تعرفني نفسي. قال: «يَا كُمَيْل! وَأَيُّ الأَنْفُسِ تُرِيْدُ أَنْ أُعَرِّفَكَ؟. قلتُ: يا مولاي! هل هي إلا نفس واحدة؟. قال: يَا كُمَيْل! إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةٌ؛ النَّامِيَةُ النَّبَاتِيَّة، وَالحِسِّيَّة الحَيْوَانِيَّة، وَالنَّاطِقَة القُدْسِيَّة، وَالكُلِّيَّة الإِلَهِيَّة، وَلِكُلٍّ وَاحِدَة مِنْ هَذِهِ خَمْسُ قُوَى وَخَاصِّيَّتَان. فَالنَّامِيَة النَّبَاتِيَّة: لَهَا خَمْسُ قُوَى؛ مَاسِكَة وَجَاذِبَة، وَهَاضِمَة وَدَافِعَة وَمُرَبِّيَة، وَلَهَا خَاصِّيَّتَان؛ الزِّيَادَة وَالنُّقْصَان، وَانْبِعَاثُهَا مِنَ الكَبِد.وَالحِسِّيَّة الحَيْوَانِيَّة: لَهَا خَمْسُ قوى؛ سَمْعٌ وَبَصَرٌ، وَشَمٌّ وَذَوْقٌ وَلَمْسٌ، وَلَهَا خَاصِّيَّتَان؛ الرِّضَا وَالغَضَب، وَانْبِعَاثُهَا مِنَ القَلْب. وَالنَّاطِقَةُ القُدْسِيَّة: لَهَا خَمْسُ قوى؛ فِكْرٌ وَذِكْرٌ، وَعِلْمٌ وَحِلْمٌ وَنَبَاهَةٌ، وَلَيْسَ لَهَا انْبِعَاث، وَهِيَ أَشْبَهُ الأَشْيَاء بِالنُّفُوْسِ الفَلَكِيَّة، وَلَهَا خَاصِّيَّتَان؛ النَّزَاهَة وَالحِكْمَة. وَالكُلِّيَّة الإِلَهِيَّة: لَهَا خَمْسُ قُوَى؛ بَهَاء فِي فَنَاء، وَنَعِيْم فِي شَقَاء، وَعِزّ فِي ذُلّ، وَفَقْر فِي غِنَاء، وَصَبْر فِي بَلَاء، وَلَهَا خَاصِّيَّتَان؛ الرِّضَا وَالتَّسْلِيْم، وَهَذِه الَّتِي مَبْدَؤُهَا مِنَ اللهِ وَإِلَيْه تَعُوْد، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِي﴾[سورة الحجر، الآية:٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلى رَبِّك راضِيَةً﴾[سورة الفجر، الآيتان:٢٧-٢٨]، وَالعَقْلُ فِي وَسَط الكُلّ».	١٩

المصادر: بحار الأنوار، ج: ٥٨، ص: ٨٥.

٣٣٩ (يا): روى شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى الفضل بن شاذان، عن داود بن كثير قال؛ قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصَّلاة في كتاب الله عز وجل؟، وأنتم الزكاة؟، وأنتم الصيام؟، وأنتم الحج؟.

فقال: **«يَا دَاوُد! نَحْنُ الصَّلَاة فِي كِتَابِ الله عز وجل، وَنَحْنُ الزَّكَاةُ، وَنَحْنُ الصِّيَامُ، وَنَحْنُ الحَجُّ، وَنَحْنُ الشَّهْرُ الحَرَام، وَنَحْنُ البَلَدُ الحَرَامُ، وَنَحْنُ كَعْبَةُ الله، وَنَحْنُ قِبْلَةُ الله، وَنَحْنُ وَجْهُ الله، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾**[سورة البقرة، الآية:١١٥]**، وَنَحْنُ الآيَاتُ، وَنَحْنُ البَيِّنَاتُ.**

وَعَدُوُّنَا فِي كِتَابِ الله عز وجل: الفَحْشَاء وَالمُنْكَر وَالبَغْي، وَالخَمْر وَالمَيْسر، وَالأَنْصَاب وَالأَزْلام، وَالأَصْنَام وَالأَوْثَان، وَالجِبْت وَالطَّاغُوْت، وَالمَيْتَة وَالدَّم وَلَحْم الخِنْزِيْر.

يَا دَاوُد! إِنَّ الله خَلَقَنَا فَأَكْرَمَ خَلْقَنَا، وَفَضَّلَنَا وَجَعَلَنَا أُمَنَاءه وَحَفَظَتَهُ، وَخُزَّانَهُ عَلَى مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، وَجَعَلَ لَنَا أَضْدَاداً وَأَعْدَاداً، فَسَمَّانَا فِي كِتَابِهِ، وَكَنَّى عَنْ أَسْمَائِنَا بِأَحْسَنِ الأَسْمَاءِ وَأَحَبِّهَا إِلَيْه، تَكْنِيَة عَنْ العَدُوّ، وَسَمَّى أَضْدَادَنَا وَأَعْدَاءَنَا فِي كِتَابِهِ، وَكَنَّى عَن أَسْمَائِهِم، وَضَرَبَ لَهُم الأَمْثَالَ فِي كِتَابِهِ فِي أَبْغَضِ الأَسْمَاءِ إِلَيْهِ، وَإِلَى عِبَادِهِ المُتَّقِيْن».

المصادر: تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٢١-٢٢. وَص: ٨٠١. بحار الأنوار، ج: ٢٤، ص: ٣٠٣.

(يا): روي عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ أنَّ النبي صلى الله عليه وآله سأل ربَّه سبحانه ليلة المعراج فقال: «**يَا رَبِّ! أَيُّ الأَعْمَال أَفْضَلُ**؟. ٢٢٢

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: لَيْسَ شَيْءٍ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ، وَالرِّضَا بِمَا قَسَمْتُ.

يَا مُحَمَّدُ! وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَعَاطِفِيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِيْنَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَكِّلِيْنَ عَلَيَّ، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي عِلْمٌ وَلَا غَايَة وَلَا نِهَايَة، وَكُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُم عِلْماً وَضَعْتُ لَهُم عِلْماً.

أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ نَظَرُوْا إِلَى المَخْلُوْقِيْنَ بِنَظَرِي إِلَيْهِم، وَلَمْ يَرْفَعُوْا الحَوَائِجَ إِلَى الخَلْقِ، بُطُوْنُهُم خَفِيْفَةٌ مِنْ أَكْلِ الحَرَامِ، نَعِيْمُهُم فِي الدُّنْيَا ذِكْرِي وَمَحَبَّتِي، وَرِضَائِي عَنْهُم».

المصادر: إرشاد القلوب، ج: ١، ص: ١٩٩. بحار الأنوار، ج: ٧٤، ص: ٢١-٢٢.

(يا): عن أمير المؤمنين عليه السلام قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «..**يَا عَلِيُّ! مَنْ عَرَفَنَا فَقَدْ عَرَفَ اللهَ، وَمَنْ أَنْكَرَنَا فَقَدْ أَنْكَرَ اللهَ** عز وجل..». ٢٢٧

المصادر: الأمالي للصدوق، ص: ٦٥٧. كمال الدين، ج: ١، ص: ٢٦١. بحار الأنوار، ج: ١٦، ص: ٣٦.

(يا): عن جابر بن يزيد قال؛ سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿**أَ فَعَيِيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[سورة ق، الآية:١٥]؟. قال: «**يَا جَابِرُ! تَأْوِيْلُ ذَلِكَ أَنَّ** ٧

اللهُ ﷻ إذا أَفْنَى هَذَا الخَلْقَ وَهَذَا العَالَمْ، وَسَكَنَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّة، وَأَهْلُ النَّارِ النَّار؛ جَدَّدَ اللهُ عَالَماً غَيْرَ هَذَا العَالَم، وَجَدَّدَ خَلْقاً منْ غَيْرِ فُحُوْلَة وَلَا إِنَاث، يَعْبُدُوْنَهُ وَيُوَحِّدُوْنَهُ، وَخَلَقَ لَهُمْ أَرْضاً غَيْرَ هَذه الأَرْض تَحْمِلُهُم، وَسَمَاءً غَيْرَ هَذه السَّمَاء تُظلُّهُم. لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّ اللهَ إِنَّمَا خَلَقَ هَذَا العَالَمَ الوَاحِد، وَتَرَى أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُق بَشَراً غَيْرَكُمْ، بَلَى –وَاللهِ– لَقَدْ خَلَقَ اللهُ أَلْفَ أَلْفَ عَالَمْ، وَأَلْفَ أَلْفَ آدَمْ، أَنْتَ فِي آخِرِ تِلْكَ العَوَالِم، وَأُوْلَئِكَ الآدَمِيِّيْن».

المصادر: التوحيد، ص: ٢٧٧. الخصال، ج: ٢، ص: ٦٥٢. بحار الأنوار، ج: ٨، ص: ٣٧٤.

١٣٠ (يا): عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ؛ قَالَ لِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «يَا جَابِرُ! إِنَّ اللَّهَ أَوَّلَ مَا خَلَقَ خَلَقَ مُحَمَّداً ﷺ وَعِتْرَتَهُ الْهُدَاةَ الْمُهْتَدِينَ، فَكَانُوا أَشْبَاحَ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّه. قُلْتُ: وَمَا الْأَشْبَاحُ؟. قَالَ: ظِلُّ النُّورِ أَبْدَانٌ نُورَانِيَّةٌ بِلَا أَرْوَاحٍ، وَكَانَ مُؤَيَّداً بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ رُوحُ الْقُدُسِ، فَبِه كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ وَعِتْرَتَهُ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ حُلَمَاءَ عُلَمَاءَ، بَرَرَةً أَصْفِيَاءَ، يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالسُّجُودِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ، وَيُصَلُّونَ الصَّلَوَاتِ، وَيَحُجُّونَ وَيَصُومُونَ».

المصادر: الكافي، ج: ١، ص: ٤٤٢. بحار الأنوار، ج: ١٥، ص: ٢٥، وَج: ٥٨، ص: ١٤٢.

٢١٣ (يا): قال عليه السلام: «يَا مَنْ هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، يَا مَنْ هُوَ بَعْدَ كُلِّ

شَيْءٍ».

المصادر: من دعاء الجوشن الكبير المروي عن النبي ﷺ، راجع: المصباح للكفعمي، ص: ٢٤٩. البلد الأمين، ص: ٤٠٣. بحار الأنوار، ج: ٩١، ص: ٣٨٦.

(يا): قال الإمام عليه السلام: «..**يَا سُلَيْمَان! هَذَا الَّذِي عِبْتُمُوْهُ عَلَى ضِرَار وَأَصْحَابِه، مِنْ قَوْلِهِم: (إِنَّ كُلّ مَا خَلَقَ اللهُ عزّ وجلّ فِي سَمَاءٍ أَوْ أَرْضٍ، أَوْ بَحْرٍ أَوْ بِرٍّ، مِنْ كَلْبٍ أَوْ خِنْزِيْرٍ أَوْ قِرْدٍ، أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ دَابَّةٍ؛ إِرَادَةُ اللهِ، وَإِنَّ إِرَادَةَ اللهِ تَحْيَا وَتَمُوْتُ، وَتَذْهَبُ وَتَأْكُلُ، وَتَشْرَبُ وَتَنْكِحُ، وَتَلِدُ وَتَظْلِمُ، وَتَفْعَلُ الفَوَاحِشَ، وَتَكْفُر وَتُشْرِك)، فَنَبْرَأُ مِنْهَا وَنُعَادِيْهَا، وَهَذَا حَدُّهَا..».** ١٤٠

المصادر: التوحيد، ص: ٤٤٨. الاحتجاج، ج: ٢، ص: ٤٠٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج: ١، ص: ١٨٦. بحار الأنوار، ج: ١٠، ص: ٣٣٣-٣٣٤.

(يبسط): قال الصَّادق عليه السلام: «**يُبْسَطُ لَنَا فَنَعْلَم، وَيُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَم، وَالإِمَامُ يُوْلَدُ وَيَلِدْ، وَيَصِحُّ وَيَمْرَضُ، وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَيَبُوْلُ وَيَتَغَوَّطُ، وَيَفْرَحُ وَيَحْزَنُ، وَيَضْحَكُ وَيَبْكِي، وَيَمُوْتُ وَيُقْبَرُ، وَيُزَادُ فَيَعْلَم.** ٢٩٠

وَدَلَالَتُهُ فِي خَصْلَتَيْن: فِي العِلْمِ، وَاسْتِجَابَة الدَّعْوَة، وَكُلَّمَا أُخْبِرَ بِه مِنَ الحَوَادِث الَّتِي تَحْدُثُ قَبْلَ كَوْنِهَا كَذَلِكَ بِعَهْدٍ مَعْهُوْدٍ إِلَيْهِ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، تَوَارَثَهُ مِنْ آبَائِه عليهم السلام».

المصادر: الخصال، ج: ٢، ص: ٥٢٨. بصائر الدرجات، ص: ٥١٣. بحار الأنوار، ج: ٢٦، ص: ٩٦.

(يعني): عن محمد بن مسلم قال؛ سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾[سورة غافر، الآية:٧]، قال: «يَعْنِي: مُحَمَّداً وَعَلِيّاً، وَالحَسَنَ وَالحُسَيْن، وَنُوْحاً وَإِبْرَاهِيْمَ، وَمُوْسَى وَعِيْسَى عليهم السلام». ٢٨٣

المصادر: تأويل الآيات الظاهرة، ص: ٦٩١. تفسير فرات الكوفي، ص: ٣٧٥. الصراط المستقيم، ج: ١، ص: ٢١٧. بحار الأنوار، ج: ٥٥، ص: ٣٥.

(يعني): في تفسير القمّي، قال عليه السلام: «﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾، يَعْنِي: آدمَ عليه السلام، ﴿وَخَلَقَ مِنها زَوْجَها﴾، يَعْنِي: حَوَّاء». ٥٧

المصادر: تفسير القمي، ج: ١، ص: ١٣٠. بحار الأنوار، ج: ١١، ص: ١٠٠.

(ينادي): عن أبي ولاد الحناط، عن أبي عبد الله عليه السلام لَمَّا سُئل عن قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾[سورة مريم، الآية: ٣٩]، قال: «يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّة فِي الجَنَّة، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ: يَا أَهْلَ الجَنَّة وَيَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُوْنَ المَوْتَ فِي صُوْرَةٍ مِنَ الصُّوَرْ؟. فَيَقُوْلُوْنَ: لَا. ٢١٥

فَيُؤْتَى بِالمَوْت فِي صُوْرَة كَبْشٍ أَمْلَحِ، فَيُوْقَفُ بَيْنَ الجَنَّة وَالنَّار، ثُمَّ يُنَادَوْنَ جَمِيْعاً: أَشْرِفُوْا وَانْظُرُوْا إِلَى المَوْتِ. فَيُشْرِفُوْنَ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ بِهِ فَيُذْبَحُ.

ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّة خُلُوْدٌ فَلَا مَوْتَ أَبَداً، يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُوْدٌ

فَلَا مَوْتَ أَبَداً».

المصادر: تفسير القمي، ج: ٢، ص: ٥٠. بحـــار الأنـــوار، ج: ٨، ص: ٣٤٤-٣٤٥.



فهرس موضوعات الكتاب

(ج:٢)



الموزع الرئيسي لإصدارات مؤسسة فكر الأوحد قدس سره

مكتبة الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره **- سوريا - السيدة زينب** عليها السلام

هاتف نقال: (٠٠٩٦٣٩٣٣٠٦٧٦٦) - ص.ب: (٢١٣).

الموقع الإلكتروني: *www.FikrALawhad.net*

البريد الإلكتروني: *Radi@FikrALawhad.net*